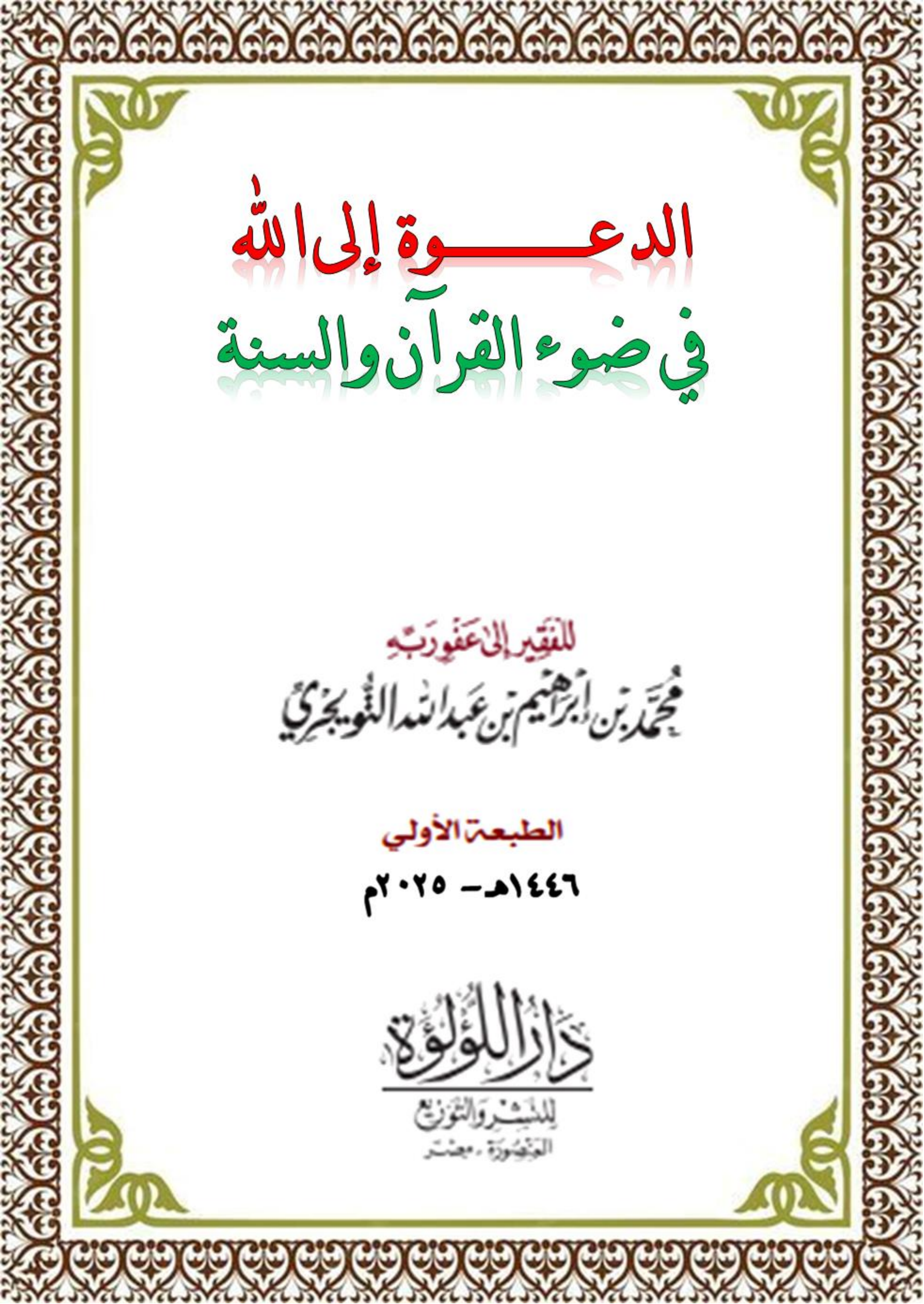

الدعــوة إلى الله
في ضوء القرآن والسنة
الفقير إلى مولاه
محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري
الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر



الدعـــــوة إلى الله
في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولي

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر



الطبعة الأولي

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

رقم الإيداع: ٢٠٨٥٢ / ٢٠٢١م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٢٧١-٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

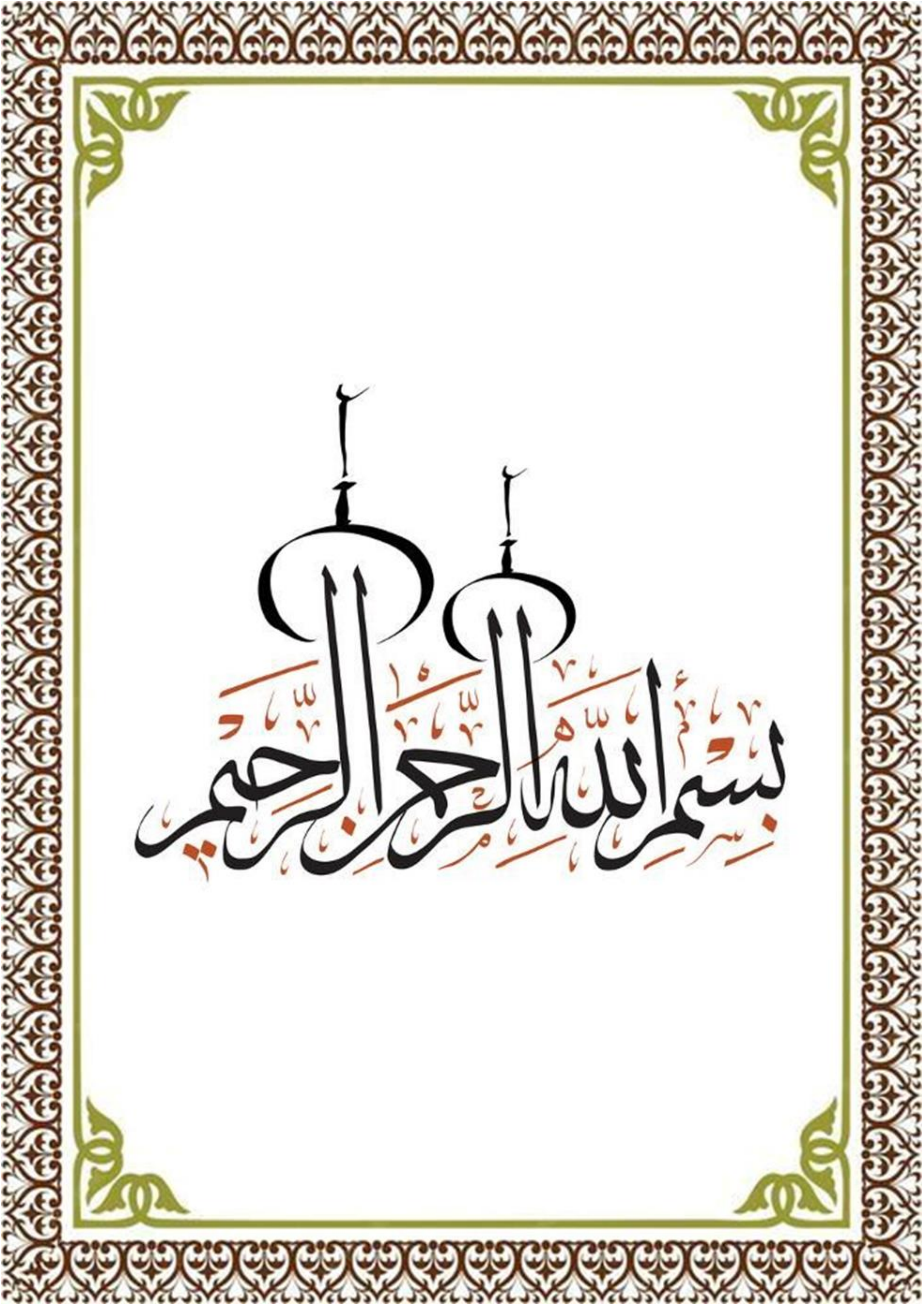
الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

0225117747 - 01050144505

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

0502357979 - 01007868983


الدعـــــوة إلى الله
في ضوء القرآن والسنة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرُ الهُدَى هُدَى محمد ﷺ ، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعةٌ، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ، وكُلُّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

إن أفضل العلوم وأزكاها ، وأحسنها وأعلاها ، وأعظمها وأوجبها ، هو العلم بالله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله العظيمة ، ونعوته الجميلة :

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد :١٩] .

وقيمة الوعاء بحسب ما فيه ، والقلوب محل التوحيد والإيمان ، وهي محل نظر الرب جل جلاله ، وغذاؤها بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومن حسن غذاؤه حيا قلبه ، وأحب ربه ، وتحركت جوارحه بما يحبه الله ورسوله من الأقوال الحسنة ، والأعمال الصالحة .

والقلوب محل نظر الله عز وجل ، فمن زينها بالإيمان والتقوى ، رضي الله عنه ، ورضي هو عنه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة :٧- ٨] .

والله حكيم عليم في خلقه وأمره ، خلق جميع المخلوقات ، لتشهد له بالوحدانية ، وتسبح بحمده ، وتسجد لعظمته، وتتصاغر لكبريائه، وتذل لعزته، وتعلن حاجتها إليه ، وكمال ذلها بين يديه ، وكلها مظهر لجلاله وجماله وكماله : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۝١٨ ﴾ [الحج : ١٨] .

وخلق الله سبحانه السموات والأرض ، وما فيهما ، وما عليهما ، وما بينهما، وجعل الجميع يسبح بحمده، ويشهد بواحدانيته، ويعلن فقره بين يديه :﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤٤ ﴾ [الإسراء:٤٤].

ومن كمال رحمته بخلقه أن أرسل الرياح لتهب في العالم كله ، وسير الشمس والقمر للإنارة في العالم كله ، وسير السحب لتسقي الخلائق في

العالم كله ، وأمر الأرض بالإنبات في العالم كله ، وسخر أنواع المخلوقات لنفع الإنسان في العالم كله : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان:٢٠] .

وأرسل الله سبحانه الرسل ، وأنزل الكتب ، لهداية الناس إلى الحق في العالم كله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل : ٣٦] .

وختم الله الأنبياء والرسل ببعثة محمد ﷺ رحمة للعالمين في العالم كله ، وأنزل عليه القرآن العظيم هداية للناس في العالم كله إلى يوم القيامة : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

فهذه المخلوقات العظيمة لا زالت تعبد ربها ، وتقوم بما أمرها الله به ، والرسل والأنبياء أدوا ما أمرهم الله به من دعوة الناس إلى الإيمان بربهم ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة:١] .

والقرن الأول من هذه الأمة ، وهم أصحاب النبي ﷺ ، قاموا بما أمرهم الله ورسوله به من الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله ، فرضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، وبسبب جهودهم العظيمة انتشر التوحيد والإيمان والدين في الأمة ، حتى وصل إلينا نقياً صافياً كما نزل .

وذرية آدم ﷺ خلق كثير لا يحصيهم إلا الله الذي خلقهم ، ولهم حق في هذا الدين العظيم الذي شرفنا الله بإبلاغه للناس كافة، كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

وأكثر المسلمين اليوم قد غلبتهم شهواتهم ، وغرهم الشيطان ، فاشتغلوا بدنياهم عن دينهم ، وعطلوا شعيرة الدعوة إلى الله ، واكتفوا بالشعائر التعبدية ، واستغنوا بها عن النيابة النبوية التي أمرنا الله بالقيام بها رجالاً ونساءً، كما قال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

والله عز وجل شرف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلق الله ، وشرف هذه الأمة بما شرف به الأنبياء والرسل فقال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقد بعث الله رسوله محمداً ﷺ أسوة حياة لكل إنسان ، ومبلغ رسالة لكل إنسان ، ونحن نوابه في أمته ، نعمل بالدين ، ونبلغ الدين في العالم كله أسوة بالنبي ﷺ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

واليوم طوفان الباطل قد كشر عن أنيابه ، وعض الأمة بمخالبه ، وأوحش الناس بسرعة انتشاره ، وكثرة أعلامه، واتباعه وأسواقه: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى

ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:٤١] .

لقد أصابت البشرية اليوم فتن عظيمة ، وخسائر فادحة ، وانهيارات عظيمة ، بسبب كيد الشيطان وجنوده ، وإتباع الهوى ، وترك الدعوة إلى الله .

لقد حصلت انهيارات كبيرة على مستوى العالم كله :

انهيارات في الأخلاق، وانهيارات في السلوك، وانهيارات في الآداب، وانهيارات في الإعلام، وانهيارات في التعليم، وانهيارات في التوجيه، وانهيارات في الدعوة إلى الله، وانهيارات في العبادات، وانهيارات في المعاملات، وانهيارات في الاقتصاد، وانهيارات في طريق الحياة.

وحصل للبشرية اضطراب في الأمن ، واضطراب في الاقتصاد ، واضطراب في التجارة، وخسائر في الأموال، وعلل في الأبدان، ورعب في القلوب، وسفك للدماء، فامتلأت المحاكم والسجون والمستشفيات بكافة طبقات الأمة من الخاصة والعافية، ومن الرجال والنساء، ومن الأغنياء والفقراء: ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن:١٧] .

وهذا السيل الجارف قد عم وطم ، وأغرق البشرية في أوحال الظلم والفساد ، وأستعبد القوي الضعيف ، وخنق الكبير الصغير .

واشتعلت الحروب في أرض الله ، وسفك الطغاة والأعداء الدماء ظلماً وعدواناً بلا شفقة ولا رحمة.

ومزق الشيطان وجنوده البشرية إلى فرق وأحزاب ، وعرب وعجم ، وبيض وسود ، وصار الشيطان قائدهم وإمامهم في كل شئ : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء : ٣٨] .

وعم هذا البلاء العظيم الكافر والمسلم ، والطالح والصالح .

وأصبح الكل يشكو حاله إلى مخلوق مثله ، فزادت المشاكل ، واضطربت الأمور ، ونزلت المصائب والكوارث بالأفراد والمجتمعات والدول على مستوى العالم : ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يس : ٦٠ - ٦٢] .

وخرج كثير من المسلمين من الصراط المستقيم ، إلى الصراط المعوج ، ومن إتباع الهدى إلى إتباع الهوى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ [النساء : ٦٦ - ٦٨] .

ومساحة الكفر الآن أكبر من مساحة الإسلام ، وعدد الكفار أكثر من عدد المسلمين ، وحورب الإسلام في عقر داره ، وسجن الأخيار ، وترؤس أهل الشر والفساد في أغلب بقاع الرض.

وسبب ذلك كله ضعف الإيمان، أو الإقبال على الدنيا ، وترك الدعوة إلى الله ، حتى جر الشيطان أكثر الناس معه إلى جهنم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر : ٥ - ٦] .

إن المؤمن حقاً يسكب العبرات ، والدموع المسفوحة ، على أمة مسروقة مغلوبة ، وعلى هذا الواقع الأليم الذي تعيشه البشرية في أنحاء العالم ، ولكن البكاء لا يكفي ، والمؤمن لا ييأس ولا يضعف ، لأن الله معه ، بل يبدأ بالإصلاح ، ويتوكل على الله ، ويبذر الحب في الأرض ، والله يسقيه بمنه وفضله ، فينبت ويثمر ، وينفع الناس ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحج:٤٠] .

إن كثيراً من المسلمين اليوم مشغولون بتعمير دنياهم ، غافلون عن إبلاغ دين ربهم ، فصار الدين بينهم كاليتيم ، لا يجد من بينهم من يكفله ويرعاه .

هذا مشغول بأمواله ، وهذا مشغول بتجارته ، وهذا مشغول بزراعته ، وهذا مشغول بصناعته ، وهذا مشغول بدراسته ، وهذا مشغول بشهواته: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

وبسبب ذلك تاهت البشرية في أودية الهوى ، والضلال ، والفساد ، والظلم، وهذه أكبر جناية في حق البشرية ، وعقوبتها أعظم العقوبات : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة :١٥٩- ١٦٠] .

إن الدعوة إلى الله هي أوجب الواجبات بعد الإيمان بالله عز وجل ، فالرسول ﷺ لا نبي بعده ، وبقيت نيابته في أمته إلى يوم القيامة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨].

إن الدعوة إلى الله هي أم الفرائض ، وأوجب الواجبات بعد الإيمان بالله عز وجل ، لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء بالدعوة إلى الله.

وإذا قامت الأمة بالدعوة إلى الله فتحت أبواب المداخل ، فدخل الناس في دين الله أفواجا ، وصار الدين كله لله في العالم كله .

وظهرت في الأمة الصفات التي يحبها الله من المسلمين، والمؤمنين، والمتقين، والمحسنين، والصادقين، والصابرين، والعابدين، والذاكرين، وغيرهم من أهل الصفات الحسنة التي ثوابها أحسن الثواب:﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب :٣٥] .

وإذا تركت الأمة الدعوة إلى الله زادت مساحة الكفر والشرك ، والظلم والفساد والضلال ، وفتحت أبواب المخارج من الدين ، وكثر المرتدون عن الدين ، وظهرت الصفات السيئة في الأمة من المجرمين ، والمفسدين ، والفاسقين والمفسدين ، والظالمين والباغين وغيرهم من أمثالهم .

فما أعظم الله ، وما أعظم دينه ، وما أعظم شأن الدعوة إلى الله ، وما أعظم شأن الدعاة إلى الله ، وما أعظم أجورهم ، وما أرفع درجاتهم عند ربهم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

الدعوة إلى الله أحب الأعمال إلى الله ، لما فيها من الخيرات الكثيرة ، والمنافع العظيمة، ولهذا شرف الله بها الأنبياء، وهذه الأمة .

إن الداعي إلى الله أكثر المسلمين عملاً ، وأحسنهم قولاً ، وأعظمهم ثواباً ، واكملهم اقتداء بالنبي ﷺ .

وثمرات وفضائل الدعوة إلى الله كثيرة، تعود إلى الداعي والمدعو على حد سواء.

فالدعوة إلى الله تثمر ذكر الله للداعي والمدعو ، وتثمر انتشار الحق في العالم ، وهي من أعظم أسباب نزول الهداية على الخلق: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

والدعوة إلى الله سبب لنزول السكينة على القلوب ، وغشيان الرحمة لهم ، وذكر الله لهم ، وغفران ذنوبهم ، وتحفهم الملائكة فرحاً بهم ، وحراسة لهم ، وتبدل سيئاتهم حسنات .

والداعي إلى الله أوفر المسلمين حظاً من هذا الدين ، لأنه يعبد الله ، ويدعو إلى الله ، ويعلم شرع الله ، والله معه يحفظه وينصره ويؤيده، كما قال سبحانه : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

والدعوة إلى الله تصل الخلق بالخالق ، فيعرفوه ، ويؤمنوا به ، ويعبدوه وحده لا شريك له ، وتربطهم بحياة الملائكة ، وحياة الأنبياء التي هي أحسن حياة ، وأطهر حياة : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب :٣٩] .

وفي الدعوة إلى الله نشر العبودية لله في العالم ، وتزكية العلم بالعمل ، والاقتداء بالأنبياء والرسل ، وشكر الله عز وجل على نعمة الهداية ، والصبر على الشدائد من أجل الله .

والدعوة إلى الله سبب لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

والدعوة إلى الله سبب لرضوان الرب ، وتركها سبب لغضب الرب ، وحلول لعنته ونقمته .

والدعوة إلى الله من أعظم أسباب رفع العذاب والمصائب عن الأمة .

والدعوة إلى الله أجورها عظيمة ومستمرة ، فهي سبب لإسلام كل كافر ، وهداية كل ضال ، وهي سبب لأن يكون الصالح مصلحاً ، والذاكر مذكراً ، والجاهل عالماً ، والعاصي تائباً: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت :٣٣] .

وبالدعوة إلى الله يزداد علم الداعي كل يوم ، لأنه يتكم عن ربه بين خلقه ، فيزيد نور الإيمان في قلبه وقلوب الناس ، وتحسن عبادته ، وتزكو نفسه وروحه ، وتصلح أخلاقه ، ومعاملاته ، ومعاشراته ، وعلاقاته : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

والدعي إلى الله أعظم من يعلم الناس الخير ، ويدلهم على ربهم ، ولهذا يصلي الله عليه ، وملائكته ، وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها ، والحوت في البحر ، وذلك لعظمة عمله وجهد ه وصبره ، وعظيم نفعه ، وقيامه بعمل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

وفي الدعوة إلى الله قيام بمقصد بعثة النبي ﷺ ، وإعلاء لكلمة الله في العالم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾ [الأحزاب :٤٥- ٤٦] .

وبالدعوة إلى الله تحفظ الأوقات بكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق الحسنة.

وفي الدعوة إلى الله طرد للشيطان من المجالس التي يذكر فيها اسم الله ﷻ .

والداعي إلى الله أعظم من يحقق الخيرية التي شرف الله بها هذه الأمة ، ويحيي عبودية الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعبودية التعاون على البر والتقوى ، وعبودية الإحسان إلى الخلق ، وإدخال السرور عليهم، وتذكير المؤمنين بربهم ، وترغيبهم في الأعمال الصالحة ، وتذكيرهم بمسؤلية الدعوة إلى الله ، وعظيم نفعها وثوابها : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وفي الدعوة إلى الله يكتشف الداعي إلى الله الطاقات الموجودة في الأمة ، ويفعلها لنفع المسلمين في جميع المجالات الشرعية من تعليم وتذكير وفي الدعوة إلى الله امتثال أوامر الله ورسوله ، والاقتداء بالأنبياء والرسل ، وتنوير قلوب العالمين بتوحيد رب العالمين ، وأعمال سيد المرسلين .

والداعي إلى الله تشهد له الأرض التي يمشي عليها ، والمجالس التي ذكر الله فيها ، والنفوس التي دعاها ، والجوارح التي تحرك بها .

والدعوة إلى الله سبب لولاية الله للداعي ، لأنه أعظم من يذكر الله ، ويذكر الناس به .

والدعوة إلى الله أعظم مقامات العبودية بين يدي الله، وبين يدي الناس ، فالداعي إلى الله يبذل كل شيء ، ويترك كل شيء ، من أجل هداية الناس ، ونشر الحق والفضيلة ، ومحاربة الشر والرذيلة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

فما أعظم عبودية الدعوة إلى الله ، وما أعظم أثارها ومنافعها وأرباحها ، وما أحسن القيام بها بين الناس .

ففي صحيفة الداعي إلى الله عبادات جميع من دعاهم إلى الله ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، فهو ميت في قبره ، وأعمال من دعاهم تصب الحسنات في صحائف أعماله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت :٣٣] .

والداعي إلى الله في صحائف أعماله كل تائب تاب على يديه ، فالله يحب التوابين ، فكم يكون حبه لمن كان سبباً في توبة التائبين ، وطاعة الطائعين ، وتعليم المعلمين ، وإنفاق المحسنين .

وفي الدعوة إلى الله رضوان رب العالمين ، ودخول جنات النعيم ، والنجاة من نار الجحيم : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

والدعوة إلى الله سبب لحسن الخاتمة ، فمن حسنت حياته ، حسنت وفاته .

وفي الدعوة إلى الله اختراق لمجالس الغفلة ، وكسر الحواجز بين الوجهاء والضعفاء ، وبين الأغنياء والفقراء .

فالداعي إلى الله يغشى الناس في مجالسهم ، ويكبر الله بينهم ، ويؤلف قلوبهم على الإيمان بالله عز وجل .

والدعوة إلى الله فيها تحريك للطاقات المعطلة في الأمة ، وتمرين للمهتدين الجدد على الدعوة إلى الله باصطحابهم في الدعوة إلى الله ، فيتعلمون العلم والحكمة والدعوة من خلال الصحبة .

والدعوة إلى الله أصلها للداعي تركيزاً ، ولغيره تذكيراً بالعهد الأول : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

والهداية بيد الهادي وحده ، كما أن الرزق بيد الرزاق وحده ، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت :٦٩] .

والدعوة الانفرادية هي الأصل ، وهي دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأكثر من دخل في الإسلام ، وأبلوا فيه بلاءً حسناً ، هم من أسلم بالدعوة الانفرادية كالخلفاء الراشدين ، والعشرة المبشرين بالجنة ، وغيرهم من السابقين الأولين ، وأعلام الصحابة رضي الله عنهم .

والداعي إلى الله أكثر المسلمين تعبداً لله ، وتدبراً للقرآن ، وقراءة له ، وتطبيقاً له ، وتذكير الناس به : ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥ ﴾ [ق :٤٥] .

والداعي إلى الله يفهمه الله صريح القرآن ، وإشارات القرآن ، وتارك الدعوة إلى الله يحرم من فهم صريح القرآن ، وإشارات القرآن ، فيقرأ آيات الأحكام ويفهمها ، ويقرأ آيات الدعوة وكأنه غير مخاطب بها .

والداعي إلى الله يجعل الله له محبة في قلوب الخلق ، لأنه يدلهم على ربهم ، ويذكرهم به ، ويرشدهم إلى كل خير : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ [مريم : ٩٦] .

فما أحسن الدعوة إلى الله ، وما أعظم فضائلها ومنافعها وأجورها : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت :٣٣] .

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يشارك فيها ، ويكون إماماً فيها ، طاعة لله ولرسوله ، واقتداءً بالنبيين والمرسلين ، وأداء للأمانة ، وتحقيقاً للخيرية التي شرف الله بها هذه الأمة ، وطلباً للثواب العظيم من رب العالمين لمن قام بها ، ونجاة من العقوبة التي توعد الله بها من تركها : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى

ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥] .

وأوامر الشريعة لازمة وواجبة على كل مسلم ومسلمة ، فالصلاة أمر الله يجب القيام بها ، والزكاة أمر الله يجب أداؤها ، وكذلك الدعوة إلى الله أمر الله يجب على الجميع القيام بها : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقد شرف الله الأنبياء والرسل بالدعوة إلى الله ، وعبادة الله ، وشرف هذه الأمة بالدعوة إلى الله ، وعبادة الله ، ووعدهم على ذلك جنته ورضوانه فقال : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة : ٧١ – ٧٢] .

فسبحان من اصطفى الأنبياء والرسل من البشر ، وأصطفى هذه الأمة من بين الأمم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

فهذه أوامر الدعوة إلى الله ، وهذه فضائلها ومحاسنها ، ومنافعها وأجورها : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت :٣٣] .

إن من له أدنى مسكة من عقل لا يليق به أن يفرط في هذا العمل العظيم ، ولا يحرم نفسه من أجوره العظيمة ، والتجارة الكبيرة ، ويترك جهد سيد المرسلين ، ويقعد عن الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف :١٠- ١٣] .

والدعوة إلى الله هي تعريف الناس برب العالمين ، تعريفهم بالله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله العظيمة ، ونعوته الجميلة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت :٣٣] .

فنعرف الكبير حتى نكبره وحده ، ونعرف العظيم حتى نعظمه وحده ، ونعرف الحكيم قبل معرفة أحكامه ، ونعرف الغني قبل أن نسأله ، ونعرف الكريم قبل أن نقف ببابه ، ونعرف الرزاق قبل أن نمد أيدينا إليه ، ونعرف المحيط قبل الإحاطة بأحكامه ، ونعرف الواسع قبل أن نتوسع في أنواع عبادته ، ونعرف العزيز حتى لا نعتز بأحد سواه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

ونعرف الرب قبل أن نسأله التربية ، ونعرف التواب قبل أن نسأله التوبة ، ونعرف الملك قبل أن نقف بين يديه ، ونعرف القوي قبل أن نستعين به ،

ونعرف العفو حتى لا نسأل العفو إلا منه ، ونعرف الرحمن ومظاهر رحمته قبل أن نسأله الرحمة ، ونعرف الغفار قبل أن نسأله المغفرة ، ونعرف الشافي حتى لا نسأل الشفاء إلا منه ، ونعرف الوهاب حتى لا نسأل إلا إياه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد : ١٩] .

ونعرف السميع حتى لا نقول إلا ما يحبه ويرضاه ، ونعرف البصير حتى لا نفعل إلا ما أمر به ، ونعرف العليم حتى لا نطلب العلم إلا منه ، ونعرف الخبير حتى نعلم أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد : ١٩] .

ونعرف المستعان حتى لا نستعين بأحد سواه ، ونعرف المجيب حتى لا ندعو إلا إياه ، ونعرف القريب حتى نستحي منه ، ولا نفعل إلا ما يحبه ويرضاه ، ونعرف الودود قبل أن نتودد إليه بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، ونعرف الحي حتى لا نقف إلا ببابه ، ولا نسأل إلا إياه ، ونعرف الوكيل حتى لا نتوكل إلا عليه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام :١٠٢- ١٠٣] .

وهكذا في بقية أسماء الله الحسنى ، نعرفه، ثم نعبده بموجبها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف : ١٨٠] .

وإذا عرفنا الله أولاً بأسمائه وصفاته وأفعاله ، آمنا به ، ووحدناه ، وعظمناه وكبرناه ، وأحببناه وحمدناه ، وأطعناه وعبدناه ، واستعنا به ، وتوكلنا عليه ، ودعوناه وسألناه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فالله خلق جميع مخلوقاته ، لتدل عليه ، وتشير إلى وحدانيته ، وعظمة جلاله وجماله وكماله ، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق : ١٢] .

فبعد معرفة المعبود ، يكون التقرب إليه بأنواع عبادته بكمال الحب والتعظيم والذل له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام :١٠٢- ١٠٣] .

والدعوة إلى الله عز وجل تقوم على أربعة أركان :

الأول : تعريف الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليؤمنوا به ، ويوحدوه، ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر :٦٥] .

الثاني : تعريف الناس بعظمة الله وكبريائه ، وعظمة ملكه وسلطانه ، ليعظموه ويكبروه ، ويخافونه ويخشونه ، ويبادروا إلى طاعته ، والحذر من معصيته : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة : ٩٨] .

الثالث : تعريف الناس بعظمة نعم الله وإحسانه إلى خلقه ، ليحبوه ، ويحمدوه ، ويشكروه ، ويدعوه ، ويسألوه ، ويعبدوه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس : ٣] .

الرابع : تعريف الناس بعظمة وعد الله ووعيده ، ليرجوه ويخافوه ويمتثلوا أوامره ، ويرغبوا في طاعته ، ويجتنبوا سخطه ومعصيته ، ويستغفروه ويتوبوا إليه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

فما أعظم حظ من عرف الله ، وعرّف الناس به ، وهنيئاً لكل من ذكر الله ، وذكر الناس به ، وهنيئاً لكل من عبد الله ، ودعاء إلى الله ، وهنيئاً لكل من عرف الطريق إلى الله ، وعرف الناس بالطريق إلى الله : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

إن عبودية الله عز وجل تقوم على أصلين عظيمين :

الأول : عبودية بين العبد وربه ، بالإيمان بالله ، وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة : ٥] .

الثاني : عبودية بين المخلوق والمخلوق بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأنواع الإحسان : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء :٣٦] .

والله عز وجل جعل للتعبد بين يديه وقتاً محدوداً ، وجعل التعبد له بين يدي خلقه له أكثر الأوقات ، وجعل بين التعبد بين يديه وقتاً طويلاً بين الفريضة والفريضة ، ليتفرغ العبد للتعبد بين يدي الخلق بالدعوة إلى الله ، لأنه نائب النبي ﷺ في عبادته ودعوته.

وقد قدم الله جهد الهداية على جهد العبادة ، وقدم عمل النهار قبل الليل فقال في صفة عباد الرحمن : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان :٦٣- ٦٤] .

فالمشي في الشوارع للدعوة ، قبل المشي إلى الجوامع للعبادة ، وكلاهما واجب ، والجوامع إنما بنيت بعد المشي في الشوارع للدعوة إلى الله .

والله عز وجل أوجب طلب الهداية في كل ركعة من الصلاة بقوله : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة : ٦] .

وأوجب جهد الهداية بقوله : ﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج : ٧٨].

فالعبادة أمر الله ، والدعوة أمر الله ، فيجب القيام بهما على جميع المسلمين، كما قال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج :٧٧ – ٧٨] .

إن حياة المؤمن قائمة على الإيمان بالغيب ، وحياة الكافر قائمة على الإيمان بالمشاهدات، وحياة المؤمن مقيدة بأوامر الله ، وحياة الكافر مطلقة فيما حل وحرم من الشهوات، والمؤمن إلهه ربه الذي خلقه، والكافر إلهه هواه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴾ [القصص:٥٠] .

وبالدعوة إلى الله يخرج الله الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن إتباع الهوى إلى إتباع الهدى.

فهذه أكثر من مائة ثمرة من ثمرات الدعوة إلى الله ، وهي تزيد على ألف ثمرة ، كلها جاءت في القرآن والسنة، وحسن الله لا يدرك، وحسن الدعوة لا يدرك: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ [فصلت:٣٣].

والخير كله مجموع في الفقه في الدين، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

قال النبي ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ».متفق عليه[1] .

فالفقه فقهان :

الأول : فقه عن الله فيما خلق من المخلوقات ، وهذا يثمر كمال التوحيد والإيمان ، وتعظيم الله وتكبيره ، وحبه وحمده وشكره ، وذلك بالنظر في الآيات الكونية، كما قال سبحانه : ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) ﴾ [يونس :١٠١] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم(١٠٣٧).

الثانية : فقه عن الله فيما شرع من الأحكام ، وهذا يثمر العلم بالأحكام الشرعية ، والعمل بموجبها ، وحسن الاستقامة ، ابتغاء وجه الله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر : ٢٨] .

إن الدعوة إلى الله أعظم الأوامر بعد الإيمان بالله ، فيجب أن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل : ١٢٥] .

والتدرج سنة في الأمر الكوني ، وسنة في الأمر الشرعي : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء : ٧٧] .

ونحن أمة وسط ، نحافظ على الأصل الشرعي ، ونستفيد من معطيات العصر في كل مجال في ضوء القرآن والسنة ، ونتدرج من فقه الممكن إلى فقه الأحسن والأكمل ، ونأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ [البقرة:١٤٣] .

وهذا الدين العظيم عالمي ، عابر للزمان ، وعابر للمكان ، وعابر للأقوام ، لأنه منهاج البشرية إلى يوم القيامة : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

وهذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، تتزين بالعلم الإلهي ، وتعمل بموجبه ، وتبسط العلم ، وتحارب الجهل ، وتنشر السنن ، وتدعوا إلى الحق ، وتقاوم

الباطل ، وتستأصل البدع ، وتثبت على الحق ثبوت الجبال الراسيات: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

علماؤها الربانيون هم شموس الهدى ، ومصابيح الدجى ، وأهل الإيمان والتقوى :﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة:١١] .

علماؤها قائمون بتأصيل العلم الإلهي ، وتحريك الهمم والعزائم ، وتحديد الوسائل والمناهج ، وغرس الحب والإتلاف ، ومقاومة الفرقة والخلاف: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران :١٠٤– ١٠٥] .

وكثير من المسلمين اليوم قد أخفقوا في توحيدهم وإيمانهم ، لعدم معرفتهم بالله، وعدم معرفتهم بكتاب الله الكوني المنظور ، وجحدوا لعدم معرفتهم بمقاصد القرآن المسطور ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وإذا استقام الصف الأول استقامت الصفوف بعده.

ونظراً لأهمية موضوع الدعوة إلى الله ، فقد أدرجناه في كتابنا الواسع (موسوعة خزائن العلوم الإسلامية في ضوء القرآن والسنة) لتعم الفائدة ، ويكتمل نصاب الواجبات في الشريعة وكتاب (**الدعوة إلى الله في ضوء القرآن والسنة**) ، حررناه بتصوير حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وحياة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في توحيدهم ، وإيمانهم ، ودعوتهم ، وأخلاقهم، وتضحياتهم ، وصبرهم ، وتوجنا مسائله

بآيات القرآن الكريم ، وأحاديث النبي ﷺ التي صحت عنه في دعوته وعبادته وأخلاقه .

وخرجنا الأحاديث فيه كما يلي :

إن كانت في الصحيحين كتبنا متفق عليه ، وخرجناه من أصل البخاري ومسلم ، وإن كانت في البخاري أو مسلم ، خرجناه من البخاري أو مسلم ، وإن كانت الأحاديث في كتب السنة الأخرى ، كتبنا أمامه صحيح ، وخرجناه من مصدرين من مصادر السنة المعروفة كمسند الإمام أحمد ، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم .

أسأل الله عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، موافقا لسنة سيد المرسلين، وأن ينفع به جميع العالمين .

وهذا الكتاب محض فضل الله علي ، ما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وأشكره عليه ، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن نفسي والشيطان ، وأستغفر الله منه .

وأسأل الله الكريم العفو عما زل به اللسان ، أو وقع سهواً في غير محله ، فكل مؤلف ومصنف مع الحرص والتأني ، وإمعان النظر ، وكثرة المسائل والشواغل ، قلما ينفك عن زلة أو خطأ غير مقصود ، وكل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، فنسأل الله العفو الكريم المغفرة والرضوان : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

ورحم الله عبداً شكر ما رآه فيه من صواب ، وأرشدني إلى ما ورد فيه من خطأ ، من أخ كريم ، وناصح أمين .

وفي الختام أسأل الله الكريم أن ينفعني بهذا الكتاب ، وينفع به عموم المسلمين في أنحاء العالم .

كما أسأله عز وجل أن يتقبله مني ، وأن يغفر لي ولوالدي ، وأهل بيتي ، وأن يغفر لكل من قرأه أو سمعه أو علمه أو نشره أو أعان على نشره ، إنه هو الغفور الرحيم .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين على نعمة البدء والختام ، والعون والتوفيق والتمام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[هود : ٨٨] .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قاله كاتبه الفقير إلى ربه ومولاه ،

محمد بن ابراهيم بن عبد الله التويجري .

المملكة العربية السعودية - بريدة - جوال:

(٠٥٠٨٠١٣٢٢٢) (٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢)

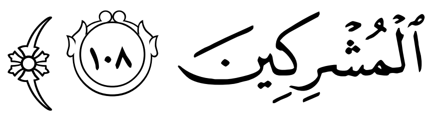
موقعنا على الأنترنت : (هذا الإسلام)

hatha-alislam.com/index

البريد الإلكتروني : Mb_twj@hotmail.com

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾



[يوسف:١٠٨] .

كتـــاب الدعـوة إلى الله

الباب الأول

ويشتمل على ما يلي:

١ – حكمة خلق الإنسان .

٢ – فقه الدعوة إلى الله .

٣ – كمال دين الإسلام .

٤ – عموم دين الإسلام .

٥ – فضائل الدعوة والدعاة

٦ – مقاصد الدعوة إلى الله

٧ – حقيقة الدعوة إلى الله .

٨ – أصول الدعوة

٩ – أهمية الدعوة إلى الله، وأحكامها

١ - حكمة خلق الإنسان

خلق الله هذا الكون العظيم للدلالة على كمال أسماء الله وصفاته وأفعاله وسلطانه ، وكمال قدرته وعلمه ، فيرى القلب كل شيءٍ في هذا الكون يسبح بحمد ربه ، ويشهد بوحدانيته ، وينطق بعظمته ، ويخضع لأمره ، ويسرع إلى إرادته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٣ – ٤٤] .

وإذا عرف الإنسان ذلك أقبل على عبادة ربه بالحب والتعظيم والذل لله ، وحقق مراد الله منه ، وشارك باقي المخلوقات في عبادة اللهالواحد القهار : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

و خلق الله الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له ، وتكفل بجميع حاجاتهم وأرزاقهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

- **المراحل والدور التى يمرّ بها الإنسان :**

خلق الله الإنسان وجعله يمر بمراحل ، وأزمنة ، وأمكنة ، وأحوال ، وينتهى بالخلود ، إما فى الجنة أو النار ، حسب عمله .

وهذه المراحل هى :

الأولى : بطن الأم :

وهى أول دار يمر بها الإنسان، وأول دارٍ يسكنها، وإقامته فيها تسعة أشهر، تزيد أو تنقص، هيأ الله له فى هذه الظلمات برحمته ما يحتاجه من الطعام والشراب، وما يناسبه من السكن والمأوى، وهو فى هذه المرحلة غير مكلف، والحكمة من وجوده في هذه الدار أمران :

تكميل الأجهزة الداخلية ، وتكميل الأعضاء الخارجية .

ثم تنفخ الروح فيه ، ثم يخرج إلى الدنيا حيًا بعد كمال خلقه ظاهرًا وباطنًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[آل عمران:٦] .

الثانية : دار الدنيا :

وهى أوسع دارًا من بطن الأم ، والإقامة فيها أكثر مدة من بطن الأم ، هيأ الله للإنسان فى هذه الدار كل ما يحتاجه ، وزوده بالعقل والسمع والبصر ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وأمره بطاعته ، ونهاه عن معصيته ، ووعده على الطاعة الجنة ، وعلى المعصية النار ، والحكمة من وجوده هنا أمران :

تكميل الإيمان بالله ، وتكميل الأعمال الصالحة التى جعلها الله سببًا لدخولالجنة ، ثم يخرج من هذه الدار ميتًا مع عمله إلى الدار التي تليها: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل : ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾[المائدة : ٩-١٠] .

الثالثة : دار البرزخ فى القبر:

وهو أول منازل الآخرة ، يبقى فيه الإنسان منعمًا أو معذبًا حتى يكتمل موت الخلائق وتقوم الساعة ، وإقامته فيه غالبًا أكثر من إقامته فى دار الدنيا ، والأنس أو البؤس فيه أوسع وأكمل من دار الدنيا ، وهو بحسب العمل :

إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، يبدأ فيه الجزاء ، ثم يخرج منه إلى دار القرار إما في الجنة أو النار .

الرابعة : الدار الآخرة:

وفيها خلود المؤمنين في الجنة ، والنعيم المطلق للمؤمنين ، وتكميل شهواتهم ، ورؤية ربهم جل جلاله .

وفيها خلود الكفار في النار في العذاب الشديد ، وعقوبة كل من عصى الله ورسوله .

فمن أكمل في الدنيا ما يُحبه الله من الإيمان ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الكريمة ، أكمل الله له يوم القيامة ما يحبه ، مما لم تره عين ، ولم

تسمعه أذن ، ولم يخطر على قلب بشر: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

ومن لم يأت بالإيمان والأعمال الصالحة بل جاء بالكفر والشرك فجزاؤه جهنم خالدًا فيها ، وكلما خرج الإنسان من دار زَهد فيما كان عليه أولًا ، حتى يستقر المؤمن فى الجنة دار النعيمالمطلق ، ويستقر الكافر فى النار دار العذاب المطلق .

قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾[السجدة:١٨-٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[آل عمران: ١٦٢-١٦٣] .

● **فقه حركات الإنسان :**

كل ما فى الدنيا عرضٌ قليلٌ عاجلٌ زائل ، ولا قيمة للدنيا بالنسبة لما فى الآخرة ، وكل ما يفعله الإنسان فى الدنيا راجع إلى نفسه فإن كان شرًا فهو يجنى شرًا على نفسه وإن كان خيرًا فهو يجلب الخير لنفسه، كما قال سبحانه : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾[الإسراء:٧] .

فالإنسان مقبلًا ومدبرًا ،قائمًا وقاعدًا ، متكلمًا وسامعًا ، معطيًا ومانعًا ، داعيًا ومعلمًا ، مقيمًا أو مسافرًا إنما يبنى بهذه الحركات المختلفة منزله ومقره النهائى فى الآخرة ، فليس للإنسان فى الآخرة إلا ما جناه فى الدنيا ولا حصاد له إلا من زرعه الذي زرعه فى الدنيا ، كما قال سبحانه : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[فصلت:٤٦] .

٢- فقه الدعوة إلى الله

الله ﷻ بمنِّه وفضله وكرمه شرَّف هذه الأمة وأكرمها بالدين ، وجعلها خير أمةٍ أخرجت للناس ، واصطفاها واجتباها من بين الأمم ، وأعطاها وظيفة الأنبياء والرسل ، وهي الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج: ٧٧ – ٧٨] .

وعلى كل مسلم ومسلمة واجبان : إصلاح نفسه بالعبادة ، وإصلاح غيره بالدعوة ، ولا يتم ذلك إلا بالعلم والإيمان ، فمن قام بهما فاز ، ومن أخل بواحدٍ منهما خسر ، كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ (٧٧) ﴾ [الحج : ٧٧] .

والمسلم عبدٌ لله وحده ، وليس عند العبد عمل إلا امتثال أوامر سيده .

وأوامر الله ﷻ تدور على أربعة أصول :

الأول : الدعوة إلى الله: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

الثاني : عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (٧٧) ﴾ [الحج: ٧٧] .

الثالث : تعلم الدين : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ (٧٩) ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

الرابع : التحلى بمكارم الأخلاق التى تكون سببًا لمحبة الناس للدين وللداعى إليه : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

والدعوة إلى الله هي أم الأعمال ، وبسبب الدعوة إلى الله يدخل الناس في دين الله أفواجًا ، ووقت المسلم كله في امتثال أوامر ربه في العبادة والدعوة ففي النهار قيام بالدعوة كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤) ﴾[المدثر:١-٤].

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا (٧) وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا (٨) ﴾[المزمل: ٧-٨].

شبه الدعوة بالسباحة ، فلو غفل السباح عن الحركة يغرق ، وكذلك الداعى إلى الله إذا غفل عن الدين والدعوة غرق في شئون الدنيا .

وفي الليل يقوم بالعبادة والدعاء أمام ربه، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل : ١-٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦ ﴾ [الإنسان:٢٦] .

ففى الليل جهدٌ أمام الله بالدعاء والبكاء والتضرع، وتعظيم الرب وتسبيحه، وحمده ، والاستغفار من الذنوب ، وطلب العون والهداية له ولغيره .

وفى النهار جهد على عباد الله بالدعوة إلى تكبير الرب ليعظموه ، وبذكر نعمه وآلائه ليشكروه ، ويحمدوه ، وبذكر وعده للمؤمنين ليرغبوا فى طاعته وعبادته ، وبذكر وعيده لمن عصاه ليحذروا من معصيته : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

والله ﷻ أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، ليظهر الحق ويبطل الباطل، كما قال سبحانه :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣ ﴾[التوبة:٣٣] .

والله ﷻ قادرٌ على إظهار الحق وإبطال الباطل بلا جهد أحد ، ولكنه سبحانه وكل الرسل وأتباعهم بالهداية ، كما وكل الشمس بالإنارة ، ووكل الأرض بالإنبات ، ووكل السحب بحمل الغيث وتفريقه فى البلاد ، فجعل سبحانه الدعوة سببًا للهدايةوشرف بها الإنسان، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ

سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فإذا جاهد الرسل وأتباعهم بأموالهم وأنفسهم ، وبذلوا أوقاتهم وجاههم ، وضحوا بشهواتهم ومحبوباتهم من أجل الدين ، أظهر الله الحق ، وأبطل الباطل ، ونصر أولياءه ، وخذل أعداءه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

والدعوة إلى الله رسالة كل مسلم ، وهو فيها أجيرٌ عند الله ، يبلغ دين ربه إلى الناس ، ويتوكل عليه وحده ، وينال أجره منه وحده : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سبأ : ٤٧] .

وهذا الشعور ألزم ما يكون لمن تُوْكل إليه مهمة القيادة ، كي لا يقنط إذا أعرض عنه مَنْ علم الله أنه لا يصلح ، أو أوذي فى الدعوة ، ولا يغتر إذا استجابت له الجموع ، وأنصت له الناس ، أو دانت له الرقاب ، فإن هذا كله بإذن مالكه ، وإنما هو أجيرٌ ، وأجره على من أرسله وأمره، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الشعراء:١٤٥] .

والله وحده بيده الملك كله، كما قال سبحانه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك : ١] .

والهداية بيد الهادي وحده سبحانه : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[القصص:٥٦] .

والمسلم إذا قام بالدعوة إلى الله حصلت له الهداية ، وحصل له الأجر وإن لم يستجب له الناس ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

● **شروط الداعى إلى الله :**

لا بدَّ أن تتوفر فى الداعى إلى الله صفات الإيمان والتقوى ليؤثر فى غيره ، ويكون الله معه ، كالفرشاة لا بدَّ أن تمتلئ بالصبغ أولًا ، ثم يصبغ بها الجدار ثانيًا ، وحينئذ تكون سببًا لتلوينه ، وتغيير صورته ، وكالمال فمن ليس فى جيبه مال لا يستطيع الإنفاق على غيره .

فكذلك الداعى لا بدَّ أن تكون فيه صفات الإيمان والتقوى ، ومكارم الأخلاق ، فمن ليس عنده إيمانٌ ولا تقوى ولا أعمال ولا لأخلاق كيف ينشر ما لا يملك ؟

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾[الصف:٢-٣] .

وقد تكفل الله ﷻ لمن يبلغ دينه فى مشارق الأرض ومغاربها بكل ما يحتاج من الطعام والشراب ، والسكن والمركب ، والأجر والحفظ فى الدنيا والآخرة ، فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه، كما قال النبى ﷺ : « مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ » . متفقٌ عليه(١).

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [النحل:١٢٨] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٨٠ /٥٨).

والدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال الله سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

والموعظة الحسنة : هى التذكير بفضل الله على عباده ، والتذكير بعظمة الله وجلاله ، والترغيب فى العمل الصالح لنيل الدرجات العلى من الجنة ، والترهيب من النار للنجاة من عذابها .

وساحة الإيمان والتقوى مملوءةٌ بكل خير ، وبكل بر ، وبكل عمل صالح يحبه الله ورسوله ﷺ ، وساحة الكفر والشرك مملوءةٌ بكل شر ، وبكل إثم ، وبكل معصية ، وبكل فاحشة ، وبكل ظلم ونحو ذلك مما يبغضه الله ورسوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وقال الله ﷻ عن الكفار : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد : ١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة:٥٥] .

والله ﷻ أرسل رسوله محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين ،فلما قام بالدعوة إلى الله انحلت العقدة الكبرى ، عقدة الشرك والكفر ، والعداوة والبغضاء ، ولما انحلت هذه العقدة الكبرى ، انحلت العقد كلها : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وهكذا جاهد الرسول ﷺ جهاده الأول ، فلم يحتج إلى جهادٍ مستأنف لكل أمرٍ ونهي لكل واحدٍ من أصحابه .

فلما آمنوا دخلوا فى السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم ، لا يشاقون الرسول بعد ما تبين لهم الهدى ، ولا يجدون فى أنفسهم حرجًا مما قضى ، ولا يكون لهم الخيرة من بعد ما أمر ونهى :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [النساء:٦٥] .

والداعى إلى الله الله معه ، والله ناصره ، والله وليه ، فمن ذا يخيفه ؟ ومن ذا يخيفه إذا كان الله معه ؟.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢ ﴾ [غافر: ٥١ – ٥٢] .

فحين أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ ﴾[طه:٤٥-٤٦] .

وقال الله تعالى عن نبيه ﷺ أنه قال﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾[التوبة:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة:٦٧] .

والداعي يقوم بالدعوة والبلاغ ، وليس له من أمر الهداية والضلالة شيء ، فالله يعلم من يستحق الهداية فيهديه ، ومن يستحق الضلالة فيضله ، فإذا قضى بقضائه هكذا أو هكذا ، فلا مبدل لما شاء : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

والسموات والأرض أكبر من خلق الناس ، قالتا لربهما أتينا طائعين ، وهذا الخلق الصغير من البشر الذي يدب على الأرض مع سائر الدواب الطائعة يأكل من رزق الله، ويسكن في أرض الله ، ويكفر بالله، ويعارض رسل الله، ويسخر بهم، ويستهزئ بهم: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾ [العلق:٦-٧] .

فماذا يكون جزاء هذا الكفر والإعراض والاستهزاء والاستكبار ؟ .

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ ﴾ [فصلت : ١٣] .

وماذا ينتظر هؤلاء من العقوبات ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤ ﴾ [الرعد : ٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾ [النساء:٥٦] .

وهذا الإنذار المخيف فى الدنيا والآخرة يناسب شناعة الجرم ، وقبح الذنب من الإنسان :﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة: ٧٢] .

السنن الكونية لها أصولٌ وأهدافٌ وثمرات ، والسنن الشرعية كذلك لها أهدافٌ وأصولٌ وثمرات .

فالشجرة لها زينة ، وهى الأوراق والأزهار ، ولكن المقصد من الشجرة الثمرة ، والشجرة إنما جاءت من البذرة ، والبذرة لا بدَّ لها من بيئة ، وهى الأرض والماء ، والشمس والهواء ، وبعد ذلك تظهر الشجرة ، ثم تكون الثمرة : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾[فاطر: ٤٣] .

وكذلك الإنسان زينة قلبه بالإيمان ، وزينة جسده بالأعمال الصالحة ، ورضا الله هو الغاية والمقصد من الدين: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة : ٥] .

وذلك لا يكون إلا بطاعة الله ورسوله ، وذلك لا يتم إلا بالإيمان ، والإيمان لا يتم إلا بالدعوة ، ولا بدَّ للإيمان من بيئة صالحة يزداد فيها الإيمان ، وتحفظه من النقصان ، تتمثل فيها أوامر الله من العبادة ، والدعوة ، والتعليم ، واتباع السننالنبوية ، والآداب الإسلامية ، والتحلى بالأخلاق الكريمة ، وكل ما يرضى الله ورسوله :﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

- **فقه كمال الآدمى :**

كمال الآدمى وسعادته وفلاحة فى الدنيا والآخرة بخمسة أمور :

تعلم الدين ، والعمل بالدين ، والاستقامة على الدين ، وتعليم الدين ، ونشر الدين : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ١ – ٣] .

فبالدعوة إلى الله ، يأتى الإيمان ، ثم تأتى طاعة الله ورسوله ، ثم يأتى رضا الله عنه ، ثم دخوله الجنة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ

طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧١ – ٧٢] .

وإذا أهملنا الدعوة إلى الله ضعف الإيمان ، وإذا ضعف الإيمان رغبت النفس فى معصية الله ورسوله، وإذا عصى العبد الله ورسوله غضب الله عليه، وإذا غضب الله أنزل عقوبته بمن عصاه ، وعقوبته سبحانه للعصاة والكفار الشقاء فى الدنيا ، والنار فى الآخرة: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٤].

وقال الله عن الكفار : ﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٣٤﴾ ﴾[الرعد: ٣٤] .

والداعى إلى الله يدعو الناس على اختلاف طبقاتهم إلى الاستقامة على الدين ، وتنفيذ أوامر الله فيما هم فيه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم: ٥٢] .

فيقول للحكام كونوا كنبى الله سليمان لتدخلوا الجنة ، ولا تكونوا كفرعون فتدخلوا النار .

ويقول للوزراء كونوا كيوسف ﷺ لتدخلوا الجنة ، ولا تكونوا كهامان فتدخلوا النار .

ويقول للتجار كونوا كتجار المهاجرين لتدخلوا الجنة ، ولا تكونوا كقارون وقوم شعيب فتدخلوا النار .

ويقول لأهل الزراعة كونوا كالأنصار لتدخلوا الجنة ، ولا تكونوا كقوم سبأ فتدخلوا النار .

ويقول للعامة والخاصة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة :٢١- ٢٢] .

والمسلم يحترم المسجد ؛ لأنه بيت الله ، ومحل أداء فرائض الله ، وكذلك الفقير نحترمه ونكرمه ؛ لأنه محل صدقاتنا وزكاتنا فلا نحقره .

وهكذا الكافر والمشرك والعاصى هؤلاء عبيد الله، ولهم حق الرحمة والدعوة، والرسول ﷺ كان لا يحقر أحدًا أن يبلغه رسالة ربه، فالمسلم يرى الكافر غريقًا، ويجتهد عليه لعل الله أن يرحمه ، وينقذه من النار: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

والشفقة والرحمة أعظم سلاح أعطيه الأنبياء والرسل، كما قال سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء : ١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِى ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

والشفقة والرحمة بخلق الله تكون وتنمو بكثرة الجهد للدين حتى تصبح كالأمواج فى البحار بعضها فوق بعض ، فتنبعث أمواج الشفقة والرحمة بقدر قوة الإيمان، وبقدر الجهود المتواصلة على خلق الله : ﴿ لَقَدۡ

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة : ١٢٨] .

● **حكمة خلق المخلوقات :**

خلق الله جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي لحكمٍ عظيمة.

الأولى : الشهادة لله بالوحدانية ، وعبادة الله وحده لا شريك له :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات : ٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٤] .

الثانية : إعلام الخلق بكمال قدرة الله ، وإحاطة علمه بكل شيء ، ليكبروه ويعظموه ، ويطيعوه ويعبدوه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق : ١٢].

الثالثة : إقامة البراهين العظيمة على أن الله وحده هو المستحق للعبادة وحده دون سواه ، كخلق السموات والأرض وما فيهن وما بينهن من المخلوقات::
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق:٦ -٨] .

الرابعة : ابتلاء الخلق بالأمر والنهى ، والخير والشر ؛ ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه ، وليبلوهم أيهم أحسن عملاً:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلٗاۗ ﴾[هود:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلٗا ٧ ﴾[الكهف:٧] .

الخامسة : جزاء العباد في الآخرة بحسب أعمالهم في الدنيا :: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ٣١ ﴾[النجم:٣١] .

السادسة : بيان عظمة رحمة الله وفضله وإحسانه بخلق أرزاق الخلق ، ليسهل على العباد عبادة ربهم إذا رأوا فضله وإحسانه :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٖۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٠ ﴾[الروم:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ٥٣ ﴾[النحل:٥٣] .

السابعة : بيان ما أعد الله في الآخرة لمن آمن به وأطاعه ، ومن كفر به وعصاه ؛ ليقبل الناس على طاعته ، ويحذروا معصيته.

قال الله تعالى :﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنٗا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ ﴾[طه : ٧٤ -٧٦] .

- **فقه كمال نعيم القلب :**

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه على سائر المخلوقات، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠ ﴾[الإسراء : ٧٠] .

وجعل الله لكل عضوٍ من أعضاء الإنسان كمالًا إن لم يحصل له فهو في قلقٍ واضطرابٍ وألم ، فجعل سبحانه كمال العين بالإبصار ، وكمال الأذن بالسمع ، وكمال اللسان بالنطق ، وإذا عدمت هذه الأعضاء القوى التي بها كمالها حصل الألم والنقص والاضطراب .

وكذلك جعل الله كمال القلب ، ونعيمه ، وسروره ، ولذته ، وطمأنينته في معرفة ربه ، ومحبته ، والأنس به ، والشوق إليه ، والعمل بما يرضيه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ٢٩ ﴾[الرعد: ٢٨-٢٩] .

وقد فطر الله القلوب على التعلق بالله العظيم ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى ، فإذا عدم القلب ذلك كان أشد عذابًا وألماً من العين التي فقدت النور ، والأذن التي فقدت السمع.

والقلب السليم يبصر الحق كما تبصر العين الشمس ، فإذا وجده اطمئن به : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ١٠٤ ﴾[الأنعام : ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩ ﴾[الرعد:١٩] .

- **فقه الدنيا والآخرة :**

جعل الله لكل شيء زينة ومقصدًا ، فالنباتات لها زينة ، وهي الأغصان والأوراق والأزهار ، ولكن المقصد الحبوب والثمار ، والثياب لها زينة ، والمقصد ستر العورة ، وكذلك الدنيا زينة ، وكل ما عليها زينة ، والمقصد الإيمان بالله ، والأعمال الصالحة المثمرة للرضوان والجنات : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة : ٧١ – ٧٢] .

فالدنيا زينة ، والمقصد الآخرة : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت:٦٤] .

وكل من نسي المقصد وهو الدين تعلق بالزينة وهي الدنيا : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم يشتغلون بالمقاصد وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وتعليم شرعه ، والدعوة إليه ، وأهل الدنيا يشتغلون بالزينات والشهوات ، واللهو واللعب : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)﴾ [الحديد:٢٠-٢١].

والله سبحانه أمرنا أن نأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ونعمل للآخرة بقدر الطاقة : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ﴾[الحج:٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾[القصص: ٧٧] .

وإذا تعارضت في حياتنا الأشياء والزينات المباحة مع المقصد ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة إليه ، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، قَدَّمنا ما يحب الله ، وهو عبادته وطاعته ، وطاعة رسوله ﷺ ، والجهاد في سبيله ، ونشر دينه على كل ما سوى ذلك : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾[الروم: ٣٠] .

وكل ما على الأرض زينةٌ لها ، خلقه الله شاهدًا بوحدانيته ، وابتلاءً لعبادة ، وزينة الإنسان بالإيمان ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾[الحجرات:٧-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)﴾[الكهف:٧] .

- **أصل السعادة والشقاوة :**

الله ﷻ جعل سعادة الإنسان وشقاءه بحسب ما يصدر منه من الإيمان والأعمال الصالحة ، أو ضدها من الكفر والأعمال السيئة ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه : ١٢٣-١٢٦] .

فمن آمن وقام بما أمره الله ورسوله به من الأعمال الصالحة ، سعد في الدنيا ، ثم زادت سعادته عند الموت بملائكة تبشره بما يسرُّه ، ثم زادت سعادته إذا أُدخل القبر ، فيكون عليه روضةً من رياض الجنة ، ثم زادت سعادته في الحشر ، ثم تزيد سعادته وتبلغ كمالها إذا أُدخل الجنة دار السلام: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٧] .

وهكذا إذا كفر الإنسان ، وساءت أعماله ، شقي وساءت أحواله في الدنيا :﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

ثم زاد عذابه عند الموت ، ثم زاد عذابه في القبر ، فيكون عليه حفرةٌ من حفر النار ، ثم زاد عذابه عند الحشر ، ثم زاد العذاب وبلغ كماله في النار ، دار الجحيم والسعير نعوذ بالله من ذلك . ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٤].

ومن تنوعت أعماله المسخوطة لله ، المبغوضة له في هذه الدار ، تنوعت الأقسام التى يتألم بها في النار ، واشتدت وكثرت بحسب كفره و كثرة أعماله السيئة : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل: ٨٨] .

ومن تنوعت أعماله المرضية لله المحبوبة له في الدنيا تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في الجنة ، وحسنت وكثرت بحسب إحسانه ، وكثرة أعماله الصالحة : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل : ٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة:١٨-٢٠] .

- **سنة الله في خلقه :**

سنة الله جارية على أن كل من ترك ما ينفعه مع الإمكان ابتُلي بالاشتغال بما يضره ، وحُرِم الأول واحدةً بواحدة ، ومن لم يكن في النور فهو في الظلام قطعًا فانظر وتدبر سنن الله في خلقه : ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر : ٨٥] .

فالمشركون لما زهدوا في عبادة الرحمن ابتلوا بعبادة الأوثان ، ولما استكبروا عن الانقياد للرسل ابتلوا بالانقياد لكل مارج العقل والدين من شياطين الإنس والجن ، ولما تركوا إتباع الكتب المنزلة لهداية الناس ابتلوا بإتباع أرذل الكتب وأخسها وأضرها للعقول ، ولما تركوا إنفاق أموالهم في

طاعة الرحمن ابتلوا بإنفاقها في طاعة النفس والشيطان : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

ومن أطاع الله ورسوله ، وترك ما تهواه نفسه من الشهوات لله تعالى ، عوَّضه الله من محبته ، وعبادته ، والأنس به ، والإنابة إليه ما يفوق لذات الدنيا كلها فضلًا عن نعيم الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام:٤٤-٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[الكهف:١٠٣- ١٠٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة : ٧٢] .

والدعوة إلى الله هي أعظم الوظائف ، وأكبر الوظائف ، والدعوة إلى الله هي أم الأعمال كلها ، وهي وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ووظيفة هذه الأمة جميعًا : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

والدعوة إلى الله جل جلاله أوجب الواجبات بعد الإيمان والتوحيد ، وبالدعوة إلى الله يأتي الإيمان ، وبالإيمان تأتي الأعمال الصالحة ، وفي مقدمة الأعمال الصالحة الدعوة إلى الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت :٣٣].

وإذا قامت الدعوة إلى الله جاء الإيمان في الناس ، ثم جاءت الأعمال الصالحة ، ثم صلحت أحوالهم ، ثم رضي عنهم ربهم ، ثم أسعدهم في حياتهم ، ثم زاد سعادتهم عند الموت ، ثم زادها في القبر ، فيكون لهم روضة من رياض الجنة ، ثم بلغهم كمال السعادة في الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر : ٥٤-٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧] .

وبغير الإيمان فالعمل الصالح كله حابط ، وصاحبه خاسر: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر : ٦٥-٦٦] .

والجهاد في سبيل الله نوعان :

جهاد حسن لذاته ، وهو الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الفرقان : ٥١-٥٢] .

وهذا الجهاد أعظم أنواع الجهاد ، وهو سبب لحصول الهداية للداعي والمدعو: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

أما الجهاد الحسن لغيره ، فهو القتال في سبيل الله ، وهذا لا يكون إلا بعد الدعوة إلى الله ، وهو حسن لغيره ، لما فيه من حفظ دار الإسلام ، ودفع الأعداء ، وفتح الأبواب لتدخل الدعوة في كل بلد : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة : ١٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[التوبة:٣٦] .

والدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهي من رحمة الله بعباده ، لإنقاذ البشرية من الكفر ، والشرك ، والمعاصي ، ونار جهنم ، وغضب الرحمن جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء : ١٠٧] .

والدعوة إلى الله ليست خطبًا ومواعظًا ودروسًا فقط ، بل هي خلق كريم ، وعطاء جزيل ، وإحسان جميل ، ورحمة بالخلق ، ورفق بالناس ، وتواضع لهم : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

وهي كذلك بذل كل شيء من أجل الدين ، وترك كل شيء من أجل الدين ، وصبر على المكاره : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

والدعوة إلى الله حياة مطابقة لحياة سيد الخلق ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا ، وكان خُلقه القرآن ، وحياته ﷺ أحسن حياة ، وأطهر حياة ، وأجمل حياة ، لما فيها من الدعوة إلى الله ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله ، فواجبنا الإقتداء به : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وأعظم الإحسان بعد الإحسان في توحيد الله وعبادته ، هو الإحسان إلى الخلق بدعوتهم إلى الله الذي خلقهم ورزقهم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

والإسلام هو المنهج الوحيد للحياة السعيدة للبشرية كلها إلى يوم القيامة : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وفي القرآن والسنة المناهج الشرعية للأفراد والجماعات والشعوب ، وهي صالحة لكل زمان ومكان ، في جميع شعب الحياة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[المائدة : ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

والقرآن العظيم ذاته منهج حياة ، وداخله مناهج ، والسنة النبوية ذاتها منهج حياة ، وداخلها مناهج : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

والسيرة النبوية ذاتها منهج حياة للحياة السعيدة ، وداخلها مناهج من أحسن المناهج التربوية : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

ونشر الحق كنشر الباطل ، كلاهما يحتاج إلى جهود وتضحيات ، وإلى بذل وترك ، وإلى تخطيط وتدبير وتنفيذ ، وكما أنه لا بد للمباني وللمدن من تخطيط وتدبير ، كذلك لا بد للبشرية من تدبير وتنفيذ وشورى ، لكيفية دعوتهم إلى الله ، وصبغهم بصبغة الله ، لتكون حياتهم في الدنيا والآخرة أحسن حياة ، وأطهر حياة ، وأجمل حياة ، بالتوحيد والإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة:٧١] .

وأحسن التدبير المقرون بالتنفيذ، تدبير رب العالمين لرسوله الكريم ﷺ، والتوجيه الرباني الكريم لصاحب الدعوة الأسوة ﷺ يبدأ بـ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (٢) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (٣) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (٥)﴾[العلق:١-٥].

ثم بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا (٣) أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا (٤)﴾[المزمل: ١-٤].

ثم بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤) وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ (٥) وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ (٧)﴾[المدثر:١-٧].

ثم بعدها: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ (٢١٤)﴾[الشعراء:٢١٤].

ثم بعدها: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (٩٤)﴾[الحجر: ٩٤].

ثم بعدها: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ (٧)﴾[الشورى:٧].

ثم بعدها: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٢)﴾[إبراهيم:٥٢].

ثم بعدها: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ (١٩٠)﴾[البقرة:١٩٠].

ثم بعدها: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ (٣٦)﴾[التوبة:٣٦].

ثم بعدها: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩٣)﴾[البقرة:١٩٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معاذًا ﵁ قال : « بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ ، قَالَ : « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ » . متفق عليه[1] .

هذا هو التخطيط ، وهذا هو التدبير ، وهذا هو التوجيه له ﷺ ولأمته في مجال الدعوة إلى الله .

والدعوة إلى الله ، وإبلاغ هذا الدين أعظم فريضة في الإسلام :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[المائدة : ٦٧] .

ولن تخرج من الدعوة إلى الله الثمرات إلا إذا قامت على هذه الأصول والمناهج العظيمة ، وقام كل مسلم ومسلمة بالدعوة إلى الله ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل:١٢٥] .

والذي جعله الله من خير أمة أخرجت للناس ، يجب عليه أن يصرف جل وقته في عبادة الله وحده ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٩٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٩).

المنكر ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام :١٦١-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

- **مقاصد الدعوة إلى الله :**

للدعوة إلى الله ﷻ مقاصد عظيمة وهذه أهمها :

المقصد الأول : تحقيق العبودية الكاملة لله ﷻ في كل الأرض ، وفي كل الخلق إلى يوم القيامة ، حتى يوحد الله كل أحد ويعبد الله كل أحد : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل : ٣٦] .

ومظاهر العبودية لله ثلاثة :

تقديم أمر الله ورسوله على كل أمر ، وتقديم طاعة الله ورسوله على كل طاعة ، وتقديم محبة الله ورسوله على كل محبة : ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[التوبة : ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران:٣١] .

الثاني : تحقيق الإتباع الكامل للنبي ﷺ ، حتى لا يبق أحد تاركًا لسنة النبي ﷺ : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف : ١٥٨] .

وإتباع النبي ﷺ يجب أن يكون مقرونًا بمحبته لأن الإتباع دليل المحبة ، فمن ادعى حب النبي ﷺ ولم يتبعه ، كان كأبي طالب فلم تنقذه محبته للنبي ﷺ دون إتباعه من النار ، ومن ادعى إتباع النبي ﷺ دون حبه كان كالمنافقين الذين كانوا يصلون معه وهم يبغضونه، فهم في الدرك الأسفل من النار : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران : ٣١] .

ويتحقق إتباع النبي ﷺ بأربعة أمور : تعلم سنته ، والعمل بموجبها ، ودعوة الناس إليها ، ودعاء الله أن يرزقه حسن إتباع النبي ﷺ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

فنتبع النبي ﷺ في كل أمر ، ونجتنب جميع ما نهى عنه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر : ٧].

ويتحقق ذلك بخمسة أمور :

إتباع النبي ﷺ في نيته وفكره ، وفي توحيده وإيمانه ، وفي أقواله الحسنة ، وفي أعماله الصالحة ، وفي أخلاقه الكريمة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الثالث : التذكير بالموت والآخرة ، ليستعد الإنسان لذلك بأنواع العمل الصالح ، كما قال سبحانه مخاطبًا موسى ﷺ : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[طه:١٤-١٦] .

والموت ليس هو النهاية ، بل هو بداية حياة الإنسان الأبدية إما في الجنة ، أو النار : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت:٦٤] .

الرابع : تنفيذ أوامر الله ﷻ بالدعوة إلى الله ، وتحميل الأمة مسئولية الدعوة إلى يوم القيامة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

فأتباعه ﷺ هم كل من رضي بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ رسولًا ، والله سبحانه لم يشترط في الدعوة إلا البصيرة فقط ، والبصيرة أن يعلم الداعي رجلًا كان أو امرأة علم اليقين أن له ربًا يستحق أن يعبد ، وأن يعلم يقينًا أن له رسولًا يستحق أن يطاع ، ويعلم يقينًا أن بعد الموت حياة يجب أن يستعد لها ، وأن لله دينًا يجب أن يبلغ إلى كل الخلق في كل

الأرض : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام:١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

اللهم أنت الهادي اهدنا ، وأهد بنا ، واجعلنا سببًا لمن اهتدى .

٣- كمال دين الإسلام

- **فقه السنن الكونية :**

الإسلام هو الدين الكامل الذى أكرم الله به البشرية ، وهو أكبر نعمةً أنعم الله بها على عباده ، وبالإسلام تتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

فالله ﷻ خلق هذا الكون العظيم ، ليدل على كمال عظمته وقدرته وكمال علمه وإحاطته ، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق : ١٢] .

وكل مخلوق من مخلوقات الله ، بل كل ذرةٍ في الكون شاهدةٌ بوحدانية الله ، ومستجيبةٌ لمشيئته ، ومسرعةٌ إلى إرادته ، ناطقةٌ بعظمته ومسبحةٌ بحمده : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤] .

وجعل سبحانه لكل مخلوق في هذا الكون سنةً يسير عليها ، وبها يتحقق مراد الله منه ، فلكل شيء سنةٌ لا تتبدل ولا تتغير ، ولا تتقدم ولا تتأخر ، إلا بأمر الله وحده : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح : ٢٣] .

فالشمس لها سنة، والقمر له سنة، والليل له سنة ، والنهار له سنة، والجماد له سنة، والنبات له سنة، والحيوان له سنة، والرياح لها سنة، والمياه لها سنة، والكواكب لها سنة، والشمس لها سنة، والبحار لها سنة، والجبال لها سنة، والأرض لها سنة وهكذا : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس: ٣٨-٤٠] .

وسنة الله جارية في كل مخلوق : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأنعام : ٩٩] .

- **فقه السنن الشرعية :**

الإنسان مخلوقٌ من مخلوقات الله محتاجٌ إلى سنةٍ يسير عليها في جميع أحواله ؛ ليسعد في الدنيا والآخرة ، وهذه السنة لابد أن تكون من الذي خلقه وهو الله ﷻ ، وهي الدين الذي أكرمه الله به ، ورضيه له ، ولا يقبل منه غيره : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران : ٨٥] .

و سعادة الإنسان وشقاوته مرتبطةٌ بمدى تمسكه بهذا الدين أو إعراضه عنه ، وهو أحوج شيءٍ إليه ، وهو مختارٌ في قبوله أو رده ، وقد بينه الله له ، ودهاه للدخول فيه ، ورغبه في العمل به ، وحذره من مخالفته : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ

سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف : ٢٩-٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[البقرة:٣٨-٣٩] .

- **فضل الله على الإنسان :**

لما خلق الله الإنسان سخر له ما في السماوات وما في الأرض ، وأسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة ، وأنزل عليه الكتب ، وأرسل إليه الرسل ، وزوده بآلات العلم والمعرفة كالسمع والبصر والعقل ، وشرفه بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب عبادة ما سواه :﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل:٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

وقد امتن الله ﷻ على عباده بنعمٍ كثيرةٍ لا تحصى، كما قال سبحانه : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤]

وأهم هذه النعم وأصولها ثلاث :

نعمة الإيجاد .. ونعمة الإمداد .. ونعمة الهداية .

وأعظم هذه النعم وأجلها نعمة الإسلام الذي أرسل الله به محمدًا ﷺ إلى الناس كافة : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات:١٧] .

والإسلام دين الحق والعدل والإحسان وهو الدين الكامل الشامل الباقي إلى يوم القيامة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾[المائدة:٣] .

فالإسلام هو الدين الحق الذي ينظم علاقة الإنسان مع ربه بعبادته وتوحيده وشكره ، والتوجه إليه في جميع أموره ، والخوف منه ، والتوكل عليه ، والذل له ، والمحبة له ، والتقرب إليه والاستعانة به ، وطلب مرضاته ، وسبل الوصول إلى جنته ، وكيفية النجاة من غضبه وعقابه .

وينظم الإسلام علاقة الإنسان مع غيره على أحسن الوجوه ، كالأم والأب ، والزوجة والأولاد ، والأقارب والجيران ، والمسلم والكافر ، والحاكم والمحكوم وغيرهم .

وينظم الإسلام معاملات الإنسان المالية بكسب الحلال ، وتجنب الغش والخيانة والسرقة ونحو ذلك ، والسماحة في البيع والشراء ، والإنفاق في وجوه الخير ، وكيفية توزيع الصدقات ، وتقسيم المواريث ونحوها ، وتحري الصدق وتجنب الكذب والنفاق والحسد .

وينظم الإسلام حياة الإنسان الزوجية ، وتربية الأولاد على أكمل الوجوه ، وصيانة الأسرة من الفساد ، وينظم حياة الرجل والمرأة ، في حال السراء والضراء ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والأمن والخوف .

وينظم الإسلام سائر العلاقات على جسورٍ متينة من الحب في الله ، والبغض في الله ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ، وجميل الصفات كالكرم والجود والحلم والعفو ، والحياء والعفة ، والصدق والبر ، والعدل والإحسان ، والرحمة ونحوها من مكارم الأخلاق .

وينهى الإسلام عن كل شرٍ وفساد، وظلم وطغيان، كالشرك بالله والكفر ، والقتل بغير حق، والزنا، والكذب ، والكبر، والنفاق، والسرقة، والغيبة، وأكل أموال الناس بالباطل ، والربا ، والخمر ، والسحر ، والرياء والغش ونحو ذلك من الكبائر والمحرمات .

ويكشف بعد ذلك كله حياة الإنسان في الآخرة ، وأنها مبنيةٌ على حياته في الدنيا ، فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة دخل الجنة ، وسعد برؤية ربه سبحانه ورضوانه ، وتمتع بالجنة بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ومن جاء بالكفر والمعاصي دخل النار ، والنار فيها عذابٌ أليم ، يخلد فيها الكافر ، ويعذب فيها العاصي بقدر ذنوبه ، أو يغفر الله له : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ

ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤] .

٣- عموم دين الإسلام

الله ﷻ هو الملك الحق الذي يفعل في ملكه ما يشاء بقدرته ، فله الملك كله وله الخلق كله ، وله الأمر كله : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾[الملك: ١] .

جعل سبحانه نور الشمس للعالم كله وجعل الهواء للعالم كله وجعل السحب تنزل الغيث فى العالم كله وجعل نبات الأرض قوتًا للعالم كله وجعل الإسلام دينًا للعالم كله :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[آل عمران:١٩] .

وجعل القرآن كتابًا للعالم كله : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾[الفرقان:١] .

وجعل محمدًا ﷺ رسولًا للعالم كله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وجعل الكعبة قبلةً للعالم كله : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ﴾[البقرة:١٤٤] .

وجعل سبحانه هذه الأمة خير أمة وداعية للعالم كله : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران:١١٠] .

الإسلام هدىً ورحمةٌ للعالمين ، امتن الله به على خلقه أجمعين ، وأرسل به سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وشرَّف أمته بالدعوة إليه إلى يوم الدين :﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

فالله جل جلاله رب الناس ، ليس لهم ربٌّ سواه ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾[الناس: ١]

والله مَلِك الناس ، ليس لهم مَلِكٌ سواه كما قال سبحانه :﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ ﴾[الناس: ٢]

والله سبحانه إله الناس ، ليس لهم إلهٌ سواه كما قال سبحانه : ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾[الناس: ٣]

وأنزل الله القرآن هدىً للناس كما قال سبحانه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾[البقرة:١٨٥] .

وأرسل الله رسوله محمدًا ﷺ كافةً للناس ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ:٢٨] .

وجعل الله الكعبة البيت الحرام قبلةً لجميع الناس ، وهي أول بيتٍ وضع للناس كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[آل عمران:٩٦] .

وجعل الله ﷻ هذه الأمة خير أمةٍ أخرجت للناس : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ

أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

والدعوة إلى الله ، وإبلاغ الدين في مشارق الأرض ومغاربها واجبٌ على كل المسلمين لكل الناس ، حتى تكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

والله ﷻ دعا الناس إلى عبادته وحده لا شريك له واجتناب عبادة ما سواه ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرفنا بدعوة الناس إلى ذلك .

فأول نداءٍ فى القرآن موجهٌ إلى الناس هو الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

والله ﷻ رب العالمين ، خلق الجن والإنس ليعبدوه وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقد أرسل الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ نذيرًا للعالمين ورحمةً لهم إلى يوم الدين : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾[الفرقان:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

والرسول ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، والصحابة رضي الله عنهم قاموا كذلك بالدعوة إلى الله، وبذلوا أوقاتهم وأموالهم وأنفسهم في سبيل الله؛ حتى انتشر الدين فى مشارق الأرض ومغاربها حسب قدرتهم وزمانهم وإمكاناتهم حتى رضي الله عنهم، ورضوا عنه: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝١٥ ﴾ [الحجرات:١٥] .

ومن فضل الله ﷻ على عباده المؤمنين أنه يفتح عليهم من أبواب العلم في كل وقت ما يسهل عليهم حياتهم ، ويقرب التواصل فيما بينهم من أجهزة الاتصال الحديثة كالهاتف والفاكس والانترنت والجوال والفيسبوك واليوتيوب وغيرها من قنوات الاتصال الحديثة .

وهذه أواني فارغة من وضع فيها خيرًا فله أجره ، ومن وضع فيها شرًا فعليه وزْره .

لهذا يجب على من ملكها أن يشكر الله عليها ، وأن يستعملها فيما ينفع المسلم وغيره وفيما يرضي ربه من نشر العلم الشرعي ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من المصالح ، ولا يجوز استعمال هذه الوسائل فيما حرم الله من قولٍ أو فعل أو التجسس على الناس ، أو إشاعة الفساد ، ونشر الصور والأغاني ، ومضايقة النساء واستفزازهن وغير ذلك من ضروب الفساد والإفساد :﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

• سبيل الفوز والفلاح :

أكمل الله لنا الدين ، وأتم به النعمة ، ورضي الإسلام لنا دينًا ، فمن قبله أسعده الله في الدنيا والآخرة ، ومن أعرض عنه شقي في الدنيا والآخرة ولن يقبل الله من أحدٍ دينًا غير الإسلام بعد نزوله على محمد ﷺ .

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[المائدة:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لاَ يَسْمَعُ بِي أحد من هذه الأمة لا يَهُودِيٌّ ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كانَ مِنْ أَصْحَابِ النار » . أخرجه مسلم[1] .

وسيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار بلا ريب ، ثم يعود غريبًا كما بدأ ، ثم تكون خلافةٌ راشدة على منهاج النبوة .

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ ، رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » . أخرجه مسلم[2] .

وعن بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا » . أخرجه مسلم[3] .

وعن تميم الداري رضي الله عنه : سمعت الرسول ﷺ يقول : « لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ » . أخرجه أحمد والحاكم بسندٍ صحيح[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٠/ ١٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم برقم : (١٩/ ٢٨٨٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٤٦).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦٩٥٧)، وأخرجه الحاكم برقم: (٨٣٢٦).

- **حكم من دان بغير الإسلام :**

الإسلام هو دين الله الذي جاءت به جميع الرسل قرنًا بعد قرن ، وأمةً بعد أمة : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وكل من دان بغير الإسلام فهو كافرٌ مخلدٌ في النار ، سواءً كان من اليهود أو النصارى أو المجوس أو غيرهم .

فاليهود كفار؛ لأنهم قتلوا الأنبياء ، وقالوا عزير بن الله ، وكذبوا بعيسى ﷺ، ومن أسلم منهم فله الأجر مرتين؛ لإيمانه بموسى ﷺ، وإيمانه بمحمدٍ ﷺ .

والنصارى كفار ؛ لأنهم قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، وقالوا : إن المسيح بن الله ، وكذبوا محمدًا ﷺ ، ومن أسلم منهم فله الأجر مرتين ؛ لإيمانهم بعيسى ﷺ وإيمانهم بمحمد ﷺ ، ثم ضاعف الله الأجر وتكرم بمغفرةٍ ورحمة لكل من دخل في الإسلام من هذه الأمة .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الحديد: ٢٨-٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال : ٢٩] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ ، فَعَلَّمَهَا وَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ، ثم أَعْتَقَهَا فتزَوَّجَها فلَهُ أَجْرَانِ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَأَيُّمَا مَمْلُوكٍ أَدَّى حَقَّ مَوَالِيهِ و حَقَّ رَبِّهِ فَلَهُ أَجْرَانِ » . متفقٌ عليه[1] .

وأهل الكتاب هم الذين امنوا بموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، واتبعوا التوراة والإنجيل التي أُنزلت عليهما، وعبدوا الله وحده لا شريك له.

والتوراة والإنجيل كتبٌ إلهية أنزلها الله على موسى وعيسى ، فأنزل التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ؛ لكنها حُرفت وبدلت ، ثم نسخ الله العمل بهما بالقرآن ، واليهود والنصارى بعد بعثة محمد ﷺ كلهم مغضوبٌ عليهم ؛ لأنهم عرفوا الحق وتركوه ، فباؤا بغضبٍ على غضب ، وكل من لم يكفر اليهود والنصارى وكل من عبد غير الله فهو كافر .

فيجب علينا أن نكفر كل من كفر الله عز وجل في القرآن، ومن كفره الله فهو كافر، ومن لم يكفره الله فليس بكافر ، ومن لم يكفر من كفر الله كهؤلاء استلزم ذلك أن يقبل الله دينه ، وهذا يستلزم تكذيب قول الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٨٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٤١/ ١٥٤).

وقد كفر الله في القرآن اليهود والنصارى وكل من عبد غير الله ، وبرأ إبراهيم ﷺ من اليهودية والنصرانية ، فدل على أنهما ديانتا كفر أحدثهما الكفار بعد موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بقرون، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[التوبة:٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[المائدة:٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[البقرة:١٣٥] .

فيجب علينا دعوة جميع الكفار إلى الإسلام من كانوا ، وحيث كانوا ، قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

٥- فضائل الدعوة والدعاة إلى الله

حاجة البشرية للدين كحاجة الجسد إلى الروح ، فكما أنه إذا فُقدت الروح فسد الجسد ، فكذلك الأمة إذا فقدت الدين فسدت دنياها وأخراها : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام : ١٢٢] .

- **أصل الدعوة :**

حقيقة الدعوة هي الدعوة إلى الله ، وتعريف الناس بالله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الحميدة ، وخزائنه العظمى ، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ، ووعده ووعيده ، وتعريفهم بدينه وشرعه ، وثوابه وعقابه .

فنعرِّف الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليعظِّموه ويكبروه ، ونعرِّفهم بعلمه وقدرته ، ليخافوه ويهابوه ويتوكلوا عليه ، ونعرِّفهم بخزائنه ، ليسألوه ويدعوه ، ونعرِّفهم بوعده ليسارعوا إلى طاعته ، ونعرِّفهم بوعيده لينفروا من معصيته ، ويحذروا سخطه ، ونعرِّفهم بنعمه وإحسانه ليشكروه ، ونعرِّفهم بدينه وشرعه ليعبدوه بما شرع رسوله ﷺ مع كمال الحب والتعظيم والذل

له جل جلاله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وبهذا يمتلئ القلب بالإيمان ، وتنقاد الجوارح للطاعة والعبادة ، وينطق اللسان بالذكر والشكر والتكبير لله ﷻ .

وأصل الدعوة للداعي تركيزًا ؛ ليزيد إيمانه ، وتحسن أعماله وأخلاقه، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

والدعوة كذلك لغير الداعي تذكيرًا له بالفطرة التي فطر الله عليها ذرية آدم حين خلقهم ، وأشهدهم على أنفسهم فأقروا له بالربوبية، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

فالداعي يذكِّر الناس بهذا العهد ، ليعبدوا ربهم الذي شهدوا له بالوحدانية من قبل ، كما قال سبحانه : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية :٢١-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم :٣٠] .

- **فضل الله بإرسال الرسل :**

الله ﷻ هو الرحمن الرحيم ، ورحمته وسعت كل شيء ، ومن رحمته بعباده أن أنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تُحصى ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، فالرسل يُعَرِّفونهم بربهم وخالقهم ورازقهم ، ويبينون لهم ما يرضيه ، ويدعونهم إلى طاعته وعبادته وحده لا شريك له ، ويبينون ما أعد الله من الثواب لمن أطاعه ، وما أعدّ من العقاب لمن عصاه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ [النحل : ٣٦] .

ومن رحمة الله أنه كلما ضعف الإيمان، ووقع الناس فى الشرك، أرسل الله إليهم رسولًا يدعوهم إلى التوحيد، وعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه .

وكان كل رسول يُبعث إلى قومه خاصة ، حتى ختم الله النبوة والرسالة بخاتم الأنبياء ، وسيد المرسلين ، نبينا محمد ﷺ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

فاصطفى الله رسوله محمداً ﷺ بالرسالة والنبوة ، وأرسله بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة، فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد فى سبيل الله حق جهاده، وترك الأمة على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) ﴾ [الجمعة : ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) ﴾ [الصف : ٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة: ١٢٨] .

- **أفضل الأنبياء والرسل :**

نبينا محمد ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين وآخرهم ، وأمته أفضل الأمم وآخرها :﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب:٤٠] .

وقد بلَّغ ﷺ الرسالة كاملة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده فقد قام بالدعوة إلى الله فى أرض معلومة ، وهى جزيرة العرب ، وفى زمن معلوم قدره ثلاث وعشرون سنة ، شاملًا بدعوته ما استطاع من أهل عصره ، مبتدئًا بدعوة أهله ، ثم عشيرته الأقربين ، ثم قومه ، ثم أهل مكة ، وما حولها ، ثم العرب قاطبة ، ثم الناس كافة ، مبينًا أنه رسول الله إلى الناس كافة ، وأنه رحمةً للعالمين ، فدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، ثم توفاه الله ﷻ بعدما بلغ البلاغ المبين.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ : ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

- **أفضل الأمم :**

ختم الله الأنبياء والرسل ببعثة محمد ﷺ ، وختم الأمم بهذه الأمة ، وأعطاها وظيفة الأنبياء والرسل وهى الدعوة إلى الله فى مشارق الأرض ومغاربها إلى أن تقوم الساعة ولهذا كانت أفضل الأمم ، فى الدنيا والآخرة ، وأكثر أهل الجنة .

ولعظمة هذا العمل ، وشَرَف هذه الوظيفة ، وثقل هذه المسؤولية ، فقد رَبَّى الله هذه الأمة على هذا العمل العظيم من أول يوم كما رَبَّى الأنبياء ، واصطفاها واجتباها لذلك من بين الأمم .

وتَوَّج الله هذه الأمة من أجل القيام بالدعوة إلى الله بأربعة تيجان ، فاقت بها مَنْ سواها من الأمم :

التاج الأول : تاج الخيرية :

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

الثاني : تاج الاجتباء :

قال الله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ ﴾[الحج:٧٨] .

الثالث والرابع : تاج الوسطية ، وتاج الشهادة .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾[البقرة:١٤٣] .

- **أفضل القرون :**

أفضل القرون القرن الذي فيه النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، الذين كانت فى حياتهم خمس صفات جعلتهم خير القرون ، وهى :

الإيمان .. والعبادة .. والدعوة .. والعلم والتعليم .. والجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال لإبلاغ دين الله .

ولما أعطى الله ﷻ هذه الأمة هذا الدين ، وأكرمها بوظيفة الأنبياء والرسل وهى الدعوة إلى الله ، فقد أبقى الله من البلاد والعباد والزمان ما يكون ميدانًا لدعوتها فى مشارق الأرض ومغاربها إلى أن تقوم الساعة .

وقد اجتهد النبى ﷺ على أصحابه رضى الله عنهم حتى جاء فيهم أمران :

أحدهما : إقامة الدين فى حياتهم .

الثانى : وإقامته فى حياة الناس .

وعلموا أن بقية البلاد والعباد مسؤولية أمته إلى قيام الساعة ، وفهموا أن المسلم محاسبٌ على ترك المقصد الانفرادي وهو العبادة ، ومحاسب على ترك المقصد الاجتماعى وهو الدعوة إلى الله ، ثم توفاه الله ﷻ بعد أن بلَّغ البلاغ المبين ، وترك الأمة على الصراط المستقيم .

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران:١٠٤-١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

والبصيرة تكون بالعلم قبل الدعوة ، واللين مع الدعوة ، والصبر عند الدعوة وبعد الدعوة . ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم:٦٠]

وعَنْ ابن مسعود رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ النَّاس قَرْنِى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهمْ ، ثُمَّ يجِيءُ أَقوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يمينَهُ ، وَيَمينُهُ شَهَادتَهُ » . متفقٌ عليه[1] .

فرضى الله عنهم، ورضوا عنه كما قال سبحانه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾[البينة: ٧-٨] .

- **قيام أصحاب النبى ﷺ بالدعوة إلى الله :**

تلقى أصحاب النبى ﷺ منه وسائل وأساليب الدعوة عمليًا ، وتحملوا مسؤولية الدعوة بعده عليه الصلاة والسلام ، فضَحَّوا براحتهم ، وشهواتهم ، وتركوا ديارهم ، وأهلهم ، وأموالهم ، من أجل إعلاء كلمة الله ، وبذلوا أنفسهم ، وأموالهم ، وأوقاتهم لنشر الدين فى العالم .

فساروا دعاةً إلى الله عز وجل ، يحملون لا إله إلا الله لتدخل كل بيت فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى الشام والعراق ، وفى مصر وشمال أفريقيا وفى روسيا وما وراء النهر وفى غيرها من البلدان .

وفُتحت هذه البلاد ، وانتشر فيها الإسلام ، وحل فيها التوحيد بدل الشرك والإيمان بدل الكفر ، والعدل والإحسان بدل الظلم والعدوان .

وظهر فيها من العلماء والدعاة والعُبَّاد والزُّهَّاد والصالحين والمجاهدين ما تَقرُّ به عين كل مسلم .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١٢/ ٢٥٣٣).

فالمهاجرون تركوا كل شيء من أجل الدين ، والأنصار بذلوا كل شيء من أجل الدين ، فقام الدين وانتشر ، وتحقق الأمن والعدل .

أولئك خير القرون ، أولئك الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، أولئك هم المهاجرون والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

والنبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم لما قدموا أوامر الجهد والدعوة إلى الله على أوامر الكسب والمعاش نقصت فى حياتهم الأموال والأشياء لكن فى المقابل زاد الإيمان ، وزادت الأعمال الصالحة ، وظهرت حقيقة الأخلاق ، وكثرت الفتوحات ، وانتشر الأمن والخير : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وأكثر المسلمين اليوم لما قدموا أوامر الكسب على أوامر الجهد والدعوة زادت عندهم الأموال والأشياء، وبالمقابل نقص الإيمان ونقصت الأعمال ، فجاء فى حياتهم أمران :

الأول : الاهتمام بجمع الأموال كاليهود .

والثاني : الاهتمام بتكميل الشهوات كالنصارى .

فلما تغير المقصد قوي جانب الدنيا والبدن ، وضعف جانب الدين والروح ، وصار الجهد للدنيا ، لا للدين وصار الدين كاليتيم يطوف على الناس لا يجد من يكفله ، لأن الناس مشغولون عنه بدنياهم وشهواتهم فانتشر الشر

والفساد في أكثر العالم، وما يجري ويفري أعظم من أن يوصف، وهيهات أن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها من الإيمان واليقين، والعبادة والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٩-٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾[التوبة:٨٨-٨٩].

وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[الفتح:١٨].

- **فضائل الدعوة إلى الله:**

كل من آمن وقام بالعبادة والدعوة إلى الله فالله ﷻ يكرمه بكرماتٍ عظيمةٍ في الدنيا والآخرة أهمها:

أن الله ﷻ يعزه وإن لم تكن عنده أسباب العزة كما حصل لبلال وسلمان رضي الله عنهما: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وكذا يجعل الله ﷻ أعمال الدين كلها محبوبةٌ لديه ، يقوم بها ، ويدعو إليها ويجد حلاوة ذلك فى قلبه ، ويجعل الله ﷻ له محبة فى قلوب الخلق ، ويطوي بساط الباطل من حوله ، ويؤيده بنصرة غيبية من عنده ، ويستجيب دعاءه ، ويجعل له هيبةً فى قلوب الناس ، ويعطيه من الأجر مثل أجور من دعاه واستجاب بسببه ، ويرزقه الاستقامة والهداية ويجعله سببًا لهداية البشرية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾[فصلت:٣٣-٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأحزاب:٧٠-٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى

ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْم مِثْلُ آثَام مَنْ تَبعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثامهم شَيْئًا» . أخرجه مسلم[1] .

وعن سهل بن سعد ﷺ أن الرسول ﷺ قال لعلى بن أبى طالب ﷺ يوم خيبر : «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلام ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فيه فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلا وَاحِدًا ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم» . متفقٌ عليه[2] .

● **أفضل الوظائف :**

أفضل وظائف المسلم هي الدعوة إلى الله ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

فكل مسلم نائبٌ عن الرسول ﷺ في أمته في توحيده وإيمانه ، وفي نيته وفكره ، وفى أقواله الحسنة ، وفى أعماله الصالحة ، وفي أخلاقه الكريمة وفي عبادته ومعاملته ، حسب قدرته : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب : ٢١] .

ولا يقول المسلم أنا داعي أو عالم ، لأنه سيجد من يعارضه ، فالهم والفكر والشفقة على الأمة ، هو روح الدعوة ، فمن ليس لديه هم وفكرٌ فليس عنده

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٠٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٤/ ٢٤٠٦).

دعوة وفكر النبي ﷺ لهداية الأمة أعظم الأفكار وأوسعها فكان يتفكر ﷺ في ثمان دوائر .

يتفكر لهداية نفسه ، وأهله ، وعشيرته ، وقومه ، وبلده ، والناس ، والعالمين .

فيتفكر لهداية نفسه وأهله كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم : ٦] .

ويتفكر لعشيرته، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾ [الشعراء:٢١٤].

ويتفكر لقومه : ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ ﴾[يس: ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦ ﴾[القصص:٤٦] .

ويتفكر لبلده وما حولها، كما قال سبحانه :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ ﴾[الشورى:٧] .

ويتفكر للناس كافة : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾[سبأ:٢٨] .

ويتفكر للعالمين كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

فالنبي ﷺ قد مات ، ونحن نوابه في أمته في جميع أعماله وأقواله وأخلاقه ، فالدعوة جزءٌ من النيابة ، والتعليم جزءٌ من النيابة ، والإفتاء جزءٌ من النيابة ،

والنائب أعم من الداعي والعالم والعابد ، لأن النيابة عن النبي ﷺ تمثل القيام بجميع شعب حياة النبي ﷺ ، والنبي قد مات وليس بعده نبي ، فأنا نائبه فى أمته فى تصديق الأخبار ، وتطبيق الأحكام ، وامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي والتخلق بالأخلاق الكريمة ورحمة الخلق : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب: ٢١] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » . أخرجه البخاري(١).

فالقرآن العظيم لكل الناس ، والنبي ﷺ بُعث لكل الناس ، فأنا نائبه في كل الناس، كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

والله ﷻ بعث الأنبياء والرسل ؛ ليأمروا الناس بعبادة الله وحده ، واجتناب عبادة ما سواه ، والله سبحانه حرك الصحابة رضي الله عنهم في العالم ، فانتشر الإسلام في العالم ، وأنا نائب الرسول ﷺ في العالم الآن ، والعطاء على قدر النية ، فمن نوى هداية أهل بيته وبدأ هداهم الله ، ومن نوى العالم الله يجعله سببًا لهداية العالم ، ويعطيه قلبًا يحمل هم العالم ، ومن نوى هداية كل فرد أعطاه الله مفتاحًا لقلب كل واحدٍ من الناس ؛ لأنه يحمل فكر الرسول ﷺ ، والله لم يجعل الترقي في الدعوة بالأسباب الخارجية ، وإنما

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦١٢٨).

جعل الترقي بالنوايا الداخلية ، والهمم العالية : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال : ٢ – ٤] .

فالله يقبلك في الدين ولو لم يكن معك أسباب ، وإذا قبلك أعانك : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

والأسد في الغابة يتحرك في كل مكان ، ولكنه في القفص لا يتحرك إلا فيه ، وكثيرٌ من الناس وضعهم الشيطان في القفص بسبب نيتهم الصغيرة ، ولو نوينا هداية العالم لسيرنا الله فيه كما يُسير الكواكب في السماء : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس:٢٢] .

وكل واحدٍ يملك النية ، وليس كل واحدٍ يملك الإمكانية ، فإذا حصلت النية سخر الله لنا الإمكانية: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] .

اللهم ارزقنا نيابة النبي ﷺ في أمته حتى نلقاك يا رب العالمين .

والدعوة إلى الله أعظم الوظائف ، وأشرف الأعمال ، وقد أرسل الله بها جميع الأنبياء والرسل ، فبعث جل جلاله إلى بني آدم مائة وأربعةٍ وعشرين

نبيًا ، وذلك من كمال رحمته بخلقه وشفقته ورحمته لهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

ومما يدل على شرف الدعوة وفضلها ما يلي :

أولًا : أن الله ﷻ أضافها إليه ، وجعلها من إحسانه إلى خلقه .

كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس:٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢٢١] .

ثانيًا : أن الله ﷻ انتدب لها أشرف خلقه من الأنبياء والرسل ، ومن ورثتهم فى العلم والعمل من العلماء الربانيين .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

ثالثًا : أنها دعوةٌ للثقلين إلى ما أنزل الله من الهدى الذي يسعد به الإنس والجن فى الدنيا والآخرة وينجو به من العذاب .

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى : : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

رابعًا : أن الله ضمن للدعاة إلى الله الفلاح في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

خامسًا : شهادة الله للدعاة إلى سبيله بأنهم أحسن الناس قولًا في الدنيا ، وأعظمهم ثوابًا في الآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت:٣٣-٣٥] .

سادسًا : عظم أجر الداعي إلى الله ، واستمرار ثوابه ، ما انتفع أحدٌ بدعوته ، وللداعى مثل ثواب من دعاه .

عن أبى هريرة ﵁ أن الرسول ﷺ قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى

ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْم مِثْلُ آثَام مَنْ تَبعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثامهم شَيْئًا » . أخرجه مسلم(١) .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه يوم خيبر : «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلام ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهَّ فيه فَوَاللهَّ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُّ بِكَ رَجُلا وَاحِدًا ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم» . متفقٌ عليه(٢) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» . أخرجه مسلم(٣) .

- **مراتب الدعوة إلى الله :**

تنقسم مراتب الدعوة إلى الله بحسب حال المدعو إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون المدعو محبًا للحق ، مؤثرًا له على غيره ، طالبًا له فهذا يدعى بالحكمة ، وهى القول الصائب ، والبرهان القاطع ولا يحتاج إلى موعظة : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران : ٧٣ – ٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

الثانى : أن يكون المدعو معرضاً عن الحق لنوع شهوة ، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب ، ببيان عظمة الله ، وعظمة ملكه وسلطانه ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٠٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٤/ ٢٤٠٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٣٣/ ١٨٩٣).

وعظيم نعمه وإحسانه ، وما عد من النعيم لأوليائه ، وما أعد من العقوبة لأعدائه ومن كفر به ، فمن عرف ربه أحبه ووحده ، وآمن به وأطاعه .

الثالث : أن يكون المدعو معرضاً عن الحق لنوع شبهة ، فهذا يجادل بالتى هى أحسن بالأدلة الشرعية والعقلية والحسية ، فإن استجاب كف شره وإلا جاهدناه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وقد ذكر الله هذه الأقسام الثلاثة في قوله سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾[التحريم:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾[الأنفال:٣٩-٤٠].

مقاصد الدعوة إلى الله

الله ﷻ وكل الشمس بالإنارة ، ووكل السحب بإنزال الغيث ، ووكل الأرض بالإنبات ، ووكل الأنبياء والرسل وأتباعهم بنشر الهداية في العالم .

والدعوة إلى الله هي مقصد بعثة الأنبياء والرسل إلى الناس .

وللدعوة إلى الله مقاصد عظيمة ، وغاياتٌ كريمة ومن أهمها :

أولًا : دعوة الناس إلى الإيمان بالله ، وتعريف الناس بربهم بذكر أسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة وإنعامه وإحسانه إلى خلقه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٧] .

ثانيًا : دعوة الخلق لأداء حق الله عليهم ، وهو عبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾[النساء:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

ثالثًا : أمر الخلق بالاستقامة على الدين الحق الذي جاء به رسوله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[الأنعام:١٥٣] .

رابعًا : تحقيق الإيمان بما أخبر الله ورسوله من أمور الغيب من الملائكة والجن ، والبعث ، وأحوال اليوم الآخر كالصراط والميزان ، والجنة والنار والعمل بموجب ذلك :﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾[البقرة:١ – ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[النساء:١٣٦] .

خامسًا : تعريف الناس أنه لا حاكم في الكون قدرًا وشرعًا إلا الله وحده لا شريك له وله الحكم وحده في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[يس:٨٢-٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾[يوسف:٤٠].

وقال الله ﷻ : ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾[المائدة: ٥٠] .

سادسًا : حث الخلق على التحلى بمكارم الأخلاق ، والمسارعة إلى محاسن الأعمال ، واجتناب ضدها .

قال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾[البقرة:١٩٥] .

وقال النبى ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق ». أخرجه ابن خزيمة والبزار (١) .

سابعًا : إنكار الشرك والبدع وكبائر الذنوب .

قال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل:٣٦] .

ثامنًا : تبشير الناس بما أعد الله لهم من النعيم في الآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [البقرة:٢٥] .

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم (٢٣٥٠) ، والبزار برقم (٨٩٤٩) .

تاسعًا : تحذير الناس من التعرض لعقاب الله يوم القيامة بإتباع الهوى والشيطان ، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[آل عمران:١٣١] .

وقال ﷻ عن الشيطان : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر : ٦] .

عاشرًا : دعوة جميع بنى آدم إلى الدخول فى الإسلام ، كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

إذا كانت مسؤولية أهل الدنيا تفقد الملك والأموال والأشياء ، والفكر فيها ، وحسن رعايتها وطلبها ، والقيام عليها ، فمسؤولية أهل الدين هي تفقد الإيمان والأعمال الصالحة ، وكيف تأتي فينا وفي حياة الناس ، وكيف يتحقق مراد الله من عباده فيعبدوه وحده لا شريك له ، وكيف يتحقق مراد الخلق من ربهم ، فيتوجهوا إليه في جميع حوائجهم ، لينالوا رضاه ، ويفوزوا بجنته ، وينجوا من عذابه ، وتعريف الناس بربهم وخالقهم ، وما هو حقه عليهم ؟ ولماذا خلقهم ؟ وماذا يريد منهم ؟ وبيان طريق السعادة ، وطريق الشقاوة للناس ، وتعريف الخلق بما يحب ربهم ليفعلوه ، وتعريفهم بما يبغض ليجتنبوه ، وتعليمهم الآداب الإسلامية ، وحسن المعاشرات ،

وأحسن الأخلاق ، وتعريفهم بنعم الله ليشكروه ، وتعريفهم بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه ليعظموه ويكبروه ويحمدوه ويسألوه ويستغفروه ، وإخبار الناس بما أعد الله من الكرامات لمن أطاعه ، وما أعد من العذاب لمن عصاه .

وكيف يقضي الإنسان حياته على طريقة الأنبياء والمرسلين ، لا على طريقة البهائم والشياطين : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت : ٣٣ – ٣٥] .

وتعريف الناس بالطريق الموصل إلى الله وما لهم بعد القدوم على الله يوم القيامة : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وأُمر الناس بتكميل محبوبات رب العالمين في الدنيا من الإيمان، وأنواع الطاعات والعبادات، وأحسن المعاملات، وأحسن المعاشرات، وأحسن الأخلاق، حتى يكمل الله لهم في الآخرة ما يحبون من المطاعم والمشارب، والمساكن والملابس ، والأزواج والحور العين : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢] .

فمسؤولية كل فرد من المسلمين عظيمة ، ووظيفته كبيرة ، وعمله مستمٌر دائمٌ ما دام حيًا كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف:١٠٨] .

ومكانة المسلم عند الله عظيمة، وحياته عند الله غالية؛ لأنه مؤمنٌ بالله ، ويقيم أمر الله ، ويعبد الله ، ويدعو إلى الله ، ولذا توعد الله من قتل مؤمنًا بغير حق متعمدًا بأشد العقوبات ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣ ﴾[النساء:٩٣] .

وبحسب المكانة تكون المسؤولية ، ويكون المقام عند الله ، فمكانة المسلم عظيمة ، ومسؤوليته كذلك عظيمة : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠ ﴾[المزمل: ٥ – ١٠] .

ولا أحب عند الله من المسلم الذي يدعو الناس إلى ربهم ، ويحببهم إليه ، ويردهم إليه كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت:٣٣].

فأعظم الواجبات بعد الإيمان والتقوى الدعوة إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال النبي ﷺ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » .أخرجه البخاري(1) .

لذا فواجبنا جميعًا رجالًا ونساءً ، كبارًا صغارًا ، العامة والخاصة ، الأغنياء والفقراء ، والسادة والعبيد ، والعرب والعجم ، أن نقوم بالدين ، ونستقيم عليه ، ونقيم الدين وندعو إليه في العالم ، حتى يكون الدين كله لله ، وينعم الناس بهذا الدين الكامل الذي رضيه الله لهم ، وأرسل به رسوله محمدًا ﷺ .

كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

(١)أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

٧- حقيقة الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله ، ونشر الدين في العالم ، وهداية البشرية إلى ما يسعدها في الدنيا والآخرة ، عمل عظيم وكبير ، يحتاج إلى فكر مستمر ، وعمل دائب ، وهم مذيب ، وسير الأقدام ، وإيلام الأبدان ، وبذل الأموال ، والتضحية بالأنفس والأوقات والشهوات ، والصبر على المشاق ، وتحمل الأذى ، وذلك كله من أجل إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه في الأرض ، وإزالة الباطل :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات : ١٥] .

وهذا العمل العظيم جزاؤه عند الله عظيم كما قال سبحانه : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾[التوبة:٨٨-٨٩] .

وبداية الفكر والعمل أن نجتهد أولًا على أنفسنا حتى تكون حياتنا مطابقة لحياة النبي ﷺ في سره وسيرته ، وعباداته ومعاملاته ، ومعاشراته وأخلاقه ، وسائر أحواله ، كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

فالمقصود صفات الرسول ﷺ لا ذات الرسول ، وأعمال الرسول ﷺ لا ذات الرسول ، والناس يتأثرون من الصفات والأخلاق ، لا من الأبدان والذوات : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم : ٤] .

فكل إنسان له ذات ، لكن ليس مع كل إنسان الصفات والأخلاق العالية ، وإنما فضل الله ﷻ المسلم على غيره بالإيمان ، والأعمال الصالحة ، والصفات العالية ، لا بالذات أو اللون ، أو الجنس ، أو اللغة ، أو الجاه ، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ [الحجرات:١٣] .

والصفات التي يحبها الله ، والأعمال التي يحبها الله ، والأقوال التي يحبها الله ، أظهرها الله في الأنبياء ، وأكملها في حياة سيد الأنبياء والمرسلين .

كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾[القلم:٤] .

فعلينا التخلق بها ، ودعوة الناس إليها ، فإذا جاءت فينا الصفات والأعمال التي يحبها الله كان الله معنا ، وإذا كان الله معنا فما نحتاج لأحد سواه ، فلا نرجو إلا إياه ، ولا نخاف إلا منه ، ولا نتوكل إلا عليه ، ولا نستعين إلا به ، ولا نسأل إلا إياه ، ولا نعبد إلا هو ، وهو مولانا وناصرنا : ﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾[الحج:٧٨] .

ثم ننظر ونتفكر في العالم البشري ، وفي العالم الإسلامي ، وفي العالم الجاهلي ، لنعرف حجم العمل ، وحجم التقصير ، ونعلم مساحة الكفر ، ومساحة الإسلام ، ومقدار العدل ، ومقدار الظلم ، وحجم الصلاح ، وحجم الفساد في الأرض ، ونضع العالم بين أيدينا ، وأمام أعيننا ، ونجعل ذلك همّ قلوبنا ، وشغل أبداننا ، فنحن مسئولون عن إبلاغهم الدين ، ومأمورون به جميعاً .

كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥] .

وقال النبي ﷺ : « لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ » . متفق عليه(١) .

وقد بعث الله النبي ﷺ رحمة للعالمين ، وهذا الدين رحمة للعالمين ، وهو حق لكل إنسان في العالم ، لا بدَّ من أدائه إليه ، وإيصاله له ، وإسماعه إياه ، ودعوته إليه ، لينجو من عذاب الله .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

إن حجم المسؤولية كبير واسع ، طويل الأمد ، فلا بدَّ من الفكر والعلم والعمل ، وتصور أحوال الأمم في الأرض .

فكم قارة في العالم ؟ وكم بلد في العالم ؟ وكم مدينة في العالم ؟ وكم قرية في العالم ؟ وكم بيت في العالم ؟ وكم إنسان في العالم ؟ وكم كافر في العالم ؟ وكم مسلم في العالم ؟ وكم جاهل في العالم ؟ وكم غافل في العالم ؟ وكم ضال في العالم ؟ وكم تائه في العالم ؟ وكم محتار في العالم ؟ وكم مشرك في العالم ؟ وكم مبتدع في العالم ؟ وكم مطيع لله في العالم ؟ وكم عاص لله في العالم ؟

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤٠٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٦٧٩).

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧] .

وكم ظالمٍ في العالم ؟ وكم من مظلوم في العالم ؟ وكم من فاسق في العالم ؟ وكم داعٍ إلى الحق في العالم ؟ وكم داعٍ إلى الباطل في العالم ؟ .

إن هذه الأمم والشعوب والأفراد ، والقارات والمدن والقرى ، كلها تحتاج إلى رسالتين عظيمتين :

الأولى : لا إله إلا الله ؛ لإصلاح قلوبها بالإيمان واليقين والتوحيد .

الثانية : محمد رسول الله؛ لإصلاح أبدانهما وعباداتها ، ومعاملاتها ومعاشراتها وأخلاقها ، فلا بدَّ من الحركة والقيام ، والجهد والتضحية والسير في الأرض ، لنعرف حجم المرض الكبير الذي تفشى في البشرية، وهو الشرك ، والكفر ، والبدع ، والمعاصي والفواحش، والإثم والبغي ، والظلم والطغيان والفساد .

ثم نقوم فورًا رجالًا ونساءً بعلاج هذا الداء الذي عمَّ وطمَّ، وذلك بالدعوة إلى الله، ليعود الناس إلى ربهم، ويتوبوا إليه، ويؤمنوا به وحده لا شريك له .

فقد جاء الباطل في حياة الأمة ، لأنهم تركوا الدعوة إلى الله ، فجاءهم من يدعوهم إلى الباطل ، ويقول لهم : إن السعادة والنفع والضر في المخلوقات والأشياء ، وأن المخلوق يفعل ما يريد ، وله أن يقضي حياته كالبهائم كيف شاء بلا أمر ولا نهي ، ولا حد ولا قيد ، وهذه دعوة الباطل ، وهي توجب غضب الرب ، وتمنع نزول النصر ، وتسبب الشقاء ، وتحول

بين المرء والسعادة : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩] .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

أما دعوة الحق فهي أن نعلم أن الله هو الخالق وحده ، وهو الفعّال لما يشاء ، وهو الذي بيده كل شيء ، وما سواه مهما كان ليس بيده شيء ، فله سبحانه الخلق والأمر وحده ، لكن الله عز وجل يفعل من وراء الأسباب .

فذاته وقدرته سبحانه مغيبة وراء الأسباب ابتلاء وامتحانًا ، وبسبب ضعف الدعوة ضعف الإيمان ، فجاء اليقين على المخلوقات والأسباب ، وصار تعامل الناس معها بدون اللجوء إلى الله سبحانه ، فأصابهم بسبب ذلك التعب والشقاء .

فكل من لم يرض بالتوجه إلى رب الأسباب وكله الله إلى الأسباب وأذله بها ، ثم عاقبه على ذلك ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام:٤٤-٤٥] .

فالله ﷻ هو الفعال وحده لا شريك له ، ولكنه أخفى قدرته وراء الأسباب امتحانًا وابتلاءً للعباد :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

فالله ﷻ بحكمته وعلمه وقدرته يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويظهر ما يشاء ، ويخفي ما يشاء ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ [الملك: ١] .

وقد أظهر سبحانه خمساً ، وأخفى خمساً :

أظهر المخلوقات ، وأخفى نفسه .. وأظهر الدنيا ، وأخفى الآخرة .. وأظهر قيمة الأموال الأشياء ، وأخفى قيمة الأعمال .

وأظهر الأبدان والأجساد ، وأخفى الأرواح والعقول .

وأظهر سننه وأخفى قدرته .

قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام : ١٠٢ – ١٠٣] .

والأمة إذا تركت الدعوة إلى الله أصيبت بآفتين :

الأولى : ذهاب الدين من حياتها تدريجيًا حتى لا يبقى منه إلا بعض الشعائر والآداب .

الثانية : أن يكون اليهود والنصارى أئمتها في أمور حياتها كلها .

قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾[مريم : ٥٩] .

وأصحاب النبي ﷺ لما عرفوا حقيقة الإيمان ، وقاموا بالدعوة ، صار إمامَهم إمُام الهدى محمد ﷺ في جميع أحوالهم ، فسعدوا وأسعدوا ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وكل إنسان من بني آدم يملك ثلاثة جواهر :

النفس .. والمال .. والوقت .

وقد جاد أصحاب النبي ﷺ بهذه الثلاثة ، وبذلوها للدين ، لتكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة : ٨٨ – ٨٩] .

وبجهد النبي ﷺ وأصحابه وأتباعه خرج كثير من الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الهوى إلى الهدى ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن البدعة إلى السنة ، ومن الضلال إلى الهداية ، ومن غضب الله وسخطه إلى رحمته ورضاه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد : ٢١] .

وجهد الدعوة لا يؤتي ثمرته حتى يكون حسب ما جاء به الرسول ﷺ من فكر وقول ، وعمل وأخلاق ، وصدق وإخلاص ، وحكمة وصبر : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

فأول ما دعا عليه الصلاة والسلام إلى الله اجتهد على ثلاثة أصناف من الناس :

الرجال .. والنساء .. والأطفال .

فأول من استجاب له من الرجال أبو بكر ﷺ .

وأول من استجاب له من النساء خديجة رضي الله عنها .

وأول من استجاب له من الأطفال علي ﷺ .

فآمنوا بالله ورسوله ، ولازموا رسول الله ﷺ ، يتعلمون منه ، ويقتدون به ، وأول ما انتقل إليهم منه جهد الدعوة قبل العبادة ، فقاموا به خير قيام قبل نزول الأحكام .

وما قاموا به هو ما تعلموه من النبي ﷺ من الإيمان واليقين وذلك بالدعوة إلى الله ، لنقل فكر الناس من اليقين على المخلوق إلى اليقين على الخالق وحده لا شريك له ، ومن اليقين على الأموال والأسباب إلى اليقين على الإيمان والأعمال الصالحة ، ومن العادات والتقاليد الجاهلية إلى السنن والأحكام الشرعية ، ومن عمارة الدنيا إلى عمارة الآخرة ، ومن الشرك والكفر إلى الإيمان والتوحيد : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

أعظم أعمال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الدعوة إلى الله ، بالجولة على الناس ، وزيارتهم ، وغشيانهم في مجالسهم وبيوتهم لدعوتهم إلى الله .

وكان النبي ﷺ يغشى الناس في مجالسهم ، ويذكرهم بالله ، ويدعوهم إليه ، ويتلو عليهم القرآن ، وكان ﷺ يتجول في سوق ذي المجاز على الناس ويقول : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلاَّ الله تُفْلِحُوا قَالَ : وَأَبُو جَهْلٍ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ وَتَتْرُكُوا اللاَّتَ وَالْعُزَّى ، قَالَ : وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ » . أخرجه أحمد بإسناد صحيح[1] .

وقد أمر الله رسوله ﷺ بالصبر على مشاق الدعوة في أكثر من ثمانين موضعًا، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم : ٦٠] .

وقال الله تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ ﴾[المعارج:٥ –٧] .

وفعل فِعْله أصحابه رضي الله عنهم في مكة ، وفي المدينة ، وفي الحضر والسفر ، وفي الليل والنهار ، وفي البيوت والأسواق وفي كل حال اقتداءً به ﷺ : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وأمر الله ﷻ موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا إلى فرعون لدعوته إلى الله بقوله : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه : ٤٣ – ٤٦] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٣١٩٢).

وكان همُّ النبي ﷺ تغيير فكر الناس من المخلوق إلى الخالق ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، وتغيير اليقين ، وتغير العمل ، وتغيير البيئة وتكميل الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة : ٢] .

وليس همه ﷺ تغيير الأشياء ، ولا جمع الأشياء ، ولا الفكر في الأشياء ، ولا إتباع الشهوات والملذات : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة:١١٩].

والله ﷻ أمر رسوله ﷺ بأربعة أشياء:

أن يتعلم الوحي .. وأن يعمل به .. وأن يعلمه .. وأن يقيم الناس عليه .

وهذه المسؤوليات العظيمة انتقلت إلينا بعد وفاة الرسول ﷺ .

فبالدعوة يأتي الإيمان ، وإذا جاء الإيمان جاءت الرغبة في الأعمال والطاعات ، والنفرة من المعاصي والمنكرات ، وبذلك يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة .

ولما ضعف الإيمان والعمل بالدين في عهد نوح ﷺ أرسل الله نوحًا ﷺ فلما دعا الناس إلى الله جاء الإيمان والدين ، فلما مات ضعف الإيمان ، ثم ضعفت الأعمال ، وبقي العلم وحده فجاء الكفر .

وهكذا كلما ضعف الإيمان والعمل بعث الله رسولًا يدعو الناس إلى ربهم ، والعمل بشرعه ، وهكذا بعث الله رسولًا بعد رسول ، حتى بعث محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين فدعا إلى الله فجاء الإيمان والدين في الأمة ، ومن أول يوم أقام النبي ﷺ الأمة على الإيمان والدعوة إلى الله قبل زوال

الأحكام: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف:١٠٨] .

ووضع الشيء في غير موضعه ظلم ، والتصرف في ملك الغير بغير إذنه ظلم ، وعدم أداء الأمانة ظلم ، والمسلم عليه حق وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وله حق وهو دخول الجنة إذا أدى حق الله ، وعليه واجب وهو الدعوة إلى الله ، فالمسلم ميدانه الدعوة إلى الله ، فإذا لم يستعمل نفسه في ميدانه ، ولم يؤد الأمانة ، فهو ظالم لنفسه ، وظالم لغيره ، والله لا يحب الظالمين : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾ [القصص:٥٠] .

وجهد الداعي إلى الله نوعان :

جهد على الكافر حتى يأتي عنده الإيمان .

وجهد على المسلم ضعيف الإيمان ، ليقوى إيمانه ، وتحسن أعماله ، فإذا زاد إيمانه جاءت عنده الرغبة في الأعمال الصالحة كلها من عبادة ، ودعوة ، وتعليم ، وإحسان إلى الخلق ، وحسن خلق وغيرها من أنواع الطاعات والعبادات : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

والدعوة إلى الله على منهاج النبوة واجبة على كل مسلم ومسلمة بحسب ما لديه من الإيمان والعلم الشرعي ، يدعو إلى الله ، ويحيي السنن ، ويميت البدع ، وينصر الحق ، ويخذل الباطل ، ويكون قدوة لغيره ، يفعل الخير ، ويدعو إليه ، وينتهي عن الشر ، ويحذر منه .

أما من يملك قسطًا من الحماس مع خلو من الفقه الشرعي ، أو يقول : فسد الزمان ويدعو إلى العزلة ، أو من قعد يبكي وصلح في نفسه ، وأعرض عن آلام أمته ، أو من رمى الناس بالكفر ويأس من الإصلاح ، أو من قنع من الإسلام بالزهديات ، وكف عن النزول في الساحات ، وغشيان الناس في أماكنهم وأسواقهم ، فهؤلاء وأمثالهم ومن في حكمهم بحاجة إلى دعوة وعودة إلى منهج النبوة ؛ ليزول عنهم الخطر ، وتنتفع بهم الأمة : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل:١٢٥] .

أما من أعرض عن الدعوة وركض وراء المال والجاه ، واتبع الشهوات ، وأضاع الأوامر ، فهؤلاء نعوذ بالله من شرورهم : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾[مريم : ٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ ﴾[التوبة : ٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ ﴾[الزمر : ١٥] .

والدعوة والعبادة والتعليم أهم أعمال الدين ، وحتى تكون هذه مقبولة عند الله لا بدَّ أن تقوم على المحبة والرحمة ، والإخلاص والمتابعة ، فيجب دعوة الناس إليها باللين والرفق والحكمة من غير تنفير ، حتى تنشرح لها صدورهم ، وترغب فيها نفوسهم ، وتتحرك بها جوارحهم .

قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وجميع الأمة عمال يعملون في دار الملك إلى أجل مسمى ، فليحذروا معصيته في ملكه ، ومخالفة أمره في مملكته ، فإن أخذه أليم شديد : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود:١٠٢] .

وقال ﷻ عمن عصى رسله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت:٤٠] .

٨- أصول الدعوة إلى الله

• **من أهم أصول الدعوة :**

أن يجعل المسلم هدفه في الدنيا عبادة الله وحده ، والدعوة إلى دينه ، فيصلح نفسه بأوامر الله ورسوله ، ويدعو الناس إلى ذلك ابتغاء مرضات الله ﷻ : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[العصر:١-٣].

وأن يختار في إبلاغ دين الله لعباده الطرق النبوية التي فعلها النبي ﷺ ، وعرف أصحابه عليها ، وعلمهم إياها ، وأمرهم بها ، من بذل المال والنفس والوقت لنشر دين الله ، والتضحية بكل ما يملك المسلم من أجل إعلاء كلمة الله : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾[الحجرات:١٥] .

وفي القرآن والسنة خيرات كثيرة ، وكنوز مختلفة ، وسير عبقة للأنبياء والرسل ، فيأخذ الداعي منها ليفلح في دعوته ، وأن يستمر في إبلاغ الناس هذا الدين ، والعمل به ، وتعليمه في أي حال ، ومهما كانت الأحوال ، في الليل والنهار ، وفي حال العسر واليسر ، وفي حال الصحة والمرض ، وفي حال الأمن والخوف ، وفي البيت والسوق ، وفي حال الإقامة والسفر ، ولا تؤثر عليه التغيرات والتقلبات الجوية والمكانية والاجتماعية ، ولا يعبأ بأي عارض أو معرض ، أو كائد أو حاسد ، فإن الله معه يسمع ويرى ، وهو حامل رسالة الله إلى خلقه ، فليؤد الرسالة ، ويبلغ ما أمر به ، والله يعصمه

من الناس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧] .

وأن يستمر الداعي في دعوته ، ويبلغ دين الله ، ولا يأخذ على ذلك أجرًا من أحد ، فقد تكفل الله بأجرته ، فعليه الصبر ، وانتظار العقبى الحسنة : ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الشعراء:١٠٥- ١٠٩] .

وكل نبي ورسول قال لقومه هذا .

وأن يجعل المسلم هذا الدين والعمل به والدعوة إليه مقصد حياته ، ويواصل العمل ، حتى يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار ، فلا تفلت منه لحظة في غير طاعة الله ورسوله وإبلاغ دينه ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

إن كل ما يراه الإنسان من ظاهرة التمسك بالكتاب والسنة ، وحسن الاستقامة ، والرغبة في الدين لدى بعض الناس ، إنما ذلك ثمرة جهود العلماء والدعاة المخلصين الذين نذروا أنفسهم لله ، وانتشروا في مشارق الأرض ومغاربها يبلغون دين الله ويعلمون شرع الله ، فلا نكتفي بالفرح والنظر إلى هذه الثمار الطيبة فحسب ، بل يجب أن نقوم مع ذلك نحن بزرع

بساتين جديدة كما فعلوا ، حتى يعم الإسلام أقطار الأرض ، فتلك أمانة تحملناها ، وحق علينا يجب أداؤه لكل إنسان ، حتى يكون الدين كله لله : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

فالمسلم لو صام نهاره ، وقام ليله ، وقرأ القرآن كله في يوم ، وتصدق بآلاف الريالات يوميًا ، فإنه لا يصل بعمله الفردي هذا إلى درجة ما يصل إليه الدعاة من الأجر والثواب ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت : ٣٣] .

فالدال على الخير كفاعله ، حيث ينال هؤلاء الدعاة أجور المدعوين الذين اعتنقوا الإسلام ، أو رغبوا فيه واستقاموا عليه بتبليغهم إياه ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » . أخرجه أحمد[1] .

فالدعاة مشاركون في أجور مئات الألوف من المصلين ، والصائمين ، والمزكين ، والمجاهدين والآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، في أنحاء العالم من غير أن ينقص من أجور المدعوين شيء .

وكما أن الله ﷻ أمر بعبادته بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾[البقرة : ٢١] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٩١٦٠).

وأمر بالصلاة والزكاة كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة : ٤٣] .

وكذلك أمر سبحانه بالدعوة إلى دينه بقوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

فكما أن العبادة أمر الله ، والأمر بالصلاة أمر الله ، فكذلك الدعوة أمر الله ، وكل منهما يجب أداؤه .

فالدين خطوتان :

١- خطوة للعبادة بين العبد وربه .

٢- وخطوة للدعوة بين العبد وبين الخلق .

وحركة في إصلاح النفس ، وحركة في إصلاح الغير كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر : ١-٣] .

فآمنوا وعملوا الصالحات إصلاحُ النفس ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر إصلاح الغير .

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإحسان منه لعباده : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران : ٧٣ – ٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

ولا يستطيع أحد أن يؤدي شكر هذه النعمة ، فإن عمل العبد ينقطع بعد موته ، كما قال النبي ﷺ : « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ : إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».أخرجه مسلم[1] .

ولكن الداعي إلى الله يستمر أجره وثوابه ما بقي وتناسل من دعاهم إلى الله إلى يوم القيامة ، فالدال على الخير كفاعله، ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فكل عمل أمر الله به فله مقدار ، وله وقت معلوم من صلاة وزكاة وصيام وحج ونحو ذلك إلا أمران :

١- الدعوة إلى الله .

٢- والإكثار من ذكر الله .

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب : ٤١-٤٢] .

وقالوقال الله تعالى:﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾[المزمل: ٨].

وكان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه .

وكثير من المسلمين اليوم تركوا الدعوة إلى الله ؛ لأنهم صاروا قانعين بالعمل الصالح ، فنشأ من ذلك أن ضعف إيمانهم ، ثم قلت طاعاتهم ، وكثرت

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١٦٠) .

معاصيهم ، حتى خرج بعضهم من الدين بالكلية ، وتمرغ في الشهوات ، وأعرض عن أوامر الله وشرعه ، كما قال سبحانه : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم : ٥٩] .

وماذا تكون العقوبة الإلهية لهؤلاء ؟ .

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام:٤٤-٤٥] .

وهذا يجري الآن في العالم الإنساني وفي العالم الإسلامي على مستوى الأفراد والأمم : ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء:١٢٣] .

- **الفرق بيننا وبين الصحابة رضي الله عنهم .**

الفرق بيننا وبين الصحابة رضي الله عنهم ، أن الصحابة لما آمنوا رأوا الدين غاليًا جدًا ، ورأوا الدنيا رخيصة جدًا ، فقدموا أوامر الدين على أوامر الكسب ، واشتغلوا بزيادة الإيمان والأعمال الصالحة ، فغزوا ورزقهم الله ، وفتح لهم بركات السماء والأرض ، ورضي الله عنهم ، ورضوا عنه: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

واجتهدوا رضي الله عنهم ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم لإعلاء كلمة الله ونشر دينه ، فزاد إيمانهم ، ونزلت الهداية عليهم وعلى أهل الأرض : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وكثير من المسلمين اليوم رأوا الدنيا غالية جدًا ، والدين رخيصًا جدًا ، فقدموا أوامر الكسب على أوامر الدين ، واشتغلوا عما أراد الله منهم من الإيمان والأعمال الصالحة بما قسم لهم من الأرزاق ، فحصل لهم الشقاء والتعب والذلة ، بسبب الإقبال على المخلوق والإعراض عن الخالق ، وعن أوامره : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾[التوبة:٨٨-٨٩] .

وأفضل الأوامر بعد التوحيد والإيمان الدعوة إلى الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ ﴾[المدثر:١-٣].

وبذلك يحيا الدين كله ، في العالم كله .

والدعوة إلى الله أم الأعمال ، وأوامر الدعوة إلى الله أول الأوامر بعد التوحيد ، وأوامر الكسب آخر الأوامر ، وإذا تعارض الأمران في وقت قدمنا أوامر الدعوة إلى الله على أوامر الكسب والمعيشة ، والله يقضي حوائجنا : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق : ٢ – ٣].

والصحابة رضي الله عنهم لما قدموا أوامر الجهد والدعوة على أوامر الكسب نقصت الأموال والأشياء ، وبالمقابل زاد الإيمان وزادت الأعمال

الصالحة ، وحصل الأمن والطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩] .

ونحن لما قدمنا أوامر الكسب على أوامر الدعوة جاء أمران :

زادت الأموال والأشياء .. ونقص الإيمان والأعمال الصالحة .

والصحابة لما قاموا بالدعوة إلى الله امتلأت قلوبهم بالإيمان ، وامتلأت بيوتهم بالأعمال الصالحة ، وخلت من كثرة الأموال والأشياء ، وانتشر الخير في العالم .

ونحن لما تركنا الدعوة إلى الله ، امتلأت بيوتنا بالأموال والأشياء ، وأقفرت من كثير من الأعمال الصالحة إلا من رحم الله ، وانتشر الشر في العالم ، وأقبل الناس على سنن اليهود والنصارى يعملون بها ويدعون إليها .

وبسبب ترك الدعوة إلى الله ضعف الإيمان ، ثم ضعف العمل بأوامر الدين ، فجاء فينا صفتان من صفات اليهود والنصارى :

الأولى : الاهتمام بجمع الأموال ، وهذا فيه تشبه باليهود الذين غضب الله عليهم ولعنهم .

الثانية : الاهتمام بتكميل الشهوات ، وهذا فيه تشبه بالنصارى الذين ضلوا عن الحق وأضلوا الناس عنه ، فغضب الله عليهم ولعنهم : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤-١٠٥] .

والجهد موجود ومستمر إما للدنيا ، وإما للدين ، وسبب الخسران الجهد في غير محله ، وإتباع الهوى ، وترك الهدى ، وتقديم ما يفنى على ما يبقى ، وإيثار الدنيا على الآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾[فاطر : ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾[العنكبوت : ٦٤] .

- **علامات طريق الحق :**

طريق الحق له علامات منها :

المشي فيه بالمكاره ، وإثارة الشبهات والشكوك حول من يمشي فيه ، والاستهزاء به ، والسخرية منه ، وسب وشتم من يمشي فيه.

قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ ﴾[الذاريات :٥٢] .

ومنها الابتلاء بالسراء والضراء والشدة والرخاء ، ليعلم الله الصادق من الكاذب ، ويعلم هل يشغله ذلك عن الحق والعمل به والدعوة إليه والصبر عليه : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾[العنكبوت:٢-٣] .

ونشر الدين يتم بقول اللسان ، وحركة القدم ، وكتابة القلم ، وحسن العمل ، وحسن الأخلاق ، وبذل المال والنفس والوقت من أجل الدين ، وحسن التدبير ، وكثرة الدعاء ، وقوة اليقين : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران : ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

- **أقسام جهد الداعي إلى الله :**

جهد الداعي إلى الله ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : جهد على فاسد الأخلاق : وهذا سهل ، وأهله أسرع انقيادًا كمن يجتهد على أهل الشهوات والفساق ممن يزني أو يسرق أو يشرب الخمر ونحوهم من أهل الشهوات ويكون ذلك ببيان عظمة الله وقدرته ليهابوه ، وذكر آلائه ونعمه ليشكروه ، والترغيب في الجنة ، وما فيها من أنواع الشهوات ، والترهيب من النار وما فيها من أنواع العذاب ، فإن القلوب تلين بالتذكير والوعظ فتقلع عن المعاصي ، وتقبل على الطاعات ، وترغب في التوبة إلى الله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم

بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

الثاني : جهد على فاسد الفكر ، وهذا يحتاج إلى جهد أقوى كالجهد على أصحاب الأفكار الرديئة ، وأهل الشبهات والأهواء واليهود والنصارى ونحوهم : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾** ﴾[الفرقان : ٥١-٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾** ﴾[العنكبوت:٤٦] .

فالأول : ككفار مكة .

الثاني : كاليهود في المدينة .

فيجب علينا أن نقوم بالدعوة إلى الله في جميع أوساط الناس ، وندعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والرحمة والشفقة ، في جميع الأوقات ، وفي سائر الأقطار : ﴿ **هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾** ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

ونجتهد في دعوة سائر الناس : ﴿ **هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾** ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

الراغبين والطالبين ، والشاردين والمعرضين ، والغافلين والجاهلين ، ولا نشغل أنفسنا بمن يعارضنا ويؤذينا ، بل ندعو الله لهم ، ونحسن الظن بهم ،

ونرفق بهم ، ونصبر على أذاهم : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم : ٦٠] .

ونكون البيئة الصالحة التي تظهر فيها الأعمال والصفات والأخلاق التي يحبها الله ، وهم يأتون إليها ، وإن يرد الله بهم خيرًا يأت بهم كما جاءت الوفود إلى النبي ﷺ في المدينة منقادة طائعة راغبة في الإسلام من كل مكان : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

والله تبارك وتعالى يعلمنا بالمخالفين والمعارضين حسن الصبر ، والتوجه إلى الله ، فالبيئة المخالفة تربي الداعي ، وتزكي قلبه ، وكلما زادت المعارضة زاد التوجه إلى الله ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، فتأتي نصرة الله كما حصل للنبي ﷺ من أهل الطائف من التكذيب فدعا ربه فاستجاب له ونصره على من عاداه ، وأظهر الله دينه وخذل أعدائه .

قالت عائشة رضي الله عنها : « يَا رَسُولَ الله ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قال : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ كُلالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي فَقَال : إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قالَ : فَنَادَانِي

مَلَكُ الجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَليَّ ، ثُمَّ قال : يَا مُحَمَّدُ ، إنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وأنا مَلَكُ الجِبَالِ ، وقَدْ بَعَثَني رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَني بِأمْرِكَ ، مِمَّا شِئْتَ ، إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأخْشَبَيْنِ ؟ فَقال لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ ، لا يُشْرِكُبِهِ شَيْئًا » . متفق عليه[1] .

والداعي يدعو الناس إلى الله حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له ، ويجتنبوا عبادة ما سواه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

والعالم يعلم الناس كيف يعبدون الله ، ويعرفهم بما أمر الله به من أنواع الطاعات والعبادات ، ويرغبهم فيها، ويحذرهم عما نهى الله عنه من الشرك والمعاصي والمحرمات : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر : ٧] .

الدعوة إلى الله أعظم واجبات الدين بعد التوحيد، ولذلك فهي واجبة على كل مسلم ومسلمة، كما قال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤].

وقد بدأ بها النبي ﷺ في مكة قبل نزول المسائل والأحكام ؛ لأنها مسؤولية الأمة كلها ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٣١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١١/ ١٧٩٥).

وأعظم واجبات الدين الاجتماعية :

التعليم .. والتذكير .. والفتوى .. والدعوة إلى الله .

فالإفتاء : مسؤولية الفقهاء ، فمن علم حكمًا أفتى به .

والتعليم : مسئولية العلماء ، فهم الذين يقومون بالتعليم والتدريس ويبلغون العلم الشرعي لكل مؤمن ومؤمنة :﴿ **كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ** ٧٩ ﴾[آل عمران : ٧٩] .

والتذكير : وهذا واجب على كل مسلم لإخوانه المسلمين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥ ﴾[الذاريات:٥٥] .

وقال سبحانه : ﴿ **قُلۡ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ** ١٠٨ ﴾[يوسف: ١٠٨] .

والدعوة إلى الله : وهذه واجبة على كل مسلم لعموم الناس : ﴿ **هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ** ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة بالدين الكامل لا ببعضه ، بالإيمان والأعمال الصالحة ، بالعبادة والدعوة ، بالعلم والتعليم والعمل ، وحسن الخلق : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ٢٠٨ ﴾[البقرة : ٢٠٨] .

فالعابد فقط جهده على نفسه ، وعنده عاطفة إنكار المنكر ، والداعي جهده على نفسه وعلى غيره ، وعنده عاطفة تغيير المنكر ، ونقل حياة الإنسان من الكفر إلى الإيمان ، ومن المعاصي إلى الطاعات ، ومن طاعة هواه ونفسه

إلى طاعة ربه ورسوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

والله ﷻ اجتبى هذه الأمة من بين الأمم ، وتوَّجها بتاج الأنبياء وهو الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وكثير من الناس رمى هذا التاج ، وتَوَّج نفسه بتاج اليهود والنصارى ، تاج جمع الحطام ، وإتباع الشهوات والإعراض عن دين الله : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم : ٥٩] .

- **والواجب على كل مسلم أن يتعلم شيئين :**

أحدهما : جهد النبي ﷺ وهو الدعوة .

الثاني : حياة النبي ﷺ وهي الدين الكامل .

وإذا كانت الدعوة موجودة في الأمة ، وحياة النبي ﷺ ليست موجودة ، فلا يكون في الدعوة فلاح ، ولا تنزل هداية ولا نصر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف:٢-٣] .

وأصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون للناس إذا دعوهم إلى الله : كونوا مثلنا ؛ لأن حياتهم كانت مثل حياة النبي ﷺ ، ولذلك رضي الله عنهم ، وجعلهم نواة خير أمة أخرجت للناس .

فهم خير القرون ، وخير الناس للناس : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وهذا الفساد في الأمة سببه ترك جهد الدعوة ، الذي يزيد الإيمان ، ويحرك الجوارح للطاعات ، ويحجزها عن المحرمات ، ويكون سببًا لنزول الهداية على الخلق ، فإذا قامت الدعوة إلى الله ظهر الحق ، وبطل الباطل ، وقام الحق ، وزهق الباطل ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، وصار من الصالحين مصلحون ، ومن الفجار أبرار ، ومن الغافلين ذاكرون .

ومدار جهد الأنبياء والمرسلين يقوم على أمرين :

١- كيف يكون الله معنا ؟ .

٢- وكيف الله يدخلنا الجنة ؟ .

وللحصول على هذين الشيئين كان الأنبياء يقومون بأمرين :

الأول : تعليق القلوب بالله ، وذلك بدعوة الناس إلى الإيمان بالله وحده وعبادته وحده لا شريك له ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١) ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

الثاني : تعليق الأجساد بالله ، وذلك بالعمل الصالح .

فالعمل الصالح لا ينفع إلا إذا كانت هناك علاقة بالله، وهي الإيمان، والإيمان لاينفع إذا لم تظهر ثمرته على الجوارح، وهي العمل الصالح الذي جاء به الأنبياء، والأنبياء لا يدعون الناس لترك الأموال والأشياء، بل يدعونهم لاستعمالها حسب أمر الله ملكًا ، أو جاهًا، أو مالًا، أو عملًا، وسليمان ﷺ جعل الله على كرسيه جسدًا يدبر ملكه فتنة ، فلم يتوجه إلى

الأسباب ، ولكن توجه إلى الله ، واستغفر وأناب مع أن عنده الملك والمال ، فأعطاه الله ما طلب منه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ص : ٣٤ – ٣٩] .

وإذا قمنا بهذين الأمرين ؛ الإيمان والأعمال الصالحة ، فالله ﷻ يعطينا كل شيء ، البركة والعزة والخلافة ، فالصحابة رضي الله عنهم لما سلموا القلب والجسد لله رضي الله عنهم وأعزهم ، وجعل الأموال والممالك تحت أقدامهم : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج : ٤٠ – ٤١] .

من أصول الدعوة إلى الله

كما أن للعبادات أصولًا وأوامر ، فكذلك للدعوة إلى الله أصول وأوامر ، ومن تلك الأصول :

أولًا : أن ندعو كل إنسان إلى الله غنيًا أو فقيرًا، سيدًا أو عبدًا، حاكمًا أو محكومًا، ذكرًا أو أنثى، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، وحسن القول، وحسن الخلق، وإنزال الناس منازلهم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ

﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٠] .

ثانيًا : ندعو إلى الله في كل مكان ؛ في المدن والقرى ، وفي الأسواق والبيوت وغيرها ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

ثالثًا : نقوم بالدعوة إلى الله في كل وقت ليلًا ونهارًا ، صباحًا ومساءً ، فالعبادة كالصلاة والصيام والحج لها أوقات ، لكن الدعوة مشروعة كل وقت ، وفي كل مكان ، ولكل جيل : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

فندعو إلى الله في كل زمان ، وفي كل مكان ، ولأي إنسان .

وقال نوح ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[نوح:٥-١٤].

رابعًا : نقوم بالدعوة في جميع الأحوال ؛ في حال الأمن والخوف ، وفي حال الشدة والرخاء ، وفي حال الغنى والفقر والمرض وهكذا ، ولا نأخذ على ذلك أجرًا لأن أجرنا على الله ﷻ ، كما قال كل نبي : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[الشعراء:١٠٧-١٠٩] .

خامسًا : نقوم بالدعوة إلى الله بصفة الإحسان ، فنتحلى بأحسن الصفات وندعو الناس إلى أحسن الصفات ، ولا نسأل الناس أجرًا كالشمس طبعها النور ، وتعطي الناس النور بلا أجر: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٣٣-١٣٤].

سادسًا : ندعو الناس إلى الدين بالشفقة والرحمة ، ونتحمل منهم كل أذى في سبيل إعلاء كلمة الله ، كالأم تعطي ابنها اللبن ، وتتحمل منه كل أذى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وإذا قام الداعي بالدعوة إلى الله بهذه الأصول تعرض للأذى ، فعليه أن يصبر ويعفو ، ولا يغضب ولا يجادل ، ويكون هينًا لينًا رحيمًا ، ولا يكون فظًا غليظ القلب لئلا ينفر الناس منه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف : ١٩٩] .

ويكون الداعي إلى الله قدوة حسنة في صورته وسيرته وسريرته ، يقلل من جهد الدنيا ، ويكثر من جهد الدين ، يدعو إلى الله ، وإلى القيام بأوامر الله ، وإلى طاعة الله ورسوله ، ويكون أسبق الناس إلى ذلك كالأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

يعرض دعوته على الناس مع التواضع ، ولا يحقر أحدًا من الناس ، ويدعو للناس بالهداية ، ويحب للناس ما يحب لنفسه ، يدعو الناس إلى الإيمان والأعمال الصالحة ، ويكون أسبقهم إليها، وأحسنهم أداءً لها ، ومحافظة عليها .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال : ٢- ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١] .

● **نواقض الدعوة إلى الله :**

كما أن للوضوء نواقض وللصلاة نواقض وللإسلام نواقض ، فكذلك للدعوة إلى الله نواقض .

منها : الرياء ، وعدم الإخلاص ، ومنها بيع كلام الله ورسوله بالوظيفة أو الأجرة ، ومنها الدعوة إلى النفس وحب الشهرة ، ومنها حمية الجاهلية والعصبية كمن يدعو إلى حزب أو طائفة أو جماعة ولا يقبل الدعوة من غيره ، والله أمرنا أن ندعو إليه ، ولا ندعو إلى غيره :﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

● **وكل من ترك أصول الدعوة إلى الله، ودعا على هواه، ابتلي بخمسة أشياء:**

١- تزكية النفس .

٢-الحرص على الجاه والمنصب .

٣- احتقار الآخرين .

٤- النظر في عيوب الدعاة إلى الله .

٥- الإنفاق على شهواته ، وعدم الإنفاق على الدين .

وعبادة الله والدعوة إلى الله أهم الأوامر بعد الإيمان ، فمن قام بهما حفظه الله وأسعده ، وجعله سببًا لهداية العالم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت : ٦٩] .

وإبراهيم ﷺ ترك ذريته بوادٍ غير ذي زرع ليقيموا الصلاة ، حيث أسباب الموت موجودة ، وأسباب الحياة مفقودة ، فحفظهم الله ، وأخرج من هذه الذرية المباركة سيد الأولين والآخرين ، وخير أمة أخرجت للناس .

قال إبراهيم ﷺ داعيًا ربه : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

والله ﷻ أخفى في المجاهدة الهداية ، وحصول البركات ، والرزق الحلال ، والحفاظة ، والترقي في الدين .

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وكل عمل له بداية ونهاية كالصلاة بدايتها التكبير ونهايتها التسليم ، وكذلك الدعوة ، فكما أن المسلم عليه الصلاة إلى أن يموت ، فكذلك عليه الدعوة إلى الله إلى أن يموت .

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فالعبادة أعظم الأعمال ، والدعوة أم الأعمال كلها ، فإذا قامت الدعوة نزلت الهداية ، وجاءت العبادات والمعاملات ، والمعاشرات والأخلاق العالية في ضوء القرآن والسنة ، وحصلت السعادة للعباد في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت : ٣٠-٣٢] .

وقد اجتهد شياطين الإنس والجن على هذه الأمة ليحولوا بينها وبين ربها ودينها ومصدر عزها ، فضربوها بثلاثة معاول :

الأول : طرد حياة النبي ﷺ وسننه من حياة المسلمين، وترغيبهم في حياة اليهود والنصارى الذين غضب الله عليهم ولعنهم، وترغيبهم في حياة البهائم الضالة ، والشياطين المضلة الملعونة ، وإشغالهم بالشهوات عن الأوامر : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة : ٤٩ -٥٠] .

الثاني : طرد جهد النبي ﷺ من حياة الأمة ، ومحاربة العلماء والدعاة إلى الله ، والآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، واتهامهم والتضييق عليهم ، والقضاء عليهم ، وإماتة جهدهم حسيًا ومعنويًا : ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ [النساء : ٨٩] .

الثالث : إحياء ومساندة الدعوة إلى الباطل ، وإلى زينة الدنيا ، وإلى تكميل الشهوات ، وإلى جمع الأموال بأي وسيلة ، وإلى الإنفاق على النفس لا على الدين ، وإضاعة الأوقات والأموال في اللعب واللهو ، وإشغال الناس بذلك ، وتحسين المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمراكب

ودعوة الناس إلى ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال : ٣٦] .

هذا جهد الباطل على الحق في كل زمان ومكان ، وبسبب ترك الدعوة إلى الله نال الأعداء ما نالوه من إفساد أحوال المسلمين ، وإضلالهم وصرفهم عن دينهم : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام : ٤٤-٤٥] .

والأم إذا فر منها ابنها تضطرب حتى يعود إليها ، ونحن لا بدَّ أن نتفكر ونجتهد ونعمل ، لتعود الأمة إلى حياة النبي ﷺودينه وشرعه ، وإلى جهد النبي ﷺ في الدعوة إلى الله .

والابن إذا كان مريضًا اضطرب أبواه وانشغلا حتى يشفى ، وإذا أصيب جميع الأولاد بمرض خطير فماذا تكون حال أبويهم ؟ .

لقد ابتلي كثير من المسلمين بمرض ترك الدين ، وترك الدعوة إليه ، فكيف يأتي عندنا الهم والفكر والعمل لإعادة الأمة لجهد الدعوة إلى الله ، وإحياء أوامر الله في جميع الأمة ، وفي جميع شعب الحياة ؟ ، وتلك سنة الله : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه : ١٢٣-١٢٤] .

والأمة الآن أصابتها أمراض خطيرة وكبيرة وكثيرة جدًا ، غيرت صورتها ، وبدلت سعادتها شقاء ، وأمنها خوفًا ، وعزها ذلًا ، وغناها فقرًا ، فلا بدَّ من الدعوة والدعاء في جميع الأوقات والأحوال حتى تعود الأمة إلى الله ، وإذا قامت الأمة بالدعوة إلى الله ظهر الحق ، وانتشرت الفضائل في العالم ، وإذا تركت الأمة الدعوة إلى الله ، واشتغلت بالدنيا ظهر الباطل ، وانتشرت الرذائل في العالم ، ولن يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد : ١١] .

والخير والشر الموجودان في العالم إنما هما ثمرة حركة الناس في العالم رجالًا ونساءً ، إن تحركوا بخير انتشر الخير في العالم ، وإن تحركوا بشر انتشر الشر في العالم : ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء : ١٢٣] .

وكثير من المسلمين يعرفون أحكام الدين ، ولا يعرفون أوامر جهد الدين والدعوة إلى الله ، لأنهم يشعرون أنهم غير مسئولين ولا مكلفين بالدعوة إلى الله ، وإنما هي واجب العلماء منهم مع أنهم يقرؤن ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران : ١٠٤- ١٠٥] .

وهذا من الجهل الذي عمَّ وطمَّ ، وانتشر بسببه كل شر وبلاء وفساد ، فإن الدعوة واجبة على كل مسلم ومسلمة كما أن الصلاة واجبة على كل مسلم

ومسلمة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

كما أن أوامر الصلاة لا تتغير ، فكذلك أوامر الدعوة لا تتغير ، وقد أكمل الله لنا ذلك وبينه في كتابه وسنة رسوله ﷺ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وهذا خطاب لجميع المؤمنين والمؤمنات ، والعلماء والعامة .

- **سلاح الدعوة إلى الله :**

سلاح الدعوة إلى الله هي الأخلاق العالية : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

لذا يجب أن نكرم كل أحد ، ونتحمل الأذى من كل أحد ، ولا نجرح أحدًا ، وندعو لكل أحد بالهداية ، وندعو جميع طبقات الأمة إلى الإسلام ، وقد دعا النبي ﷺ إلى الإسلام فأسلم أبو بكر من الرجال ، وعلي من الصغار ، وزيد من الموالي ، وخديجة من النساء ، وشعر كل واحد من هؤلاء أنه مسئول عن الدعوة إلى الله من أول يوم .

فأبو بكر رضي الله عنه اجتهد على الخواص والأغنياء فدعاهم إلى الله فأسلم منهم ستة من العشرة المبشرين بالجنة على يديه .

وعلي رضي الله عنه اجتهد على أقرانه، وعلى الزائرين إلى الحرم، لأنه من أهل البيت.

وزيد بن حارثة رضي الله عنه اجتهد على أقرانه من العبيد والمماليك .

وخديجة رضي الله عنها اجتهدت على النساء ، فأسلم على يديها فاطمة بنت الخطاب التي كانت سببًا في إسلام أخيها عمر رضي الله عنه ، وأسلمت على يديها سعدى بنت كريز التي كانت سببًا في إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكلاهما من الخلفاء الراشدين ، ومن العشرة المبشرين بالجنة .

وإذا بذلنا للدين ما نستطيع ، الله يرزقنا وييسر لنا ما لا نستطيع ، كما أنزل الملائكة يقاتلون مع المؤمنين في بدر حين كانوا في قلة من العدد والعدة ، وأرسل الريح والجنود على الأحزاب ، ونصر أولياءه وخذل أعداءه : ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾[الأحزاب:٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[آل عمران:١٢٣] .

وكما نتفكر لحل مسائل الدنيا ، كذلك يجب أن نتفكر لحل مسائل البشرية فيالدنيا والآخرة والتي يجرها الشيطان كل يوم إلى الإعراض عن دين الله :﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ:٢٠] .

وقال الله تعالى عن عداوة الشيطان لبني آدم : ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾[النساء : ١١٩-٢٢١] .

لذا يجب علينا الفكر والجهد لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، وهدايتها إلى الصراط المستقيم الموصل إلى النعيم المقيم : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

وكلما جاءت علينا الأحوال والمسائل والمشاكل في مجال الدعوة إلى الله لا ننظر إلى الأحوال ، بل نتوجه إلى الله بالدعاء ، والقيام بالأعمال ، ونقدم الشكوى إليه ، فهو الذي بيده تغيير الأحوال ، وبيده النصر والتمكين : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات : ٥٠ – ٥١] .

وننظر مع ذلك إلى أمر الرسول ﷺ ماذا فعل في تلك الحال ؟ ، وبماذا أمر ؟ كما قاتل النبي ﷺ الكفار في بدر في قلة من المؤمنين ، وقلة من العدة ، ومخالفة الأحوال ، فنصره الله ، وخذل أعداءه ، وأمده بجند من الملائكة ، وكما أنفذ أبو بكر جيش أسامة مع مخالفته للأحوال التي أعظمها موت النبي ﷺ .

وكما أخرج أبو بكر الجيوش لحرب المرتدين مع مخالفته في الظاهر لتلك الأحوال الشديدة وهكذا : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن : ١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقبل ذلك وعلى ذلك سار الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم ، فالله مع الأنبياء وأتباعهم يحفظهم ويؤيدهم وينصرهم : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر : ٥١] .

فالنمرود لما جمع الحطب لإحراق إبراهيم ﷺ وألقاه في النار، كان مع إبراهيم ﷺ كمال الإيمان والتقوى ، فلم يلتفت للنار مطلقًا ، ولا إلى من أشعلها ، بل توجه إلى الله الذي بيده ملكوت كل شيء أن ينجيه ، فأنجاه الله من النار ، ولم يتوجه إلى الأسباب والمخلوقات ، بل توجه إلى الله وحده مباشرة ، فوجه الله النار بأمره مباشرة أن تحفظه ولا تضره ، كما قال سبحانه :﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأنبياء:٦٨-٦٩] .

والامتحان الآخر : أن الله أمر إبراهيم ﷺ أن ينقل بعض أسرته ، هاجر وابنها إسماعيل إلى مكة ، ويضعهم بوادٍ غير ذي زرع ، حيث أسباب الهلاك موجودة ، وأسباب الحياة مفقودة لأمر يريده الله ، فامتثل إبراهيم ﷺ أمر ربه ، وأسكنهم بواد غير ذي زرع ، وراح وتركهم فحفظهم الله ، وساق الناس إليهم ، وأنبع الماء لهم ، وجبى لهم الثمرات من كل مكان .

وأكرم سبحانه خليله إبراهيم ﷺ بأن جعله إمامًا للناس ، وجعله أمة في العبادة والدعوة ، وجعل الأنبياء من بعده من ذريته ، فهو أب الأنبياء ، وخليل الرحمن : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[إبراهيم : ٣٧] .

والامتحان الثالث : أن الله ﷻ أمر إبراهيم ﷺ لما بلغ ابنه إسماعيل السعي أن يذبحه، كما قال سبحانه : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾[الصافات:١٠١-١٠٦] .

فاستسلم إبراهيم ﷺ لذبح ابنه ، وسلم إسماعيل رقبته للذبح ، وكان قضاء الله أن يباشر الأب ذبح الابن ؛ لإعلان كمال الطاعة والانقياد لأمر ربه مع مخالفته للطبيعة والأحوال .

فحفظ الله إبراهيم ، وحفظ ابنه ، وأبقى إسماعيل ، وأخرج من نسله سيد المرسلين ، وبعثه رحمة للعالمين .

فما أعظم هذا البلاء ، وما أعظم تلك الطاعة ، وما أعظم ذلك التسليم والانقياد لأمر الله : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة : ٢٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[النحل :١٢٠-١٢٣] .

- **فقه القرآن الكريم :**

أنزل الله ﷻ القرآن الكريم تبيانًا لكل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

فالقرآن العظيم يشتمل على أصول عظيمة ؛ فهو كتاب التوحيد والإيمان ، وكتاب الدعوة إلى الله ، وكتاب الهداية ، وكتاب العلم والأحكام ، وكتاب الأجر والثواب .

أولًا : القرآن الكريم كتاب التوحيد والإيمان :

فقد ذكر الله فيه براهين التوحيد ، ودلائل الوحدانية وأركان الإيمان ، وصفات المؤمنين ، وثمرات ذلك في الدنيا والآخرة : ﴿ **إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾** ﴾[البقرة :١٦٤] .

ثانيًا : بين الله في القرآن الكريم قصص الأنبياء والرسل في مجال الدعوة إلى الله لنقتدي بهم ، وكشف لنا أخطاء الأمم السابقة وحذرنا من الوقوع فيها ، كما في سورة البقرة وآل عمران والأعراف والشعراء ويونس وهود وإبراهيم ويوسف والأنبياء ومريم وغيرها من السور : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ**

﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف : ١١١] .

وقد أمر الله ﷻ بذكر حياة الأنبياء ، كما قال لرسوله ﷺ : ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم : ٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ٥١﴾ [مريم:٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ٥٤﴾ [مريم : ٥٤] .

وذلك لنقتدي بهم في توحيدهم ، وإيمانهم ، وجهدهم في الدعوة إلى الله .

ثالثًا : القرآن الكريم كتاب الهداية : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ١٥ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٦﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ١٣٨﴾[آل عمران:١٣٨] .

رابعًا : القرآن الكريم كتاب العلوم والأحكام كما قال سبحانه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل:٨٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر : ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج : ٧٧] .

خامسًا : القرآن العظيم كتاب الأجر والثواب ؛ فقراءة الحرف منه بعشر حسنات .

عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْف » . أخرجه الترمذي والبيهقي[1] .

وأعظم مقاصد القرآن العظيم تعلم التوحيد والإيمان ، وإخلاص العبادة لله ﷻ ، ومعرفة صفات المؤمنين ، وتعلم الدعوة إلى الله والاقتداء بالأنبياء والرسل ، في الإيمان ، وصدق اليقين ، وحسن الخلق ، والقيام بالدعوة إلى الله ، والاهتداء بما في القرآن الكريم من أعظم العلوم ، وهو معرفة الله بأسماءه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة قدرة الله وعظمته ، وسعة علمه ورحمته ، ومعرفة نعمه وإحسانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

وبمعرفة ذلك يتم معرفة التوحيد لله جل جلاله ، ثم العلم والعمل بما في القرآن من أحكام ومن عبادات ومعاملات ، والتحلي بما فيه من مكارم

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٩١٠) ، والبيهقي برقم (١٩٨٣) .

الأخلاق ، والاقتداء بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

وإذا قامت الدعوة إلى الله ، جاءت الهداية إلى الإيمان وإذا جاء الإيمان ، جاءت الرغبة للعمل بالأحكام والإقبال على العمل الصالح بأنواعه ، وإذا جاء الإيمان والعمل الصالح ، أسعد الله الإنسان في الدنيا والآخرة ، وأدخله الجنة ورضي عنه ، وننوي مع هذه المقاصد الكبرى تحصيل الأجر والثواب من الله وحده لا شريك له : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾ [محمد : ٢٤] .

وفي هذا الزمن حرم أكثر الأمة بركة الوحي ؛ بسبب ترك الدعوة ، وصار أكثر الناس يقرأ ويحفظ القرآن ، ويتعلمه ويعلمه ، لتحصيل الأجر والثواب في الآخرة فحسب ، وهذا لا يكفي ، فالقرآن متعبد بتلاوته ، ومتعبد بتدبره ، ومتعبد بالعمل به : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص : ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ [العصر : ١-٣] .

اللهم اجعل القرآن العظيم شاهد لنا ولا تجعله شاهدًا علينا وارزقنا حسن تدبره ، والتصديق بأخباره ، والعمل بأحكامه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] .

ويجب على الداعي إلى الله أن يصبر في جميع الأحوال ، وأن يرحم الخلق مهما بلغت إساءتهم : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

والداعي يمشي بالدعوة إلى الله بعاطفتين :

عاطفة الرحمة للخلق .. وعاطفة الغيرة .

عاطفة الغيرة حتى لا يُعصى الله في الأرض ، وعاطفة الرحمة حتى لا يذهب الإنسان إلى جهنم .

وفي الدعوة نظهر عواطف الرحمة ، ونكبت عواطف الغيرة ، وفي القتال نظهر عواطف الغيرة ونكبت عواطف الرحمة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ [التحريم:٩] .

ونتأثر ونخاف ونجوع ونتألم ، ولكن عن طاعة الله ورسوله لا نتأخر في عبادةٍ أو دعوةٍ ما قدرنا واستطعنا : ﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

والهوى نوعان :

أحدهما : هوى الفسقة كيف يفسدون الدين .

الثاني : هوى الصالحين كيف ينتشر الدين بسرعة ، بلا حكمة ولا رحمة ولا صبر ولا لطف .

وهذا وهذا كله مذموم ، والهوى المحمود ما كان تابعًا لما جاء به محمدٌ ﷺ : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ

فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص : ٢٦] .

وقال الله تعالي : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران :٧٣- ٧٤] .

وقال الله تعالي:﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

والداعي إلى الله يتحمل كل شيءٍ من أجل إعلاء كلمة الله ، ولا ينظر إلى مرارة الابتلاء ، بل ينظر إلى جمال المُبتلي ، ولا ينظر إلى قسوة الظالم ، بل ينظر إلى من أذن له أن يظلم أن يكف عنه ظلمه : ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام : ١٧-١٨] .

- **والله ﷻ ربى الأنبياء بثلاثة أنواعٍ من التربية وهي :**

١- التربية البدنية .

٢- التربية الأخلاقية .

٣- التربية الإيمانية .

فالتربية البدنية بالسراء والضراء .

والتربية الأخلاقية برعي الغنم ، وما من نبيٍ إلا وقد رعى الغنم .

والتربية الإيمانية بمعرفة الله ومعرفة قدرته ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

فالتربية البدنية والأخلاقية ؛ لتعلم الصبر والرحمة قبل النبوة .

والإيمانية ؛ ليأتي اليقين في القلب على قدر ة الله ﷻ . وبعد كمال التربية جاء التكليف بالدعوة إلى الله .

وكمال الجهد أن نضحي بكل شيء من أجل الدين ، ثم نستقله ، نضحي بالأوقات والأموال ، والأنفس والشهوات ، ونسب الفضل إلى الله الذي وفقنا لهذا العمل العظيم : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل : ٥٣] .

وعند المعصية يرى الداعي سوء عمله ، وعند الطاعة يرى فضل الله عليه .

وليس من سُنة الله أن يُضيع من آمن به ، وتوكل عليه : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الروم : ٤٧] .

وقال الله تعالي : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[غافر : ٥١] .

والله ﷻ يظهر قدرته حسب يقين المؤمن وحسن ظنه بالله ﷻ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق : ٢-٣] .

وحياة الإنسان إما أن تكون على الهوى كالبهائم ، أو تكون على الهدى كالأنبياء ، والله أرسل الأنبياء والرسل لصرف الناس من الهوى إلى الهدى : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام:٧١] .

وأحسن حياة ، وأجمل حياة ، وأطهر حياة ، حياة الأنبياء والرسل والملائكة والمؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ

﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر : ١٧ – ١٨].

وقال الله تعالي:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء : ٦٩–٧٠] .

وأسوأ حياة حياة الشياطين والمجرمين والكافرين : ﴿ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء : ٢٦– ٢٧] .

وقال الله تعالي : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر : ٦].

وقال الله تعالي : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد:١٢] .

والداعي إلى الله في الليل واقفٌ بين يدي ربه يقول : يارب :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾ [المزمل : ١–٢].

وفي النهار واقفٌ بين يدي الناس يقول : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ [مريم:٤٤] .

وقال الله تعالي : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٤] .

وقال الله تعالي : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [هود : ٥٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ ﴾[المزمل: ٧].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ ﴾[المدثر:١-٣].

فالدين خطوتان :

١- خطوةٌ للعبادة .

٢- خطوةٌ للدعوة .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت : ٣٣] .

والحاجة من أجل المقصد لها حكم المقصد :

والحاجة هي الأكل والشرب وأمثالهما ، والمقصد هو الدعوة إلى الله ، فمن أكل ليتقوى على العبادة فهو في عبادة .

والمقصد هو الدعوة إلى الله ، فمن أكل ليتقوى على العبادة والدعوة فهو في عبادة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾[المؤمنون:٥١] .

والمقصد من أجل الحاجة كالمنافقين خرجوا للجهاد من أجل الغنائم ، فمن قام بالدعوة إلى الله من أجل أن تصلح حاله فلا قيمة لعمله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة: ٥] .

والنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ابتلاهم الله بالجوع والسجن ثلاث سنوات في مكة ؛ ليعلم الله هل قام الصحابة رضي الله عنهم بالدين من أجل الحاجة ، أو قاموا به ابتغاء وجه الله ؟

فلما صبروا وصدقوا جعل الله كنوز كسرى وقيصر تحت أقدامهم : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت : ٢-٣] .

• **وظيفة المسلم :**

إظهار محاسن الدين .. والدعوة إلى محاسن الدين .

والكافر والجاهل يظهر محاسن الدنيا ، ويُخْفي محاسن الدين ، ويُعرض عن محاسن الدين ، فشتان بينهما : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت : ٣٣] .

وأفضل حياة إظهار محاسن الدين ، وإخفاء محاسن الدنيا ، وأسوأ حياة إظهار محاسن الدنيا ، وإخفاء محاسن الدين .

والدعوة إلى الله إظهار محاسن الدين كلها عبادةً ودعوةً وأخلاقًا ؛ ليدخل الناس في الدين .

وفي مكة كان النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا يُظهر محاسن الدين ، وذلك ببيان عظمة الله ، وعظمة أسمائه وصفاته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة نعمه وإحسانه ، وعظمة شرعه ، ويُرغب في الأخلاق العالية ، ويخبر الناس بما لهم بعد القدوم على الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت : ٣٣] .

والدين ركنان :

عبادة الحق سبحانه .. والإحسان إلى الخلق .

قال الله تعالي: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦] .

قال الله تعالي: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وبعض الناس قويٌ في عبادة الحق والإحسان إلى الخلق ، وبعضهم قويٌ في عبادة الحق ضعيفٌ في محاسنة الخلق ، وبعضهم ضعيفٌ في عبادة الحق ، وقويٌ في محاسنة الخلق ، وبعضهم ضعيفٌ في عبادة الحق ومحاسنة الخلق ، وهذا أردأ الأقسام ، والأول أعلاها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

- **فقه حب المال :**

حب المال ليس داءً ، إنما تعلق القلب بالمال هو الداء ، والتعلق بالدنيا يأتي بالنظر بعد النظر إلى الأشياء: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨]

فحب المال أمرٌ فطري ، ولكن التعلق بالمال والاشتغال به عن عبادة الله هو المنهي عنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾[فاطر : ٥].

- **فقه عزة النفس والروح :**

عزة النفس مقابلة لعزة الروح ، فالنفس تريد أحسن سمعة ، وأحسن شهرة ، وأحسن شهوة : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف : ٥٣] .

والروح تريد أحسن ذكر ، وأحسن عبادة ، وأحسن أخلاق ، فالمؤمن غلبت روحه نفسه ، والكافر غلبت نفسه روحه .

وعزة المؤمن بالإيمان وطاعة الله ورسوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون : ٨] .

وعزة الكافر عزة نفس في شقاقٍ مع الدين دائمًا ؛ لأنها تُريد شهوات النفس في مقابل أوامر الله، النفس تريد أحسن أكل، أحسن سكن، أحسن لباس، أحسن زوجة : ﴿ صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾[ص :١ – ٢] .

ففي الدنيا لا يجتمع للمؤمن عزة نفس ، وعزة روح، وفي الجنة تجتمعان ، ففي الجنة جميع شهوات النفس من كل نعيم ، وجميع شهوات الروح من رضوان الرب ، ورؤيته ، وسماع كلامه ، وتسبيحه ، ففي الدنيا عزة الروح في إذلال النفس ، وهذا طريق العزة والأمن والسعادة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

• **جهد الدعوة إلى الله :**

الله ﷻ مدح جهد الدعوة إلى الله في الأمم السابقة بشكلٍ انفرادي قبل بعثة النبي ﷺ ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ ﴾[مريم : ٤١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيًّا ٥٤ ﴾[مريم:٥٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيًّا ٥١ ﴾[مريم:٥١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٥٦ ﴾[مريم:٥٦] .

ومدح سبحانه جهد الدعوة إلى الله بعد بعثة النبي ﷺ بشكلٍ اجتماعي من الرسول وأمته، فقال سبحانه : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران : ١١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

لأن هذا الجهد جهد أمةٍ على أمة ، جهد أمة وهم المسلمون على أمة وهم من سواهم من الكفار ، ليدخل الناس جميعًا في دين الله ﷻ .

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

- **أحوال الداعي إلى الله :**

يمر الداعي إلى الله بأربع مراحل هي :

أولًا : الحماس ، وعلاجه الترتيب والتؤدة والحكمة .

الثاني : الابتلاء ، وعلاجه الصبر .

الثالث : الملل ، وعلاجه لزوم الجماعة .

الرابع : الكرامات ، وعلاجها الصمت .

أما مع الناس فيُبتلى الداعي إلى الله بأمور هي :

إقبال الناس عليه ، أو إدبارهم عنه ، وعرض الأموال عليه ، وعرض المناصب عليه ، إثارة الشبهات حوله .

وقال الله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت :٢ – ٣] .

وعلاج ذلك كله بالتعلق بالله وحده ، وعدم الالتفات إلى ما سواه .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[إبراهيم : ١٢] .

وقال الله تعالي:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

- **واجبات الداعي إلى الله :**

يجب على كل داعية ما يلي :

أولًا : البيان والبلاغ ، وهذا لا يكفي بل لابد من القدوة الحسنة :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف:٣-٢] .

ثانيًا : نقل القرآن بأخباره الصادقة ، وأحكامه العادلة ، من السطور إلى الصدور ، ومن الصدور إلى الجوارح : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾[الحج : ٧٧ – ٧٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وقال ﷻ : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[النحل:٣٢] .

ثالثًا : إعادة البناء الذي بناه الرسول ﷺ في الأمة على التوحيد والإيمان ، وتطبيق الأحكام ، والتحلي بمكارم الأخلاق : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة:١٣٨] .

رابعًا : معرفة جهد الأعداء ؛ ليعرف جسامة الجهد المطلوب تجاههم .

خامسًا : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليعرف الداعي إلى الله من يدعو إليه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩] .

سادسًا : معرفة أوامر الله ؛ ليدل الناس على ما يحبه ربهم ويرضاه .

قال الله تعالى : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران : ٧٩] .

سابعًا : معرفة وعد الله ووعيده ؛ ليُعرف الناس بجزاء الطاعات ، وعقوبة المعاصي : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

ثامنًا : تذكير الناس بعظمة الله وقدرته ؛ ليكبروه ويتوكلوا عليه ، وتذكيرهم بنعمه ؛ ليحمدوه ويشكروه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله تعالي:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

ومن أصول الدعوة إلى الله .

أعظم معجزة في حياة النبي ﷺ هي : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

الله سبحانه وصف الأخلاق الكريمة بالمركوب ، ومحمدًا ﷺ بالراكب ، فما أحسن الراكب ، وما أحسن المركوب ، وما أحسن ما يحمل الراكب : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة : ١٢٨] .

والله سبحانه فرق الأخلاق الحسنة في الأنبياء والرسل ، ثم جمعها في سيد الأنبياء والرسل .

فنوح كان عبدًا شكورًا ، وأيوب : ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص:٤٤] .

وإبراهيم أواه حليم ، وأخلاق النبي ﷺ قبل الدعوة جمعت الناس حوله وأخلاق النبي ﷺ بعد الدعوة نفرت الناس عنه ، وهي لم تتغير ، بل زادت حسنًا ورحمةً وتقوى ، فماذا قالوا له ؟ قالوا : ساحر ، كذاب ، مجنون ، شاعر ، وغيرها من الصفات السيئة : ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[الحجر : ٩٧ – ٩٨] .

وأعظم قسم في القرآن هو قوله ﷻ : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا

﴿ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة : ٣٨-٤٧] .

وجميع صفات الأنبياء والرسل أعطاها الله لمحمدٍ ﷺ ، وأمره بالإقتداء بهم كما قال سبحانه عن الأنبياء والرسل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام:٩٠] .

والتضحيات نوعان :

موهوبة .. ومكتسبة .

وقد أعطاها الله الأنبياء والرسل ، وهي مما أكرم الله به هذه الأمة ، والتضحيات التي تربى بها الصحابة تضحيات موهوبة ، فهم خير القرون ، والأنبياء لا ينظرون إلى البلوى ، وإنما ينظرون إلى جمال المبتلي ؛ لذلك يوسف ﷺ اختار السجن على فتنة النساء ، لما فيه من التربية والدعوة، كما قال ربه عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

فهذا هبة من الله .

وفتنة الداعي إلى الله دائمًا في البيئة الموافقة ، وحفاظة الداعي إلى الله دائمًا في البيئة المخالفة ، ففي مكة بيئة مخالفة لا يوجد فيها منافق ، وفي المدينة بيئة موافقة فجاء النفاق والفتن .

وهناك فرق بين المعية والنصرة فمعية الله خاصة بالمؤمنين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

والنصرة قد تكون للمسلم أو الكافر ، ففي أحد النصرة للكفار ، والمعية مع المؤمنين ، لهذا مراد المسلم من هذا الجهد العظيم ، وهو الدعوة إلى الله أن تكون معية الله معه :﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة :٤٠] .

لأن النصرة فيها حظ النفس ، وفي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتت النصرة ، فكنوز الأرض جاءت إلى المدينة فبكى عمر رضي الله عنه ، فالصحابة كانوا يخافون من النصرة ، قيل : يا عمر هذا وقت البكاء أو الفرح ؟ قال : والله لو كان فيها خير لأعطيت من قبلي .

فمراد الداعي من هذا الجهد المعية لا النصرة ، ولو جاءت نصرة عمر في زماننا هذا لبكينا من الفرح ، فمتى نفهم مراد الله منا ؟

والله سبحانه وعد على المعية فقال : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال:١٩] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل:١٢٨] .

ويوسف صلى الله عليه وسلم طلب السجن ؛ لأن مع السجن معية ، وهناك بدأ بجهد الدعوة إلى الله فقال : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يوسف : ٣٩– ٤٠] .

ويوسف صلى الله عليه وسلم دخل سجن العبيد ، لأن جهد الأنبياء أولًا على البسطاء ، فالزيارة الخصوصية لكبار القوم فيها إظهار النفس ، والزيارة العمومية فيها

تربية للنفس ، والمقصود من زيارة الخواص حتى ننزلهم إلى العوام ؛ لأن حفاظة الأمة على العموم ، فالدعوة إلى العموم فيها حفاظة الدعوة والداعي .

قال النبي ﷺ : « أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا » . أخرجه أحمد بسند صحيح(1) .

وكان النبى ﷺ يقول ذلك في الموسم ، وساقي الملك وخبازه رأوا في يوسف ﷺ صفات الصدق فتأثروا به ، وطلبوا منه تعبير الرؤية : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يوسف:٣٦].

وكما قال الذي نجا منهما : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[يوسف:٤٦].

فأظهر يوسف ﷺ صفات الصدق والإخلاص ، وحب الخير والإحسان فتأثر به من حوله .

والقصد من الدعوة إلى الله إيصال الخلق إلى الحق سبحانه .

وذلك لا يتم إلا بأمرين :

الدعوة .. والدعاء .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦٠٢٣).

فالذي عنده جهد النهار ، وليس عنده جهد الليل ، فهذا لا يدعو الناس إلى الله بل يدعوهم إلى نفسه ، والذي عنده جهد النهار ، وهو الدعوة ، وجهد الليل وهو التعبد والتهجد لله ﷻ فهذا اكتملت عنده شروط الهداية بالدعوة والدعاء ، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾[المزمل: ١-٤] .

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾[المدثر:١-٥].

فهذا الذي ينفع نفسه ، وينفع غيره ، والذي عنده جهد الليل ، وليس عنده جهد النهار ، فهذا نيابته عن النبي ﷺ ناقصة لتركه الدعوة ، فلابد من الدعوة والدعاء : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾[هود : ١١٢] .

فالمساجين مع يوسف ﷺ استأنسوا بيوسف وأحبوه ، وطلبوا منه تفسير الرؤى ، وتفسير الرؤى فراسة لا دراسة ، وهبة من الله ، ففسر لهم الرؤية بالحكمة مجملة : ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝٤١﴾ [يوسف:٤١].

وقال يوسف لأحدهما : ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾[يوسف : ٤٢].

وهذه زلة لسان ، وتركٌ للأولى : ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝٤٢﴾ [يوسف:٤٢].

٩- أهمية الدعوة إلى الله وحكمها:

• أهمية الدعوة إلى الله

الله ﷻ ذكر الأحكام كلها مجملة في القرآن الكريم ، وفصلها النبي ﷺ في السنة ، ولكنه سبحانه فصل جهد الدعوة إلى الله في القرآن الكريم تفصيلًا شافيًا ، كافيًا ، لم يفصل فيه عبادات الأنبياء ، ولا حج الأنبياء ؛ لا حج آدم ، ولا صلاة إبراهيم ، ولا صيام داوود ﷺ ، لكنه أخبر بها إجمالًا .

فالله سبحانه لم يبين قصة عابد واحد في القرآن ، ولكنه بين في القرآن بالتفصيل دعوة الأنبياء إلى الله ، وما حصل لهم من الأذى والتكذيب ، وبين صبرهم ورحمتهم لأممهم وبين كيف نصرهم ، وخذل أعداءهم ، ودعانا للاقتضاء بهم ، ففصل قصة موسى ﷺ في تسعة وعشرين جزءًا من القرآن الكريم ، كلها في بيان أصول الدعوة إلى الله وبين سبحانه بالتفصيل دعوة الأنبياء لأممهم ، فذكر قصة آدم ويونس ، وزكريا ، ونوح وإبراهيم وموسى ، وعيسى وهود وصالح وشعيب ولوط ويوسف وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ لأن هذه الأمة مبعوثة للدعوة إلى الله ، وقدوتها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنعام: ٩٠ .

وقال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب : ٢١] .

فهل من متفكر ، وهل من متدبر ، وهل من عامل بما علم؟!.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

- **وقت بداية الدعوة :**

الدعوة إلى الله هي بيان مسائل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وغيرها من أركان الإيمان ، فالدعوة إلى الله كانت من أول يوم ، ومن أعظم ثمراتها التوحيد ، والإيمان بالله ، والأعمال الصالحة ، وهناك فاصل زمني طويل بين الإيمان ونزول الأحكام التكليفية ، وليس هناك فاصل زمني بين الإيمان والدعوة ؛ لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء بالدعوة إلى الله إلى يوم القيامة وكان كل نبي يعلم أمته بعد الإيمان الأحكام ، ولأن الله ﷻ بعد بعثة محمد ﷺ أمره أن يعلم أمته بعد الإيمان ، الدعوة إلى الله ، ثم علمهم بعد ذلك أحكام الدين في المدينة ؛ لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء بنشر الدين في العالم إلى يوم القيامة: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

فقد دعا إلى الله من أول يوم في مكة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وخديجة وبلال وعمار وغيرهم من أوائل الصحابة رضي الله عنهم: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤-١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

والدعوة إلى الله تكون بطريقين :

الأول : طريق اللين واللطف :

وهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإيضاح الأدلة والبراهين ، بأحسن أسلوب وألطفه ، وهذا الطريق هو المطلوب المشروع بداية ونهاية مع جميع الخلق ، كما قال سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

الثاني : طريق القوة والشدة :

وهو الجهاد في سبيل الله ، ورد المستكبرين المعاندين والظالمين ، فإذا لم يستجب الكفار للدعوة إلى الله ، تعين طريق القوة بالجهاد في سبيل الله ، حتى تفتح البلاد ، ويعبد الله وحده ، وتقام حدوده ، ويزال الظلم والفساد ، ويكون الدين كله لله في ملكه ، ثم بعد ذلك من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، فلا إكراه في الدين ، فالجهاد في سبيل الله عز وجل لا يكون إلا بعد إقامة الحجة على الناس بالدعوة إلى الله ، ليكون الدين كله لله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ

حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة:١٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة:٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٦]

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف:٢٩] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ الله وَيُقِيْمُوْا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهَمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله» . متفق عليه[1] .

• حكم الدعوة إلى الله :

الله ﷻ أكرم هذه الأمة بأن جعل أعمارها قليلة ، وأعمالها مضاعفة ، وذنوبها مغفورة ، وعيوبها مستورة ؛ وذلك من أجل قيامها بعمل الأنبياء وهو الدعوة إلى الله ، وعبادته وحده لا شريك له .

والله ﷻ اختار هذه الأمة وأثابها من بين سائر الأمم وكرمها وشرفها بهذا الدين ، والدعوة إليه إلى يوم القيامة ، فالدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٢٤)، واللفظ له، ومسلم برقم : (٣٢/ ٢٠).

ومسلمة كل بحسب قدرته وعلمه .

والدعوة إلى الله مسئولية الأمة وحاجة الأمة ؛ فبها يزيد الإيمان ، ويهتدي الناس بإذن الله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وهذا النص عام مطلق في الزمان ليلًا ونهارًا ، ومطلق في المكان شمالًا وجنوبًا ، وشرقًا وغربًا، ومطلق في الجنس العرب والعجم، والإنس والجن، ومطلق في النوع الرجال والنساء، ومطلق في السن الكبار والصغار، ومطلق في اللون الأبيض والأسود، ومطلق في الطبقات السادة والعبيد، والأغنياء والفقراء، ومطلق في الأحوال المقيم والمسافر، والمطلق والسجين، والصحيح والمريض .

فالدعوة لهؤلاء واجبة ؛ لأنهم من الناس ، وهذا الدين لكل الناس ، والدعوة من هؤلاء إذا أسلموا واجبة ، لأنهم من أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾[آل عمران : ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل : ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

وقال النبي ﷺ يوم النحر في حجة الوداع مخاطبًا لجميع من آمن به من

أصحابه عربًا وعجمًا، رجالًا ونساءً، أبيضهم وأسودهم، غنيهم وفقيرهم ، سادتهم وعبيدهم : « ليبلغ الشَّاهِد الْغَائِب، فَإِن الشَّاهِد عَسى أَن يبلغ من هُوَ أوعى لَهُ مِنْهُ» . متفق عليه[1] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .أخرجه البخاري[2] .

ويبذل الجهد لإعلاء كلمة الله ونشرها تحصل لنا الهداية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

- **صفة الداعي الحق :**

الداعي الحق هو من جاء في قلبه اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويتكلم من قلبه بواسطة لسانه ، وكلام الداعي إما داء وإما دواء ، فإن كان يغرف من مشكاة النبوة ، ويبلغ الوحي كما نزل باليقين مع التقوى ، فكلامه دواء ، يشفي الله به السقيم ، ويهدي كل ضال أراد الله هدايته :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾ [الأنعام:١٢٢] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٤٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٦٧٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

وإن كان يغرف من هواه، وأفعاله تخالف أقواله، فكلامه داء يضر نفسه ويصرف غيره عن الحق، ويفتن الخلق : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف :٢-٣] .

- **أقسام الناس في العمل :**

المسلمون في العمل قسمان :

منهم من اجتهد على الدنيا ، ثم راح وتركها،ومنهم من اجتهد على الآخرة ، ثم مات فوجدها ، وهم المؤمنون .

والذين اجتهدوا على الآخرة قسمان أيضًا :

الأول : من اشتغل بالعبادة فقط ، فهذا قد انقطع عمله بموته .

الثاني : من اشتغل بالعبادة ، والدعوة إلى الله ، وبذل الجهد لإعلاء كلمة الله ، فهذا عمله مستمر ؛ لأن كل من اهتدى بسببه ، فله مثل أجره إلى يوم القيامة : ﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا

﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة:١٩-٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً» . أخرجه مسلم[(١)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» أخرجه مسلم[(٢)] .

- **فقه حكم الدعوة إلى الله :**

مقصد بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دعوة الناس إلى التوحيد والإيمان، ليعبدوا الله وحده لا شريك له ، فيسعدوا في دنياهم وأخراهم :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنۡ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ١٦٣١).

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦] .

والدعوة إلى الله كما هي وظيفة الأنبياء والرسل فهي كذلك وظيفة هذه الأمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ، كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

والدعوة إلى الله من أعظم وظائف الدين ؛ لأنها وسيلة تبليغ الدين ، وطريق تعليم المكلفين ، وسبيل النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة ، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالدعوة إلى الله ، وأمته تابعة له في هذا التشريف والتكريم : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

والدعوة إلى الله من أعظم مهمات الدين ؛ لما فيها من إنقاذ البشرية من الكفر والشرك وعذاب النار يوم القيامة :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وقد لعن الله كفار بني إسرائيل لما تركوا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ لما يسببه ذلك من الفساد العظيم في الحياة :﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المائدة:٧٨ : ٨٠] .

فتجب الدعوة إلى الله على جميع هذه الأمة رجالًا ونساءً كل حسب طاقته ، حتى يعبد الله وحده في الأرض ، ويزول الشرك ، وتزول الفتن ، ويكون الدين كله لله .

والدعوة إلى الله كما أنها أحسن عمل ، فهي أفضل عمل ، لما فيها من إخراج الناس، من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، والفوز بالجنة، والنجاة من النار ، والفوز بالأجور العظيمة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن الرسول ﷺ قال : «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً» . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

كتـــاب الدعوة إلى الله

في ضوء القرآن والسنة

الباب الثاني

ويشتمل على ما يلي:

١ – أصول حياة الأنبياء والرسل .

٢ – أحكام الدعوة إلى الله .

٣– الأصول الكبرى لدعوة الأنبياء والرسل.

٤ – مراحل الدعوة إلى الله اليومية .

٥ – حياة الداعي إلى الله اليومية

٦ – حياة الرسول، وجهد ﷺ الرسول

٧– عقوبة ترك الدعوة

٨– الفرق بين الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله

١ - أصول حياة الأنبياء والرسل .

حياة الأنبياء والرسل تقوم على أربعة أصولٍ عظيمة هي :

الأول : التضحية بكل شيء من أجل الدين الذي أرسلهم الله به .

وذلك بترك الأدنى من أجل الأعلى ، والخروج من مزاج النفس إلى مزاج الدين ، وتقديم الوحي على العقل ، وتقديم الهدى على الهوى .

ومن ضحى بشيءٍ من أجل الله وهبه الله له فورًا كما حصل لإبراهيم ﷺ ، وتلك حقيقة المجاهدة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

فإبراهيم ﷺ ضحى بنفسه من أجل الدين ، فوهب الله له الحياة : ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾[الأنبياء:٦٩] .

وضحى ﷺ بالبلد في العراق ، فوهب الله له أحسن بلد في مكة التي بنى فيها هو وإسماعيل البيت العتيق : ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ ﴾ [البقرة : ١٢٧ – ١٢٨] .

وضحى ﷺ بالولد ، فالله أحيا الولد وهو إسماعيل ، وأخرج من نسله أفضل ولد وهو محمدٌ ﷺ سيد الأولين والآخرين : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ [الصافات : ١٠٢] .

وضحى بأم الولد فجعلها الله أمًا للعرب ، وجعل خطواتها بين الصفا والمروة نُسكًا يُتعبد الناس به إلى يوم القيامة في الحج والعمرة .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[النحل : ١٢٠- ١٢٢] .

الثاني : الاستقامة على الدعوة إلى الله ، وعلى عبادة الله عز وجل .

فالدعوة أمر الله كالصلاة والزكاة وغيرها ، والذي يُريد الاستقامة لابد له من التوبة ، ولا يستقيم على جهد الدعوة إلى الله إلا من تيقن أن فلاح البشرية كلها بهذا العمل العظيم ، ويلزم بيئة الإيمان ؛ ليزيد إيمانه ، ويحُسن الظن بربه وبالناس ، ويصبر على الأذى والمشقة ، ويتحلى بمكارم الأخلاق :﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة : ٧١] .

وأعظم الأمراض التي تطرد الإنسان من العمل هي الغيبة ، والنميمة ، وإتباع الهوى ، والانتقاد ، وحب الدنيا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحجرات : ١١] .

الثالث من أصول دعوة الأنبياء والرسل :

السابقة في كل ميادين طاعة الله ورسوله حتى الممات، في الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، وعبادة الله، والإحسان إلى الخلق، والإنفاق، وكل فضيلة .

والصحابة قدم كل واحدٍ منهم ما يملك ، وما يستطيع ، إلى أخر يومًا في حياته ؛ ولهذا رضي الله عنهم وقربهم : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات : ١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة:١٠٠] .

الرابع : الدعاء والاستغاثة بالله وحده ؛ لأنه قاضي الحاجات كلها ، والقرآن كله يُبين دعوة الأنبياء ، ودعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر : ٩ – ١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الأنفال:٩-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل : ٣٦] .

فهذه هي أصول دعوة الأنبياء والرسل : التضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله ، والاستقامة على الدين ظاهراً وباطناً ، والسابقية في كل ميدان من ميادين طاعة الله ورسوله ، والدعاء والاستغاثة بالله وحده لا شريك له .

فمن قام بهذه الأمور حصل له كمال الإيمان والتقوى والفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

ومقصود الدعاء :

إحياء أمر الله بطلب الحوائج من الله وحده الذي بيده مقاليد الأمور ، أما الاستجابة فالله أمر بالدعاء ، ووعد بالإجابة ، فقال سبحانه : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[غافر : ٦٠] .

ومن نقص من هذه الأمور واحدًا حُرم من الثمرة بقدر النقص ، ومن سُنَّة الله أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بُعث عليه .

والذين قاموا على هذا العمل العظيم بإكمال هذه الأصول بإخلاص ماتوا على العمل في أحسن حال في الصلاة ، في الحج ، في زيارة الخلق ، في الشورى ، في التعليم ونحو ذلك مما أمر الله ﷻ ورسوله به : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء : ٦٩ – ٧٠] .

واعلم أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل أحد : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل : ١٢٥] .
وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .
وقال النبي ﷺ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » . أخرجه البخاري[1] .
فالدعوة إلى الله فرض عينٍ على كل أحد من الرجال والنساء .
وفي مكة لا توجد فريضة تُزاحم فريضة الدعوة بعد الإيمان، والنبي ﷺ في مكة بدأ مع الأمة بالأعلى، وهو تعلم جهد الدعوة إلى الله، ودعوة الناس إلى الله، ثم جاء تعلم أحكام الدين في المدينة صلاةً وزكاةً وغيرها من الأحكام.
والنزول من الأعلى إلى ما دونه أسهل من الصعود من الأسفل إلى الأعلى ؛ لهذا من فهم مقصد حياته ﷺ ، وهو الدعوة إلى الله ، فورًا يصعد إليه ، ثم يسهل عليه القيام بأعمال الدين .
والذي لم يفهم مقصد حياته ، وهو الدعوة إلى الله ، يصعب عليه القيام بأوامر الله ، ثم الصعود إلى الأعلى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾[الأحزاب : ٤٥ – ٤٧] .

واعلم أن تربية جميع الأنبياء بشيئين :

الأول : الدعوة إلى الله عز وجل .

الثاني : الهجرة من أجل إعلاء كلمة الله .

---
(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

لأن الهداية تأتي بعد الهجرة ، والله ربي هذه الأمة بالدعوة والهجرة ؛ لأن الدين ينتشر بالدعوة والهجرة في سبيل الله، كما قال سبحانه عن إبراهيم ﷺ : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

- **أصول حياة الأنبياء والرسل وأتباعهم :**

تقوم حياة الأنبياء والرسل وأتباعهم على أربعة أصول هي :

التضحية ، والاستقامة ، والسابقية ، والدعاء والاستغاثة بالله .

أولًا : التضحية بكل شيءٍ من أجل الدين هو أساس المجاهدة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وبالتضحية يأتي الإيمان المطلوب في الحياة ، والتضحية ترك الأدنى من أجل الأعلى ، وتقديم محبوبات الرب على محبوبات النفس ، وتقديم الهدى على الهوى ، فمن ذات الله تخرج الأوامر الشرعية ، ومن ذات النفس تخرج الشهوات الحيوانية ، والعبد بينهما ، وفلاح العبد أن يُقدم الأوامر الإلهية على الشهوات البشرية .

وخسرانه أن يتوجه إلى الشهوات ويقدمها على الأوامر الشرعية : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

والتضحية التي يأتي بها الإيمان هي التضحية بالمحبوب المخلوق للوصول إلى الخالق ، فالله واحدٌ أحد لا يقبل له شريكًا أبدًا ، ولتضحية المطلوبة شرعًا هي هل يترك العبد الأسباب أم يجمع الأسباب ؟ .

والجواب لا هذا ولا هذا ، بل التضحية بالأسباب والوسائل ، فبنو إسرائيل جمعوا الأسباب والوسائل ، وبسبب هذا الجمع جاءت فيهم الجرأة على أنبيائهم ، وأكل الأموال بالباطل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾[التوبة:٣٤] .

فمشكلة بني إسرائيل جمع الأسباب والوسائل ، ومنه الذهب والفضة الذين أخذوهما من مصر ، فالسامري أخذ منهم الذهب وصنع لهم منه عجلًا ، فقال : هذا إلهكم وإله موسى ، فضلوا وفتنوا بهذا السبب ، وجاءتهم تسع آيات في أربعين سنة في مصر يرون آيات الله ، فلم يتأثروا ولم يزد إيمانهم ؛ لأن مزاجهم جمع الأسباب والوسائل ، وسحرة فرعون رأوا آيةً واحدة من موسى وهي العصا فآمنوا فورًا وسجدوا لله ؛ لأنهم على الفطرة السليمة التي أوصلتهم إلى الخالق : ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الشعراء:٤٦-٤٨] .

وموسى ﷺ ذهب يشكر الله على نجاته وقومه من فرعون الذي كان يسومونهم سوء العذاب ، ووعدهم على أن يرجع إليهم بعد ثلاثين ليلة ، فصامها موسى ، وأكملها استعدادًا للقاء ربه واستقبال الوحي ، وبعد شهرٍ إستاك موسى ، وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، فتغيرت رائحة الفم ، فأمره الله أن يتم عشر ليالٍ ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةً

﴿وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةًۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[الأعراف:١٤٢] .

ثم جاء إليهم بالتوراة ، فلما بدأ موسى بصيام العشر عبد بنو إسرائيل العجل ، فخرج بنو إسرائيل بسبب ذلك من الإيمان إلى الكفر ، وفي الليلة التي أُنزل فيها القرآن أنزل الله فيها التوراة .

وخليفة موسى ﷺ في قومه أخوه هارون : ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةًۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[الأعراف:١٤٢] .

ولكن بني إسرائيل استهزئوا به كما قال هارون : ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾[الأعراف : ١٥٠] .

وخليفة محمد ﷺ من بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فالعرب استهزئوا به ، وقالوا : أنعطي الزكاة لابن أبي قحافة ؟ فبنو إسرائيل لما استهزئوا بهارون كتب الله عليهم الردة ، والعرب لما استهزئوا بخليفة رسول الله ﷺ كتب عليهم الردة ، وتلك وتلك سُنَّة الله في خلقه الاستهزاء بالمسئول يُعقبه عقوبةٌ من الله عز وجل .

ونحن ليس فينا من هو في مستوى هارون ﷺ ولا في مستوى أبي بكر رضي الله عنه ، لكن الذي يستهزئ بالداعي والمسئول تُكتب عليه المعصية لا الردة .

فجمع الأسباب والوسائل مزاج بني إسرائيل من اليهود ، ومزاج ترك الأسباب والوسائل مزاج النصارى باتخاذ الرهبانية ، وهذه الأمة ليس مزاجها الجمع ، وليس مزاجها الترك ، والله بعث رسوله محمداً ﷺ ليُعلم

الأمة النية الصحيحة ، والعمل الصحيح ، فالذين امتنعوا عن الأكل والجماع لهم نيةٌ صحيحة ، ولكن العمل خطأ ، ومزاج هذه الأمة التضحية بالأسباب والوسائل من أجل الدين : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾[الحج : ٧٨] .

وأكثر الناس لا يُفرق بين التضحية والأضحية ، فالأضحية جاءت من التضحية والتربية : ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[النحل: ١٢٣] .

فملة إبراهيم ﷺ التضحية ، هو ضحى بالحياة فوهب الله له الحياة ، هو ضحى بالبلد ، فالله عظم البلد مكة ، وهو ضحى بالولد ، الله عظم الولد وأحياه وجعله نبيًا وكان من نسله أفضل نبي ﷺ ، هو ضحى بأم الولد ، فعظم الله أم الولد فجعلها الله أماً للعرب ، وجعل خطواتها بين الصفا والمروة عبادةٌ مقدسة إلى يوم القيامة لكل حاجٍ ومعتمر .

فكل شيءٍ ضحى به إبراهيم لله وهبه الله له فورًا .

وفي جهد الدعوة إلى الله أي شيءٍ نُضحي به يهبه الله لنا فورًا .

هذه هي ملة إبراهيم ﷺ والتي سار عليها النبي ﷺ وأصحابه : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾[التوبة : ٨٨-٨٩] .

ومزاج هذا الدين هو التضحية بالأسباب والوسائل من أجل إعلاء كلمة الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات :١٥].

وهناك في الدنيا أمران :

أمر الوحي .. وأمر العقل .

فالذي يمشي في الدنيا ويجعل الوحي فوق العقل، يفوز في الدنيا والآخرة ، والذي يجعل عقله فوق الوحي يخسر الدنيا والآخرة .

فإبراهيم ﷺ عنده مجال ألا يُقذف في النار ، ولكن هو قدم الوحي على العقل ، ولم يتوجه للأسباب الموافقة ولا المخالفة ، فأنجاه الله من النار ، وجعلها بردًا وسلامًا عليه . ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩] .

لأنه توجه إلى الله بكليته ، فوجه الله النار مباشرةً بأن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم ، فأصبحت النار جندياً لإبراهيم من اقترب منها احترق ، وبنفسها كانت حِفاظةً لإبراهيم ﷺ ، ووهبها له تحرق من عاداه .

وأم موسى ﷺ قامت بالتضحية بابنها موسى ﷺ ، فأوحى الله إليها ، ورد ابنها عليها ، وجعله نبيًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص : ٧] .

ففي كل تضحية منفعةٌ تعود للداعي فورًا بحسب كمال التضحية ، وهذه سُنَّة الله مع جميع الأنبياء وأتباعهم .

والصحابة وصلوا إلى أعلى مستوى في التضحية ، وبعد فتح مكة قال الرسول ﷺ : « لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اُسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا » . متفق عليه[1].

---

(١)متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٨٣٤)، ومسلم برقم (١٣٥٣) .

فعاطفة الصحابة رضي الله عنهم النفر في سبيل الله في أي وقت ، وفي أي مكان ، من أجل إعلاء كلمة الله ، فكان بلال إذا نادى الصلاة جامعة حضر الصحابة بمزاج سمعنا وأطعنا ؛ لنصرة دين الله ، للخروج في سبيل الله ، لأي مدة ، مع أي جماعة ، ولأي مكان ، ليس عندهم مزاج النفس ، امتثالاً لأمر الله عز وجل : ﴿ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة : ٣٨ – ٣٩] .

ومزاج النفس يقول الإنسان : تخرج مع فلان لمكان كذا في وقت كذا ، وهذا المزاج لا تصلح به النفس ، بل تزداد فسادًا ؛ لأن هذه شهوات ، وجهد الدعوة خلاف الشهوات ؛ ولذلك أظهر الصحابة من الاستعداد الكامل بمزاج سمعنا وأطعنا : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وبنو إسرائيل قالوا : سمعنا وعصينا ، فمزاج الصحابة رضي الله عنهم التضحية بأن تخرج من مزاجك إلى مزاج الدين ، ومزاج الدين مراد الله عز وجل .

والتفاضل بهذا الجهد فقط بالإيمان والتقوى ، لا بالأموال والأسباب ؛ ولهذا قسم الله نعمه على عباده بالعدل من مالٍ وبركة وبنين وزوجة وجاه وعافية ، فمجموع كل واحد يساوي مجموع كل واحد ، فلا يوجد تفاضل في الدنيا ، فالله لا يعطي الإنسان شيئًا حتى يأخذ منه أشياء ، لتتساوى

القسمة بين الناس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات:١٣] .

وبسبب الطاعة والمعصية يكون الفرق ، فبلال أول من يدخل الجنة ، وأبو لهب: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾[المسد : ٣] .

فمزاج الدين التضحية مع الطاعة الصادرة من الشورى ؛ لأن في ذلك ترقية للداعي إلى الله ، وخروج من هوى النفس إلى ما يحبه الرب جل جلاله ، فالعمل سهل جدًا ، لكن إذا دخلت النفس صار صعب جدًا : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود:١١٢] .

الأصل الثاني : الاستقامة على الدعوة إلى الله ، وعلى عبادة الله عز وجل فالله أمرنا بذلك بقوله : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود : ١١٢] .

والذي يريد الدخول في الاستقامة لابد له من التوبة ، وسورة التوبة آخر إنذارًا من الله للبشرية وهي رحمةٌ من الله ؛ لأن التائب حبيب الرحمن : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[البقرة : ٢٢٢] .

والله طلب التوبة من الجميع ؛ لأن التوبة أول قدمٍ في طريق الاستقامة .

فالله طلب التوبة من الكافرين ، والظالمين ، والمشركين ، والمترددين ، والمنافقين ، والمؤمنين ، والنبي ﷺ وفي النهاية قال سبحانه : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[التوبة : ١١٧] .

فالله طلب التوبة من جميع الخلق : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور : ٣١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات:١١] .

فالمطلوب الاستقامة على جهد الدعوة ، ولا يستقيم على هذا الجهد إلا من في قلبه اليقين على هذا العمل العظيم ، بأن يعتقد جازمًا أن فلاحه وفلاح البشرية في كل زمانٍ ومكان هو بالاستقامة على هذا العمل العظيم ، بأن يدعو إلى الله في كل حال ، ويتكلم يوميًا في الإيمان ، فتزيد عنده العاطفة الإيمانية ، وتزداد استقامته ، ويتعبد لله بجوارحه ، ويُكون البيئة الإيمانية يوميًا ، ليحفظ إيمانه ، ومن لم يُكون البيئة الإيمانية لا يستقيم : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

إن الذي يمشي بالدعوة إلى الله بالسمع والطاعة، والصبر والشورى يستقيم، والذي يمشي بخلاف ذلك لا يستقيم، والذي يمشي في هذا العمل، ويتحمل أخطاء الآخرين يستقيم، والذي لا يتحمل لا يستقيم ، والذي يحُمِل أخطاءه على الآخرين لا يستقيم : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور : ٥١ – ٥٢] .

والذي يمشي في هذا العمل بسوء الظن لا يستقيم ، والذي يُفسر سوء الظن بحسن الظن يستقيم ، والشيطان يُفسد حياة المسلمين بسوء الظن حتى لا يجتمعوا على عملٍ ينفعهم وينفع غيرهم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ

كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال الله تعالى عن الشيطان : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء : ١١٩-٢٢١] .

والأمراض التي تُبعد عن هذا العمل العظيم ، وهو الدعوة إلى الله ، الغيبة ، واتباع الهوى ، وحب الدنيا ، والانتقاد .

فالغيبة أشد من الزنا ، وهي أنجس عمل ، فالذي يغتاب أخاه في المسجد كأنه يزني في بيت الله ؛ ولهذا حذر الله منها فإذا قلت في أخيك الذي فيه فقد اغتبته ، وإذا قلت فيه ما ليس فيه فقد بهته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات:١٢].

فالغيبة حالقةٌ للدين ، والشيطان يحلق الدين بسوء الظن الذي يولد الغيبة والنميمة ، والتقاطع والتدابر ، والتحسس والتجسس ، وللحفاظة لابد أن نحسن الظن ، فننظر إلى المحاسن لا إلى القبائح، وكلٌ فيه عيب والكمال لله والعصمة للأنبياء .

وقال النبي ﷺ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ ».أخرجه الحاكم والترمذي (١) .

---

(١) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم(٧٦١٧) ، والترمذي برقم (٢٤٩٩) .

فمزاج الداعي إلى الله قلب سوء الظن إلى حسن الظن ، وكل واحدٍ يعذر الآخر ، وكل سيئةٍ نقابلها بالحسنة : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت : ٣٤- ٣٥] .

ثم التحسس نجتنبه ، وسبب التحسس الظن السيئ ، فيكون التحسس لإثبات الظن السيئ ، والمتحسس ينظر دائمًا إلى المساوئ كالذباب لا يقع إلا على الجرح والقاذورات ، وإنما مثل المؤمن كالنحلة تأخذ طيباً ، وتُعطي طيبًا ، ومزاج الذباب يأخذ نجسًا ، ويعطي نجسًا ، وكثرة النظر إلى المساوئ تملأ القلب نجاسة وقذرًا وكرهًا ، والشيطان يغر الإنسان ، ليملأ قلبه بهذه النجاسات ، وعلاجه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت: ٣٦] .

وبعد التجسس يشتغل الإنسان فورًا بالغيبة ، فتذهب أعماله إلى الآخرين فأنت تتعب وتجتهد وغيرك يأكل ، أنت تعمل وغيرك يأخذ الأرباح ، فتأتي يوم القيامة صفر اليدين مفلسًا . « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ » . كما جاء عن النبي ﷺ أخرجه مسلم[1] .

ولا يحتقر الداعي إلى الله الناس ، فالذي يحتقر الناس فورًا يسقط من عين الله ؛ لأن المؤمن ولي الله ، والله مولاه .

وإذا كان ابن الإنسان عاصيًا فلا يرضى لأحدٍ أن يتكلم عليه ، والذين في هذا العمل الله جاء بهم والله مولاهم ، فلا نرضى لأحدٍ أن يتكلم بهم .

---

(١)أخرجه مسلم برقم(٥٩/ ٢٥٨١) .

فمن تحققت فيه الصفات الأربع التي يحبها الله حفظه الله ﷻ : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر : ١-٣] .

الرابح حقًا من قدم الوحي على العقل ، وقدم ما يحبه الله على ما تحبه النفس ، وقدم مزاج الدين على مزاج النفس ، فالذي يريد أن يمشي في هذا العمل العظيم باستمرار يحفظ نفسه من الغيبة والنميمة .

والانتقاد يُفسد العمل ، فليس الانتقاد من مزاج الدين ، وكلنا قبلنا الله في جهد الهداية نتعلم ، والمتعلم يخطئ ويصيب ، والصحابة تعلموا من النبي ﷺ ، وإذا أخطأوا صحح لهم النبي ﷺ ، فالذي ينتقد خطؤه كبيرٌ وعظيمٌ ، فحين وزع النبي ﷺ غنائم حُنين قال ذو الخويصرة : اعدل يا محمد ، هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله ، فقال ﷺ : « مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلُ الله وَرَسُولُهُ ؟ » .أخرجه البخاري [(١)] .

فطرده الله من الدين ، فأصبح رأس الخوارج ، وبسببه خرجت أعظم فتنة قُتل فيها كبار الصحابة ، فكل انتقاد يورث بعده فتنة .

ولا يتبع الداعي الهوى ؛ لأنه أكبر مفسدٌ للعمل .

وهناك أربعة أشياء من الهوى وهي :

اللون .. اللسان .. والجنس .. والتعصب .

وكل هذه من أدران الجاهلية ، يطرد صاحبها بسببها من العمل ، وبهذا العمل يُطرد الإنسان من هذا العمل العظيم : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء : ٣٨] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦١٦٣).

فكان كل الصحابة رضي الله عنهم سواسية ، الأبيض والأسود ، والعرب والعجم والغني والفقير ، ومزاج الدين واحد ، والناس كلهم سواسية ، وأكرمهم عند الله أتقاهم .

وكل واحدٍ منا عنده نسبة من النبي ﷺ يدعو الناس إليها ، والشيطان يدخل من تلك الأبواب الأربعة ؛ لأنها من الهوى ومن الجاهلية : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء : ٣٨] .

وأخطر شيء هو الهوى ؛ لأن الهوى أكبر إلهٍ يُعبد من دون الله ، وهذا الجهد حفاظةٌ من هذا الهوى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص : ٥٠] .

وأكبر خطر على هذا الجهد العظيم حب الدنيا ، ألا يجتمع في القلب حب الدنيا والتعلق بها ، وحب الدين ؟ وحب الدين طهارة ، وحب الدنيا والتعلق به نجاسة .

والحل أن نأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ونعطي للدين بقدر الطاقة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وقال الله تعالي : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص : ٧٧] .

وإلا فأنت تجمع وغيرك يأكل ، وأنت تُحاسب ، فتتعب في جمعه ، وتتعب في المحاسبة عليه ، فكلٌ يحب ماله ، من قدمه أمامه وجده مضاعفًا أمامه ، فالمال مال الله ، والله استخلفك عليه ؛ لينظر ماذا تعمل به ؟ : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[الحديد : ٧] .

والذي يقول : الجهد يمشي بمالي يُطرد من هذا العمل العظيم ، والذي يقول : هذا الجهد يمشي بسببي يُطرد ، فالذي يُسير ويُبارك في هذا العمل هو الله وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[يونس : ٢٢] .

والذي يمشي بالانكسار والتواضع يستقيم ، والذي يمشي بالعُجب والكبرياء لا يستقيم ؛ لهذا الشيطان يقول أحيانًا للإنسان : هذا الجهد عظيم، وأنت عظيم ، وهذا بداية السقوط ؛ لأن العظيم هو الله وحده فقط ، والله يُحب أن يُمدح ، ومدحه تعظيمٌ له ، ومدحك نفسك أو غيرك لك ذنب ؛ لأنك ناقص ، ومدحك لله طاعة ؛ لأن الله وحده المستحق للحمد كله لكماله وجماله وجلاله : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية : ٣٦ – ٣٧] .

فمقصود العمل الاستقامة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود : ١١٢] .

- **أصول حياة الأنبياء والرسل وأتباعهم :**

الأصل الأول : التضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله .

الأصل الثاني : الاستقامة على جهد الدعوة والعبادة .

الأصل الثالث : السابقية إلى كل عمل صالح ، وهذا مزاج الصحابة رضي الله عنهم ، فيُقدم كلٌ منهم ما يملك إلى أخر يومٍ في حياته ؛ لذلك الشيطان يقول لك : أنت قدمت ما شاء الله ، وليس بينك وبين الجنة إلا أن تموت فتدخلها .

فجميع الصحابة قاموا بالدين ، وجهد الدين ، إلى أخر يومٍ من حياتهم ؛ ولهذا رضي الله عنهم ، ورضوا عنه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠].

فكانوا يتسابقون في ميادين طاعة الله ورسوله ؛ فلهذا قدمهم الله ، وقربهم ، ورضي عنهم ، ورضوا عنه .

فمزاج هذا الجهد العظيم السابقية إلى كل فضيلة ، والدعاء ، والتوجه ، فالدعاء أكبر سبب لقضاء الحوائج ، وكل القرآن يُبين دعوة الأنبياء ، ودعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ لهذا يجب علينا أن نسابق ونسارع إلى الخيرات وإلى كل عملٍ صالح ، فالدين هو الأول ، والله هو الأول ، وأوامره هي الأولى: ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾** ﴾[آل عمران : ١٣٣-١٣٤] .

وقال الله تعالى عن الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وقال الله تعالي : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد :٢١] .

ومن عرف الله حقًا ، عبد الله حقًا ، ودعا إلى الله حقًا .

ولا يقوم بهذا العمل العظيم ، وهو جهد الدعوة إلى الله ، إلا من سلم من أربع آفات وهي :

التردد .. والتربص .. والتفرق .. والتثاقل .

فالتردد أن يقول المسلم هذا العمل سُنَّة وإلا بدعة ، هذا العمل يمشي أو لا يمشي ، لا ندري ، هذا هو التردد فالمتردد لا يمكن أن يُنجز عملًا : ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[التوبة : ٤٤ – ٤٥] .

فالدعوة إلى الله هي أم الأعمال التي جاءت بالناس من الشوارع إلى بيوت الله ، وهل يجوز للابن أن يعق الأم ؟

وإذا كان قول أُفٍ للوالدين من العقوق ، فكيف بالسب والشتم ؟ ! والشيطان يغر الإنسان ، ويجعله يسب الأم التي جاءت به من الشوارع ، ليعق الأم ، فيقول له : هذه الدعوة بدعة أو كفر ، هذه حبائل الشيطان التي يُخرج بها المسلم من هذا الجهد العظيم ، ويُلقي في نفسه التردد والشك ، والمتردد يُطرد ؛ لأن الله ليس بحاجةً إليه ، ولا إلى غيره ؛ ولهذا ندعو لكل

من ترك العمل بقولنا : اللهم من ترك هذا العمل ، فاجعله في حيرةٍ من أمره إلى أن يرجع إليه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فكل من ترك هذا العمل أشغله الشيطان ، وجعله جنديًا من جنوده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور : ٢١] .

أما التربص فيقول الشيطان للإنسان : أنت من العلماء الذين بذلوا أوقاتهم ، وأموالهم ، ونفوسهم في سبيل الله فارتاح قليلًا ، فيربص ، ويترك العمل تدريجيًا ، ولكن إذا انتشر الجهد والخير أظهر رأسه فيكون من الذين : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨٨] .

وأما التفرق فإن سبب الفرقة شيئان :

رؤية النفس .. وعدم رؤية الغير .

فإذا فصل المسئول خلاف رأيك ، وإذا كان رأيك خلاف رأي المسئول ، فتزكي رأيك ؛ لأنك تقول : إنك قديم ، وتحقر رأي المسئول ، هذان سبب الفرقة ، وعلاج هذا طاعة الشورى التي تجمع القلوب : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وقال الله تعالي : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وأكبر خطرٍ على الداعي الكلام بعد الشورى ، واختيار غير ما اختاروا ، وإذا وقع خلاف أمر الشورى ، فكأن المعترض يعترض على القدر ، بل نقول : قدر الله وما شاء فعل : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر : ٤٩] .

وكل الصحابة رضي الله عنهم كانوا يخافون من الرأي والمسئولية ، وكل الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ خافوا من الإمارة ، فأبو بكر رد الإمارة ، وظل ثلاثة أيام يرد الإمارة ، فقال علي : يا أبا بكر لا نُقيلك ولا نستقيلك .

وعبد الرحمن بن عوف زكاه عمر للخلافة ، وزكاه علي للخلافة ، فقال : والله لو أضرب بمخيط من رأسي ، ويخرج من قفاي ما قبلت الخلافة ، وهو من المبشرين بالجنة .

فأكبر خطأ في الشورى التعصب والإصرار على الرأي، فالذي يُصر على رأيه كأنه يقول: يوحى إلي ، والذي يُعطي الرأي ويُفصل على رأيه يُسأل أمام الله عن هذا الرأي، فالذين فصلت فيهم ، وأعطيت رأيك فيهم أعطوا أوقاتهم وأموالهم وأنفسهم لله، فأنت مسئول عن رأيك فيهم أمام الله ﷻ.

وأما التثاقل فهو من الآفات التي تُبعد عن العمل .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة : ٣٨-٣٩] .

وسبب التثاقل عن جهد الدعوة حب الدنيا ، وحب الدنيا أكبر سبب لترك جهد الدعوة إلى الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر : ٥ – ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون:٩-١١]

فهذه أمراضٌ تُبعد عن العمل ؛ التردد ، والتربص ، والتفرق ، والتثاقل .

فالداعي إلى الله يمشي على هذه الأصول ، ويهتم بتلك الأصول ، ويستمر في العمل ، ويمشي بهذا العمل ، ويستغفر دائمًا ؛ لأن العمل عظيمٌ وطويل وكبير: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾[الحجرات:١٥] .

- **وأصول حياة الأنبياء والرسل وأتباعهم أربعة :**

الأول : التضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله .

الثاني : الاستقامة على الدعوة والعبادة .

الثالث : السابقية إلى كل عملٍ صالح .

الرابع : الدعاء والاستغاثة .

فالدعاء هو أمر الله ، وهو أكبر سببٍ لقضاء الحوائج ، فالله حييٌ يستحي أن يرد عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا ؛ لهذا الأنبياء لما قاموا بجهد الدعوة ، لم يحوجهم الله إلى الناس ، فالذي يترك الجهد ، ويسأل الناس ، يحرم استجابة الدعاء ، وكل الصحابة دعاؤهم مستجاب ؛ لأن جهدهم صحيح ، لهذا نتيقن في هذا الجهد على الدعاء ، ونقضي حوائجنا بالدعاء ،

فالدعاء أكبر سبب لقضاء الحوائج ، وقد أمر الله به ، بقوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال الله تعالي: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦] .

والدعاء طلب الرحمة من الله، وإذا أتت الرحمة جاء كل خيرٍ فينا، ومقصود الدعاء إحياء أمر الله بطلب الحوائج من الله وحده، ليس الاستجابة ، فالإجابة قد فصل الله ﷻ أنه يستجيب لمن دعاه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر : ٦٠] .

والذي مقصده الإجابة يترك الدعاء إذا لم يُستجاب له ، يقول : دعوت فلم يُستجب لي فيدع الدعاء ، فالصلاة أمر الله ، والدعوة أمر الله ، والذكر أمر الله ، والدعاء أمر الله . ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾[غافر:٦٠] .

فلا نترك الدعاء أبدًا ؛ لأنه أمر الله فلا يُترك ، والداعي دعاؤه مستجاب : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة : ١٨٦] .

وأسماء الله وصفاته للاستفادة من ذاته ومن خزائنه ، فندعو الرحمن ليرحمنا ، وندعو الكريم ليُعطينا : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف :١٨٠] .

فكم من القوة في أسماء الله وصفاته ؛ للاستفادة منه مباشرة : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد : ١٩] .

فندعو الله ، ونستغفر الله لنا وللمؤمنين ، ونعفو عن بعضنا ؛ لتطهر قلوبنا مما يكره الله ؛ لأن الله لا يقبل الدعاء من القلب اللاهي عنه ، الغافل عنه ، لا يكون في قلوبنا أي ذرةٍ على أي مسلم ؛ لأن وقت الدعاء ينظر الله إلى القلب ، فإذا هذا القلب فيه الطلب والنقاء والصفاء والصدق واليقين والعفو والمحبة والرحمة للناس ، فالذي يُكرم الله يُكرمه ، والذي يعفو عن الناس الله يعفو عنه ، والذي يرحم الناس الله يرحمه ، ثم ندعو بعد ذلك بما ورد : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠ ﴾ [النساء:١١٠] .

وجميع الأنبياء والرسل دعوا الله فاستجاب لهم ، وذلك لكمال يقينهم على ربهم ، وحسن ظنهم به ، وتوكلهم عليه وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٧٧ ﴾[الأنبياء:٧٦-٧٧] .

وقال الله تعالي : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾[الأنبياء : ٨٣-٨٤] .

وقال الله تعالي:﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨] .

وقال الله تعالي : ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٨٩ -٩٠] .

والنبي ﷺ استغاث بربه فأجابه ونصره على أعدائه ، كما قال سبحانه : ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾ [الأنفال:٩] .

وقال الله تعالي : ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾ [آل عمران:١٢٣] .

فعلينا تعلم هذه الأصول ، والتيقن على هذه الأصول ، والتعبد لله بها في كل حال : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر : ١٧-١٨].

٢- أحكام الدعوة إلى الله

الدنيا كالجسد ، وروحها الدين ، وروح الدين الدعوة إلى الله ، وروح الدعوة إلى الله هي الشورى ، وروح الشورى هو التضحية بكل شيءٍ من أجل الدين ، وروح التضحية بذل المحبوب ، وترك المحبوب ، من أجل الدين ، وروح البذل والترك الهجرة والنصرة ، من أجل إعلاء كلمة الله ﷻ.

ولإحياء الدين كله في العالم كله لابد من الهجرة والنصرة ؛ لينتشر الدين في العالم كله ، فالمهاجرون رضي الله عنهم تركوا ، والأنصار رضي الله عنهم بذلوا ، فجاءت الثالثة وهي قيام الدين ، ورضوان الله عليهم ، والخلود في الجنة : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة:١٠٠] .

وحقيقة المجاهدة تكون بإتمام العمل ، والتضحية بكل شيءٍ من أجله بذلًا وتركًا ، والاستقامة عليه حتى الممات وأغلى شيء في خزائن الله هو الهداية ، والهداية لا يُعطيها الله إلا لخواص خلقه ممن طلبها وجاهد في سبيل تحصيلها ممن علم الله أنه أهلٌ لها وهم المؤمنون ، ولذلك أمرنا الله ﷻ أن نطلب منه سبحانه الهداية كل يوم سبعة عشر مرة في الصلوات الخمس ، كما قال سبحانه : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[الفاتحة: ٢ – ٧]

- **الواجب على كل مسلم ومسلمة : كل مسلم عليه واجبان :**

أحدهما : جهدٌ على نفسه بالاستقامة ، وحسن العبادة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج : ٧٧] .

الثاني : جهدٌ على غيره بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وبذل الجهد على النفس يكون بتعلم العلم الإلهي : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩] .

والجهد الثاني يكون بالعمل بما علم من أمور الدين .

ويكون ذلك بامتثال أوامر الله في خمسة أمور :

١- امتثال الأوامر .

٢- واجتناب المناهي .

٣- والشكر على النعم .

٤- والصبر على البلاء .

٥- الاستغفار من الذنوب .

- **أما الجهد لإعلاء كلمة الله على الغير فيكون بثلاثة أمور :**

الأول : جهدٌ على الكافر لعله يهتدي ، كما قال سبحانه : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة : ٣] .

الثاني : جهدٌ على العاصي ليكون مطيعًا ، وعلى الجاهل ليكون عالمًا ، وعلى الغافل ليكون ذاكرًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

الثالث : جهدٌ على الصالح ليكون مصلحًا ، وعلى الذاكر ليكون مذكرًا ، وعلى العالم ليكون معلمًا ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال الله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾[الغاشية:٢١]

وقال الله تعالى : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

- **أول الدعاة من هذه الأمة :**

الله ﷻ خص جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بأحسن الأخلاق ، ثم جمعها في سيد الأنبياء ﷺ ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء ، خير أمةٍ أُخرجت للناس في كل شيء ، في العبادة والدعوة والعلم والأخلاق وغيرها من الصفات التي يحبها الله ويرضاها : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح:٢٩] .

ولما علم الصحابة رضي الله عنهم وجوب الدعوة إلى الله ، وفضل الدعوة إلى الله ، تسابقوا رجالًا ونساءً في ميادين الدعوة والتعليم والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله ونشرها في العالم ، وانطلقوا يدعون إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفي قلوبهم الرحمة والشفقة على الناس وكلهم قاموا بذلك ، وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم حتى ماتوا ، وشواهد ذلك معلومةٌ في القرآن وكتب الحديث والسير: ﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة : ٨٨-٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٧٤] .

- **أبواب الهداية :**

يهدي الله ﷻ الإنسان إلى دينه الحق من أربع جهاتٍ هي :

الأولى : الهدى البياني .

بأن يهدي الله الإنسان إلى الحق عن طريق سماع القرآن ، أو سماع كلمة أو خطبة ، أو قراءة القرآن ، أو كتاب ، وهذا في حال والراحة ، وهذا هو الأصل ، فإذا سمعت الحق فعليك أن تستجيب له بعد العلم به : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

الثاني : التأديب التربوي .

فإذا لم يستجب الإنسان للدعوة البيانية فالله برحمته يخضعه بأسلوبٍ آخر اسمه التأديب التربوي بالمرض، أو بالفقر، أو الخوف أو الشدة أو المصائب ، ليتوب العبد إلى ربه بعد أن أصابته الشدائد والابتلاءات : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

الثالثة : الإكرام الاستدراجي .

فإذا لم يستجب العبد وقد جاءه الهدى ، ولم يتب وقد جاءه البلاء ، فإن الرحمن الرحيم يهديه بأسلوبٍ آخر ، هو الإكرام الاستدراجي بكثرة الأرباح ، وكثرة الأولاد ، وإقبال الدنيا عليه ، والعافية والقوة ، لعله يشكر من أنعم عليه : ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[المؤمنون : ٥٥-٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[النحل : ٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤]

الرابعة : القصم الرباني، فإذا لم يستجب الإنسان لله ﷻ وقد جاءه الهدى ، ولم يتب وقد جاءه البلاء ، ولم يشكر وقد جاءته النعمة ، فهذا أخر إنذارٍ له بعده القصم الرباني بعد قيام الحجة ، لعدم الاستجابة بعد الدعوة ، وعدم التوبة بعد البلاء ، وعدم الشكر بعد الإكرام كما قال سبحانه عمن كذب رسله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام:٤٤-٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[فصلت:١٧-١٨] .

فما أرحم الله بعباده : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة : ١٤٣] .

اللهم اهدنا واهد بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

• **أسباب الهداية :**

الناس دخلوا في الإسلام في عهد النبي ﷺ متأثرين بأسبابٍ كثيرة أهمها :

أولًا : الدعوة البيانية باللسان كما دعا النبي ﷺ أبا بكرٍ وخديجة وعليٍ وغيرهم ، فأسلموا رضي الله عنهم ، ثم قاموا فورًا بالدعوة إلى الله إتباعًا للنبي ﷺ .

ثانيًا : التعليم كما اهتدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه متأثرًا بالقرآن الذي سمعه وقرأه في منزل أخته فاطمة مع زوجها سعيد بن زيد ، وخباب بن الأرت رضي الله عنه وكانوا يتدارسون القرآن .

وكما أسلم أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما في حلقة التعليم التي أقامها مصعب بن عمير رضي الله عنه حين قدم المدينة .

ثالثًا : العبادة كما أسلمت هند بنت عتبة ، لما رأت المسلمين يصلون عام الفتح في المسجد الحرام ، وكما أسلم ثمامة بن آثال الحنفي رضي الله عنه في المسجد النبوي متأثرًا بالعبادة وغيرها من الأعمال التي كانت في مسجد النبي ﷺ .

رابعًا : الإنفاق والإكرام كما أعطى النبي ﷺ عام الفتح صفوان بن أميه ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وغيرهم أموالًا كثيرة فأسلموا ، وكما أعطى رجلًا غنمًا بين جبلين فأسلم ، وبإسلامه أسلم قومه .

خامسًا : حسن الأخلاق والإحسان والإيثار والمواساة والصدق وغيرها من الأخلاق الحسنة التي تجذب الناس لحب هذا الدين : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

سادسًا : النظر والتفكر في الآيات القرآنية والآيات الكونية :﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور:٣٥-٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق:٦ -٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

- **حكم الدعوة إلى الله :**

الدعوة إلى الله واجبةٌ على كل أحد بحسب علمه وقدرته ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥] .

والمسلمون قسمان :

الأول : عالمٌ يُبين الحق بنفسه ، ويدعو الناس إلى إتباعه ، كما قال مؤمن آل فرعون : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ

عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[غافر:٣٨-٤٠] .

الثاني : مسلم غير عالم ، فهذا يأمر الناس ويدعوهم إلى إتباع الرسل والعلماء الربانيين ، كما قال الله تعالى عن صاحب يس : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يس:٢٠-٢١] .

فالكل يقوم بالدعوة إلى الله ، ليعبد الله وحده لا شريك له ، ويُطاع في ملكه وحده لا شريك له ، فالعالم يُبين الحق بنفسه ، وغير العالم يُرشد الناس لإتباع العلماء الذين هم أعرف الخلق بالله ودينه وشرعه وتلك هي التجارة الرابحة بلا ريب ، وبهذا وهذا يظهر الحق في العالم ، ويزهق الباطل في العالم كما يريد الله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة:٣٣] .

فالدعوة إلى الله واجبة على كل الأمم ، وهي أعظم تجارة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[الصف : ١٠-١٤] .

والدعوة إلى الله هي وظيفة جميع هذه الأمة رجالًا ونساءً ، وهي أم الأعمال الصالحة كلها ، وهي أوجب الواجبات بعد التوحيد والعبادة ، فإذا قامت

الدعوة ولد المؤمنون ، والمصلون ، والصائمون ، والعابدون ، والمتقون ، والمحسنون وغيرهم ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وإذا تركنا الدعوة إلى الله خرج الناس من الدين أفواجًا وكثر الكفر والشرك والخبث ، وظهر الكافرون ، والفاسقون ، والظالمون ، والكاذبون ، والمفسدون ، وخرج الناس من الدنيا إلى النار : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤- ١٠٥] .

أما الفتاوى في مسائل الأحكام ، فمن علم حكمًا أفتى به ، ومن جهله دل المستفتي على العلماء الذين اختصهم الله بمزيدٍ من العلم والفقه والفهم والحفظ « وَالدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ » .أخرجه الترمذي[١] .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتدافعون الفُتيا فيما بينهم ، والمُفتون فيهم محدودون كالخلفاء الراشدين ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم ، فالفتوى ليست مباحة لكل أحد ، أما الدعوة إلى الله فكلٍ يدعو إلى الله بحسب ما عنده من علم وأقله آية ، كما قال النبي ﷺ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » . أخرجه البخاري[٢] .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٧٠).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

فالدعوة تُنتج المهتدين ، والتعليم يُنتج المُفتين والمدرسين ، لكنه لخواص الأمة ، وكلٍ منهما مطلوب شرعًا ، الدعوة من عموم المسلمين ، والإفتاء والتدريس من خواص المسلمين وهم العلماء : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة : ٧١] .

والدعوة إلى الله أيسر شيء ، فهي تذكيرٌ بمسائل الإيمان البينة ، وتوضيح الواضحات ، وذلك ببيان أسماء الله وصفاته ، وعظمته وكبريائه ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وبيان نعمه وإحسانه إلى خلقه ، وذلك أيسر شيء ، وكذلك بيان الوعد بالجنة والرضوان لمن آمن بالله وأطاعه ، وبيان الوعيد بالنار وسخط الرحمن لمن كفر بالله وعصاه : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الغاشية:٢١-٢٤]

أما المسائل الشرعية كمسائل الصلاة والحج ، ومسائل الطلاق والمواريث ونحو ذلك فهي الأحكام التي تحتاج من العلماء إلى بيانٍ وتفسير ، والعلماء والفقهاء هم أهل الفتوى بذلك ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل:٤٣-٤٤] .

والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واجب الأمة كلها كلٌ بحسب علمه وقدرته وبصيرته ، وقد قام بها أصحاب النبي ﷺ من

أول يوم قبل نزول أحكام الصلاة والزكاة والصيام وغيرها ، لأن الدعوة أعظم الواجبات بعد الإيمان .

وهذه الأمة مزاجها التضحيات والجهد لإعلاء كلمة الله ، ونشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها إلى قيام الساعة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

وعلى كل مسلمٍ ومسلمة واجبان عظيمان :

الواجب الأول : العمل بالدين بعبادة الله وحده لا شريك له وطاعة الله ورسوله وفعل ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، والاستقامة على ذلك : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[النساء:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنفال:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

الواجب الثاني : الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » . أخرجه البخاري[1] .

وَعَنْ أَبِي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قالَ : سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » . أخرجه مسلم[2] .

وكما أن الله عز وجل سوف يجزي من قام بالعبادة والدعوة خير الجزاء ، فكذلك سوف يحاسب من قصر أو ترك أحدهما أو كلاهما : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية : ٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[البقرة:٨٥] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: ٣٤٦١.

(٢)أخرجه مسلم برقم: ٧٨/ ٤٩.

• **حكمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر :**

للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حكمٌ كثيرة يجمعها ثلاث حكم :

الأولى : رجاء انتفاع المأمور بما يوعظ به، كما قال ﷻ : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات : ٥٥].

الثاني : الخروج من عهدة التقصير الذي يسبب العقوبة فى الدنيا والآخرة كما قال سبحانه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة:٧٨ : ٧٩].

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[الأعراف:١٦٤].

الثالثة : إقامة الحجة على الناس بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نيابةً عن رسل الله كما قال سبحانه : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[النساء:١٦٥].

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء:١٥].

• **فقه الاستفادة من الأوقات :**

حياة المسلم كلها لله ﷻ، فالله ﷻ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ووعدهم على ذلك الجنة :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾[التوبة:١١١].

فعلى المسلم أن يقضي وقته على الكيفية التي قضاها رسول الله ﷺ، فيؤدي فرائض الله ﷻ، ويمتثل أوامر ربه في كل حالٍ من أحواله كل يوم،

عند الوضوء ، وعند الصلاة وعند الأكل ، وعند النوم ، وفي سائر أحواله ، ويصرف جزءً يسيرًا من وقته في أمور الكسب والمعاش : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣] .

وجُلَّ وقته يدعو الناس إلى الله كي يعبدوه ويوحدوه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فإذا فرغ ، أو لم يتيسر له من يدعوه ، تزود من العلم ، أو عَلم غيره من المسلمين أحكام الدين : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

فإذا فرغ ، أو لم يتيسر له من يعلمه ، أو يتعلم منه اشتغل بخدمة إخوانه المسلمين ، وقضاء حاجاتهم ، والتعاون على البر والتقوى ، كما قال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢]

فإذا فرغ ، أو لم يتيسر له أن يقوم بذلك اشتغل بنوافل العبادات كالسنن المطلقة ، وتلاوة القرآن ، والأذكار ونحوها من القُرَب والأعمال الصالحة ، وهكذا يُقدم ما نفعه أعم للناس في كل حال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج : ٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:٧١] .

وقد وعد الله من قام بذلك بالفوز العظيم ، كما قال سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢] .

فحياة المسلم كلها لله ، يصدق أخباره ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، حتى يلقى ربه : ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣] .

- **فقه الخسران المبين :**

الخسران في الشرع هو غبن الإنسان في حظوظه من ربه ﷻ .

وهذا هو الخسران المبين .

فمن خسر ربه ، وخسر دينه ، وخسر وقته ، وخسر عمره ، وخسر الجنة ، وخسر رضوان ربه فلا أحد أشد خسارةً منه : ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾ [الزمر:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف:١٠٣- ١٠٦]

وكل إنسانٍ خاسرٌ في الدنيا والآخرة إلا من اتصف بأربع صفات هي :
الإيمان بالله .. والعمل الصالح .. والتواصي بالحق .. والتواصي بالصبر.
قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].
وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .
والإيمان والعمل الصالح جهدٌ على النفس ، والتواصي بالحق والصبر جهدٌ على الغير .
وقد أعطى الله ﷻ كل إنسان أعظم رأس مال في الدنيا ، وهو عمر الإنسان بأيامه ولياليه ، وأمره بالاتجار معه في رأس هذا المال ؛ ليسعد في دنياه وآخرته ، وقد ضمن له على هذا العمل العظيم أعظم الأرباح في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت :٣٠ – ٣٢] .
والناس في تحريك رأس هذا المال صنفان :
الأول : العاقل الذي يحرك رأس هذا المال في طاعة الله ﷻ ، فالعاقل يحرك رأس هذا المال وهو عمره ، ويتجر به مع الكريم الذي يعطيه على

الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعافًا كثيرة ، إلى أضعافًا مضعفة ، الى ما لا يعلمه إلا الله من الحسنات والدرجات العُلى في الجنة ، والفوز برضوان الله ﷻ ، أوقاته كلها ميدانٌ للتجارة مع ربه .

فهو تارةً في عبادة ، وتارةً في دعوة ، وتارة في تعليم ، وتارة في إصلاح وإحسان ، وتارةً في جهادٍ في سبيل الله ، وتارةً في حوائجه ، وتارةً في أعمال البر المختلفة .

قال الله تعالى عن هذه التجارة العظيمة الرابحة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾[الصف:١٠-١٣] .

الثاني : الأحمق ، وهو الذي يلعب برأس هذا المال بإنفاق أوقاته في مساخط الله ، وإتباع الهوى وشهوات النفس والشيطان .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠ ﴾[الأحقاف:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾[السجدة:١٨-٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾[الزمر:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد:١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر : ٥ – ٦] .

- **كيفية دعوة الناس إلى الله :**

الناس مختلفون ، وبحسب اختلافهم ، واختلاف مداركهم وعقولهم وأعمالهم تختلف أحكام دعوتهم إلى الله ﷻ .

والناس في ذلك خمسة أقسام :

الأول : من عنده جهلٌ بالإيمان ، وجهلٌ بالأحكام :

فهذا يُدعى إلى لا إله إلا الله ، ويُعرف بأسماء الله وصفاته ، ووعده ووعيده ، وآلائه ونعمه ، ويبين له عظمة الله وقدرته ، حتى يُكبر الله ويحبه ويعلم أن له الخلق والأمر ، فإذا استقر الإيمان في قلبه يُعرف بالأحكام تدريجيًا الصلاة ، ثم الزكاة وهكذا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا

﴿ وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧] .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ مُعَاذًا ﷺ قَالَ : « بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » . متفقٌ عليه(١) .

الثاني : من عنده نقصٌ في الإيمان ، وجهلٌ بالأحكام :

فهذا نصبر على أذاه ، وندعوه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونعلِّمه بالرفق التام واللين ، والإرشاد بلطف ، كما فعل النبي ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وعن أنس ﷺ قال : « بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ : مَهْ مَهْ . قال : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : لا تُزْرِمُوهُ ، دَعُوهُ . فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٩٥)، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٩)، واللفظ له.

القَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله ﷻ، وَالصَّلاةِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ. أَوْ كَمَا قال رَسُولُ الله ﷺ، قال: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ القَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ». متفقٌ عليه[1].

فسُر الأعرابي برحمة الرسول ﷺ له ، ورفقه به ، وزاد إيمانه ، واستحى من فعله .

الثالث : من عنده نقصٌ في الإيمان ، وعلمٌ بالأحكام :

فهذا يدعى بالحكمة والموعظة الحسنة ، ببيان الموافق للعقل والفطرة ، ويُدعى له ؛ ليزيد إيمانه فيطيع ربه ، ويتوب من معصيته .

عَنْ أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ : « إنَّ فتىً شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، ائْذَنْ لي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ القَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ ، قَالُوا : مَهْ مَهْ ، فَقَالَ : ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، قَالَ : فَجَلَسَ ، قَالَ : أَتحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ ، قَالَ : لَا وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَالله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلا النَّاسُ يحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلا النَّاسُ يحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلا النَّاسُ يحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لخِالَتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يحِبُّونَهُ لخِالَاتِهِمْ ، قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ . قال : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ » . أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[2] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٢٨٥).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٢١١) .

الرابع : من عنده قوة في الإيمان ، وجهلٌ بالأحكام :

فهذا يدعى مباشرة ببيان الحكم الشرعي ، وبيان خطر اقتراف المعاصي وشدة عقوبتها ، وإزالة المنكر الذي وقع فيه فورًا ؛ لأنه عنده إيمانٌ يستقبل به الأحكام التي يجهلها عن رضا .

عن ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما « أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأى خَاتمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ : يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إلَى جَمْرَةٍ مِن نارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَمَا ذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ : خُذْ خَاتمَكَ انْتَفِعْ بِهِ ، قَالَ : لا ، وَالله لا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ الله ﷺ» . أخرجه مسلم[1] .

الخامس : من عنده قوةٌ في الإيمان ، وعلمٌ بالأحكام :

فهذا ليس له عذر ، يُنْكَر عليه بقوة ، ويُعَامل معاملة أشد مما سبق ؛ لئلا يكون قدوة لغيره في المعصية ، كما اعتزل النبي ﷺ الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك خمسين ليلة ، وأمر الناس بهجرهم ، لما تركوا الخروج لغزوة تبوك مع كمال إيمانهم وعلمهم ، ولا عذر لهم ، حتى تاب الله عليهم ، وهم هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب ابن مالك رضي الله عنهم ، والقصة مفصلة في الصحيحين .

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[التوبة:١١٨] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٢/ ٢٠٩٠).

- **أحوال الداعي إلى الله ﷻ :**

من يقوم بالدعوة إلى الله ﷻ فالله برحمته يُربيه بالسراء والضراء ، ويبتليه بالقبول أو الرد ، وسيجد من الناس من يؤيده وينصره ويُرحب به ، وسيجد من الناس من يطرده ويسخر به ، ثم تكون العاقبة له .

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾[الزخرف:٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾[الفرقان:٧] .

فالداعي إلى الله تأتي عليه حالتان :

الأولى : حالة إقبال الناس عليه وفرحهم به كما حصل للنبي ﷺ في المدينة حيث استقبله الأنصار أعظم استقبال ، وقالوا : هاهنا المنزل يا رسول الله .

والثانية : حالة إدبارهم عنه كما حصل للنبي ﷺ في الطائف ؛ لأن الله يُربيه أحيانًا ، ويُربي به أحيانًا .

وحالة الإقبال على الداعي أشد وأخطر ، فقد يدخله الغرور ، وقد يُعجب بنفسه ، وقد تُعرض عليه المناصب فإذا قَبِل هلك ، إلا من رحم الله وحماه ، وهي محاولات الشيطان لسرقة الداعي من الدين ، وشغله بالدنيا والأشياء والمناصب عن الدين وأعمال الدين .

أما حالة الإدبار والإعراض عنه فهي أشد وأقوى بالنسبة له ، إذ فيها يزداد توجه الداعي إلى الله ، والإقبال عليه ، والتعلق به ، والاستغاثة به ، فتأتي بسبب ذلك نُصرة الله كما حصل للنبي ﷺ من أهل الطائف لما طردوه وآذوه دعا الله فأيده الله بجبريل ومَلَك الجبال ، ثم يسر له دخول مكة ، ثم أكرمه

الله بالإسراء والمعراج ، ثم الهجرة إلى المدينة ، ثم ظهور الإسلام ، ودخول الناس في دين الله أفواجًا .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:١] .

- **التدرج في الدعوة إلى الله :**

الداعي إلى الله يَعرض الإسلام على الكفار ، فإذا امتنع الكافر الأصلي من الدخول في الإسلام إلا بشرط ترك الصلاة أو الزكاة أو نحوهما ، فهذا نقبل منه إسلامه ؛ لأن مصلحة أن يُسلم مع النقص الذي يرجى تكميله ، أولى من بقائه على الكفر المحض .

وكان ﷺ يقبل من كل من جاء يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط ، ويعصم دمه بذلك ، فإذا ذاق حلاوة الإيمان ، طابت نفسه بفعل كل ما أمر الله ورسوله به ، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه .

فنؤلف قلب الكافر الأصلي على الإسلام ، ونقنع بما رضي به ؛ لأنه لم يفهم الإسلام حقيقة ، ولهذا يثقل عليه بعض أحكامه التي يجهل حكمتها ومنفعتها .

فإذا دخل في الإسلام ، وخالط المسلمين ، وتعلم الدين ، قوي إيمانه ، وذاق حلاوة الإيمان ، وصار أشد حبًا وتمسكًا به من بعض المسلمين كما

هو مشاهدٌ ومعلومٌ في الماضي والحاضر:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل : ١٢٥] .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ مُعَاذًا رضي الله عنه قَالَ : « بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » . متفقٌ عليه[١] .

وعن نصر بن عاصم الليثي عن رجل منهم : « فَأَسْلَمَ عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاتَيْنِ فَقَبِلَ مِنْهُ » .أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[٢] .

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : « سَأَلْتُ جَابِرًا – رضي الله عنه – عَنْ شَأْنِ ثَقِيفٍ إِذْ بَايَعَتْ ، فَقَالَ : اشْتَرَطَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا صَدَقَةَ عَلَيْهَا وَلَا جِهَادَ وَأَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ : " سَيَتَصَدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا » .أخرجه أبو داود بسندٍ صحيح[٣] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٩٥)، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٩)، واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٣٠٧٩).

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٠٢٥).

والداعي إلى الله ﷻ يجمع بين الدعاء والدعوة :

النبي ﷺ تارةً يدعو على المشركين ، وتارةً يدعو لهم بالهداية .

فالأول : عند اشتداد شوكتهم ، وشدة أذاهم ، وصدهم عن سبيل الله ، كما دعا عليهم في غزوة الخندق حين شغلوا المسلمين عن الصلاة .

عن علي ﷺ قال: لمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا ، شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ » . متفقٌ عليه[1] .

والثاني : عند رجاء إسلامهم ، وتأليف قلوبهم لدين الله ﷻ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « قَدِمَ الطُّفَيْلُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ الله عَلَيْهَا فَقِيلَ : هَلَكَتْ دَوْسٌ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً وَائْتِ بِهِمْ » . متفقٌ عليه[2] .

فيدعو الناس إلى الله ﷻ ؛ لأننا مأمورون بذلك ، وندعو لهم بالهداية ؛ لأن مقاليد الأمور ومفاتيح كل شيء بيد واحد وهو الله ﷻ .

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر : ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩٣١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠٥/ ٦٢٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٧/ ٢٥٢٤).

• **أصناف القائمين بالدعوة :**

القائمون بالدعوة إلى الله الآن أصناف :

الأول : منهم من تأثر بأخلاق الدعاة إلى الله ﷻ ، فهو يقوم بالدعوة إلى الله ، وإذا حصل له مشكلةٌ مع أحد الدعاة ترك الدعوة إلى الله ، وعادى الدعاة إلى الله ، فهذا صرفه الله ؛ لنقص مقصده .

الثاني : من يقوم بالدعوة ، لأنه وجد فيها حل مشاكله ، وتحقيق رغباته ، ولما حسنت أحواله ، وزادت دنياه انشغل بها عن الدعوة إلى الله ، فهذا صرفه الله ؛ لأنه دخل في الدعوة بمقصدٍ ناقص .

الثالث : من يقوم بالدعوة إلى الله ؛ لأن فيها حسنات وأجور ، فهو يريد تحصيل الأجور ، فمقصده لنفسه ، لا يبالي بغيره ، فهذا إذا وجد الحسنات في غير الدعوة أكثر وأسهل ترك الدعوة إلى الله .

الرابع : من يقوم بالدعوة ، لأنها أَمْر الله ﷻ ، فهو يقوم بالعبادة لأنها أَمر الله ، ويقوم بالدعوة لأنها أَمر الله : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

فهذا مقصده كامل ، وبسبب ذلك ثَبته الله ، وأعانه ، وفرغه لتنفيذ أوامر الله ، والدعوة إلى الله ، فهذا بأشرف المنازل ، وأعلى الدرجات في الدنيا والآخرة :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة : ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

٣- الأصول الكبرى لدعوة الأنبياء والرسل

- **بعث الله الأنبياء والرسل بثلاثة أشياء :**

١- بالدعوة إلى الله عز وجل .

٢- وتعريف الطريق الموصل إليه .

٣- وبيان حال الناس بعد القدوم عليه .

فالأول : بيان التوحيد والإيمان .

والثاني : بيان الأحكام والشرائع .

والثالث : بيان اليوم الآخر ، وما فيه من الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار .

فالدعوة إلى الله تكون بتعريف الناس بالله ، وأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، وبيان عظمة الله وقدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة إنعامه وإحسانه إلى خلقه ، وأنه وحده الخالق المالك المدبر للكون كله ، وما سواه مخلوق ليس بيده شيء ، وأنه سبحانه المستحق للعبادة وحده دون سواه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

فهذه أول المراتب وأحسنها وأعلاها ، وهي أصل الدعوة وأساسها وأكملها، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت : ٣٣].

ثم يليها الدعوة لبيان اليوم الآخر بالوعظ والترغيب والترهيب ببيان أوصاف الجنة ، وأهوال النار ، والوعد والوعيد ، وغير ذلك مما يجري في عرصات القيامة من الحشر والحساب .

ثم الدعوة إلى أحكام الدين وشرائعه ببيان الفضائل والمسائل ، والحلال والحرام ، والواجبات والحقوق ، والآداب والسُنن ، والفرائض والنوافل .

ففي مكة كانت الدعوة إلى الله وإلى اليوم الآخر ، وبيان أحوال الرسل مع أممهم ، وفي المدينة أكمل الله الدين بالأحكام فتقبلها من آمن بالله واليوم الآخر ، وشَرِق بها الكافر والمنافق ، وأعز الله أهل الإيمان ، وخذل الكفار ، ثم دخل الناس في دين الله أفواجًا بعد فتح مكة ، كما قال سبحانه : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر:١-٣] .

- **القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ :**

القدوة في الدعوة إلى الله هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، الذين اصطفاهم الله ، واختارهم ورباهم ، وأرسلهم إلى خلقه : ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾[الأحزاب : ٣٩] .

وقد أمر الله ﷻ رسوله محمداً ، ﷺ بالاقتداء بهدي من سبقه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على وجه العموم ، كما قال سبحانه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾[الأنعام:٩٠] .

وأمره باتباع ملة إبراهيم ﷺ على وجه الخصوص فقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣] .

وملة إبراهيم ﷺ هي التضحية بكل شيء من أجل الدين ، التضحية بالنفس ، والمال ، والوقت ، والبلد ، والأهل ، والزوجة ، والولد .

وقد أمرنا الله سبحانه باتباع الرسول ﷺ والاقتداء به في جميع أحواله ، إلا ما خصه الله به ، فهو قدوة لكل مسلم في نيته ، وفكره ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨] .

- **سيرة الأنبياء في الدعوة إلى الله :**

أعمال الأنبياء ، وأخلاق الأنبياء ، تؤخذ من سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قطعوا المسافات في سبيل الدعوة إلى الله ، واغبرت أقدامهم في سبيل الله، وبذلوا أموالهم وأنفسهم وأوقاتهم من أجل إعلاء كلمة الله ، وعرق جبينهم ، وتشققت أقدامهم ، من أجل نصر دين الله : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة : ٨٨ - ٨٩] .

وفي سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمة الله ابتُلي الأنبياء، وأوذوا، وهاجروا، وأُخرجوا، وقاتلوا، وقُتلوا، وجرحوا، وجاعوا، وزُلزلوا، وطُردوا، وشُتموا ، وعُيروا، واتُّهموا، وضُربوا، فَرَحِمُوا، وصبروا، حتى نصرهم الله ، وأنقذ بهم الخلق من الكفر والنار: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام : ٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف:١١٠-١١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

- **أحوال الناس بعد الدعوة :**

الناس بعد دعوة الأنبياء والرسل لهم إما أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا :

فمن آمن امتحنه الله تعالى ، وابتلاه بالسراء والضراء ، وقد يعاديه الناس ، ويؤذونه ؛ ليتبين الصادق من الكاذب ، والمؤمن من المنافق .

ومن لم يؤمن بهم عوقب بما يؤلمه بما هو أعظم وأدوم ، فلا بد من حصول الألم لكل نفس ، سواءً آمنت أم كفرت ، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا في البداية ، ثم تكون له العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة ، والكافر تحصل له النعمة الموهومة ابتداءً ، ثم يصير في الألم المؤبد في الدنيا

والآخرة : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾[آل عمران:١٩٦-١٩٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة:٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

- **أعمال الأنبياء والرسل وأتباعهم :**

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أكمل الناس إيمانًا ويقينًا ، وأحسنهم أخلاقًا وآدابًا ، وأفضلهم أقوالًا وأعمالًا ، وأكملهم عبادة ودعوة .

وقد أعطى الله جميع الأنبياء والرسل شيئين هما :

الإيمان .. والأعمال الصالحة .

وأمرهم بإبلاغ ذلك للناس ، وأمر هذه الأمة بما أمر به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بقوله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

﴿تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٤- ١٠٥].

وللقيام بذلك كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم يسيرون في الأرض بالأخلاق الحسنة ، ويحملون للناس التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة ، ويدعونهم إليها ، وكان أحب شيء لديهم الإيمان بالله والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، وكانت أشواقهم إلى رؤية ربهم ، وإلى رضوان الله ، إلى نعيم الجنة ، إلى قصور الجنة ، وقد صدقوا وجاهدوا ، وبلغوا ، وصبروا ، فرضي الله عنهم ، ورضوا عنه : ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

جعلنا الله وإياكم منهم ، وممن يقتدي بهم في توحيدهم وإيمانهم وأخلاقهم ودعوتهم .

من الأصول الكبرى لدعوة الأنبياء والرسل

بين الله في القرآن الكريم أصول دعوة الأنبياء والرسل ، وفصلها لهذه الأمة ؛ لأن الله ﷻ أعطاها وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهي : عبادة الله عز وجل .. الدعوة إلى الله عز وجل .

- **ومن هذه الأصول الدعوة إلى التوحيد ، والإيمان بالله ، وعبادته وحده لا شريك له :**

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبياء:٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

- **ومن هذه الأصول إبلاغ دين الله إلى الناس والنصح لهم :**

قال الله تعالى عن الرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب:٣٩-٤٠] .

وقال الله تعالى عن نوح ﷺ : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[الأعراف: ٦٢] .

وقال الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة:٦٧] .

- **دعوة الناس وغشيانهم في البيوت والأسواق ، والقرى والأمصار :**

قال الله تعالى لموسى ﷺ : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٢-٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ﴾[يس : ٢٠-٢٢] .

وكان رسول الله ﷺ يزور الناس ، ويَتبعهم في منازلهم ، يدعوهم إلى الله ، ويعرض نفسه على القبائل ، وكان يقول للناس : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا الله تُفْلِحُوا » . أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[1] .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه« أن النبي ﷺ عاد سعد بن عبادة رضي الله عنه –وفيه– حتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ ، وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الله ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ » . متفقٌ عليه[2] .

- **ومنها دوام الثناء على الله وذكره واستغفاره في جميع الأحوال :**

قال الله تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ﴾[النحل : ١٢٠ – ١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ ﴾[إبراهيم : ٣٩-٤٠]

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٥٦٨٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٦/ ١٧٩٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ » . أخرجه مسلم[1].

وعن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله فِي اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ » . أخرجه مسلم[2] .

- **ومنها الكتابة إلى ملوك الكفار بالدعوة إلى الله :**

عن أنس رضي الله عنه:« أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى ، وَإِلَى قَيْصَرَ ، وَإِلَى النَّجَاشِي ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله تَعَالَى » . أخرجه مسلم[3] .

- **ومنها الدعاء للمشركين بالهداية :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل:١٢٥] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : « قَدِمَ الطُّفَيْلُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ الله عَلَيْهَا فَقِيلَ : هَلَكَتْ دَوْسٌ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً وَائْتِ بِهِمْ » . متفقٌ عليه[4] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : « كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ وَهْيَ مُشْرِكَةٌ . فَدَعَوْتُها يَوْماً فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ الله ﷺ مَا أَكْرَهُ –وفيه– قلت يا ر سول

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١١٧/ ٣٧٣).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٤١/ ٢٧٠٢).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٧٥/)١٧٧٤.

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٢٩٣٧، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٩٧/ ٢٥٢٤.

الله : فَادْعُ اللهَّ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ » . أخرجه مسلم(1) .

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَال : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ ، وَهْوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ » . متفقٌ عليه(2) .

- **ومن تلك الأصول إظهار العزة والجَلَد أمام الكفار المعاندين :**

قال الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود:٥٣-٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾[الممتحنة:٤] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٥٨/ ٢٤٩١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٥/ ١٧٩٢).

وقال الله تعالى عن السحرة لما آمنوا بالله: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه:٧٢-٧٣] .

- **ومنها الغلظة والشدة على الكفار والمنافقين المعاندين :**

قال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة:٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[التوبة:١٢٣].

- **مدارة الكفار عند الخوف والخطر :**

قال الله تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[آل عمران:٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[النحل:١٠٦] .

- **الدعوة إلى الله، وإلى الطريق الموصلة إليه، وما للمدعوين بعد القدوم عليه :**

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾[الشورى:٧] .

- **ومنها دعوة الناس بلغتهم، وإرسال الرسل منهم :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾

[إبراهيم:٤]

وقال الله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران:١٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾[الرعد:٧] .

- **التوازن بين العبادة والدعوة :**

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[المزمل: ١-٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾[المدثر:١-٦].

- **ذكر أحوال الأمم مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :**

قال الله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[هود:١٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف:١١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[الأعراف:١٧٦] .

- **الاستمرار بالدعوة إلى الله ، وعدم الالتفات إلى المعارضين :**

قال الله تعالى : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الحجر:٩٤-٩٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾[القلم: ٤٤-٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[القصص:٨٦-٨٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الفرقان:٥١-٥٢] .

- **عدم الحزن والأسف على من لم يقبل الدين :**

قال الله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ ﴾[الكهف:٦-٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣ ﴾[الأنعام:٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ ﴾ [فاطر:٨].

- **البشارة والنذارة :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٤٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٤٩ ﴾[الأنعام:٤٨-٤٩] .

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قال : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ ، قال : بَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا ». متفق عليه [1] .

---

(١)متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٩) ، ومسلم برقم (٦/ ١٧٣٢) .

• **ومن تلك الأصول الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأعراف:١٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

• **ربط قلوب المؤمنين بربهم ووعدهم بالجنة على ما عملوا :**

قال الله تعالى عن يعقوب ﷺ : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

[يوسف:٨٦-٨٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يَا غُلامُ إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ، احْفَظِ الله يحْفَظْكَ ، احْفَظِ الله تجِدْهُ تجَاهَكَ ، إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله ، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعْتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لمَ يَنْفَعُوكَ إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح(١) .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٥١٦)، وأخرجه أحمد برقم: (٢٨٠٤).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لحْيَيْهِ ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ » . أخرجه البخاري[1] .

- **حسن الكلام مع الناس :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ [فصلت : ٣٣ – ٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) ﴾[الإسراء:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) ﴾[طه:٤٣-٤٤] .

- **عدم سؤال الأجر على الدعوة :**

قال الله تعالى عن محمد ﷺ : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) ﴾[سبأ:٤٧] .

وقال الله تعالى عن كثيرٍ من الأنبياء والرسل ، وعن نوح ﷺ : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَٱتَّقُوا۟

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٦٤٧٤) .

ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الشعراء:١٠٥-١٠٩] .

- **رحمة الخلق بالقول والفعل :**

قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وقال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ : « إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً » . أخرجه مسلم[1] .

- **ومن تلك الأصول الرأفة والشفقة :**

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

- **اللين والعفو والصفح :**

قال الله تعالى لمحمدٍ ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر:٨٥-٨٦] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٦٤٧٤).

وقال الله تعالى لمحمدٍ ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩-٢٠٠] .

وقال الله تعالى لمحمدٍ ﷺ :﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الزخرف:٨٩] .

وقال الله تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[طه:٤٣-٤٤] .

- **الصدق :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزمر:٣٣-٣٥] .

وقال الله تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم:٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم : ٥٤] .

- **الصبر :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام:٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم:٦٠]

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾ [المعارج:٥ -٧] .

• **الإخلاص :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾[الزمر :٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

• **الجود والخدمة والتواضع :**

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الذاريات:٢٤-٢٧] .

وقال الله تعالى عن موسى ﷺ وقصته مع المرأتين : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[القصص:٢٣-٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[الشعراء:٢١٥-٢١٦] .

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « لا تُطْرُوني كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ». أخرجه البخاري[1].

- **الإعراض عن زينة الحياة الدنيا :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨]

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه : ١٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الحجر:٨٨-٨٩] .

- **ومن تلك الأصول الترغيب في الطاعات ، والترهيب من المعاصي :**

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[آل عمران:٣٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٤٥).

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

- **المسارعة إلى فعل الخيرات :**

قال الله تعالى عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

- **المجاهدة بالمال والنفس لإعلاء كلمة الله :**

قال الله تعالى : ﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾[التوبة:٨٨-٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الفرقان:٥١-٥٢] .

- **الجهاد في سبيل الله :**

قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[آل عمران:١٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة:٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[التوبة:٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ ﴾[النساء:٧٤] .

- **تعلم العلم وتعليمه :**

قال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد:١٩] .

وقال الله تعالى في قصة موسى ﷺ مع الخضر : ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ ﴾[الكهف:٦٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

• **ومن تلك الأصول تطهير النفس ، وتقوية الروح والبدن ، بدوام العبادة ، وكثرة ذكر الله :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر:٩٧-٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة : ١٥-١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وعن أبي هريرة ﵁ « أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا ، وَشَكَتِ العَمَلَ فَقَالَ : مَا أَلْفَيْتِيهِ عِنْدَنَا قال : أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ ، وَتحْمَدِينَ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبعاً وَثَلاثِينَ حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ » . متفقٌ عليه(١) .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨١/ ٢٧٢٨).

• **القيام بالدعوة في جميع الأوقات والأحوال :**

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى عن نوح ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[نوح:٥-١٤].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ ، إلاَّ أَنْ تَروا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيْهِ بُرْهَانٌ » . متفقٌ عليه[1] .

• **ومن تلك الأصول الشورى :**

قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٧٠٥٦ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٤٢/ ١٧٠٩.

هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الشورى:٣٦-٣٨] .

- **قوة اليقين على الله ، والتوكل عليه وحده :**

قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[التوبة:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الشعراء:٦١ – ٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال : ٢ – ٤] .

وقال الله تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾[الممتحنة : ٤] .

- **الدعاء والفزع إلى الصلاة في جميع الأحوال :**

قال الله تعالى :﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾[القمر : ٩-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنفال : ٩-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات : ٥٠-٥١] .

وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا لَا نَفْهَمُهُ ، وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَطِنْتُمْ لِي ، قَالَ قَائِلٌ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَ : مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ أَوْ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ شَكَّ سُلَيْمَانُ ، قَالَ : فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ الْجُوعَ أَوْ الْمَوْتَ قَالَ : فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالُوا : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ ، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ ، فَخِرْ لَنَا ، قَالَ : فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ ، قَالَ : وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ » . أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[1] .

---

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم: (١٨٩٣٧) .

- **ومن تلك الأصول تقديم الشكوى والسؤال إلى الله في جميع الأحوال :**

قال الله تعالى عن يعقوب ﷺ : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف : ٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[الأنبياء:٨٣-٨٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ -٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[يونس : ٨٨-٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء:٨٧-٨٨] .

ومن أصول دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

- لزوم البيئة الصالحة ، وهجر بيئة السوء:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة : ١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨]

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[القصص:٢٠-٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

- ومنهاالاعتماد على الله وحده ، ونفي النفس ، مع فعل الأسباب المشروعة .

قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[الأعراف : ١٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ﴾[الأنفال : ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال:٦٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ ، أَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَغَلَبَ الاحْزَابَ وَحْدَهُ فَلا شَيْءَ بَعْدَهُ » . متفق عليه(١) .

- ومنها امتثال أوامر الله ﷻ وإن كانت على خلاف العقل .

كما صنع نوح ﷺ السفينة على اليابسة ، وكما ترك إبراهيم ﷺ زوجته وولده بواد غير ذي زرع، وكما أمر الله موسى ﷺ بأخذ الحية، وضَرْب البحر والحجر ، امتثالًا لأمر الله ﷻ : ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ۝٣٧ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ۝٣٨ ﴾[هود:٣٧-٣٨] .

وقال الله تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ۝٣٧ ﴾[إبراهيم:٣٧] .

وقال الله تعالى عن موسى ﷺ : ﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ۝٢١ ﴾[طه : ١٧-٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣ ﴾[الشعراء : ٦١-٦٣] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤١١٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٧/ ٢٧٢٤).

• **ومنها تحمل الأذى والطرد في سبيل الله ﷻ .**

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[البقرة:٢١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[إبراهيم:١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال:٣٠] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنهَا قالتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : «هَلْ أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قال : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أسْتَفِقْ إِلا وَأنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لَقَدْ أُخِفْتُ فِي الله وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله وَمَا يُؤْذى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثلاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبلالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذو كَبِدٍ إِلاَّ شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بلالٍ » . أخرجه الترمذي وابن ماجه بسند صحيح[2] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٣١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١١/ ١٧٩٥).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤٧٢) ، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٥١).

• **ومن تلك الأصول : الصبر على الاتهام والتعيير والاستهزاء .**

قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الذاريات:٥٢-٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنعام:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم:٦٠]

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر:٩٧-٩٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٦-٩] .

• **ومنها التوكل على الله والشجاعة والثبات أمام الأعداء وإن كثروا .**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾[يونس: ٧١] .

وقال الله تعالى عن هود ﷺ : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود:٥٤-٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

• **ومن تلك الأصول العظيمة الاستفادة من قدرة الله لكشف الكربات ، وقضاء الحاجات .**

قال الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾[الأنبياء:٨٣-٨٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾[الأنبياء : ٨٧ – ٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء : ٨٩ – ٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ ﴾[البقرة:٦٠] .

• **ومنها العناية بذوي المكانة من الناس .**

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾[غافر:٢٣-٢٤] .

وقال الله تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام : ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه : ٤٣-٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران : ١٥٩] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ اليَهُودِ لآمَنَ بِي اليَهُودُ » . متفق عليه[1] .

• **ومنها الاستقامة على الدين ظاهرًا وباطنًا .**

قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[هود:١١٢-١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٩٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣١/ ٢٧٩٣).

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت : ٣٠-٣٣] .

وقال الله تعالى عن شعيب ﷺ : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود:٨٨] .

اللهم ارزقنا جميعًا الاستقامة على الدين ظاهرًا وباطنًا ، واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا ، وما أنت أعلم به منا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر لا إله أنت .

٥- مراحل الدعوة إلى الله ﷻ

مرت الدعوة إلى الله ﷻ في عهد النبوة بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : مرحلة النشر والتبليغ .

وهدفها نشر الدين ، والتعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، ومعرفة خزائنه ، ومعرفة وعده ووعيد : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

وتحقيق البلاغ للأمة تارة يستثير الفطرة ، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٩١].

وتارة يستثير العاطفة بالترغيب والترهيب ، كما قال سبحانه : ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا

وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح : ١٠-١٨].

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾﴾ [الحج : ١-٢] .

وتارة يستثير الفكر والعقل ، كما قال سبحانه : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس : ١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾ [ق : ٦ -٨] .

وقال الله تعالى : ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾[الطور:٣٥-٣٨].

وغير ذلك من الآيات التي ذكرها الله ﷻ في القرآن الكريم .

الثانية : مرحلة البناء والتكوين .

بناء الفرد ، وبناء الأسرة ، وبناء المجتمع ، وهذه المرحلة أشد على الدعاة من الأولى ؛ لأنهم في الأولى يبحثون عن الأرض الخصبة ، وهنا يختارون

اللبنات التي يقوم البناء عليها ، ومنها ما يصلح ، ومنها ما لا يصلح ، ومن هنا تحتاج إلى الصبر والدأب والإعراض في هذه المرحلة .

صبرٌ على الطاعات ، وصبرٌ عن المعاصي ، وصبرٌ على الأقدار ، وصبرٌ عن الاستعجال ، وصبرٌ على الأذى .

والدأب في مواصلة الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم : ٦٠] .

والإعراض عن الجاهلين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

المرحلة الثالثة : مرحلة المواجهة والتمكين .

لتكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله ، وهذه المرحلة آخر المراحل ، ومرحلة التكوين تفضي إلى مرحلة المواجهة ؛ لأنه إن صبر أهل الحق على أذى الباطل ، فإن الباطل لا يصبر ، ولا يسكت على انتشار الحق ، لذا نرى الباطل يختلق الأكاذيب والإشاعات ، والاتهامات ، ليقلب عليهم الحكومات والناس والعامة ، ليجتثوا شجرتهم .

ومن هنا وجب الصبر على أهل الحق ، ولاستعانة بالله ، وإعداد القوة والثبات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) ﴾ [الأنفال:٤٥-٤٧] .

هذه مراحل الدعوة إلى الله ، مع كل جيل كافر في كل زمان ومكان ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾[الأحزاب:٢١] .

٨- حياة الداعي إلى الله اليومية .

أولاً : الداعي إلى الله عبدٌ لله يقف كل يومٍ بين يدي ربه عابدًا ، ويقف بين يدي خلقه داعيًا ، وأول عمل النهار القيام بالدعوة إلى الله ﷻ ، فإما أن يتكلم أو يسمع عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده واليوم الآخر ، ليزيد الإيمان في القلب ، مع التفكر في نشر الهداية في العالم ليحصل الهم والدعاء والدعوة ، كالأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

ثانيًا : **حلقة التعليم** ؛ وذلك بتذاكر أركان الإيمان الستة ، ليزيد الإيمان بالغيب ويأتي في القلب تكبير الله ، وتعظيمه ، وحب الله ﷻ، وحب أوامره ، وحمده وشكره ، والتعلق به وخوفه ورجائه : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر : ٢٨] .

ثالثًا : حلقة الفضائل في وقت معين ؛ لينشط المسلم لكل عملٍ صالح يقوم به : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف : ١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة : ٢٥] .

رابعًا : ذكر الله وتلاوة القرآن في وقت معين .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب : ٤١ – ٤٣] .

وبهذه الأعمال يزداد الإيمان ، وتنشط الجوارح للعمل الصالح ، ويقوى الإيمان على الغيب ، ثم تأتي قوة النور في الأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال : ٢ – ٤] .

خامسًا : المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها :

فنسأل الله فيها ما نحتاج ، والله يقضي حاجاتنا في كل ما نريد :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣] .

سادسًا : الكسب الحلال ، واجتناب الحرام .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف:٣٢] .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ

﴿ ... ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ [الجمعة : ٩ – ١٠] .

سابعًا : حسن الخلق مع الناس ، وسائر المخلوقات

؛ فالدين ركنان : عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق .

كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ [النساء : ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤** ﴾[آل عمران:١٣٣– ١٣٤].

ثامنًا : اجتناب العصبية لقوم أو بلد ، أو جنس أو لغة .

بل فقط أنا من أمة الإسلام ، وعلينا جميعاً مسئولية الدين في العالم : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت:٣٣].

فهذه الأعمال الصالحة انفرادية واجتماعية ، لابد أن تكون في كل بيت ، ومع كل إنسان ؛ لأن العبد عبد لله ، وكل عبد لله يصدق أخباره ، ويطبق أحكامه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ

﴿مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣] .

• **كرامات الداعي إلى الله :**

من قام بهذه الأعمال الصالحة أكرمه الله بأمور :

أولًا : أن الله يعزه وإن لم تكن عنده أسباب العزة كما حصل لبلال وسلمان وصهيب رضي الله عنهم .

ثانيًا : أن الله ﷻ يجعل أعمال الدين محبوبة للداعي بدون تكلف .

ثالثًا : أن يكون حبه للناس في الله ولله .

رابعًا : أن أغلب الباطل يزول من الأرض التي يكون فيها هذا الداعي .

خامسًا : أن الله يستجيب دعاءه في الرخاء والشدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت:٦٩] .

والداعي إلى الله يدعو إلى الله كما دعا الرسول ﷺ الذي كان يمشي بين الناس بثلاثة صفات :

١- العزة ؛ لأن الله معه .

قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[المنافقون:٨] .

٢- والانكسار والتواضع ؛ لأن الهداية بيد الهادي جل جلاله وحده .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[القصص : ٥٦].

٣- الرحمة للناس :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

والرسول ﷺ كان يؤلف الناس على قبول الدين بالإطعام والإكرام ، والقول الحسن ، ثم يعرفهم بالله الذي خلقهم ورزقهم ، ثم يكلفهم بإبلاغ الدين إذا آمنوا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة : ٢١ – ٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت : ٣٣] .

والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعًا كانوا يقومون بالدعوة إلى الله ولا يسألون الأجرة على عملهم ، ولا يتأثرون بالأحوال ، وكانوا يمتثلون أوامر الله وإن كانت على خلاف العقل ، كما صنع نوح ﷺ السفينة في اليابسة ، وكما أمر الله موسى ﷺ بضرب البحر ، والحجر ، فانفتح البحر طريقًا يبسًا ، وتفجر الحجر نهرًا جاريًا : ﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ ﴾[البقرة : ٦٠] .

وكل نبي قال لقومه : ﴿ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ ﴾[الشعراء:١٠٧-١٠٩] .

وذلك أن أجرة الداعي إلى الله لا يستطيع احد دفعها إلا الله وحده لا شريك له ، وذلك لعظمتها ، وعظمة نفعها ، وعظمة أجرها : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

• **أسباب القيام بالدعوة إلى الله :**

الداعي إلى الله لمعرفته بالله ، وأسماءه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، و وعده ، و وعيده ، ودينه ، وشرعه ، يبذل كل ما يملك من أجل دعوة الناس إلى الله لأمور :

أولًا : امتثال أمر الله ورسوله بالدعوة إلى الله ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال النبي ﷺ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » . أخرجه البخاري[1] .

ثانيًا : كمال معرفته بربه ، وما يجب له من التوحيد والإيمان ، والحب والحمد ، وحسن العبادة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

ثالثًا : شدة رحمته للخلق : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

رابعًا : حُبُّ الخير للناس: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢]

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

خامسًا : الطمع في هداية الناس : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾[الشورى:٥٢-٥٣].

سادسًا : دَلُّ الناس على سُبُل النجاة :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[الأنعام:١٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١] .

سابعًا : إنقاذ الناس من سُبُل الهلاك : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٤].

ثامنًا : القيام بما يحبه الله ويرضاه من العبادة والدعوة .

تاسعًا : الاقتداء بالأنبياء والرسل : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام : ٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب:٢١] .

عاشرًا : تحصيل الحسنات ، وجزيل الثواب : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

وقال النبي ﷺ : لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ » . متفق عليه[1] .

الحادي عشر : الطمع في الجنة ، والخوف من النار كالأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال :٢- ٤] .

ومن أجل هذا يصبر الداعي على كل ما يصيبه في سبيل إبلاغ دين الله ، ويبذل كل شيء من أجل ذلك ، ويترك كل شيء من أجل ذلك ، فيصل من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عن من ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه ، من أجل إبلاغ لا إله إلا الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت:٣٣-٣٦] .

فالمؤمن حقًا ، والداعي إلى الله حقًا ، هو الذي يريد أن يحافظ على ذاتيته الأصيلة ، وهي الإيمان بالله عز وجل ، وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له :

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٠١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٤/ ٢٤٠٦).

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

وكذلك يحافظ على ذاتيته الوكيلة ، وهي الخلافة في الأرض ، والدعوة لغيره : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة : ٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

أما الكافر فهو يريد أن يحافظ ذاتيته الطارئة ، فإن كانت بسبب الجهل زالت بالدعوة إلى الله، وإن كانت بسبب المصلحة والكبر زالت بالجهاد الذي شرعه الله، ليكون الدين كله لله ، فالأولى حق، والثانية حمق ، والحمق يُزال أولًا باللين ، والرحمة ، والدعوة ، فإن لم يستجب أُزيل بالشدة والقسوة ، قطعًا لدابر الشر عن الناس :﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾[الأنفال:٣٩-٤٠].

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة:١٩٣] .

فالإيمان والكفر ، كالنور والظلمات ، طرفان متقابلان ، وأهل كل واحد يدعو الآخر إلى صفه :﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة:٢٥٧] .

• حكم الدعوة إلى الله :

الدعوة إلى الله ﷻ فرضٌ على جميع الأمة رجالًا ونساءً كلٌ بحسبه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤ – ١٠٥] .

والدعوة إلى الله تكون بطريقين :

الأول : طريق اللين ؛ وهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإيضاح الأدلة والبراهين ، بأحسن أسلوبٍ وألطفه ، وهذا هو المطلوب المشروع بدايةً ، كما قال سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

الثاني : طريق القسوة ؛ فإذا لم يستجب الكفار للدعوة إلى الله ، تَعَيَّن طريق القسوة بالجهاد ، حتى يُعبَد الله وحده ، وتُقام حدوده ، ويكون الدين كله لله ، وتُرفع الفتن عن الأمة ، فإعمال السيف يكون بعد إقامة الحجة على الناس بالدعوة إلى الله ، فإذا لم تنفع الكتب ، تعينت الكتائب .

وإذا لم يستجب الناس لدعوة اللسان ، تَعَيَّن الضرب بالسِّنان ، حتى يكون الدين كله لله ، وبعد ذلك من شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، والله ﷻ يَزَعُ بالسلطان ، ما لا يَزَعُ بالقرآن : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحديد : ٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة:١٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف : ٢٩ -٣٠] .

ولكل جُهدٍ ثمرة ، فالناس بفطرتهم يحُبون ثمرة الشيء ، ويكرهون جُهده ، يحُبون الفواكه ، ويكرهون جُهد الزراعة ، ويحُبون المال ، ويكرهون جُهد التجارة ، ويحُبون هداية الناس ، ويستثقلون ويكرهون جُهد الهداية .

ففي مكة رأى الكفار في النبي ﷺ صفات الدين ، فَسَمَّوه الصادق الأمين ، ولمَّا قام بجُهد الهداية سَمَّوه ساحرًا ، ومجنونًا ، وكاهنًا ، وشاعرًا ، لأنهم يريدون الناس بهائم ، يحكموهم ويأكلوا أموالهم بالباطل : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص : ٥٠] .

أما الدعوة إلى الله ﷻ ، فتجعل الناس كلهم عبيدًا لله ، على طراز الصادق الأمين محمدٍ ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢١ – ٢٢] .

والداعي إلى الله مأجورٌ على الدعوة، ومأجورٌ على الهداية، ومأجورٌ على عمله، وعلى عمل من كان سببًا لهدايته ، والدعوة إلى الله تربط كل فردٍ بتيار الهداية العالمي ، وتجعله مركزًا للدعوة إلى الله ، أينما حَلَّ : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

وأفضل حياة ، وأحسن حياة ، هي حياة الأنبياء والرسل في مجال الدعوة إلى الله ، لما فيها من فكر الهداية للأب ، والابن ، والأهل ، والقوم ، ومن يحب ، ومن لا يحب : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف : ١٠٨] .

ومن أعظم أسباب الإيمان النظر في حياة الأنبياء مرةً بعد مرة ، فالنظر في حياتهم يزيد في الإيمان ، ويرغب المسلم للعمل لدينه ، تَعبُّدًا لله ، ودعوةً إليه ، والنظر في حياة الملوك تُرغب الإنسان في المناصب ، والنظر في حياة الأغنياء تُرغب الإنسان في حياة الشهوات ، والنظر في حياة الأنبياء تُرغب الإنسان للأعمال الصالحة .

فاذكر نوحاً ﷺ وهو يقول لقومه : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف:٥٩] .

واذكر إبراهيم ﷺ وهو يقول : ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾[مريم:٤٤] .

واذكر موسى ﷺ وهو يقول : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[الأعراف:١٠٤] .

واذكر نوحاً ﷺ وهو يقول لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ [هود:٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم:٤١].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ [مريم:٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ [مريم:٥١].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾ [مريم:٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧﴾ [ص:٤٥-٤٧].

اذكر حياة هؤلاء في مجال الدعوة إلى الله، والإحسان إلى الخلق، والرحمة لهم، واقتدي بهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام:٩٠].

وقال الله تعالى عن الأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠].

- **أفضل الأسفار:**

سفر الهجرة إلى الله ورسوله أفضل الأسفار، والتعاون على هذا السفر من أعظم التعاون على البر والتقوى، ويكون ذلك باليد واللسان، والقلب والنصيحة، والدعوة إلى الله، والتعليم لشرع الله، والإحسان إلى خلق

الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت:٣٣].

ومن قام بهذا الواجب العظيم أعطاه الله كل خير ، وأقبل بقلوب عباده إليه ، وفتَحَ على قلبه أبواب الهداية والعلم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ ﴾ [العنكبوت:٢٦] .

وقال الله تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ ﴾ [الصافات:٩٩] .

و زاد هذا السفر العظيم العلم الذي جاء به محمد ﷺ : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

وطريقه بذل الجهد ، واستفراغ الوسع في تَعَلُّمِه ، وتَعْلِيمه ، ونشره بين الناس: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الحج : ٧٨] .

ولا سبيل إلى ركوب هذا الظهر إلا بأمرين :

الأول : ألا يُصغي في الحق إلى لومة لائم .

الثاني : أن تهون عليه نفسه في الله .

ولا يتم له هذان الأمران إلا بالصبر ، فمن صبر قليلًا صارت تلك الأهوال ريحًا رُخَاءً تحمله بنفسها إلى مطلوبه ، فبينما هو يخاف منها ، إذ صارت أعظم أعوانه ، وخدمه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] .

وأما مركبه فصدق اللجوء إلى الله ، والانقطاع إليه ، وعدم الالتفات إلى ما سواه ، وتحقيق الافتقار إليه ، والضراعة إليه ، والاستعانة به ، وصدق التوكل عليه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٢- ٤].

ورأس مال الأمر ، وعموده ، دوام النظر والتَّفَكُّر في أسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وكذا النظر إلى إحسان الله ، وإنعامه ، و بِرِّهِ بعباده : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل : ٥٣] .

وتَدَبُّر آيات القرآن : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء : ٨٢] .

فإذا امتلأ القلب بتلك المعارف تمَكَّنَ الإيمان من قلبه، وجلس على كرسيه، وصار له التصرف في البدن والحياة، لأنه اتضح له الطريق، فاستقام له سيره إلى الله ورسوله، يفعل كل خير، ويجتنب كل شر ، ويَتَحَلَّى بكل خُلُقٍ حسن، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويدعو إلى الله : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة : ١٥-١٧] .

ومن أراد هذا السفر العظيم فلا بد له من رفقةٍ صالحة ، وهم أهل العلم والإيمان ، والتقوى ، إن نَسِيَ ذَكَّرُوه ، وإن ذَكَرَ أعانوه ، وإن جَهِلَ عَلَّمُوه : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف : ٢٨] .

فإن تَعَذَّرَ عليه صحبة هؤلاء الأخيار، وابتُلي بضدهم، نَصَحَهُم بقدر طاقته، وأقام لهم المعاذير ما استطاع، وسار فيهم بعينيين، عينٌ ناظرة إلى الأمر

والنهي ، بها يأمرهم وينهاهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج : ٧٧] .

فبهذه العين يأمرهم وينهاهم ، ويواليهم ويعاديهم ، وعينٌ ناظرة إلى القضاء والقدر ، بها يرحمهم ، ويدعو لهم ، ويستغفر لهم ، ويلتمس لهم العذر فيما لا يعود بنقض الشرع : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾[آل عمران:٧٣ -٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾[البقرة:٢٦٩] .

وبركة المسلم تعليمه الخير حيث حَلَّ ، ونصحه لكل من اجتمع به ، فيكون داعيًا إلى الله ، معلمًا للخير ، مذكرًا بالله ، مرغبًا في طاعته ، داعيًا للاقتداء برسوله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾ [مريم : ٣٠ – ٣٢] .

ومن حُرِمَ هذا أضاع وقته ، و وقت غير ه فيما يضر ولا ينفع ، وصار من الذين غفلت قلوبهم عن ذكر الله ، واتبعوا هواهم ، وفرطت أمورهم ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف : ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ (١٧٩) ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

والعبد مضطر إلى أن يكون عارفًا بالحق ، مؤثرًا لما ينفعه ، مجتنبًا لما يضره ، فهذا قد هُدِيَ إلى الصراطِ المستقيم ، فإن فاته سبيل المعرفة كان من الضالين ، وإن فاته سبيل القصد كان من المغضوب عليهم ، فالغفلة تحول بين العبد ومعرفة الحق ، واتباع الهوى يحول بينه وبين العمل بالحق ، ولهذا أمر الله بطلب الهداية في كل صلاة ؛ كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢) ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣) مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ (٧) ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧] .

٥- حياة الرسول ، وجهد الرسول ﷺ

الداعي إلى الله يدعو الناس ليعبدوا الله وحده لا شريك له ، ويجتنبوا عبادة ما سواه ، والعالِم يُعَلِّم الناس كيف يعبدون الله ، كيف يتوضؤون ، كيف يُصلون ، كيف يصومون ، كيف يحُجُّون .

والعابد الذي يعبد الله ﷻ على طريقة رسوله ﷺ ثمرة جُهد هذا ، وجُهد ذاك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى :﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران : ٧٩] .

والثمرة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال : ٢ – ٤] .

والدنيا دار العمل ، وبجهد التجارة نحصل على المال ، وبجهد الزراعة نحصل على الثمار ، وبجهد الدعوة نحصل على مرضاة الله ، وهدايته ، وعظيم ثوابه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت : ٣٣] .

وإذا قمنا بالدعوة إلى الله زاد الإيمان في قلوبنا ، وصَلُحَ اليقين ، وسَهُلَ علينا امتثال أوامر الله : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وإذا زاد الإيمان جاء الاستعداد لفعل أوامر الله ورسوله ، وحصلت النصرة من الله ، ورضاه جل جلاله : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج : ٤٠ – ٤١] .

وإذا ضَعُفَ الإيمان ضَعُفَ العمل الصالح ، ثم فَسَدَت الأحوال ، ثم رُفعت عنَّا نصرة الله ﷻ : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر : ٥١-٥٢] .

وإذا فسد اليقين على ذات الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وقدرته ، أَدَّى ذلك إلى الشرك ، وقوة اليقين على المخلوق ، ثم جاء الخذلان من جهة التوكل على المخلوق ، والإعراض عن الخالق : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢٢] .

مذمومًا : لا حامد لك ، **مخذولًا** : لا ناصر لك .

وفلاح المسلم في الدنيا والآخرة يكون بثلاثة أمور :

١- تعلُّم جهد النبي ﷺ .

٢- تَعلُّم حياة النبي ﷺ .

٣-العمل بهذا وهذا .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج : ٧٧ – ٧٨] .

وإذا كانت الدعوة إلى الله موجودة ، وحياة النبي ﷺ مفقودة ، فلا يكون فلاحٌ لا في الدنيا ، ولا في الآخرة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة : ٢٠٨ – ٢٠٩] .

وإذا كانت الدعوة إلى الله مفقودة ، وحياة النبي ﷺ موجودة ، رُفعت النصرة والعزة عن الأمة ، فتسلط عليها الأعداء ، وافسدوا دينها ودنياها : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام:٤٤-٤٥] .

والدعوة تكون للناس عامة ، والتوفيق خاص ، فالله يهدي من يشاء ، ويُضل من يشاء ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته، والله يدعو الكل، ويهدي

من يشاء منهم إلى الصراط المستقيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس : ٢٥] .

والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، من أوجب الواجبات على كل مسلمٍ ومسلمة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

والمعروف : اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه .

والمنكر : اسمٌ جامعٌ لكل ما يكرهه الله ويسخطه .

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، أمرٌ واجبٌ على الناس كلهم .

أما فرض الكفاية ، كالجهاد والأذان ونحو ذلك ، فهذا إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وكان الأجر والثواب لمن قام به ، ومن كان عاجزًا عن القيام به ، وجب على الناس أن يعينوه ، ليحصل المقصود الذي أمر الله ورسوله به ، كما قال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة : ٢] .

وكل رسولٍ أرسله الله ، وكل كتابٍ أنزله الله ، يتضمن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبذلك صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، لقيامها بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، سببٌ لعقوبة الدنيا قبل الآخرة، فالعقوبة تُصيب العاصي والساكت عنه معًا : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة:٧٨ : ٨٠] .

٧- عقوبة ترك الدعوة إلى الله ﷻ :

- **عقوبة ترك الدعوى إلى الله ﷻ :**

كان في القرن الأول حقيقة العبادة ، وحقيقة الدعوى ، والتضحية بكل شيءٍ من أجل الدين ، وحياة البساطة ، وأول ما خرج من حياة الأمة جهد الدعوة ، ثم التضحية ، ثم حياة البساطة ، وبقيت صورة العبادة ، فقد اجتهد الأعداء على هذه الصفات حتى أخرجوها من حياة الأمة ، فانقلب الحال ، وصار الجهد والتضحية للدنيا ، وصار الإنسان يسعى ليعيش بالرفاهية ، وصار المجتمع يستنكر الزنا والربا وشرب الخمر ، ولا يستنكر ترك الدعوة إلى الله ، وخروجها من حياة الأمة .

وكانت العبادة والدعوة في زمن النبي ﷺ وأصحابه على كل الأمة ، ثم صارت العبادة في الأمة ، والدعوة على بعض أفراد الأمة ، فقل الدعاة فحلت بالأمة المصائب والعقوبات ، وكثر الخبث ، ولا يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد : ١٦ - ١٧] .

وعقوبة ترك الأوامر ، وفعل المناهي ، تكون على المذنب ومن تابعه أو سكت عنه .

أما عقوبة ترك الدعوة إلى الله فتكون باستبدالهم بغيرهم ، كما قال سبحانه : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ

﴿ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد : ٣٨] .

وتارك الدعوة إلى الله ، وكاتم البينات والهدى ملعونٌ بنص القرآن إن لم يتب كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

إلا الذين تابوا من بعد ما ظلموا ، وأصلحوا ما أفسدوا ، وبينوا ما كتموا: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٦٠] .

واللسان ماعون الذكر ، والدعاء ، والدعوة ، والتعليم ، والجوارح ماعون الطاعات والإنفاق ، وقد توعد الله مانع الماعون بقوله سبحانه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون : ٤-٧] .

وقد لعن الله بني إسرائيل لما كفروا بالملة ، ونقضوا العهد ، وتركوا الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر واستبدلهم بهذه الأمة .

قال الله تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المائدة : ٧٨ - ٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾[آل عمران:١١٠] .

ومن المبشرات أن هذا الدين باقٍ إلى يوم القيامة ، يقوم به طائفةٍ من أمة محمد ﷺ ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون ، وهم الطائفة المنصورة ، لما هي عليه من إتباع القرآن والسُنَّة : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) ﴾[الأحزاب : ٣٩] .

وَعن مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهَّ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهَّ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ » . متفقٌ عليه[1] .

- **ومن عقوبات ترك الدعوة إلى الله عز وجل :**

إذا كان ليلنا كليل النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ذكر ، ودعاء ، وصلاة ، واستغفار ، وتهجد ، ونهارنا كنهارهم دعوة إلى الله ، وتعليم لشرع الله ، وإحسان إلى خلق الله ، إذا كانت حياتنا كذلك نصرنا الله عز وجل وأعزنا : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) ﴾[الحج:٤٠-٤١] .

وإذا اتسعت بيوتنا لضيوف الإسلام ، وصار المؤمنون إخوة كأسرة واحدة ، حفظنا الله وأسعدنا في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٤٠)، ومسلم برقم: (١٥٦/٢٤٧). واللفظ له.

ﭐسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣١] .

فإذا كانت حياتنا مطابقة لحياة النبي ﷺ وأصحابه ، كنا أسعد الناس في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧١-٧٢] .

ولما ترك أكثر الأمة هذا الترتيب النبوي ، حصل لها من العقوبات الموجعة ما يلي :

الأول : ضاقت بيوتنا عن استقبال ضيوف الإسلام من الدعاة إلي الله ، فحرمنا الاستفادة العلمية والعملية منهم : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[المائدة : ٢].

الثانية : فتح إبليس وجنوده للناس كثيرًا من المطاعم والفنادق ، وأماكن اللهو والشهوات ، في كل مكان ، فانقطعت الصلة بين المقيم ، والمسافر وحرمت الأمة بركات البيئة الإيمانية ، التي ذكرها الله بقوله : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ

زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

الثالثة : أصبح الدين كاليتيم ، لا يجد من يمسح رأسه ، ولا يجد من يؤويه ، ولا من يدافع عنه ويحميه ، لأن كل أحد مشغول بشهوات نفسه ، وتفقد أسرته : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام:٤٤-٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

الرابعة : أصبح أكثر المسلمين من الرجال والنساء ، والكبار والصغار ، لا هم لهم إلا جمع الأموال ، وقضاء الشهوات فامتلأت بهم المستشفيات والمحاكم ، والسجون والملاعب.

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾[الجن: ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢٢] .

مذمومًا : لا حامد لك ، **مخذولًا** : لا ناصر لك .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

في الدنيا ، وفي القبر ، ويوم القيامة : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة:٥٥] .

الخامسة : أصبح الأبناء والبنات تأكلهم العطلات الصيفية ، وتأكلهم الشهوات العارمة ، وأصبح الجميع في الفتنة والبلاء ولا يجدون من يبكي عليهم ، أو يدلهم على الله ﷻ ، وقد جرهم الشيطان إلى سوقه ، فأشغلهم بالمعاصي بدل الطاعات ، وبالفجور بدل التقوى .

قال الله تعالى عن الشيطان : ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾[النساء : ١١٨ – ١٢١] .

السادسة : صارت أسواق وبيوت المسلمين معارض تسوق إليها جميع الملابس والأزياء التي فتن بها أكثر الناس ، واشتغل أكثر الناس بتسويق الشهوات ، وترك الدعوة إلى الله ، فضلوا وأضلوا ، وألهتهم الشهوات وتكميلها عن تكميل أوامر الله عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾ [مريم:٥٩] .

السابعة : انتشرت في كثير من بلاد المسلمين البنوك الربوية ، وحانات الخمور ، وصالات القمار ، وبيوت الدعارة ، وغير ذلك مما عم وطم ، وتلك مذابح الإيمان التي يجر الشيطان إليها الناس في كل بلد .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤ ﴾[يس: ٦٠-٦٤] .

الثامنة : استباح العدو أكثر بلاد المسلمين ، وفرض عليها ما يريد مما يسخط الله ﷻ ، وسار كثير من المسلمين على طريقة اليهود والنصارى في لباسهم ، وعاداتهم ، وتجارتهم ، ومطاعمهم ، وطريقة حياتهم ، يحترقون بنار المعاصي ويعيشون في مذابح الإيمان ، ويهيئون أنفسهم للنار:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١ ﴾[آل عمران: ١٠٠-١٠١].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنفال:٢٤-٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الزخرف:٤٣-٤٤] .

التاسعة : ترك الدعوة إلى الله موجب للعنة الله وغضبه ، كما لعن الله كفار بني إسرائيل حين تركوا أوامر الله : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[المائدة : ٧٨ – ٧٩] .

وترك الدعوة إلى الله كتمان للحق والهدى الذي يجب إبلاغه للناس كافة ، وعقوبة ذلك اللعن من الله ومن مخلوقاته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة : ١٥٩ – ١٦٠] .

العاشرة : عقوبة المعاصي والمنكرات كالزنا والسرقة وشرب الخمر حد أو تعزير ، إما عقوبة ترك الدعوة إلى الله فهو الاستبدال، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾[محمد : ٣٨] .

وعقوبة ترك الدعوة إلى الله ﷻ هي اللعن والاستبدال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩- ١٦٠] .

إلا الذين تابوا من بعد ما ظلموا ، وأصلحوا ما أفسدوا ، وبَيَّنُوا ما كتموا ، فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[المائدة:٧٨ -٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾[محمد:٣٨] .

ومن لم يعمل في حياته مع الرحمن ، أشغله الشيطان معه بخمس وظائف ، ولو كان مسلمًا :

الأولى : أن الشيطان يشغله بالزيادة ، والإسراف ، في أمور الدنيا ، من قصورٍ ، و زروعٍ ، وسياراتٍ ، ومساكن ، وشهوات ، ويجعله سببًا لفتح شهية الناس للدنيا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر : ٥ – ٦] .

الثانية : أن الشيطان يُسقِطُ به هيبة الدين في قلوب الناس ، فالذي لا يقوم بالدعوة إلى الله تسقط هيبته ، وهيبة الدين ، فيعصي الناس الله أمامه ، ولا ينكر عليهم : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء : ٣٨] .

الثالثة : أن الشيطان يُنَفِّر به الناس من الإسلام ، بسبب معاصيه التي يجاهر بها أمامهم : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[سبأ:٢٠] .

الرابعة : أن الشيطان يستعمل هؤلاء في إصدار فتاوى ضد الدعاة إلى الله ، فكم ممن هداه الله أخرجه هؤلاء من الإسلام ، أو جروه إلى الانحراف والفساد : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾[الأنعام : ١١٩] .

الخامسة : أن الشيطان يجد في هؤلاء ولو كانوا صالحين ، مرتعًا خصبًا للأفكار الضالة ، من التبديع ، والتفسيق ، والتكفير ، والتفجير ، وهذه الأفكار لا يقبلها إلا من نُزعت من قلبه الرحمة ، ولو كانت عنده غيرة على الإسلام ، فهو يُنَفِّرُ من الإسلام من حيث لا يعلم ، والدين كله دين رحمةٍ ، وهدايةٍ ، وإحسانٍ إلى الخلق : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران : ١٥٩] .

فليحذر العبد من مخالفة أوامر الله ، في الدعوة إلى الله ، وفي عبادة الله ، وفي كل أمر من أوامر الله ورسوله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء : ١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور : ٦٣] .

ولا يُحارب الدعاة إلى الله إلا الكفار ، ومن يعمل للدين بالاكتساب لا بالاحتساب : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان : ٣١] .

والشيطان بخطواته يُحرك من يعمل للدين بالاكتساب ، ليُحارب من يعمل للدين بالاحتساب بنفسه وماله :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات : ١٥] .

فيضرب هذا بهذا ليموت الدين ، وأحكام الدين ، ويفري في الخلق كما يريد :﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر : ٦] .

وقال الله تعالى عن الشيطان : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ

﴿ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء : ١١٩-١٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور : ٢١] .

ومن خاف من عدوه من الناس سَلَّطَه الله عليه ، ومن خاف عليه من النار كفاه الله شره ، وفتح قلبه للهداية ومَكَّنَه الله منه : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

والدعوة إلى الله هي توضيح الواضحات ، وتذكير الناس بربهم ، وتعريفهم بأسمائه وصفاته ، وتعريفهم بعظمة ملكه وسلطانه ، وتعريفهم بنعمه وإحسانه ، وتعريفهم بدينه وشرعه ، وتعريفهم بالوعد و والوعيد ، والجنة والنار : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فالعلماء وطلاب العلم يُفتون ، ويُعَلِّمُون ، ويُذَكِّرُون ، والعامة يُذَكِّرُون : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية:٢١]

أما الفتوى والتعليم ، فهو كالدواء ، يقوم به العلماء فقط .

فمحاربة الجهل تكون بالتعليم والفتوى ، ومحاربة الغفلة والنسيان تكون بالتذكير والوعظ ، ومحاربة الكفر والشرك تكون بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

إن وجود الله ﷻ أظهر من كل شيء على الإطلاق ، فهو أبين من كل بيِّن ، فوجوده أظهر للبصائر من الشمس للأبصار ، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده ، ولهذا دعت الأنبياء والرسل أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، لا إلى الإقرار بوجوده ، لأن وجوده سبحانه مركوز في الفطر والعقول :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم : ٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾ [إبراهيم:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وكان ﷺ أحسن الناس خلقًا وخُلقًا كما قال عنه ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

فهو أجود الناس ، وأكرم الناس ، يبذل كل شيء من أجل الإسلام ، فما سُئل شيئًا على الإسلام إلا أعطاه مالًا أو غيره ؛ ليؤلف القلوب على الإسلام ، ويرغب النفوس فيه بالمال ، ليعلم الناس أن الإسلام أغلى وأحسن من كل شيء ، فإذا أسلموا من أجل المال لم يلبثوا إلا يسيراً حتى يكون الدين أحب إليهم من المال ، بل من الدنيا وما فيها ؛ لأنهم ذاقوا حلاوة الإيمان .

وكان ﷺ يعطي عطاءً جزيلًا يؤثر في قلوب الرجال تأثيرًا عظيمًا ، يصبحون بعده مؤمنين ودعاة إلى الإسلام ويهتدي بسببهم خلق كثير كما أعطى المؤلفة قلوبهم أموالاً عظيمة ، وكان ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، فلهو أجود بالخير من الريح المرسلة .

عن أنس « أنَّ رجلًا سأل النبيَّ ﷺ غنمًا بين جبلَينِ . فأعطاه إياه . فأتى قومَه فقال : أي قومُ ! أسلِموا . فوالله ! إنَّ محمدًا لِيعطي عطاءً ما يخافُ الفقرَ . فقال أنسٌ : إن كان الرجلُ ليسْلَمُ ما يريدُ إلا الدنيا ، فما يسلمُ حتى يكون الإسلامُ أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها ». أخرجه أحمد [1].

وعن جابر بن عبد الله قال : « ما سُئلَ رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال : لا » . أخرجه البخاري [2] .

وعن ابن عباس قال : « غزا رسولُ الله ﷺ غزوةَ الفتحِ ، فتحَ مكةَ . ثم خرج رسولُ الله ﷺ بمن معه من المسلمين . فاقتتلوا بحُنَينٍ . فنصر اللهُ دينَه والمسلمينَ . وأعطى رسولُ الله ﷺ يومئذٍ صفوانَ بنَ أُميَّةَ مائةً من النّعَمِ . ثم مائةً . ثم مائةً . قال ابنُ شهابٍ : حدَّثني سعيدُ بنُ المُسيَّبِ ؛ أنَّ صفوانَ قال : والله ! لقد أعطاني رسولُ الله ﷺ ما أعطاني ، وإنه لأبغَضُ الناسِ إليَّ . فما برِح يعطيني حتى إنه لأحبُّ الناسِ إليَّ » . أخرجه مسلم [3] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٢٧٩٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٥٦/ ٢٣١١).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٥٩/ ٢٣١٣).

فيجب علينا العناية بالكفار والمشركين والفساق وأهل المعاصي وأن لا ندعهم للشياطين تلعب بهم وتجرهم إلى جهنم ، وأن نؤلف قلوبهم ونجذبهم إلى الدين بالمال واللين ، والرفق والرحمة ، وحسن الخلق ، والدعاء لهم ليألفوا الإسلام ، ويحبوا المسلمين ، ويدخلوا في دين الله ، وبغضنا للكفر وأهله لا يمنعنا من دعوتهم إلى الله ، فلعل الله أن يهديهم فيكونوا من أحبابنا بعد أن كانوا من قبل من أعدائنا : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

- **ومن عقوبة ترك الدعوة إلى الله :**

بنو إسرائيل خذلوا جهد نبيهم موسى ﷺ بثلاث كلمات : ﴿ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ ﴾ [المائدة : ٢٤] .

وبنو إسرائيل آذوا موسى ﷺ ، وقعدوا عن نصرته ، وقد حذرنا الله من ذلك فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

ومن قعد عن الدعوة إلى الله اختيارًا أقعده الله إجبارًا ، فبنو إسرائيل لما قعدوا عن نصرة موسى ﷺ أقعدهم الله أربعين سنةً في التيه ، وجزاء القعود

التقعيد ، والانشغال بشهوات البدن ، والجلوس على موائد الشيطان في القيل والقال ، والغيبة والنميمة والحسرة والأسف .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[المائدة:٢٠-٢١] .

فبماذا أجاب بنو إسرائيل موسى ﷺ ؟ .

قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[المائدة:٢٢-٢٤] .

فماذا كان جزاء قعودهم عن نصرة نبيهم موسى ﷺ بعد أن بذل معهم كل جهدٍ ونصح :﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[المائدة : ٢٤ – ٢٥] .

فوقت المسلم كله لله عبادةً ودعوةً ، وتعلم وتعليم وإحسان إلى الخلق : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام :١٦١-١٦٣] .

ومن قعد عن نصرة الإسلام ، وإبلاغه للناس ، سواءً كان قعودًا بالبدن ، أو قعودًا بالعواطف بدون همٍ لإحياء الدين ، عوقب بالتيه البدني ، والتيه الفكري ، فأصبح مشغولًا بأمراض البدن ، مشغولًا بالشهوات الحيوانية ، مشغولًا بجمع الحطام :﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنعام : ٤٤-٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة:٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

إذا قعد الزراع عن الزراعة مات الناس جوعًا ، وإذا تعطلت الكهرباء عن الناس عاش الناس في الظلمات، وتعطلت مصالحهم، وإذا قعدت أمة محمد ﷺ عن الدعوة إلى الله في العالم عاش العالم في الظلمات، يأكل القوي منهم الضعيف، وانتشر الفساد، وحصل الرعب؛ لأن القلوب خالية من معرفة الله، خالية من الإيمان، وصاروا كالحيوانات في الشهوة، وكالسباع في القسوة، وكالشياطين في الفساد والإفساد، ويوم القيامة يدخلون النار : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة : ٣٨-٣٩] .

فما أعظم مسئولية الدعوة إلى الله : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

الدعوة إلى الله ﷻ تكون بثلاثة أمور :

الأول : الحكمة

وهي أن تضع الشيء في موضعه، وتنزل الأمور منازلها في الوقت المناسب، والمكان المناسب ، والقول المناسب ، للشخص المناسب ، لأن بعض الأماكن لا تنبغي فيها الموعظة ، وبعض الأزمنة لا تنبغي فيها الموعظة ، وبعض الأشخاص لا ينبغي أن تعظهم في حال من الأحوال ، فإذا صار المكان والزمان والشخص مناسبًا كان أدعى للقبول .

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران : ٧٣ - ٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

الثاني : الموعظة الحسنة

والموعظة الحسنة هي ذكر الأحكام الشرعية مقرونة بالترغيب والترهيب ، ليرق القلب ، ويلين ويتوجه إلى الله ، فنذكر الإنسان بالله وأسمائه وصفاته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمه نعمه وإحسانه ، وعظمة اليوم الآخر بما فيه من الحشر والحساب والجنة والنار ونذكر الوعد والوعيد : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

والموعظة الحسنة تكون بثلاثة أمور :

الترغيب والترهيب ، أو أحدهما حسب حال الإنسان .

ثانيًا : حسن الأسلوب والصياغة .

ثالثًا : حسن الإقناع بذكر الأدلة الشرعية والعقلية والحسية حسب الحال ، لأن بعض الناس يقنع بهذا ، وبعضهم بهذا .

قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل : ١٢٥] .

الثالثة : المجادلة بالتي هي أحسن ، فإذا تمت الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وصار الإنسان يجادلك مجادلة بالتي هي أحسن ، من حيث الأسلوب ومن حيث العرض ، ومن حيث الإقناع ، فإذا استدل عليك بدليل فحاول إبطاله ، فإن كان إبطاله دليله يطول ، فانتقل إلى دليل آخر لا يستطيع مجادلتك فيه ، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

وإذا لم تستطع المجادلة بالتي هي أحسن فلا تجادله ، فادع له بالهداية ، واتركه إلى أن يأتي أحد أقوى منك فيجادله : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف : ٧٦] .

فهذه مراتب الدعوة إلى الله : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل : ١٢٥] .

والوقت كالإناء من وضع فيه خيراً وجده ، ومن وضع فيه شراً وجده ، ومن تركه فارغًا ندم على فواته ، فعلينا أن نحفظ أوقاتنا فيما بيننا وبين ربنا بأنواع العبادات من صلاة ودعاء وذكر وتلاوة قرآن ، ونحفظ أوقاتنا فيما بيننا وبين الناس بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإحسان إلى الخلق : ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وإذا تركت الأمة الدعوة إلى الله نقص الدين في حياة الأمة في كل يوم ، ثم تسلط الأشرار على الأبرار ، ثم انقلب الخوف من الخالق إلى الخوف من المخلوق ، وأول ما يغلبون عليه من الجهاد ، الجهاد باليد ، ثم الجهاد باللسان ، ثم الجهاد بالقلب ، فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نُكث فجُعل أعلاه أسفله ثم فُتحت أسواق الشهوات ثم تلتها

العقوبات : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم : ٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٤٤-٤٥] .

والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، أفضل الأعمال ، وهي عمل الرسل ، فمن دعا إلى الله كان سببًا لدخول الناس في دين الله ، ومن أمر بالمعروف ، فقد شد ظهر المؤمنين ، ومن نهى عن النكر ، فقد أرغم أنف المنافقين ، ونال فوق ذلك الخيرية التي وصف الله بها هذه الأمة ، كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

٨- الفرق بين الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله يكون بمعنى الدعوة كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ﴾ [الفرقان : ٥١-٥٢] .

ويكون الجهاد فى سبيل الله بمعنى القتال كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) ﴾ [التحريم:٩] .

والقتال مكروه في ذاته ، حسنٌ لغيره ، كما قال سبحانه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

وجهاد الدعوة إلى الله محبوبٌ في ذاته ، حسنٌ لغيره لأن فيه حياة النفوس ، وفي القتال موت النفوس : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

وفي مجال الدعوة إلى الله ذكر المحاسن ، ودفع المساوئ ، إكرام وإيثار ، ولين ورحمة ، وثناء وعفو وصفح كما قال سبحانه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) ﴾ [النور : ٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

وفي القتال هجوم وقتل وأسر وانتقام وغنائم وخديعة وفي مجال الدعوة نصح وإرشاد ، وإصلاح وتربية : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأعراف : ٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود : ٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[هود : ٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[هود : ٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [النور:٨٥] .

وكل رسول قال لقومه : ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[الشعراء : ١٠٧-١٠٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل : ١٢٥] .

خطاب كريم في مجال الدعوة ، يدل على حب الناس ورحمتهم ، والإحسان إليهم ، وعطفهم على أقوامهم : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وفي مجال القتال : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾ [التوبة:١٢].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾[التوبة : ٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ ﴾[التوبة : ١٢٣].

وقال الله تعالى : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾ [النساء:٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦ ﴾[التوبة : ٣٦] .

وفي الدعوة إلى الله قال نوح ﷺ : ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ ﴾[هود : ٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ ﴾ [الحجر:٨٥] .

وقال إبراهيم ﷺ لأبيه : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ ﴾ [مريم : ٤٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال ﷻ لموسى وهارون : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾ [طه:٤٣-٤٤] .

وفي القتال : ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ [التوبة:٥] .

والقتال وقته محدود ، والقتال موسم الشهداء ، والدعوة إلى الله لها كل الأوقات ، والدعوة موسم الأجور والهداية ، في الدعوة إلى الله إذا مات المدعو على الكفر نأسف ونحزن ، وإذا مات على الإسلام نفرح ونحمد الله، وفي القتال إذا مات الكافر نفرح ونغنم ، وإذا أسلم نفرح ونكبر، والدعوة هي حمل اللطائف للناس من رحمة ، ولين ، وعطف وشفقة، وفي القتال حمل الكثائف من سلاح وغيره .

وجهد الدعوة للداعي كل الحياة ، نوح ﷺ : دعا تسعماءة وخمسون سنة ، وموسى : دعا ثمانون سنة ، ومحمد ﷺ دعا ثلاث وعشرون سنة ، وأنت طول حياتك داعياً ، فلله الحمد : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

الدعوة إلى الله تكون في كل مكان وفي كل زمان ، وفي كل الأحوال ، والقتال حسب الأحوال .

وفي الدعوة إلى الله المفتاح معك ، أنت الذي تبدأ بالكلام ، وتدعو إلى الله ، وفي القتال قد يكون المفتاح بيد غيرك .

والدعوة إلى الله جهد نبوي مكي ومدني ، والقتال جهد نبوي مدني ، فلم يكن في مكة قتال قبل الهجرة ، إنما كان القتال بعد الهجرة إلى المدينة .

فالجهد المكي : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[الفرقان : ٥٢] .

والقتال إنما كان بداية في المدينة كما قال سبحانه : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[الحج : ٣٩] .

القتال في الإسلام محدود الوقت ، فالصلاة لها أوقات محدودة ، فالقتال في عهد النبي ﷺ كان أربعة أيام ، وأربع ساعات ، ومجموع ذلك مائة ساعة ، في خمسٍ وعشرين غزوة ، وستين سرية والقتلى ألف وثمانية عشر ، من المسلمين ومائتين وتسعة وخمسون ، ومن الكفار سبعمائة وتسعة وخمسون ، أما الدعوة إلى الله فقد أثمرت في ثلاث وعشرين سنة أكثر من مائة وعشرين ألفًا ، شهد أكثرهم حجة الوداع مع النبي ﷺ .

فالدعوة إلى الله لها كل الأوقات ، والقتال فقط عن الحاجة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

- **الفرق بين الداعي والعابد :**

الفراغ باب المعصية ، والمعاصي أبواب الشقاء والهلاك ، والنجاة في طاعة الله ورسوله ، وطاعة الوالدين ، والصحبة الطيبة ، وحفظ الوقت بالأعمال الصالحة ، وحفظ الوقت بالأعمال الصالحة هو خلق المؤمن ، أما الفراغ فهو باب المعاصي ، ومن لم يشتغل بالطاعة ، أشغلته نفسه والشيطان بالمعصية : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد : ١٢] .

وبسبب فكر الهداية الله ﷻ يظهر الحق ، ويبطل الباطل وينصر أولياءه ، ويخذل أعداءه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف : ٩]

وبسبب فكر الهداية القاتل والمقتول في الجنة ، وبسبب فكر الهداية يبذل الإنسان نفسه ، ليقتل في سبيل الله ويحيا الدين ، فجهد الهداية له كل الأوقات ، والقتال في سبيل الله له بعض الوقت ، كالصلاة لها بعض الوقت ، والصيام له بعض الوقت ، والحج له بعض الوقت ، فبفكر الهداية ينتشر الدين ، وبفكر الشهادة في سبيل الله لا ينتشر الدين ، وحب الشهادة من ثمرات الهداية ، فأول عمل ، وأفضل عمل ، وأحسن عمل ، فكر الهداية قبل فكر الشهادة ، وبفكر الهداية من قاتلك قاتل معك .

فأبو سفيان وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص ، هؤلاء قاتلوا المسلمين ، ثم قاتلوا معهم بسبب فكر الهداية .

والله تعبدنا بالمشي في الشوارع للدعوة ، قبل المشي إلى الصلاة في المساجد والجوامع : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان : ٦٣-٦٤] .

والدعوة إلى الله من أول يوم ، أما الصلاة ففرضت في السنة العاشرة قبل الهجرة ، والصوم في السنة الثانية من الهجرة ، والزكاة في السنة الثانية ، والحج في السنة العاشرة ، والجهاد في السنة الثانية ، فبسبب فكر الهداية الله ﷻ يعطيك الشهادة ، فالله تعبدنا بجهد الدعوة إلى الله أولًا، لأنه أقوى عبادة، وأكبر عبودية ، وأوسع عبودية : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

فالعابد فقط على حق ، ولكنه أخذ عناوين قليلة من الدين من الوضوء ، والصلاة ، والحج ، والعمرة ، وقراءة القرآن ، والأذكار ، لكن الداعي إلى الله أخذ أكبر العناوين في الدين ، فأخذ حياة النبي ﷺ ، وجهد النبي ﷺ وفكر النبي ﷺ ، يوم كيومه ، وأقوال كأقواله ، وأعمال كأعماله ، وأخلاق كأخلاقه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب : ٢١] .

فليس من يصرف جميع أوقاته وأمواله في سبيل نشر الهداية كمن يصلي وينام ، ويصوم وينام : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة : ٨٨-٨٩] .

والله سبحانه ذكر موسى ﷺ وذكر مساوئ أصحابه ، وذكر محمداً ﷺ ، ومجد أصحابه فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ [الفتح:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح : ١٨] .

قال ﷻ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وتعليق الآمال بالأعمال سنة الأنبياء والمرسلين : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وتعليق الآمال بالأسباب طريق الكفار والأشقياء : ﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ : ٣٥] .

فحياة المسلم كلها عبادة الله ، ودعوة إلى الله : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام :١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

والله سبحانه جعل فواصل كبيرة بين الصلوات ، ليقوم المسلم فيها بالدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق ، ومن كان قبلنا كانوا يصلون في اليوم صلوات كثيرة ، ونحن الله خفف علينا ، وأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة ، لأن هذه الأمة مكلفة بالدعوة إلى الله والعبادة كالأنبياء ، فتعليق الآمال بالأموال والمناصب غرور ، وتعليق الآمال على الكبير المتعال عزة وفلاح : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد : ١٢].

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] .

والله سبحانه أعطى أولياءه الأعمال التي ينصرهم ويسعدهم بها : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة : ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج : ٤٠-٤١] .

- **مهلكات الخلق :**

هناك أربع مهلكات للعبد :

أنا .. ولي .. وعندي .. وبيدي ، وهذه كلها بيد الله وحده ، ولله وحده .

والنجاة أن ننتقل من أنا إلى هو : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر:٢٢] .

ومن لي إلى له سبحانه : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة:١٢٠] .

ومن عندي إلى وعنده : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

ومن بيدي إلى بيده سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

فالداعي إلى الله غير المقاتل، فالمقاتل يحتاج إلى سلاح يدفع به الشر عن نفسه، ويدافع عن نفسه، فقوته بسلاحه، أما الداعي فلا يحتاج إلى أسباب مادية، لأن معه قوة الله القوي، كما قال سبحانه: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٣-٤٦].

وقال ﷻ عن النبي ﷺ أنه قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

فالدعوة قوة من غير سلاح، وغنى من غير مال، وعز من غير جاه. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

فاملأ أيها المسلم قلبك الصغير، ولسانك الصغير، وعمرك القصير، ووقتك القليل، بما يحبه الله ويرضاه، يملأ حياتك في الدنيا أمنًا وطمأنينة وسعادة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ

ﭐلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﭐلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ﭐلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد : ٢٨ – ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ﭐلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ﭐلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام:٨٢] .

ويملأ لك الجنة بكل ما تحبه وترضاه من ألوان النعيم ، ورضوان رب العالمين : ﴿وَعَدَ ﭐللَّهُ ﭐلْمُؤْمِنِينَ وَﭐلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ﭐلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ﭐللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ﭐلْفَوْزُ ﭐلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧٢] .

والصحابة رضي الله عنهم في مكة قبل الهجرة يبيتون في الليل سجداً وقياماً، ويمشون بالدعوة إلى الله في الليل يدعون للناس بالهداية ، وفي النهار يقومون بجهد الهداية ، ليس فيه صلاة ولا صوم : ﴿ وَعِبَادُ ﭐلرَّحْمَٰنِ ﭐلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ﭐلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ﭐلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَﭐلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾[الفرقان : ٦٣-٦٤] .

والدعوة إلى الله أعظم قوة للعبودية ، وامتثال أوامر الله في كل حال ، والمطلوب إيجاد حضارة الأعمال والأخلاق في البشرية ، لا حضارة الأموال والأشياء والشهوات ، وحضارة الصفات والأعمال والأخلاق ، كما قال سبحانه : ﴿ﭐلتَّٰٓئِبُونَ ﭐلْعَٰبِدُونَ ﭐلْحَٰمِدُونَ ﭐلسَّٰٓئِحُونَ ﭐلرَّٰكِعُونَ ﭐلسَّٰجِدُونَ ﭐلْأَٰمِرُونَ بِﭐلْمَعْرُوفِ وَﭐلنَّاهُونَ عَنِ ﭐلْمُنكَرِ وَﭐلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ﭐللَّهِ وَبَشِّرِ ﭐلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة : ١١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

والدعوة إلى الله كلها بذل وتضحية ، فمن أذل نفسه في سبيل الله ذلل الله له يوم القيامة فواكه الجنة ، ومن سقا أو أطعم أو أكرم من أجل هداية الناس سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة ، وأطعمه الفواكه ، وأنواع الطعام ، وأكرمه برؤيته ، وأنواع النعيم : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾[التوبة:٨٨-٨٩] .

وكل إنسان مسئول عن عمله ، ومحاسب عليه : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر : ٩٢-٩٣] .

مسئول عن العمل فيما بينه وبين ربه من أنواع العبادات والطاعات ، ومسئول عن العمل فيما بينه وبين خلقه من الدعوة إلى الله ، والأمر

بالمعروف النهي عن المنكر : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

فلابد لكل مسلم من القيام بهذا وهذا : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٨٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية : ٢٥-٢٦] .

- **أقسام المسئولية :**

المسئوليات الواجبة على كل مسلم ومسلمة ثلاث :

الأولى : الجهد على النفس .

بتزكيتها بالتوحيد والإيمان والتقوى ، وتطهيرها من الشرك والفجور والمعاصي ، لتنتقل من النفس الأمارة إلى اللوامة ، ثم إلى المطمئنة ، ثم إلى الراضية ، ثم إلى المرضية ، ثم إلى الزاكية الصادقة التقية النقية ، ويتم ذلك بتحقيق أعمال النبوة في الإيمان ، والعبادة والدعوة ، والتعلم والتعليم ، والأخلاق الحسنة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود : ١١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر : ٢٧ - ٣٠] .

وهذا يتحقق بالجهد والمجاهدة ، ولزوم بيئة الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

الثانية : إصلاح البيئة ، فالإنسان في البيئة الصالحة يزداد صلاحًا ، وفي البيئة الفاسدة يزداد فسادًا ، كالماء يجمد أو يسخن حسب البيئة .

والبيئة الصالحة نستفيد منها خمسة أمور :

نتعلم الدين .. ونعمل بالدين .. ونثبت على الدين .. ونترقى في الدين .. وننشر الدين .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

ويتم ذلك بإحياء حلقات الإيمان والتعليم في البيوت والمساجد ، ومذاكرة فضائل الأعمال ، والإكثار من ذكر الله واليوم الآخر ، والمحافظة على الأعمال الصالحة في أوقاتها ، فنجلس في البيئة الإيمانية ، ليزيد إيماننا ، ثم نخرج إلى الساحة الميدانية لننقل الغافلين إلى بيئة الذاكرين ، لنكون جميعًا سواءً في كل شيء: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨]

فالبيئة الإيمانية يدخل فيها الإنسان كافرًا ويخرج مؤمنًا ، ويدخل فيها فاسقًا ويخرج صالحًا ، ويدخل فيها جاهلاً ويخرج عالماً .

الثالثة : مسئولية العالم ، فنحن مسئولون عن العالم كله ، نبلغ الناس دين رب الناس ليعبد كل الناس رب الناس: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

ففكر العالِم للعالَم كله ، وعلم العالِم للعالَم كله ، في مشارق الأرض ومغاربها ، كما أن نور الشمس للعالم كله ، وماء المطر للعالم كله ، فالدنيا كلها ميدان جهد العلماء والدعاة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة:١٩٥] .

وبهذا الجهد العظيم ، والقيام بالمسئوليات الثلاث تتحقق جميع دوائر الهداية الثمان التي أكرم الله بها هذه الأمة وشرفها بالقيام بها ؛ دائرة هداية النفس ، وهداية الأسرة ، وهداية العشيرة ، وهداية القوم ، وهداية قريتك ، وهداية بلدك ، وهداية قارتك ، وهداية الناس ، وهداية العالم كله : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦١-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وبهذا الجهد العظيم نبقى دائمًا في بيئة إيمانية صالحة ، مع رفقة صالحة ، مع أعمال صالحة : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر : ١٧-١٨].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وهذه الأنوار الثلاثة ، الجهد على النفس وتزكيتها بالتوحيد وبالإيمان ، وإصلاح البيئة الإيمانية ، ومسئولية العالم بالقيام بالدعوة إلى الله في كل مكان .

بهذه الأنوار الثلاثة نضرب ظلمات البيئة الفاسدة ، والصحبة الفاسدة والأعمال الفاسدة ، فتأتي الهداية فينا وفي البشرية : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام:١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

كتـــاب الدعوة إلى الله

في ضوء القرآن والسنة

الباب الثالث

ويشتمل على ما يلي:

١ – فقه آثار الدعوة إلى الله.

٢ – فقه التقوى

٣– فقه الدعوة والعبادة

٤ – مصادر ثروة الداعي إلى الله

٥ – فقه الدعوة والتعليم.

٦ – فقه عداوة الشيطان لآدم وذريته.

٧– فقه جهد أهل الحق، وأهل الباطل.

٨– فقه جهد الدعوة إلى الله

١ - فقه آثار الدعوة إلى الله

إذا تحركت الشمس في العالم انتشر النور في الكون ، وعاش الناس في حياتهم على هدى ونور ، وإذا لم تتحرك الشمس أو انكسفت فتكون موجودة ، ولكن بقدر الكسوف تقل الاستفادة منها ، وهكذا الداعي إلى الله إذا خرج للدعوة إلى الله إلى أنحاء الأرض يكون سببًا لانتشار نور الإيمان في العالم : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

وإذا لم يتحرك الداعي إلى الله في العالم ، فإنه يضعف إيمانه ، ولا يستفيد منه غيره ، ولو تحرك الداعي إلى الله ولكن بدون نور العلم ، بدون نور الإيمان ، والعبادات ، بدون نور الذكر ، فالاستفادة تكون موجودة ، لكنها قليلة جدًا ، والحركة تؤثر لكن قلة الصفات تقلل الاستفادة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢- ٤].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وإذا أراد المسلم أن يذهب للدعوة إلى الله ، لإعلاء كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها ، كان أمامه خمسة أعداء يريدون منعه من الخروج والذهاب للدعوة إلى الله ، وإبلاغ دين الله وهم : الزوجة ، والأولاد إن لم يكونوا على طريقته ، وبيئة الشهوات ، والنفس ، والشيطان ، فإذا ذهب الإنسان للدعوة إلى الله ترك خلفه ثلاثة أعداء : الزوجة ، والأولاد ، وبيئة الشهوات .

وقد ذكر الله هذه العداوة بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ [التغابن:١٤] .

ومن ألهته هذه عن ذكر الله وإقامة دينه خسر دنياه وآخرته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ ﴾ [الزمر:١٥] .

أما العدوان اللذان يخرجان مع الداعي إلى الله فاثنان :

الأول : النفس التي تريد تكميل الشهوات ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف:٥٣] .

فالنفس تريد تكميل الشهوات ، والروح تريد تكميل أوامر الله .

الثاني : الشيطان الذي يجر الناس إلى كل معصية ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦].

والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والشيطان يوجه خرطومه إلى القلب ، فإذا وجده خاليًا أو غافلاً أدخل خرطومه فيه ، ووضع فيه الأفكار الفاسدة ، والشبهات المهلكة والشهوات المحرمة ، فيتوجه إلى غير الله ، ويعارض أمر الله : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٦ -١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾[النساء:١١٧- ١٢١] .

ومن جاهد نفسه ، وامتثل أوامر ربه ، وقمع هؤلاء الأعداء ، نصره الله وهداه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾[غافر :٥١- ٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

- **فضائل الدعوة إلى الله عز وجل :**

من قام بجهد الدعوة إلى الله فتح الله له ثلاثة فتوحات :

الأول : فتح العلم والفقه وحسن الكلام .

الثاني : فتح الجهد ، والأعمال الصالحة .

الثالث : فتح على القلب بقوة التوحيد والإيمان ، وقوة اليقين والإخلاص ، فالفتح الأول فتح العلم والكلام يعطى للمؤمن كرامة ، ويعطى للمنافق استدراجا : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال ﷻ عن المنافق : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٥] .

والفتح الثاني : فتح حب جهد الدعوة إلى الله ، وحب الأعمال الصالحة ، فتجده لا يحب الراحة والجلوس في المسجد ، بل يحب الحركة والتجول على الناس بالدعوة حتى يتعب بدنه ، وربما لا يستطيع الكلام عن فضل قيام الليل ، لكنه قائم بين يدي ربه يتهجد باكيا : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

لأنه عرف ربه حقا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف ما يجب له من كمال العبودية والتوحيد : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ

يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة:١٥-١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ [المزمل: ١-٤].

وفي النهار قائم بين يدي الخلق داعيا ومعلمًا ومحسنا : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وإذا قعد أو نام عن العمل ضاق صدره ، هذا هو الفتح العظيم أن يفتح الله على عبده أبواب الخير من دعوة إلى الله ، وعبادة لله وحده ، وتعلم وتعليم شرعه ، وأخلاق كريمة ، وإنفاق في سبيل الله : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ ﴾ [الجمعة:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ﴾ [آل عمران :٧٣- ٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

أما الفتح الثالث فهو الفتح على قلب الداعي إلى الله بقوة الإيمان والتوحيد والإخلاص ، وقوة اليقين ، والتوجه إلى الله في كل شيء فلا يتعلق قلبه أبدًا إلا بالله وحده ، ولا يهاب ولا يلتفت لأحدٍ سواه : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤ ﴾ [السجدة:٢٤] .

فقلبه يرى كل الخلائق وكل الأمور بيد الله وحده ، سواءً كانت الأحوال موافقة : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة :٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾[الإسراء: ١٠٩] .

أو كانت الأحوال مخالفة :﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾آل [آل عمران:١٧٣-١٧٦] .

فأهل اليقين هم : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[آل عمران:١٧٢] .

وبلال ﵁ يُضرب ، ويجُر على الأرض المحرقة ، ويُدعى إلى الشرك فيأبى ويقول : أحدٌ أحد .

فالفتح الأول فضل ونعمة من الله عليك ، والفتح الثاني ثمرة الفتح الأول ، والفتح الثالث ثمرة الفتح الثاني : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت:٦٩] .

وعلى الإنسان أن يسأل الله أن يحفظه في الفتح الأول ، لأن الإنسان إذا تكلم وأحسن قد يحسده الناس من الخارج ، وقد يصيبه العجب من الداخل فيهلك : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن

يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق:٢-٣] .

فأحفظ الله يحفظك ، وأحفظ الله تجده تجاهك .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٥] .

- **فقه الاستخلاف :**

المراحل التي مرت بها الأمة الإسلامية هي على الترتيب :

أولًا : التوبة إلى الله من الكفر والشرك ، ثم الدعوة مع الصبر والتحمل ، ثم التقوى العامة ، وهي القدوة الحسنة ، ثم التقوى الخاصة وهي الاستقامة ، ثم الإمامة ، ثم الخلافة في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور : ٥٥ - ٥٦] .

فالإمامة في الدين إنما تُنال بالصبر واليقين ، والإمامة أن يصل الداعي إلى مرتبة القدوة الحسنة، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان:٧٤] .

والاستخلاف إمامة مع تمكين ، مع قوة يستطيع بها الخليفة أن يفرض المنهج الإلهي على الناس، الإسلام، أو الجزية ، أو السيف ، على الترتيب .

فنوحٌ ﷺ كان إمامًا ، وإبراهيم ﷺ كان إمامًا ، ولكنهما لم يعطيا قوة ليفرضا الدين على الناس .

وإمام التقوى قد يُضرب ويُؤذى ويخُوَّف ، فالصحابة في مكة كانوا أئمة تقوى ، تحملوا كل شيء من أجل الدين .

وبعد الهجرة مكنهم الله في الأرض ، واستخلفهم على الناس ، وبدَّل الله خوفهم أمنًا ، فكانوا في أمن ، ثم أعطوا الأمن لغيرهم :﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج:٤٠-٤١] .

فالدعوة مع الخوف كانت ثلاث عشرة سنة في مكة ، والدعوة مع الأمن بعد الهجرة إلى أن تقوم الساعة إذا سارت الأمة على المنهج الصحيح : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢] .

فالخوف في سبيل الله ، والجوع في سبيل الله ، أكبر المصادر لحصول الأمن والأرزاق للأمة : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ ﴾[آل عمران:١٩٥] .

فلما تحمل الصحابة رضي الله عنهم ذلك ، جاء الأمن ، وجاءت الغنائم ، وكنوز كسرى وقيصر ، إلى مسجد رسول الله ﷺ في المدينة ، ثم انتشر الأمن من المدينة إلى العالم ؛ لأن الأمن بيد المؤمن يتفضل به على من يشاء من عباده ممن آمن به ، واتبع هداه : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤ ﴾[قريش:١-٤].

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾[الأنعام:٨٢] .

ونحن في الدعوة إلى الله نجتهد على الناس ، ولا نمل ، ولا نقف إذا تأخر نزول الهداية ، لأن الهداية بيد الله وحده : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾[القصص : ٥٦] .

فإبراهيم ﷺ ما رأى نتيجة جهده على أبيه ، لكن ظهرت النتائج بعد حين في أبنائه ، فقال لأبيه : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ ﴾ [مريم:٤٧-٥٠] .

فظهرت نتيجة دعوة إبراهيم ﷺ لأبيه في أبنائه :﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾[مريم:٤٩-٥٠] .

وبسبب جهد إبراهيم ﷺ في الدعوة إلى الله ، لا بسبب نسبه ، الله سبحانه وتعالى أعطى النبوة لأكثر من مائة وعشرين ألف نبي من ذريته : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[العنكبوت:٢٧] .

وكان من ذريته سيد الخلق ﷺ الذي أُمر بإتباع ملة أبيه إبراهيم ﷺ ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[النحل : ١٢٠ - ١٢٣] .

وقد يكرمك الله بجولة دعوية ، أو مجلس دعوي ، أو كلمة دعوية مؤثرة ، تكون سببًا في هدايتك ، وصلاح أحفادك ، وأحفاد أحفادك إلى يوم القيامة ، إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت : ٦٩] .

- **الفرق بين الداعي والعالم :**

جميع الآيات المكية لتقرير التوحيد والإيمان والأخلاق ، وتوظيف الداعي إلى الله فقط .

فالقرآن المكي كله يوظف وظيفة واحدة ، هي وظيفة الدعوة إلى الله .

ولما استعدت الأمة للقيام بهذه الوظيفة ، نزلت الآيات التي توظف الخليفة ، والقاضي ، والمفتي ، والمجاهد وغيرهم .

والداعي إلى الله الأرض أوراقه ، وأقدامه أقلامه ، فالأرض دكانه ، والناس زبائنه ، وسنن الدين سلعته : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله لموسى ﷺ : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات : ١٧-١٩] .

المعلم للشرع له العزة الشرعية ؛ فهو يعلم ، لكنه ليس بصاحب الحظ العظيم : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

صاحب الحظ العظيم هو الداعي إلى الله فقط : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٣ – ٣٥] .

جهود الداعي إلى الله على القلوب حتى تتنور بالتوحيد والإيمان ، وجهد العالم على العقول حتى تتعلم الأحكام ، وتفهم المقاصد ، وتعرف الأجور.

وحاجات القلوب الهداية ، وحاجات العقول معرفة الأحكام .

وقوة العالم بالمعلومات التي يحفظها ، وقوة الداعي بالصفات التي يتحلى بها ، وقد جمع الله لنبيه ﷺ هذا وهذا .

فقال سبحانه في الأخلاق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤] .

وقال في العلم : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء : ١١٣] .

وأثنى الله ﷻ على أيوب بصفاته لا بعلمه، فقال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص : ٤٤] .

ولم يقل : وجدناه عالماً ، مع أن الأنبياء أعلم الناس بالدين وأحكامه .

وفي جهد التعليم أصول وقواعد ، وفي جهد الدعوة عواطف وصفات .

فمن لا يعرف قدرك ، اعرف قدره ، والذي يمنعك حقك ، أعطه حقه .

وفي التعليم يلزمنا حفظ الآيات والأحاديث ، فهذه ثروة العالم .

وفي الدعوة يلزمنا قوة اليقين ، وحسن الخلق : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وجهد الدعوة جهد عام ميسر لكل الأمة ، فكل إنسان يكون داعية بأقواله الحسنة ، وأعماله الصالحة ، وأخلاقه الكريمة .

وجهد التعليم جهد خاص ، مفسر للآيات ، ومفتي في الأحكام ، ومجود للقرآن ، ومعلم للأحكام ، وهذه مواهب ليست متوفرة عند كل الناس .

لهذا فتعلم وتعليم المسائل والأحكام فرض كفاية ، وجهد المعلم يختلف من باب إلى باب ، وجهد الداعي ثابت لا يتغير : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[النحل:١٢٧] .

والداعية حقًا دائمًا يتهم نفسه كما قال موسى ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾[القصص:١٦] .

ويونس ﷺ قال : كما قال سبحانه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء : ٨٧-٨٨] .

والعلماء في الأمة مثل الذهب النادر ، والدعاة مثل الذهب الشائع .

وكل الأمة ذهب ، إذا قامت بالدعوة إلى الله ، ولكن هذا اختيار واجتباء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب : ٤٥ -٤٦] .

والداعي إلى الله متواضع لا يطلب منزلة اجتماعية : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣].

لا إمام المسلمين ، ولا كبير المسلمين ، ولا أعظم المسلمين ، بل هو مسلم متواضع ، مشغول بعبادة ربه ، والدعوة إليه .

وكذلك الداعي لا يطلب شهرة في زمانه ، لأنها تسقطه ، بل يطلب ذكره بعد موته: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[الشعراء : ٨٤] .

وأعظم إسرائيلية في هذه الأمة هي ترك الدعوة إلى الله ، والقعود في البيوت كما قعد قوم موسى عن نصرته ، ولم يخرج معه من السبعين ألفًا أحد فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ ﴾ [المائدة:٢٥] .

فموسى ﷺ قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ ﴾ [المائدة:٢٥] .

ومحمد ﷺ ملك أمة ، بل خير أمة : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾ [آل عمران:١١٠].

ولما قعد بنو إسرائيل عن الجهاد مع موسى ﷺ ، جاءهم القعود الإجباري: ﴿ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [المائدة: ٢٦] .

ولم يحرمهم الله من الطعام ، ولا من العلم ، ولا من العبادة ، لكن حرمهم من الجهاد الذي رفضوه ، فصاروا يتيهون بدنيًا ، لما تاهوا فكريًا : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾ [المائدة : ٢٦] .

٣- فقه التقوى

أعظم مدرسة للتقوى هي الدعوة إلى الله من أول يوم إلى يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال ﷻ : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٣-٧٦] .

فهؤلاء هم أئمة التقوى ، وهذه هي أهم صفاتهم ، وقد تخرج من هذه المدرسة ألوف ومئات الألوف من المتقين ، وقد أذن لهم الله أن يقولوا : ﴿

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[الفرقان:٧٤] .

وهؤلاء هم أسعد الناس في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

فهذه هي المدرسة الأولى للتقوى ، أما المدرسة الثانية للتقوى فتأخرت أربعة عشر عامًا ، وهي مدرسة الصيام ، وهي مفتوحة فقط في السنة مرة واحدة ، فصيام شهر رمضان فرضًا في السنة مرة ، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[البقرة: ١٨٣] .

وقال الله تعالى:﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾[البقرة:١٨٥] .

فأعظم التقوى أن تتقي الله في الكفار ، والمشركين ، والطغاة ، والمجرمين فتدعوهم إلى الله ، وتتقي الله في شرار الخلق ، فتدعوهم ليكونوا خيار الخلق ، وتتقي الله في إخوانك المسلمين ، ليكونوا صالحين ومصلحين ، وأن تتقي الله في البشرية فتدعوهم ليعبدوا الله وحده لا شريك له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾[إبراهيم : ٥٢] .

وبنو إسرائيل كانوا أعظم أمة في زمانهم ، وكانوا خير أمة في زمانهم ، والذي اختارهم هو الله كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الدخان : ٣٢] .

فكانوا خير الناس في زمانهم : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المائدة : ٢٠] .

ولما أصابهم العجب والفخر ، وقالوا منا الأنبياء والرسل ، وتعالوا على الناس ، وقالوا نحن شعب الله المختار وغيرنا من الأمم لا قيمة لهم ، فصاروا أرذل الناس ، وضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ، وقطعهم في الأرض أممًا ، واستبدلهم بهذه الأمة التي أثنى الله عليها بقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

فالدعوة إلى الله تكون بالتواضع لا بالتعاظم كما فعل بنو إسرائيل ، فالجهد بمزاج التقوى والتواضع الله ينشر به الدين في العالم : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

فالدعوة بهذا المزاج . والعبادة بمزاج التقوى ، فيها أجر ونور كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحديد:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل : ٩٦] .

والإمامة في التقوى لم يعطها الله إلا للأنبياء كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة:٢٤] .

وقال لإبراهيم ﷺ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة:١٢٤] .

وأذن الله ﷻ لهذه الأمة بطلب هذه الإمامة ؛ تشريفًا لها إذا قامت بالدعوة إلى الله كالأنبياء، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان:٧٤] .

فمن قعد عن الدعوة إلى الله، وغفل واشتغل بالشهوات، فهو إمام للقاعدين ، وأهل الغفلة ، وأهل الشهوات : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

ولأهمية التقوى ، أمر الله بها سيد الخلق، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾[الأحزاب:١].

ومع التقوى الصبر كما قال سبحانه : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم : ٦٠] .

وأعظم شيء نتقيه هو الخلاف والفرقة، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران : ١٠٢-١٠٥] .

وتقوى الله ﷻ منبع الإحسان واليقين والنصر : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف : ٩٠] .

وأول مرتبة من مراتب التقوى : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ». أخرجه مسلم[1] .

وقال ﷺ « مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَالا يَعْنِيهِ». أخرجه مسلم[2] .

وطاعة الله ورسوله : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٥/ ٤١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٤/ ٤٠) .

٣- فقه الدعوة والعبادة :

الدعوة إلى الله أم العبادات كلها ، فبسبب الدعوة إلى الله دخل الناس في الإسلام ، وعبدوا ربهم بما شرعه من أنواع ، العبادات والطاعات .

والعبادات من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج لها أوقات محدودة ، لكن الدعوة إلى الله لها كل الأوقات ، ليلًا ونهارًا لأنهامسئولية هذه الأمة إلى يوم القيامة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

وقال نوح ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾[نوح : ٥-٩].

فالعبادات بأنواعها هي نهج النبي محمد ﷺ ، والدعوة إلى الله هي نهج مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول ، منهم النبي ﷺ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٨٩-٩٠] .

وقال الله تعالى:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وأول فقه في الإسلام هو فقه الدعوة إلى الله ، نزل قبل فقه الأحكام من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج .

وقد فرغ الله أبدان الصحابة لجهد الدعوة في مكة ثلاثة عشر عامًا ، وفرغ عقولهم لفقه الدعوة إلى الله ، وفرغ ألسنتهم لتلاوة قرآن الدعوة ، وفرغ أوقاتهم لإبلاغ الدعوة : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾[الشرح:٧-٨] .

والله سبحانه اجتبى هذه الأمة ، وأعطاها أعمال الأنبياء والرسل وهي الدعوة إلى الله ، وعبادة الله وحده . وفرغها للدعوة إلى الله من أول يوم ، فلا توجد في مكة بعد التوحيد والإيمان فريضة عملية تزاحم فريضة الدعوة ؛ لهذا فرغ الله قلوب وعقول وأجساد الصحابة لفهم فقه الدعوة والقيام به قبل فقه الأموال والمعاملات ، وقبل فقه النكاح والطلاق ، وقبل فقه القصاص والحدود ، وقبل فقه الوصايا والمواريث وغيرها من الأحكام فأصول الدعوة إلى الله في مكة ، وبيان الأحكام جاء في المدينة ؛ لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء بالدعوة والعبادة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران : ١١٠] .

وقال الله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

والعبادات فيها رخص ، فالمسافر يقصر الصلاة في السفر ، والمريض يصلي على حسب استطاعته قائمًا أو قاعدًا أو على جنب أو على ظهره ،

والزكاة لا تجب إلا على من يملك النصاب ، والصوم يفطر المسافر ثم يقضي ، والمريض يفطر ثميقضي ، والمريض غير القادر يفطر ويفدي ، والحج لا يجب إلا على المستطيع ماليًا وبدنيًا .

أما الدعوة إلى الله فليس فيها رخص ، فلا يعذر أحد بتركها ، رجلًا أو امرأة ، صحيحًا أو مريضًا : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾[التوبة : ٩١] .

فهؤلاء عذرهم الله عن القتال ، ولم يعذرهم عن الدعوة والنصح ، لهذا أساس جهد الدين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٧] .

وعنوان رسالة النبي ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وقد بدأت دعوة كل نبي بمطالبة قومه بالعبادة : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأعراف:٥٩] .

وكل نبي قال لقومه : ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[الشعراء:١٠٧-١٠٩] .

وأول طلب من النبي ﷺمن هذه الأمة : من ينصرني ، من يؤويني ، من يمنعني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة ؟ .

وقوله ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا » أخرجه ابن حبان[1].

والله سبحانه كلف جميع هذه الأمة بنصرة الدين، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف: ١٤] .

وقوة العابد في عزلته عمن يشوش عليه مناجاته لربه ، فيخلو بربه حتى تتجلى الأنوار في قلبه .

وقوة الداعي في مخالطة الناس لدعوتهم إلى الله ، والمؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، أفضل ممن لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم .

والفقه في الدين أن يعيش المسلم كل أوقاته تحت قبة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة : ٥].

فيتعبد لله بفكره وهمه ، وأوقاته ، وأقواله ، وأمواله ، وقلبه ، ولسانه ، وجوارحه ، فيجمع بين عبادة الله ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (٦٥٦٢).

ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج : ٧٧ – ٧٨] .

أما من عبَّد لسانه ، وما عبَّد قلبه وفكره ووقته لله ، فهذا على خطر عظيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة : ٧١] .

والعبادة هي الهداية إلى الصراط المستقيم ، وقد أثنى الله ﷻ على عبودية الأنبياء في القرآن في قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧]

وقال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام:٩٠] .

وقال الله تعالى عن الأنبياء والرسل : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وتلك عبودية جميع الأنبياء ، الدعوة إلى الله ، عبودية نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى:١٣] .

في بداية الدعوة في ملكه ، أول شيء فعله من أسلم ، فتح بيته لإيواء الدين ، وامتثال أوامر الله ، وخرج لنصرة دين الله ، وأنفق ماله لإحياء دين الله في الأرض : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر: ٨-١٠] .

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام علموا أممهم كيف يعبدون الله وحده في جميع أحوالهم، في الصلاة والصيام وغيرهما من الشعائر والشرائع.

وبسبب بركة ختم النبوة ، واجتباء الله ﷻ لهذه الأمة ، أعطيت هذه الأمة أعظم عبودية ، وهي عبودية إحياء الدين فيالعالم ، وبها يصبح العبد من أعبد خلق الله تعالى، كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وأعظم عبودية أن توضع عبادتك ، وعبادة من تحبهم ، وعبادة من دعوتهم ، وعبادة من علمتهم ، في ميزان حسناتك يوم القيامة كما قال النبي ﷺ : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ أَجْرُهُ ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم(١) .

وقال ﷺ : « الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ »أخرجه مسلم.(٢) .

وإذا نوى المسلم أن يحيي أمة ، فهو أمة ، وله أجر الأمة ؛ فبالدعوة يصبح الإنسان أمة : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[النحل:١٢٠-١٢٢] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢٧/ ١٦٧٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٣٦٠).

وجهد الدعوة كان ينتقل من نبي إلى نبي ، كلما مات نبي خلفه نبي آخر في جهده ، وإكرامًا لهذه الأمة ، ختم الله النبوة بمحمد ﷺ ، وأشرك أمته معه في جهد الدعوة إلى الله ، وانتقلت عبادة الدعوة إلى الله بعد وفاته إلى أمته، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال النبي ﷺ: « إِنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ ».أخرجه البخاري[١].

وقال ﷺ : «لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ» . متفق عليه[٢] .

وقد أثنى الله في القرآن على جميع الأنبياء والرسل وحدهم لقيامهم بجهد الدعوة : ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾[مريم : ٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم:٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم:٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾[مريم:٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [ص:٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص:٤٥-٤٧] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٦٧٩).

وأما هذه الأمة ، فقد أثنى الله على محمد ﷺ مع أمته ؛ لقيامهم بالدعوة إلى الله ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، فقدقاموا معه بالدعوة إلى الله من أول يوم :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقد ذكر الله ﷻ في القرآن فقه العبادة مجملاً كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[النساء:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[البقرة: ١٨٣] .

وقال الله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[آل عمران:٩٧].

وفقه العبادات بينه الرسول ﷺ في السنة القولية والعملية فقال ﷺ : «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» .أخرجه البخاري(١)

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٣١).

وقال ﷺ « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ » .أخرجه مسلم[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

أما فقه الدعوة إلى الله فقد تولى الله تفصيله في القرآن من أول عهد نوح إلى بعثة رسولنا محمد ﷺ ، فبين الله في القرآن قصص الأنبياء والرسل الذين قاموا بالدعوة إلى الله :﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٩٠] .

إن فقه العبادة مهم ، وفقه الدعوة أهم ؛ لذلك تولى الله بيان الأهم وتفصيله بذاته العلية ، فصل جهد نوح وصبره على قومه مع طول مدته ، وفصل دعوة إبراهيم ، وبين حسن حججه وأخلاقه وحلمه ، وفصل دعوة موسى وصبره عليفرعون وقومه وبني إسرائيل :﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف:١١١] .

القرآن المكي تسعون سورة ، كلها تبين أصول الدعوة إلى الله، وأخلاق الدعاة إلى الله من الأنبياء والرسل وغيرهم، وتبين أصول حياة الأنبياء والرسل.

وأصول حياة الأنبياء والرسل ، كلها مفصلة مبينة في القرآن ، وهي :

المجاهدة لإعلاء كلمة الله، والاستقامة على الدعوة إلى الله، وعبادة الله، والسابقية إلى كل عمل صالح ، والدعاء والاستغاثة بالله ، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣١٠/ ١٢٩٧).

قال الله تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾[إبراهيم:١] .

ولإخراج الناس من ظلمة الكفر والمعاصي ، إلى نور الإيمان والطاعات ، أرسل الله جميع الأنبياء والرسل : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾[النحل : ٣٦] .

ولو فهمت الأمة هذا العلم ، ما بقي واحد في الظلمة : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وأحكام الدعوة إلى الله مفصلة في القرآن ، وأحكام العبادة مجملة في القرآن ، والمفصل الأمة جهلته ، والمجمل الأمة فهمته ، مع أن الإنسان يفهم المجمل ، ولا يعذر في عدم فهم المفصل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾[محمد : ٢٤] .

والدعوة إلى الله جاءت في القرآن مجملة ومفصلة ، ولكن الشيطان أقعد كثيرًا من الناس عنها ، لأنها من الأوامر الثقيلة التي فيها بذل الوقت والنفس والمال في سبيل الله ؛ فزين للناس الاشتغال بالأوامر الحقيقة من الشعائر والشرائع ، لأنه أكبر داعٍ للباطل ، ولا يريد أحدًا أن يدعو إلى الحق : ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ

ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس :٦٠ – ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

وموسى ﷺ أمره الله أن يذهب لدعوة فرعون ، ولم يذهب معه أحد من بني إسرائيل .

ومحمد ﷺ كلفه الله بدعوة فراعنة كثيرين ، وكلف أمته معه بحمل لواء الدعوة إلى الله ، لأن الله اجتباهم ، وكلفهم بالدعوة إلى الله كالأنبياء : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وأشرك الله هارون مع موسى في الدعوة إلى الله ، وأشرك أمة محمد ﷺ مع محمد ﷺ في الدعوة إلى الله عز وجل، فقال سبحانه : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤–١٠٥] .

وقال لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه:٤٣–٤٦] .

وإبراهيم ﷺ قام بالدعوة إلى التوحيد ، ولم يكن معه أحد ، فإكرامًا له ، وهب له أولادًا ، وجعلهم أنبياء يقومون بالدعوة إلى الله من بعده : ﴿ فَلَمَّا

ﭐعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم :٤٩- ٥٠] .

وقال الله تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

فأنت أيها المسلم ، هبة من الله ، ليس لأبيك ولا لأمك ، ولكنك هبة لنبيك محمد ﷺ، تنوب عنه بالدعوة إلى الله في أمته ، فكن خير هبة لأحسن موهوب : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف : ١٤] .

وجهد العبادة حسن ، وجهد الدعوة أحسن ، وكلاهما مطلوب ، والله أمرنا بالحسن والأحسن ، ورغبنا في الأحسن : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

والقرآن المكي يأمرنا بإتباع الأحسن : ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزمر: ٥٥] .

وكل من أعرض عن دين الله ، أو أعرض عن جهد الدعوة ، فسوف يندم يوم لا ينفع الندم ، ولن يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه : ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ

فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان:٢٧-١٩] .

وهذه الآية مكية .

وسبيل وطريق الدعوة إلى الله ، وشريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ ، هي شريعة الدعوة التي جاء بها جميع الأنبياء والرسل ، وهي شريعة أولي العزم من الرسل ، بينها الله لنا لنسير عليها كما قال سبحانه : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى : ١٣] .

فالذي كبر على المشركين ليس صلاتنا ولا صومنا ولا حجنا ، ولكن كبر عليهم دعوتنا إلى الله ، وصبرنا على ذلك ، وبذل أوقاتنا وأموالنا وأنفسنا في سبيل إعلاء كلمة الله .

وما ذكر الله الاجتباء إلا بعد جهد الدعوة إلى الله في مكة ، والاجتباء لكل الأمة ، لأن الله كلفها جميعاً بجهد الدعوة إلى الله : ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج:٧٨] .

وصاحب ياسين قام بالدعوة إلى الله ساعة ، والله من فوق عرشه مجده إلى قيام الساعة كما قال سبحانه : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ

لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغۡنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِى يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس : ٢٠-٢٧] .

فهذا دعا إلى الله ساعة ، فمجده الله إلى قيام الساعة ، فكيف بمن يدعو الناس إلى الله ، ويمجد ربه آناء الليل وآناء النهار حتى نهاية عمره ؟ كم أجره ومقامه عند الله! .

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِى جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١– ٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِى ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت : ٣٣ – ٣٥] .

والدعوة إلى الله ﷻ تعلق وتخلق ، فالداعي في العبادة يتعلق بالله في الذكر والدعاء والصلاة والصوم ، وفي الدعوة إلى الله يدعو الخلق إلى الخالق ، ليعبدوه وحده لا شريك له ، والعبادة في حياة الداعي جزء من كل : ﴿ قُلۡ

هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾[المزمل: ١-٤].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ ﴾[المدثر:١-٧].

أما العابد فقط فعنده التعلق بالله ﷻ ، وليس عنده التخلق مع الناس ، لأنه أدار ظهره للخلق ، وتركهم في الظلمات ، وخالف سنة نبيه ﷺ الذي يقول الله عنها : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

فالداعي بالليل عنده تعلق بالله ، وبالنهار عنده تخلق مع الناس، والخطيب والواعظ يعظ الناس ، ثم يشكرهم على حسن استماعهم ، ويقول : اللهم قد بلغت ، اللهم فاشهد ، وكأن الدين لسان يتكلم ، وأذن تسمع ، وأكثر الأوقات معمورة بالغفلة والنوم والاشتغال بالدنيا .

أما الداعي إلى الله فيقول للناس بعد وعظهم وتذكيرهم بالله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ

ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠ ﴾ [غافر : ٣٨- ٤٠] .

وقال الله تعالى :﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ ﴾[يس:٢٠-٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾[الصف : ١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ ﴾[الصف:١٠-١٢] .

سبعون ألف عابد من بني إسرائيل ، لم يذكر الله قصة عباداتهم ، وإنما ذكر منهم الذي قام بالدعوة إلى الله :﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ [غافر:٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ ﴾[غافر:٣٨-٣٩] .

وعبَّاد بني إسرائيل في عهد موسى ، ماذا فعل الله بهم ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأعراف:١٦٠] .

وبعد موت موسى ﷺ ، ماذا فعل الله بهؤلاء العباد الذين تركوا الدعوة إلى الله ؟

قال الله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾[الأعراف:١٦٨] .

وقال سبحانه عن كفار بني إسرائيل : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[المائدة:٧٨ -٧٩] .

فهذه الأمة إذا اقتصرت على التعبد ، صاروا أممًا ، أي شيعًا وفرقًا ومذاهب ، وفرحوا بذلك التعبد ، وتركوا الدعوة إلى الله ، وهؤلاء الذين ذمهم الله بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[الأنعام:١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤- ١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الروم : ٣١-٣٢] .

فمن قام بالعبادة ، وترك دعوة ، أو من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض ، فهذا الذي حذر الله منه ، وبين عقوبتهبقوله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٨٥] .

فبالدعوة إلى الله ، وبعبادة الله وحده لا شريك له ، بهما معًا يجتمع الناس ، ويحب بعضهم بعضًا ، وبسبب الدعوة إلى الله ﷻ جمع الله قلوبهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

والعابد لذته في خلوته بربه، ومناجاته له، وإذا خرج من الخلوة تأثر بالفتن .
أما الداعي فلذته في عبادة ربه ، ودعوة خلقه إليه ، ولا يتأثر من الفتن ، بل الفتن تقوي إيمانه ، وعبادته ، ودعوته ، ودعائه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت : ٦٩] .

والعابد يحقر العاصي ، ويغضب عليه ؛ لأن مزاجه عصبي ، يكره العاصي ومعصيته ، لأنه خالف أمر الله .

والداعي يرحم ويشفق على العاصي ؛ وينصحه ويدعوا له ، لأن في قلبه رحمته ، وحب هدايته : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وبسمة الداعي في وجه العاصي من أجل نصحه ، وترغيبه في الهداية ، أحب إلى الله من بكاء العابد في سجوده ؛ لأن بسمة الداعي في وجه العاصي من أجل إنقاذه من النار ، والعابد يبكي لإنقاذ نفسه فقط .

والعبوس في وجه العصاة واحتقارهم ينفرهم ، لهذا من صفات الداعي إلى الله : بكاء بالليل أمام الرب ، وبسمة بالنهار أمام الخلق ، والإنفاق عليهم ، والإحسان إليهم : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٥-١٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء : ١٠٩]

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ – ١٣٤] .

فعلامة الداعي إلى الله :

البسمة نهارًا وجهرًا أمام الخلق ، والبكاء ليلًا وسرًا ساجدًا بين يدي الرب جلَّ جلاله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

والصحابة رضي الله عنهم في فتح مكة أفطروا مع نبيهم ﷺ في نهار رمضان، وضحوا بالفرض من أجل إحياء قلوب الناس بالإيمان والأعمال الصالحة إلى قيام الساعة : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة : ٨٨ – ٨٩].

والعابد مثل مصباح يضيء في غرفة ، أما الداعي فمثل الشمس ، تنير العالم كله ، وتملأه بالنور يومًا بعد يوم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥ -٤٦] .

وغبار الداعي إلى الله الذي يتجول على الناس في القرى والمدن ليدعوهم إلى الله، أحب إلى الله من مسك العابد: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لن يَلِجُ النَّارَ رَجْلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهَّ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ ، وَلا يجْتَمعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللهَّ ودُخانُ جَهَنَّمَ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح(١) .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٦٣٣).

وإذا كان فم الصائم أطيب عن الله من ريح المسك ، فكم يكون طيب فم الداعي إلى الله ، المعلم لشرع الله !

قال النبي ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ» . متفق عليه[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] .

والداعي عنده الإيثار لا الاستئثار كما قال سبحانه عن الأنصار : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩] .

فالداعي مثل الذي يزرع أشجار الفواكه ، والعابد مثل الذي يأكلها ؛ فالذي يأكلها يجد لذة بدنية ، أما الذي يزرعها ويسقيها فيجد لذة روحية ، وهو أول من يجني ثمرة زرعه ، فالداعي يستفيد من دعوته قبل استفادة من يدعوه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾ ﴾ [الإسراء:٧] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٣/ ١١٥١).

إن الله ﷻ مدح هذه الأمة ، ومجدها ، وأثنى عليها بالعبودية ، وهي مازالت تشرب الخمر في مكة ، لأن الخمر حرمت في المدينة بعد الهجرة، فقال سبحانه : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾[الفرقان:٦٣-٦٦] .

وفي ذلك الوقت كانوا يشربون الخمر ، ولم تكن شُرعت الصلاة ولا الصيام ولا الحج ، فأثنى عليهم ؛ لأنه كانت فيهم العبودية الكاملة من أول يوم ، امتثال أوامر الله ورسوله ، واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه ، وتجلى ذلك كثر عندما صبَّ عليهم الكفار ألوان العذاب بسبب إسلامهم ، ولم يتراجعوا عن عبوديتهم لله سبحانه .

وبهذا الصبر والتحمل والثبات ، رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

إن مشقة القيام بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وتلاوة القرآن لا تُذكر بجانب العذاب والأذى الذي وقع على الصحابة في أول الإسلام ؛ كما حصل لأبي بكر ، وبلال ، وصهيب ، وعمار وأسرته ، وخباب ، وخبيب وغيرهم ، بل أشدمن هذا كله الأذى والسخرية والعداوة التي تعرض لها رسول الله ﷺ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال : ٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[الحج : ٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[الحشر : ٨] .

وقال النبي ﷺ : « أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يخَافُ أَحَدٌ » .أخرجه ابن ماجة[1] .

وكل آيات الصبر في القرآن نزلت من أجل الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، والصبر على الأذى في سبيل الله : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾[الأنعام : ٣٤] .

وكل العبادات الكبار التي شرعها اللهم ن أجل أن يُذكر ، ويُشكر ، ويُعبد وحده لا شريك له ، وكلها عون يستعين بها المسلم على القيام بجهد الدعوة إلى الله كالصلاة :﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[البقرة:٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[البقرة:١٥٣] .

وقال الله تعالى:﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الروم:٦٠]

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (١٥١).

فأجمل عبودية، وأعظم عبودية ، هي هذه العبودية التي مجدها الله في القرآن ، وأثنى على أهلها بقوله : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٣-٦٤] .

مشى النبي ﷺ وأصحابه على الأرض لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وتذكير الغافلين، وتعليم الجاهلين، يمشون على الأرض باللين، والتواضع ، والرحمة ، والسكينة، والوقار، لا بالعجب، والفخر ، والكبر ، والغلظة ، والشدة ، ولايجهلون على أحد آذاهم وهم يعرضون الدعوة عليه ، إنهم يستخدمون القوة الخلقية لنشر دين الله ، يتجملون بها ، ويجملون الناس بها : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان:٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال تعالى لموسى ﷺ : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[النازعات : ١٧-١٩] .

وقال الله تعالى لموسى وهارون : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه : ٤٣-٤٦] .

فهذا شأنهم ، وهذا مقصدهم كالأنبياء والرسل ، عبادة ودعوة عمل يومي حتى الموت ، ونحن يجب علينا أن نكون مثلهم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ

ﭐللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ﭐللَّهَ وَﭐلۡيَوۡمَ ﭐلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ﭐللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب : ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﭐلَّذِينَ هَدَى ﭐللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ﭐقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ﭐلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِﭐلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ﭐلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ﭐلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَﭐلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَﭐخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ﭐلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران :١٠٤– ١٠٥] .

ولقيام الصحابة رضي الله عنهم بهذا الجهد العظيم ، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ومدحهم بصفاتهم لا بذواتهم، ولازال الباب مفتوحًا لنا لنكون مثلهم : ﴿ وَﭐلسَّٰبِقُونَ ﭐلۡأَوَّلُونَ مِنَ ﭐلۡمُهَٰجِرِينَ وَﭐلۡأَنصَارِ وَﭐلَّذِينَ ﭐتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ﭐللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ﭐلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ﭐلۡفَوۡزُ ﭐلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ﭐلۡمُهَٰجِرِينَ ﭐلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ﭐللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ﭐللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ﭐلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَﭐلَّذِينَ تَبَوَّءُو ﭐلدَّارَ وَﭐلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ﭐلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ وَﭐلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ﭐغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ﭐلَّذِينَ سَبَقُونَا بِﭐلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر: ٨–١٠] .

قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ﭐللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ﭐتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ﭐللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ﭐلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

فسيرتهم رضي الله عنهم بالنهار ، يمشون من أجل الدعوة إلى الله ، ويتحملون كل أذى من الخلق . وسيرتهم بالليل يقومون بين يدي الله ، يتوددون إليه أن ينزل رحمته عليهم وعلى عباده :﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان:٦٣-٦٤] .

فيمشون ويبيتون تفيد الاستمرار كل يوم وليلة حتى الموت ، فالقيام ليلاً بين يدي الله من أجل هداية الناس إلى الصراط المستقيم : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾[المزمل : ١-٤].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾[المدثر : ١-٧] .

فليلك أيها المسلم من أجل الناس ، ونهارك من أجل الناس ، وتحمل المشقة من أجل هداية الناس ، فشرع الله سبحانه قيام الليل لهذه الأمة ، قبل أن يشرع الصلوات الخمس ، فما الحكمة في ذلك ؟ .

إن أعظم أعمال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هو الدعوة إلى التوحيد، وإلى الإيمان، وإلى عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وأول طلب من النبي ﷺ لأمته : : من يؤويني ، من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي ؟ .

أي من يعمل معي في عبادة الدعوة إلى الله ، لأن هذه الأمة مكلفة بالدعوة إلى الله في كل وقت ، وذلك بسبب ختم النبوة ، فالله سبحانه هو الذي اجتباها من بين الأمم ، وأعطاها عبودية الدعوة إلى الله بكل مطالبها ، قبل أن يأمرها بالشعائر والشرائع .

ومن مطالب الدعوة إلى الله من أول يوم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [القصص:٨٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾[المزمل:٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾[المدثر:٢].

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان:٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

والجاهل هنا ليس الجاهل بالتجارة، أو الصناعة، أو الزراعة، إنما المقصود الجاهل الذي لم يعرف ربه معرفة تجعله يؤمن به، ويطيعه، ويعبده، ويحبه، ويحمده.

الجاهل الذي عرف المخلوق، وما عرف الخالق .

الجاهل الذي عظم المخلوق ، وما عظم الخالق .

الجاهل الذي عظم الأموال والأشياء، ولم يعظم الإيمان والأعمال الصالحة.

الجاهل الذي عظم الدنيا ، وما عظم الآخرة : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩].

وقد سمى الله هذا الجاهل كافرًا ومجرمًا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[المطففين : ٢٩] .

وسماه فاسقًا : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة:١٨] .

وسماه الله جاهلًا ، لماذا ؟ .

لتأتي في قلوبنا الرحمة عليه ، فنرفق به ، ونكرمه ، ونحسن إليه :﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الجاثية:١٤] .

وقال النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»أخرجه البخاري.[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٧٧).

فعباد الرحمن يمشون على الأرض هونًا ؛ تواضعًا لخلق الله الذين يجهلون عظمة ربهم ، ويتعبون أبدانهم من أجل هدايتهم ، ويبذلون أموالهم من أجل هدايتهم ، ويذلون أنفسهم من أجل هداية الناس : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان:٦٣-٦٤] .

وقال تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات : ١٥] .

والقعود عن الدعوة إلى الله فيه فيما يبدو عزة نفس ، مع راحة البدن ، مع تضييع دين الله ، وأي خسارة أعظم من هذه الخسارة ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

فالدعوة إلى الله أعظم تجارة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الصف:١٠-١١] .

فكم مشى النبي ﷺ من أجل دعوة الناس إلى الله ، وكيف كان مشيه ﷺ ؟ .

مشى ﷺ على قدميه في مكة ، وفي موسم الحج ، لينشر دين الله بين الناس كما قال كفار مكة : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾[الفرقان:٧] .

ومشى ﷺ من أجل هداية الناس إلى الطائف على قدميه ، لم يركب فرسًا ولا جملًا ولا حمارًا ، لماذا ؟ .

حتى يتشرف بإتعاب بدنه في سبيل الله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

مشى ﷺ على قدميه من مكة إلى الطائف، وهذا المشي لا يستطيع أكبر رياضي في العالم أن يتحمله، ولا راحلة ولا زاد معه ، لكن الله معه ويراه ويربيه : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[التوبة:٤٠] .

وقال الله تعالى لموسى وهارون : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه : ٤٣ – ٤٦] .

وليست حرمة أقدامنا أعظم حرمةً من قدميه ﷺ ، وإنما ذلك تشريف له ، ليبين الله للناس عظم رحمته وشفقته على الأمة ، وصبره في إبلاغ رسالة الله إلى الناس : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة : ١٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء : ١٠٧] .

ولما وصل ﷺ إلى الطائف ، ماذا كانت نهاية التعب الشديد ؟ .

إن الله سبحانه أحيانًا يربي رسله وأولياءه ليظهر فيهم كمال التوحيد واليقين ، والصفات التي يحبها ، كما حصل في الذهاب إلى الطائف .

وأحيانًا يربي بهم ، فيكرمهم الناس ، ويستقبلونهم أحسن استقبال ، كما حصل في استقبال أهل المدينة للنبي ﷺ حين هاجر ، فكيف استقبله أهل الطائف ؟ .

الله ﷻ هو الرحمن الرحيم ، وهو الحكيم العليم ، قدر عليه ﷺ استقبال أهل الطائف بالسب والشتم والضرب ، قبل أن يُقدر له استقبال أهل المدينة بالحب والاحترام والإكرام .

فالله سبحانه يقدر الأحوال المخالفة على الداعي ، حتى يربيه أولًا ؛ ليتحقق له كمال العبودية ، وقوة اليقين على ربه .

وبعد ذلك تأتي الأحوال الموافقة له، حتى يعرف الناس قده ومنزلته، وينتشر الدين .

فالأحوال المخالفة لك لتربيتك، لتقوى عبوديتك لربك، والأحوال الموافقة من أجل غيرك ، حتى يفهم الناس دين الله وحسنه ، ويرغبوا فيه .

والآن كيف كان استقبال أهل الطائف للرسول ﷺ بعد شدة التعب ، وهذا السفر الطويل على الأقدام ؟ .

استقبل أهل الطائف ، أمراء وعامة ، رسول الله ﷺ شر استقبال .

عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ ، فَلَمْ يجُبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَّ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رُدُّوا

عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قَالَ : فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» . متفق عليه[1] .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم رحمته ﷺ بالخلق : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

والقرن الذي بُعث فيه النبي ﷺ شر القرون ، ولكن مع ذلك فيهم صفات وأخلاق كريمة كالشجاعة، والمروءة ، والكرم ، والإيثار، والعفو ، وإكرام الضيف ، وأعظم صفة كانت في العرب قبل الإسلام هي صفة الكرم ، خاصةً إكرام الضيف .

فانظر هؤلاء الذين تفاخروا بالكرم ، وعرفوا بإكرام الضيف ، لسان حالهم ماذا يقول ، يقول : كل الضيوف يستحقونالكرم والإكرام إلا هذا الضيف ، محمد ﷺ سيد الخَلق في حسن الخُلق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

وربنا ﷻ شرفه بإذلال نفسه من أجله سبحانه ، لأن عزة النفس بإذلالها من أجل العزيز جلَّ جلاله ، ولا يستطيع أحد أن يعز نفسه بنفسه ، لأن العزة لله

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٣١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١١/ ١٧٩٥).

جميعًا ، يهبها لمن آمن به ، واختار أن يكون عبدًا للعزيز : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس:٦٥] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون:٨] .

والعبودية لله هي غاية الحب مع غاية الذل لله ، فمن أذل نفسه من أجل الله ، يعزه الله العزيز ، ومن أراد أن يعزها بنفسه ، بملكه ، أو ماله ، أو قوته ، أو جماله ، أو منصبه ، فالله يذلها بقدرته مثل فرعون : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[الزخرف : ٥١] .

فماذا فعل الله به ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[الذاريات:٤٠] .
وكل أهل الطائف جاهلون ، معتدون ، ساخرون ، متكبرون ، ولحسن خلق النبي ﷺ صبر عليهم ، حتى دخلوا في الإسلام : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم : ٤] .

وخرج من ثقيف محمد بن القاسم الثقفي ، الذي كان سببًا لنشر الإسلام في الهند ، في بلاد ما وراء النهر ، وهناك قبره يشهد عليه ، خرج إلى الهند داعياً إلى الله ، وعمره ثمانية عشر عامًا ، والآن في صحيفته بلاد ما وراء النهر ، أكثر من خمسمائة مليون مسلم ومسلمة ، والنهر جار بالحسنات إلى يوم القيامة : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران :٧٣ -٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[البقرة:٢٦٩] .

اللهم أهدنا ، وأهد بنا ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى .

فيا أيها الداعي ، إذا سبَّك الجاهل ، أو شتمك ، وأنت تدعوه إلى الله ، فسامحه ، وادع الله له بالهداية ، وقم أمام الله في الليل ، وقل : يارب اجعل صبري عليه ، سببًا لهدايته : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤] .

فالدعاة إلى الله، لمعرفتهم بالله، ومعرفتهم بأهمية العمل والبلاغ، مشغولون بجهدهم ، وليس عندهم وقت للرد علىأهل الباطل ، لانشغالهم بنشر الحق : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾[القصص:٥٥] .

والله سبحانه أعطى هذه الأمة ما أعطى الأنبياء والرسل ، وهو الدعوة والعبادة ولهذا أكمل الله لهذه الأمة عبوديتها قبل أن يكمل تشريعها ، ولما كملت عبوديتها في فقه الدعوة ، والقيام بها ، فتح الله لهم أبواب السماء وعُرج بالنبي ﷺ إلى السماء وفُرضت عليه الصلاة ، ثم جاءت بعدها بقية الأحكام الشرعية :﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم : ١٣ – ١٥] .

والفرق بين كمال العبودية ، وكمال التشريع ، هو أن كمال التشريع ، وهو نزول كل الأوامر من عبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ، ومعاملات ، ومعاشرات ، وأخلاق اكتمل في ثلاثٍ وعشرين سنة ، وكمال العبودية أن يكون عندنا الاستعداد التام لقبول الأوامر ، سواءً قبل نزول التشريع أو بعده ، وقد ذم الله أهل الكتاب ؛ لأنهم ليس عندهم كمال العبودية ، ولهذا لما جاءت الأوامر عليهم قالوا سمعنا وعصينا ، فليس عندهم استعدادٌ لقبول الأوامر : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء:٦٦ –٦٨] .

إن الإنسان إذا كان نائمًا ، وعنده استعدادٌ لامتثال أي أمرٍ من أوامر الله ، فهو في نومه أعظم قدرًا عند الله من مسلمٍ ساجدٍ يبكي ، وما عنده استعداد أن يضحي من أجل أمر الله ، ونشر دين الله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور:٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

وجهد الدعوة إلى الله ينقسم إلى قسمين :

بدني .. وخلقي .

قال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

استخدام القوة البدنية في سبيل الله ، لإحياء دين الله في العالم على وجه الأرض : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان:٦٣] .

واستخدام القوة الخلقية مع الخلق ، ليقبل الناس الحق إذا رأوا حسن خلق الداعي إلى الله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

فالمقاتل في سبيل الله يستخدم القوة الغضبية في القتال : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد : ٤ – ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾[التحريم:٩] .

والعالم والمفتي يستخدم القوة العلمية ، لبيان أحكام الله للأمة : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل:٤٣] .

والداعي إلى الله يستخدم القوة الخلقية في دعوة الناس إلى الله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران:١٥٩] .

ومقصود الجهد البدني يمشون ، هو توصيل الحق والهدى للناس ، من خلال العواطف والأخلاق والمحاسن : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء:١٠٧] .

انظر ماذا قال كفار قوم نوح لنوح ﷺ لما دعاهم إلى الله ؟ ماذا قالوا ؟ .

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾[الأعراف: ٦٦] .

وماذا قالت عاد لرسولهم هودًا ﷺ : ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الأعراف: ٦٦] .

فما هو الرد الخلقي الذي ينبغي ؟ إما أن لا ترد وتصبر، وإما أن ترد بالأدب، والأول أعلاهما وأحسنهما .

فرد نبي الله نوح ﷺ بالأدب فقال : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾[الأعراف:٦١] .

ورد نبي الله هود ﷺ بالأدب فقال :﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ ﴾ [الأعراف:٦٧-٦٨] .

فلم يكن الرد أنتم الضالون ، أنتم السفهاء ، أنا رسول مرسل من الله .

أما الذي صبر ولم يرد مطلقًا ، مع قوة الأذى والسخرية والاستهزاء ، والمكر والكيد ، والسب والشتم ، من قومه ، فهو سيد البشر محمدٌ ﷺ ، أحسن الناس خلقًا وخُلقًا ، فقد قيل له وعنه مجنونٌ ، وشاعرٌ ، وكاهنٌ ، وكاذبٌ ، وساحر .

فلما قال عنه كفار مكة أنه شاعر ، إنه كاهن لم يرد عن نفسه ، فرد الله عنه فقال سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ ﴾ [الحاقة:٤٠-٤٢] .

ولما قالوا عنه أنه مجنون لم يرد عن نفسه ، وإنما رد الله عنه فقال : ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ ﴾[القلم: ١-٢] .

وقال : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ ﴾[التكوير:٢٢] .

وقالوا عنه أبتر يموت أولاده فلا يبقى له أحد ، فلم يرد عليهم ، بل رد الله عنه فقال : ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣ ﴾[الكوثر:١-٣] .

أي من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من بغضك فهو الأبتر المقطوع .

لقد حفظ النبي ﷺ وقته ، وشغل نفسه ، بتعظيم الله ، وتمجيده ، وتكبيره وحمده وشكره ، وتعظيم حرماته ، ودعوة الخلق إليه ، فأكرمه وأعزه ، ورفع ذكره ، ودافع عنه : ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ

ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح :١-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم:١-٥] .

الذي يمشي في الأسواق للدعوة إلى الله ، والذي يسجد لله ، ويبكي من خشية الله في سجوده طول يومه ، أيهما أعبد لله ؟

أعبدهما وأحسنهما الذي يؤدي فرائض الله في أوقاتها ، ويدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فالعبودية الصغرى أن تعبد الله وحدك ، والعبودية الكبرى أن تعبد الله ، وتعبد غيرك ليركع ويسجد لربه العظيم .

وأكثر المسلمين اليوم انشغل بالعبودية الصغرى ، عن العبودية الكبرى ، وهي الدعوة إلى الله التي لها كل الأوقات، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الحج:٧٧ – ٧٨].

فالصلوات الخمس لها وقتٌ محدود ، والصوم له وقتٌ محدود شهرٌ في السنة ، والحج له وقتٌ محدود سبعة أيامٍ في العمر ، والدعوة إلى الله لها كل الأوقات .

فالصبر في مجال الدعوة إلى الله أعظم أنواع الصبر ، ويونس ﷺ أبق وغضب على قومه عندما ضربوه فتركهم ، فلما استقر في بطن الحوت ماذا قال ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾[الأنبياء:٨٧-٨٨] .

والله سبحانه نهى نبيه محمدًا ﷺ وأمته عن ذلك فقال : ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ ﴾[القلم: ٤٨] .

وهذه الأمة كالأنبياء مكلفةٌ ومأمورةٌ بالدعوة إلى الله في كل حالٍ ، ومكانٍ ، وزمان .

وقد أقام الله هذه الأمة على جهد الدعوة إلى الله بكل طبقاتها : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[النحل : ١٢٥] .

فالداعي بين أمرين :

الأول : قيام بين يدي ربه بالعبادة : ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ ﴾[المزمل:٢] .

والقيام جزءٌ من الدعوة ، ويتقدم الدعوة ؛ لأنه زاد الداعي الذي يقويه على الصبر والبلاغ ، لهذا شُرع هذا القيام قبل الصلوات الخمس بعشر سنين : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[الإسراء : ٧٩] .

الثاني : قيام بين يدي الخلق بالدعوة : ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ ﴾[المدثر : ٢] .

وما بين قم وقم تلوم نفسك وتستغفره عن التقصير في طاعة الكبير ، ودعوة الصغير : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾ [النصر:١-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ ﴾[الذاريات : ١٨] .

فالدعوة إلى الله هي إظهار محاسن الدين ؛ ليدخل الناس في الإسلام إذا عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفوا عظمة ملكه وسلطانه ، وعرفوا عظيم نعمه وإحسانه ، وعرفوا دينه وشرعه الحسن : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت :٣٣].

فالدعوة إلى الله تجمع الناس على دينٍ واحد ، وتوحد فكرهم ، وتجمع ملايين البشر على لا إله إلا الله : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾[البقرة : ١٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

والناس لا ترى جمال الدين في الصلاة والصيام ، والحج والجهاد ، والزكاة ؛ لأن هذه تكاليف وشعائر وشرائع .

فالفريضة الوحيدة ، وهي أم الفرائض كلها ، هي الدعوة إلى الله ، وبها تظهر محاسن الدين ، لذا يدخل الناس في الدين إذا رأوا الإسلام عمليًا فيمن يدعوهم إليه ؛ ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نتصف بصفات الأنبياء ، وأخلاق الأنبياء ، ونعمل عمل الأنبياء في دعوة الناس إلى الله .

قال الله تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام : ٩٠] .

ونقتدي بالرسول ﷺ في ستة أمور :

١- في نيته وفكره .

٢- وفي توحيده وإيمانه .

٣- وفي أقواله الحسنة .

٤- وفي أعماله الصالحة .

٥- وفي أخلاقه الكريمة .

٦- وفي عبادته ودعوته .

قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب : ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

أما الشريعة فلكل نبي شريعته خاضعة : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [المائدة :٤٨] .

فأكمل الشرائع شريعة محمد ﷺ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

والتوراة كتاب موسى ﷺ لبني إسرائيل ، نزلت بعد هلاك فرعون ، فما يدل عليه ذلك ؟ ، يدل على أنه كان هناك جهدٌ ودعوة قبل نزول التوراة التي فيها التكاليف والأحكام الشرعية .

قال الله تعالى لموسى ﷺ : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات : ١٧-١٩] .

فالقرآن المكي يُتلى في صلاة التهجد ليلًا ، فيكون زادًا ومُعينًا للداعي إلى الله نهارًا : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل : ١-٨] .

في الليل مع ربك تتلوا كتابه ، تقرأ عن عظمة من خلقك وهداك ، وعن الدعاة إلى الله من الأنبياء والرسل ، وعن اليوم الآخر : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم : ٤١] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾[مريم : ٥٦] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم:٥١] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم:٥٤] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾[الأحقاف:٢١] .
اذكر هؤلاء الأنبياء والرسل ، لتقتدي بهم في توحيدهم ، وإيمانهم ، ودعوتهم إلى الله ، وحسن أخلاقهم .
النبي ﷺ إمام الدعاة والعلماء والعباد ، والمجاهدين في سبيل الله ، إذا أخطأ أحد المسلمين في العبادة ، فالرسول ﷺ عندما يصحح له الخطأ يهش ويبتسم في وجهه ، ثم يبين له الصواب ، كما فعل مع الأعرابي الذي بال في المسجد ، ومع الشاب الذي قال يا رسول الله ائذن لي بالزنا ، ومع معاوية بن الحكم السلمي حينما رد على من عطس في الصلاة بقوله : يرحمك الله .
ولكن عندما يخطئ أحدٌ في الدعوة إلى الله ، يغضب ويعنف ، لأنه يربي الأمة على حمل أمانة الدعوة إلى الله ، كما قال لأسامة بن زيد لما طعن الأعرابي برمحه فقال له رسول الله ﷺ : « يا أُسامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَما قالَ لا إِلهَ إِلاَّ

اللهُ فقال يا رسول الله : إنه كَانَ مُتَعَوِّذًا فقال له : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا » . متفقٌ عليه[1] .

والنبي ﷺ كان خلقه القرآن تصديقًا وتطبيقًا ، داخل الصلاة ، وخارج الصلاة ، في جميع شئون الحياة ، وحق القرآن أن نتعلمه ، ونعمل به ، ونبلغه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

وحق القرآن تجويد الألفاظ والمعاني ، وتصديق أخباره ، وتطبيق أحكامه بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧٠] .

وأكثر الأمة لا يفهم من التجويد إلا تجويد الألفاظ ، وحسن النطق ، وجمال الصوت فقط ، فهل هذا هو التجويد المطلوب ؟ .

إن تجويد الألفاظ وسيلةٌ لفهم المعاني ، والمقصود الأصلي تدبر القرآن ، والعمل به ، وإبلاغه للناس ؛ ليخرجوا من ظلمات الجهل والفساد إلى نور الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص : ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان : ٥١-٥٢] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢٦٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩/ ٩٦).

والله سبحانه بين عظمة جهد الداعي إلى الله ، وبين عظمة وسيلة الداعي التي يركب عليها في سبيل الله، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾ [العاديات: ١ – ٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهَّ إِيمَانًا بِاللهَّ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». أخرجه البخاري[1].

وعن جبير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : الأَجْرُ وَالغنيمة» . أخرجه مسلم[2] .

وجميع العبادات مبنيةٌ على التخفيف والرخص ، أما الدعوة إلى الله فهي مبنيةٌ على العزيمة ، وقوة التضحية : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج : ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾[البقرة :٦٣] .

وعبودية العابد فقط ، يستطيع الشيطان أن يفسدها بالوسوسة ، أما عبودية الداعي فلا يستطيع الشيطان أن يقربها : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الحجر : ٤٢] .

وهناك فرقٌ كبيرٌ بين العبادة في المسجد الحرام ، وبين جهد الدعوة في العالم، بينه الله بقوله : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٨٥٣).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٩٧/ ١٨٧٢).

أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة : ١٩-٢٢] .

فالعابد علاقته بالخالق سبحانه لا بالمخلوق ، والداعي علاقته بالخالق والمخلوق ، والعابد زهد في الدنيا وأقبل على الآخرة ، والداعي إلى الله عرف الدنيا وسخرها في طاعة الله ، وعرف الآخرة فعمل لها بما يرضي الله ، والعابد يموت وتنقطع عبادته ، أما الداعي فعندما يموت تحيا وتنتشر دعوته كصاحب يس ، ومؤمن آل فرعون ، وغلام الأخدود وهكذا من قبلهم من الأنبياء والرسل .

ونهاية جهد العابد بداية جهد الداعي ، ونهاية جهد الداعي بداية جهد أي نبي ، ونهاية جهد النبي بداية جهد أي رسول ، ونهاية جهد أي رسول بداية جهد أولي العزم من الرسل ، وهم نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام ، ونهاية جهد أولي العزم من الرسل بداية جهد سيد الأنبياء والرسل نبينا محمدٍ ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج : ٧٧ – ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾[النحل : ٣٦] .

وقال الله ﷻ عن الأنبياء والرسل : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ (٩٠) ﴾[الأنعام :٩٠] .

وقال الله تعالى:﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ [النساء:١٦٣] .

وقال الله تعالى:﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥) ﴾[الأحقاف:٣٥] .

وقال الله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾[الأحزاب :٢١] .

والله سبحانه بعث الأنبياء والرسل بالدعوة، والعبادة والعبودية، وكذلك أعطى هذه الأمة ما أعطى الأنبياء والرسل؛ لأنها خير أمة أُخرجت للناس:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) ﴾[آل عمران : ١١٠] .

والدعوة إلى الله هي أم الفرائض ، وأم العبادات كلها .

والفرق بين العبادة والعبودية ، أن العبودية شجرة ، والعبادة ثمرة .

والعبودية أصل ، والعبادة فرع ، وحتى نكون عبيدًا له كلفنا بالعبادة ، والعبودية عمل القلوب ، والعبادة عمل الجوارح .

والعبادة محدودة من صلاةٍ وصوم ، وزكاةٍ وحجٍ ، وذكرٍ ودعاء وغيرها ، والعبودية مطلقة في كل مكانٍ وزمانٍ وحال ، والعبودية لها بداية وليس لها نهاية ، أما العبادة كالصلاة والصوم والذكر فلها بدايةٌ ونهاية .

والعبادة جسد ، والعبودية روح ، ولا قيمة للجسد بلا روح .

والعبادة وسيلة ، والعبودية غاية ، والعبادة غالبًا يراها الناس أما العبودية فلا يراها إلا الله لأنها حيثية .

والعبادة في الدنيا فقط ، أما العبودية فتكون في الدنيا والآخرة حيث تنقطع العبادة ، ويبدأ الثواب عليها .

ومن لم تثمر عباداته المنوعة عبوديةً لربه ، فعباداته مردودة عليه .

وعلامات ذلك خصال النفاق ، فترك الدين كفر ، وترك جهد الدين يولد النفاق : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾[النساء:١١٥] .

٤ – مصادر ثروة الداعي إلى الله :

إن أهل الطائف الذين ذهب إليهم النبي ﷺ أمراء وعامة جاهلون معتدون ، ساخرون مستهزئون بالنبي ﷺ ، ولحسن خلق النبي ﷺ صبر عليهم حتى دخلوا في الإسلام ؛ فالداعي إلى الله ﷻ كل يومٍ يمشي على الأرض هونًا بالنور فينشر النور بين الناس الذين هم في الظلمات، فيزدادوا كل يومٍ نورًا : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم : ١] .

والبشرية كلها تتخبط في الظلمات إلا من نور الله قلبه بالإيمان ، وزين جسده ولسانه بالأقوال الحسنة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الكريمة ؛ فنور الداعي إلى الله نور الإيمان ، ونور العبادات ، ونور المعاملات ، ونور الأخلاق ، مع الداعي في كل مكان يمشي بين الناس .

أما نور العابد فهو محصورٌ في عبادته ، مثل مصباح المنزل محصورٌ في مكان خاص ، لا يتعداه إلى غيره : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت :٣٣– ٣٥] .

والمؤمن مَنَّ الله ﷻ عليه بكراماتٍ وثرواتٍ كثيرة ، **فما هي مصادر الثروة عند الداعي إلى الله ؟** .

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة : ٢] .

المصدر الأول : النية الواسعة .

بأن تعطي كل ما عندك للناس ، ولكن الوقت والعمر ، والمال والعلم ، والتضحية والبذل ، قليلٌ بالنسبة للعالم ؛ لهذا علينا أن ننوي دعوة كل العالم ، وندعو الله أن يهدي الإنس والجن ، وننوي إكرام كل الناس ، وإبلاغ الدين لكل الناس ، فالأعمال بالنيات ، ونبدأ بالعمل ، والله يعطينا على النية الكبيرة الأجر الكبير ، ورُب عملٍ صغيرٍ كبرته النية الكبيرة ، وربما عملٌ كبير صغرته النية المحدودة : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفقٌ عليه(١) .

والمسلمون اليوم حوالي مليارين كلهم في صحيفة النبي ﷺ وأصحابه .

فنية النبي ﷺ في الدعوة نية عظيمةٌ واسعة تدور في ثمان دوائر .

فكان ﷺ يقوم بالدعوة وجميع الأعمال ، وينوي هداية نفسه ، وهداية أهله ، وهداية عشيرته ، وهداية قومه ، وهداية أهل مكة ، وهداية ما حولها ،

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧) .

وهداية الناس ، وهداية العالم : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

المصدر الثاني : السريرة الصالحة المشغولة بحب الله ، وحبه لهداية الخلق ، وحب الخير لهم ، وحب الترقي بالسيرة والسريرة : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج : ٧٨] .

فيقول الداعي إلى الله مخاطبًا نفسه : لو كان عندي مالٌ بعدد ذرات جبال الدنيا ، أو عدد قطرات ماء السماء والبحار ، لأنفقه في سبيل الله .

ويقول : وددت لو أن عندي ملء الأرض دقيقًا ، لأنفقه في سبيل الله ، ووددت لو أن الله هدى الخلق أجمعين ، ووددت لو أن الله يرزقني صفات الأنبياء ، فالأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ ﴾ [المؤمنون : ٦٠ – ٦١] .

المصدر الثالث : العفو عن إساءة الخلق .

فالعابد فقط لا يسئ إليه أحد في ركوعٍ ولا سجود؛ لأنه لا علاقة له بالناس ، وإنما علاقته برب الناس ، ولكن ما أكثر الإساءة إلى الداعي إلى الله : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فالداعي إلى الله أصبر الناس، وعليه أن يصبر على من سبه وشتمه، أو قطعه، أو سخر منه ، أو استهزأ به ، أو أساء إليه ، أو فسقه أو كفره ويعفو عن كل من أساء إليه من أجل دعوته إلى الله .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ ﴾ [الحجر:٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ ﴾ [النور:٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩ ﴾ [النساء:١٤٨-١٤٩] .

وكم احتمل النبي ﷺ من الأذى في سبيل الله ، وما انتقم مرةً واحدة ممن أذاه ؛ لأن قلبه مُلئ رحمةً للخلق :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ ﴾[الفرقان:٤١] .

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ» . أخرجه أحمد والترمذي[1] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٤٠٥٥) ، والترمذي برقم (٢٤٧٢) .

والداعي إلى الله في هذه الدنيا له مقامان :

المقام الأول: مقامٌ بين يدي ربه يكبره ، ويعظمه ، ويحمده ، ويشكره ، ويسأله الهداية له ولغيره من الناس .

والمقام الثاني : بين الناس ، يدعوهم إلى الله ، ويحركهم للدعوة إلى الله ؛ لإحياء دين الله في العالم ، وصدره مملوءٌ بحب الخير للناس ، ببدنه يخالط الناس ، وبقلبه يخفي حبه لسعادة البشرية ، وأنه يتمنى أنها كلها تعبد الله ، وتركع وتسجد لله .

فكم للداعي إلى الله من الأجور العظيمة حين يقف بين يدي ربه عابداً ، وبين يدي خلقه داعياً : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

والدين إنما يظهر في العالم بأمرين :

أن أقوم بالدعوة إلى الله لإعلاء كلمة الله ونشر دين الله ، وأدعو غيري للقيام بهذا العمل ، وأذكر الله ، وأذكر غيري ، واتقي الله ، وآمر غيري بالتقوى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية : ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر : ١-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

٥- فقه الدعوة والتعليم

الداعي إلى الله هو من يدعو الناس ليعبدوا الله وحده لا شريك له: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

والمعلم هو الذي يعلم الناس كيف يعبدون الله، كيف يتوضئون، كيف يصلون، كيف يصومون، كيف يزكون، كيف يحجون وهكذا.

والعابد المقبول عند الله هو ثمرة جهد الداعي إلى الله، والمعلم لشرع الله.

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)﴾ [آل عمران:٧٩].

وقد أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ داعيًا ومعلمًا داعياً للكفار المعارضين، ومعلمًا للمؤمنين المهتدين: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١)﴾ [إبراهيم:١].

والظلمات نوعان:

الأولى: ظلمة الكفر والشرك، وهذه أعظم الظلمات وأشدها وأخطرها: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ [لقمان:١٣].

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)﴾ [البقرة: ٢٥٧].

الثانية : ظلمة المعصية .

وسبب هذا الظلام الكلي والجزئي هو الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والجهل بملكه وسلطانه والجهل بدينه وشرعه والجهل بوعده ووعيده : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾

[الزمر:٩].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ﴾[الرعد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾[الأعراف : ١٧٩] .

فمن عرف الله آمن به ، وأحبه ، وأطاعه ولم يعصه .

وقد أرسل الله رسوله موسى ﷺ إلى فريقين من الناس :

أحدهما : أرسله الله ﷻ للمسلمين العصاة من بني إسرائيل قوم موسى ﷺ .

الثاني : للكفار وهم فرعون وقومه .

وكذلك نبينا ﷺ داعيًا للبشرية كلها ، لكن في عهده ﷺ لم يكن هناك مسلمٌ تاركٌ للصلاة ، فكانت الدعوة موجهةٌ للكفار فقط ، والتعليم للمسلمين ، فإذا كان في المسلمين عصاة فيجب علينا دعوتهم إلى الله ليتركوا المعاصي، ودعوة الكفار ليدخلوا في الإسلام : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ

بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

والعالم الذي يعلم المسلمين شريعة الله يجلس في مكانه ؛ لأن العلم يؤتى إليه ، وإن وجدت حاجه لذهابه إلى البلدان انتقل ، وله المثوبة من الله ، وهذا التعليم على نهج النبوة .

أما الداعي فيذهب إلى الناس ويمشي في الأسواق ليدعو الناس إلى الله، كما قال سبحانه لموسى ﷺ : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات : ١٧-١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الشعراء:١٠-١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يس:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٢] .

وقال الله لموسى وهارون عليهم الصلاة والسلام : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٣-٤٤] .

فقدم الله الوسيلة اذهبا ، وجاء بعدها المقصد ؛ لبيان أهمية المقصد فمفتاح العلم : حرك قلمك ، ومفتاح الدعوة : حرك قدمك .

والداعي إلى الله موكلٌ بنشر الهداية في العالم ، كالشمس موكلةٌ بالإنارة في العالم ، والسحب موكلة بالمطر في العالم ، والأرض موكلة بالإنبات في العالم ، والهواء موكلٌ أن يهب في العالم ، والداعي إلى الله موكلٌ بنشر الهداية في العالم : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

فالداعي إلى الله الأرض دكانه ، والناس كلهم زبائنه ، والدين كله بأخباره وأحكامه سلعته ، فالداعي الأرض أقدامه وأوراقه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

والعالم دائمًا في عزة العلم والفقه بين الناس ، لا يتعرض للأحوال التي تهزه ، أما الداعي إلى الله فتمر عليه الأحوال الشديدة من السخرية والاستهزاء ، لأن الله يربيه لتظهر فيه الصفات التي يحبها الله ﷻ من الحلم والصبر ، والعفو والإحسان ، والتي قرأها في القرآن : ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾[الحجر : ٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾[غافر : ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾[الفرقان : ٤١] .

فالداعي يُقال له : يا ساحر ، يا مجنون ، يا كاهن ، يا شاعر ، يا كذاب ، ويتعرض للإهانة والسخرية، فتظهر فيه الصفات التي تجعله محبوبًا عند الله،

وعند الناس : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٩-١٢] .

العالم يُتلقى من الناس بالترحيب والإكرام والتقدير ، لمِا يرونه من فقهه وعلمه ، واستحضاره المسائل ، وقوته على الإفتاء في المسائل المشتبهة .

والعالم يأخذ عزته بحق ويؤجر ، ولكن ليس بصاحب الحظ العظيم وهو الداعي إلى الله ، الذي قال الله عنه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ

﴿ بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت:٣٣-٣٥] .

والداعي إلى الله حسب قوة إيمانه ، يأتيه البلاء الذي يُرقيه ، ويقوي توحيده ويقينه ، كما قال النبي ﷺ : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ » . أو « عَلَى قَدْرِ دِينِهِ ».أخرجه أبو داود[1].

فكم يتعرض الداعي إلى الله من جهة البشر للأحوال الشديدة ، من سبٍ وشتم ، وضربٍ وطرد ، وتخويفٍ وقتل ، وسجنٍ وأحوالٍ شتى للتربية : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن : ١١] .

وقوة العالم بالمعلومات الشرعية التي تنفع الناس : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقوة الداعي إلى الله بالصفات الإيمانية التي تجذب الناس إلى الدين : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢١٢).

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

والأنبياء والرسل أعلم الناس بالله ، والله مدحهم بصفاتهم التي يحبها من الرحمة والحلم ، والصبر ، والمسارعة إلى الخيرات كأيوب ﷺ : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[ص : ٤٤] .

وإبراهيم ﷺ : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[التوبة: ١١٤] .

ومحمد ﷺ : ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[التوبة:١١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[الأحقاف : ٣٥] .

فأيها الداعي إذا لم يعرف لك المدعو حقك ، فاعرف له حقه ، واطلب حقك من الله الذي تدعو الناس إليه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف : ١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس : ٦٢-٦٥] .

وجهد العالم على العقل ، حتى يتنور العقل بالعلم ، وجهد الداعي على القلب ، حتى يتنور القلب بالإيمان ، والمطلوب أولًا إصلاح القلب بالدعوة إلى الله ، ثم إصلاح العقل بالعلم الشرعي ، ليعبد المسلم ربه على بصيرة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

والدعوة تُورث علم التقوى ، والتعليم يُورث علم الفتوى ، وعلم التقوى مكي ، وعلم الفتوى مدني ، وبالدعوة يهتدي الناس ، وبالتعليم يعبد الناس ربهم عل بصيرة : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد : ١٩] .

والدعوة لنشر محاسن الدين الواضحات ، والفتوى لتوضيح المسائل الغامضات والمشكلات .

وفي جهد الدعوة دائمًا تذكيرٌ ، وترغيبٌ وترهيب ، وإكرامٌ ، وقيام ليل ، والتحلي بمحاسن الأخلاق من صبرٍ ، وعفوٍ ، وصدقٍ وحلمٍ ، وإكرام : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف : ١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾[المزمل : ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾[النحل:١٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾[الطور:٤٨].

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر:٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾[طه:١٣٠] .

فكل الآيات في الدعوة تأمر بالصبر والعفو والحلم ، لأنه منهجٌ ثابتٌ لا يتغير.

فنوح ﷺ ظل يقول لقومه حتى هلاكهم : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح : ١٠ -١٢] .

لأن الجهد لا يختلف أبدًا ، الرحمة ، والبسمة ، والشفقة على الناس هي سلاح كل داع إلى الله : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الطور : ٤٨].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

وفي جهد التعليم المعلومات تتغير من يومٍ إلى يوم ، ومن بابٍ إلى باب ، منهاج التعليم يتغير ويتنوع حسب أنواع الأوامر والأحكام الشرعية .

أما جهد الدعوة إلى الله فثابتٌ لا يتغير : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وفي التعليم يلزمنا حفظ الآيات والأحاديث التي تقرر الأحكام الشرعية ، وفي الدعوة تلزمنا الأخلاق الحسنة ، من الصبر ، والتواضع ، والحلم ، والرحمة ، والإحسان ، والعفو ، والصفح : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

فالذي لا يعرف قدرك اعرف قدره ، والذي لم يعطك حقك أعطه حقه ، واطلب حقك من الله ، تكن داعيًا إلى الله حقًا : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى

﴿ ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٣- ١٣٤] .

ولهذا مدح الله نبيه ﷺ وأثنى عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

- **والتعليم له ركنان :**

المعلم .. وطالب العلم .

فالداعي يأخذ صفات الطالب وليس المعلم ، من التودد والتواضع للمدعو ، فيتودد لكل الناس بشتى الصور ، ابتغاء مرضات الله ؛ ليأتي الناس إلى هذا الدين العظيم لما يرونه من حسن الأخلاق التي يتجمل بها الداعي : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وكلام الدعوة يحتاجه الداعي ، والمدعو ، أما المعلم فلا يحتاج في علمه للطالب :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[العنكبوت:٦] .

والداعي إلى الله دعوته لعموم الناس ، أما المعلم فلا يفرض التعليم على كل الناس ، ولكنه مثل الصيدلي يصرف الدواء حسب طلب المريض : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

فهذه وظيفة الداعي ، أما وظيفة العالم ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[النحل:٤٣] .

وكل التعليمات في المدرسة للطالب ، وليست للمعلم ، أما كل التعليمات في القرآن فهي للداعي إلى الله ؛ لكي يثبت على الدعوة أمام المشاكل التي تواجهه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥ -٤٨] .

وجهد الدعوة إلى الله جهدٌ فطري ، فكل أحدٍ من المسلمين يستطيع أن يكون داعيًا إلى الله بأخلاقه وصفاته ، كصاحب يس داع بفطرته دون أن يعلمه أحد ، فالدعوة على الله جهدٌ فطريٌ ميسر : ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ ﴾[القمر: ١٧] .

أما جهد التعليم فجهدٌ كسبيٌ خاص ، مفتي ، أو مفسر ، أو مجود ، أو معلم ، وهذه مواهب ليست متوفرة لكل الناس ، فعلم المسائل والإفتاء فرض كفاية ، يقوم به القادر عليه : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الأنبياء : ٧] .

فالأمة كلها مؤهلةٌ للدعوة إلى الله ، وليست كلها مؤهلةٌ للتعليم والفتوى .

فالعلماء والمفتون هم خواص الأمة كالشمس والقمر بين النجوم ، والدعاة إلى الله كالنجوم التي تضيء الكون ليلًا : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[النحل:١٦] .

فكل أحد من المسلمين يستطيع أن يكون داعيًا كبيرًا بالهمة ، وقوة المشاعر، وملازمة بيئة الإيمان، ويستطيع أنيكون معلمًا كبيرًا، لكن بالفطنة ، والموهبة

التي وهبها الله له : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران ٧٣ – ٧٤] .

وكلمة (قل) وردت في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة ، وكلها في مجال الدعوة إلى الله إلا القليل ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة:١١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [البقرة :١٢٠– ١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ ﴾ [الملك:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:١–٤] .

والقرآن الكريم يقول لنا والرسول ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

ويقول لنا أكثر من ثلاثمائة مرة ، ونحن نسكت ، والله يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩- ١٦٠] .

وجميع هذه الأمة دعاةٌ إلى الله العلماء والعامة كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

جميع هذه الأمة دعاةٌ إلى الله العلماء والعامة ، والرجال والنساء ، والعرب والعجم ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

فمؤمن آل يس قال لقومه : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يس:٢٠-٢١] .

فما قال اتبعوني ؛ لأنه مسلم جديد ، ليس عنده علمٌ ولا منهج ، ولا بيئة ، ولكن عنده دلالةٌ على غيره من أهل العلم ، وسجله الله من أكبر الدعاة إلى الله ؛ لأنه قال : ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[يس : ٢٠] .

وكذلك جميع الأنبياء قالوا لأممهم : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل : ٣٦] .

أما مؤمن آل فرعون فهو مؤمنٌ قديم ؛ فلهذا دعا قومه إلى الله تعالى ، وقال كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [غافر : ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر : ٣٨ – ٤٠] .

وهناك فاصلٌ زمني بين المعلم والطالب ، فالمعلم دائمًا وغالبًا أكبر من الطالب ؛ لأنه سبقه في المعلومات ، أما الدعوة فليس هناك فاصلٌ زمني بين رجلٍ اهتدى قديمًا ، ورجلٌ اهتدى حديثًا ، وقد يسبق الأخير الأول بحسب قوة يقينه ، وقوة فكره وهمه : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة : ٤] .

والداعي إلى الله دائمًا يتهم نفسه بالتقصير كما قال موسى ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص : ١٦] .

وقال الله تعالى عن يونس ﷺ : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي ، وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي ، وَخَطَئِي ، وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي » . متفقٌ عليه[1] .

وعلم النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه دعاءً يدعو به في صلاته ، فقال له : « قُلْ : اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيرًا ، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » . متفقٌ عليه[2] .

والناس في الدعوة إلى الله مختلفون ، فمنهم مستقلٌ ، ومستكثر ، أما في العلم والتعليم فهم إما مستقل ، وإما مستكثر ، وإما محروم وكل داعٍ إلى الله معلم ، وليس كل معلمٍ داعٍ إلى الله .

وقد قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ » . أخرجه الترمذي بسندٍ حسن[3] .

وكل فضائل التعليم يأخذها الداعي إلى الله ، حتى لو كان قليل العلم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال النبي ﷺ : « لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمْ المَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمْ اللهُّ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٩٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٠/ ٢٧١٩).
(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٨٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٨/ ٢٧٠٥).
(٣) حسن أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٨٥).

وعلم الطب علم قضاء الحاجة ، ويمكن تعلمه حتى من الكفار ، أما علم الدعوة فنتعلمه فقط من القرآن ، ومن سير الأنبياء والرسل ؛ لأنه علم القيام على المقصد العظيم : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

وعلم الدعوة : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [غافر:٣٨] .

وقال صاحب يس : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس : ٢٠ – ٢١] .

فليست الدعوة إلى الله لتحقير الناس ، وتصنيفهم ، هذا فاسق ، هذا مبتدع ، هذا كافر : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور : ٦٣] .

العلم والتعليم لتصحيح الأعمال ، حتى تكون لله خالصة ، وعلى السُنَّة قائمة : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال النبي ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[٢].

وقال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفقٌ عليه[٣] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٣٩/ ٢٧٠٠).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣١٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٨/ ١٠٣٧) .

والعلماء هم العلماء بالله ، الذين يخشون الله ﷻ ، فهم أخشى الناس ، وأتقاهم لله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر : ٢٨] .

وذلك لكمال علمهم بالله ، وعلمهم بدينه وشرعه .

وكل المسلمين مثل الذهب، لكن العلماء مثل الذهب الإبريز النادر، والدعاة مثل الذهب الشائع ، وكل الأمة ذهب إذا قامت على الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

والداعي إلى الله لا يطلب شهرة اجتماعية ، بل بتواضع بين الناس ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت : ٣٣] .

ومن طلب الشهرة سقط ، وسقطت دعوته ومكانته .

والداعي لا يطلب شهرة في زمانه ، بل يطلبها بعد موته ، كما قال سبحانه عن إبراهيم ﷺ : ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الشعراء:٨٤] .

وصاحب يس بجمال فطرته نذر نفسه لهداية البشرية ، وما أحدٌ كلفه ، وما سأل عن شرعية عمله ، فقبله الله ، وأدخله الجنة : ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ

﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ (٢٧) ﴾[يس : ٢٦ – ٢٧] .

وإبليس بفساد فطرته نذر نفسه لإفساد البشرية ، وما كلفه أحد بذلك ، وما أمره أحد ، وما سأل عن شرعية عمله : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ (١٧) ﴾[الأعراف : ١٦ – ١٧] .

والله سبحانه مدح هذا بفطرته ، وذم إبليس بفساد فطرته .

وكذلك الداعي إلى الله ينذر نفسه لجهد الدعوة إلى الله ، ويضحي بنفسه ، وماله ، وجهده ، ووقته ؛ من أجل هداية الخلق : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (١٥) ﴾[الحجرات : ١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٦٩) ﴾[العنكبوت : ٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) ﴾[الأحزاب : ٣٩] .

والصحابة رضي الله عنهم بكمال فطرتهم وإيمانهم ، قاموا بالدعوة إلى الله ، والصحابة رضي الله عنهم هم أعلم الخلق بعد الأنبياء والرسل ، ولا يوجد صحابيٌ واحد سأل الرسول ﷺ هل الدعوة فرض عين ، أم فرض كفاية .

وهل الدعوة التي تُنجي من عذابٍ أليم ، ويحصل بها الثواب العظيم ، فرض كفاية ، أم فرض عين؟، بل هي فرض عين إكراماً لجميع الأمة : ﴿ وَلۡتَكُن

مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

فنعم الوظيفة ، ونعم التجارة ، ونعم الربح : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف : ١٠ – ١٣] .

ومن لم ينصر دين الله ، وينصر رسول الله ، بالدعوة إلى الله فبماذا ينصره ؟!

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف : ١٤] .

ومن نصر دين الله نصره الله : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج : ٤٠ – ٤١] .

وكل مسلم لم ينشرح صدره للدعوة إلى الله ، أو يشعر أنها ثقيلةٌ عليه ، فإن فطرته تحتاج إلى طهارة من الشهوات والشبهات ؛ لأنها ملوثة ، والدعوة الانفرادية تُظهر ذلك : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

والصفات الإيمانية تأتي بالصفات الربانية التي يحبها الله ، ومن ملك الصفات الحسنة ، جاءت إليه الناس بصفاته ، كالطير لا يقع إلا على الحب والثمر : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

﴿ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ ﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ [مريم:٩٦] .

وبساطة الدعوة والدعاة ، وتقللهم من الدنيا ، جعلت أكثر الناس لا يفهمون مقصد الدعوة العظيم : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩ ﴾ [الفرقان:٧-٩] .

والكفار نظروا إلى دنيا الأنبياء فلم يؤمنوا ولم يهتدوا ، ولو نظروا إلى صفاتهم ، لتغير الحال وقبلوا الهداية : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾ [الزخرف : ٣١-٣٢] .

فالداعي إلى الله في قلبه العلم الإلهي الذي حركه للعبادة بين يدي ربه ، وللدعوة بين يدي خلقه ، وإلى الإحسان إلى الخلق ، فالداعي معروفٌ بليله إذا نام الناس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ ﴾ [المزمل : ١-٢].

ومعروفٌ بنهاره بين الناس بالإكرام ، وحسن الخلق ، يدعو الناس إلى الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ ﴾ [المدثر : ١ - ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران :١٣٣- ١٣٤] .

فالداعي معه الله يحفظه من أعدائه ومن الناس ، والخلق كلهم ، فهو كالغواصة تغوص في الماء ولا يدخلها الماء ، فهو يغوص في أهل الباطل ولا يدخله الباطل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة:٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت:٣٣].

والعابد فقط محفوظٌ في أماكن العبادة ، فإذا خرج على الناس يتسخط ما هم عليه ، ويكره العصاة ، وينفر منهم ، وقد يُفتن ؛ لأنه فاقدٌ للسلاح ، ولا يعرف السباحة :﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ ﴾ [المزمل: ٧].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

والداعي لا يعبأ بكيفية موته ، همه كيف يحيا الدين في الناس ، ولو مات هو كغلام أهل الأخدود : ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ ﴾ [البروج: ٤-٧]

- **فقه السبيل :**

الناس اثنان مشغولٌ بالله بعبادته ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ومشغولٌ عن الله بشهواته ومعاصيه، والله سبحانه هو الحق الذي أمر بالحق،

وأمر بسلوك السبيل الموصل إليه ، ونهى عن الباطل ، وأمر باجتناب السبل الموصل إليه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

والله سبحانه بين سبيل الحق ، وسبيل الباطل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل : ٨٩] .

وكل إنسان لا يسلك الصراط المستقيم ، سيشقى في الدنيا والآخرة : ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان : ٢٧-٢٩] .

والسبيل هي الطريق المقصودة لغيرها ، الموصلة لغرضها ، المؤدية إلى غايتها : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وهناك في الحياة سبيلان :

الأول : سبيل الحق والهدى .

وهو سبيل الله ، وسبيل الرسول ، وهما سبيلٌ واحد يؤدي إلى الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] .

وهذه السبيل هي الطريقة التي سلكها رسول الله ﷺ ، وهي سبيل الرشد والهداية المؤدية إلى مرضات الله سبحانه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وقل الله ﷻ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

الثاني : سبيل الغي والضلال ، وسبيل المجرمين والظالمين ، المؤدي إلى الطاغوت والكفر والشرك ، والمعاصي والفساد والنار : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٥] .

ومن سلك هذا السبيل فسيشقى في الدنيا والآخرة : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان : ٢٧ – ٢٩] .

فسبيل الحق واحد هو الإيمان بالله وتقواه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٢-١٠٣] .

فسبيل الحق واحد ، وسُبل الباطل كثيرة ، فكل ما سوى الحق فهو باطل : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

ومن استكبر عن سلوك سبيل المؤمنين ، ومال إلى سبيل المجرمين صرفه الله إلى ما اختار : ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

وكما أن طريق تصنيع الآلات والأجهزة المختلفة طريقٌ واحد له شروطه وضوابطه ، فكذلك طريق تصنيع الرجال ، هو الدين الحق فقط : ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ﴾ [طه : ٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ ﴾ [طه : ٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال : ٢- ٤] .

فالسبيل الوحيد لتربية الأمة ، وتخريج أهل الصفات التي يحبها الله ، هو الدعوة إلى الله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

والصفات التي يحبها الله ، ويريدها الله من عباده ، ذكرها الله ﷻ في كتابه ، وهذه الصفات هي : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة : ١١٢] .

ومن هذه الصفات : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

ومن هذه الصفات التي يحبها الله ويأمر بها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون : ١-١١] .

ومن هذه الصفات التي يحبها الله : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٣-٧٦] .

فالدعوة إلى الله تنتج أهل هذه الصفات العظيمة ، والأخلاق الكريمة .

سبيل الرحمن هو الحق الذي أنزل به كتبه ، وأرسل به رسله إلى عباده ، والسبيل المضاد لذلك هو سبيل الشيطان الذي يُصنع الكفار ، والمشركين ، والمجرمين ، والظالمين ، والأشرار ، والفجار ، فلنحذره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[يس:٦١-٦٠].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر : ٦] .

فمن عرف سبيل المؤمنين ، وسار فيه ، ودعا الناس لسلوكه ، وعرف سبيل المجرمين ، وابتعد عنه ، وحذر منه ، فهذا نائب النبي ﷺ في أمته : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل : ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

- **فقه الدين :**

الدين جسد وروح :

فجسده العبادات من صلاة وزكاة ، وصومٍ وحج ، وأذكارٍ وأدعية ، وأخلاق وآداب ، وروحه الدعوة إلى الله التي هي سببٌ لحصول الإيمان في القلب ، ثم تظهر على الجسد آثار العبودية بأنواع العبادات .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[المزمل : ١-٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾[المدثر : ١-٦] .

- **جنة الدنيا :**

الدنيا جنة المعارف الحقة :

أول المعارف الحقة ، وأعظمها ، وأعلاها ، وأوجبها معرفة الله ، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة خزائنه ، ومعرفة وعده ووعيده ، ومعرفة دينه وشرعه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨] .

والله هو الحق ، ودينه حق ، ورسله حق ، وكتبه حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والحق لا يفنى ؛ لأنه أبدي : ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء : ٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر : ٩] .

وجهد الحق تمثل في آدم عليه السلام من أول لحظة .

وجهد الباطل تمثل في إبليس من أول لحظة .

فلنتعرف على الحق حتى نتيقن عليه ، ونعمل به ، وندعو إليه : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

ونتعرف على الباطل حتى لا نقع فيه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٥].

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي » . متفقٌ عليه[1] .

ومجامع الخير كلها في الحق وحده ، فالحق بناءٌ ونور ، وسعادةٌ وأمن ، وطمأنينة وسكينة ، وسعادةٌ في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت : ٣٠-٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام : ٨٢] .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩] .

ومجامع الشر كلها في الباطل وحده ، فالباطل هدمٌ وتخريبٌ ، وخوفٌ وشقاء ، وظلمات وخسارة ، وعذابٌ وألم : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء:٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٠٦) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٤٧/٥١) .

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه : ١٢٣- ١٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر : ١٥] .

- **مفاتح الخير ، ومفاتح الشر :**

أكبر مفتاحٍ للحق والخير في العالم ، هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل : ٣٦] .

وما من مفتاح إلا وله أسنان .

وأسنان الحق والخير التي تفتح القلوب بالإيمان والتقوى خمسة :

الأول : تعظيم الرب جل جلاله ، بذكر أسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر : ٢٢- ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وحمد الله وتمجيده على عظيم نعمه وإحسانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة :٢- ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف:١] .

وتسبيحه جل جلاله وتقديسه : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ [الأعلى : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ [الحديد:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة : ١]

الثاني : إكرام الخلق من ذرية آدم .

لأن الله خلق أباهم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة :٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين : ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

وأكرم ذريته بأنواع الكرامات ، فيجب العناية بهم ، والإحسان إليهم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

الثالث : اتهام النفس .

فآدم ﷺ اتهم نفسه فاستغفر ربه : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

فالنفوس محل الجهل والمعصية ، والتقصير ، والنسيان ، فاتهم نفسه ، فتاب الله عليه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة:٣٧].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه : ١١٥] .

الرابعة : عاطفة الرحمة ، فنرحم جميع الخلق .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء :١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال النبي ﷺ : « ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ».أخرجه الترمذي وأبو داود [1].

الخامس : حسن الظن بالله ، ثم حسن الظن بالخلق .

وحسن الظن بالله يحصل بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده .

ومن عرف الله أحبه وأطاعه ، ووحده وعبده ، وعظمه وكبره : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام :١٠٢- ١٠٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف : ٥٤] .

ومن أحسن الظن بالله آمن به واتقاه ، ومن أحسن الظن بخلق الله رحمهم وأشفق عليهم ، وتولاهم بالإحسان والدعوة والتعليم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران : ٧٩] .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤) ، وأخرجه أبو داود برقم (٤٩٤١) .

فهذه هي أسنان الحق والخير في العالم التي تفتح القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى ، فعلى المسلم أن يتصف بها ، ويتعبد لله بها كالأنبياء والرسل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب : ٢١] .

وأكبر مفتاحٍ للباطل والضلال والشر في العالم هو الشيطان ، وما من مفتاح إلا وله أسنان .

وأسنان مفتاح الباطل التي تفتح القلوب بالكفر والباطل والمعاصي خمسة :

الأول : تعظيم النفس :

فإبليس قال لربه عن آدم ﷺ : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[ص:٧٦] .

وتعظيم النفس وتمجيدها يحصل بأربع صفات مهلكات هي :

أنا .. ولي.. وبيدي .. وعندي .

فأنا إبليسيه : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[ص : ٧٦] .

وفرعونية : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[النازعات : ٢٤] .

ولي فرعونية : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[الزخرف : ٥١] .

وعندي قارونية، كما قال قارون : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص:٧٨] .

وكل هذه الصفات الأربع لله وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[المائدة : ١٢٠] .

وقال الله تعالى:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[طه : ١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام : ٥٩] .

وقال الله تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر : ٢١] .

فمن رأى في نفسه أحدى هذه الصفات المهلكة ، فهو هالك ، وفيه من صفات إبليس وفرعون وقارون ، والتي بسببها لعن الله إبليس ، وأغرق فرعون ، وخسف بقارون وبداره الأرض .

الثاني : احتقار الخلق :

فمن عظم نفسه احتقر غيره ، فإبليس عظم نفسه واستكبر عن السجود لآدم حيث قال لربه : ﴿ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ ﴾[الإسراء : ٦١] .

فمن احتقر غيره ففيه من صفات إبليس التي لعنه الله وطرده من الجنة بسببها.

الثالث : عاطفة الحسد :

فإبليس حسد آدم صلى الله عليه وآله وسلم على هذا التكريم من ربه ، فامتنع عن السجود له ، مع أن إبليس كان من أعظم العباد ، وفي مجتمعٍ نوراني كله طاعات حيث كان

مع الملائكة في السماء : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء : ٦٢] .

الرابع : عاطفة الانتقام :

فإبليس أقسم بعزة الله على جر ذرية آدم ﷺ معه إلى معصية الله ، ثم إلى النار : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء : ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص : ٨٢-٨٣] .

والاحتناك أن يضع الحبال في أعناقهم حتى يجرهم بها إلى جهنم ، وقد قال وفعل :﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ:٢٠] .

مع أن الله بين لهم أن إبليس عدوهم : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس:٦٠-٦٢] .

وإبليس عنده تحليل لكل إنسان ، ويعرف المفتاح الذي يصلح لكل إنسان حتى يجعله من أهل الباطل ، ويدعو إلى الباطل:﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف : ١٦ -١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٢] .

الخامس : سوء الظن بالله :

والله سبحانه يأمر بالعدل ، والإحسان ، والخير والحق ، ولا يأمر بالسوء والفحشاء ، والله لم يأمر إبليس بما فعل ولم يكلفه ، ولكنه هو الذي اختار ما اختار من الكفر والكِبر ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

وكل إنسانٍ اتصف بهذه الصفات أو بعضها فقد أخذ سنًا من أسنان إبليس كلها أو بعضها.

قال الله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء : ١١٧- ١٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء : ٣٨] .

فما هو الحل لمن جره الشيطان ، وجعله جنديًا من جنوده يجر الناس إلى الباطل والضلال والشر ؟ .

الحل هو القيام بالدعوة إلى الله ، واستعمال مفاتيح الخير والحق ؛ ليزول الشر والباطل من العالم : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء : ٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤-١٠٥] .

٨- فقه عداوة الشيطان لآدم وذريته :

بين الله ﷻ في القرآن أن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين في آياتٍ كثيرة ؛ ليحذر عباده من الشيطان وخطواته فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾[النور: ٢١] .

وكان كل نبي يُبعث إلى أسرة أو قبيلة ، أو قوم أو بلد ، وإبليس عنده جهدٌ عالمي لنشر الباطل والشر في العالم ، فاقتضت حكمة الله العزيز العليم أن يبعث محمدًا ﷺ بالرحمة العالمية ، وكذا شرف الله أمته بالقيام بجهده : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء : ١٠٧] .

وقال عن أمته : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران : ١١٠] .

والشر العالمي الذي يقوده إبليس وجنوده ، يقابله خيرٌ عالمي ، الذي جاء به محمدٌ ﷺ ، وكلف الله به أمته ، والحق العالمي يُقابله باطلٌ عالمي ، والله مع الحق وأهله يؤيدهم وينصرهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل : ١٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنبياء : ١٨] .

والله جل جلاله لكماله هو الذي يستحق التكبير ، والتمجيد ، والتعظيم ، والحب ، والحمد ، والشكر ، والتوحيد ، وحده لا شريك له ، لمِا الله من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾ [طه : ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ ﴾ [المدثر: ١-٣].

وقال الله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧ ﴾ [الجاثية : ٣٦-٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

فالرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [يونس : ٣].

وإبليس لشدة عداوته لآدم ﷺ وحسده له ، حقر ما عظمه ربه وهو آدم الذي خلقه الله بيده ، وخلق كل شيءٍ من أجله ، وسخر له ولذريته كل شيء ، وجعله في الدنيا خليفة ، ويوم القيامة إن آمن به وأطاعه جليسه .

وهذا كله تكريمٌ لآدم ﷺ وذريته : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

وكما يقود الإنسان دابته بالحبل حيث شاء ، كذلك الشيطان يقود الناس إلى حيث شاء من المعاصي ، والفواحش ، والكبائر كما قال الله عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[الحجر:٣٩] .

وقال سبحانه عن الشيطان : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾

[النساء:١١٧- ١٢١] .

والله سبحانه له صفات الجلال ، وله صفات الجمال :

وقد أمر عباده أن يتصفوا بصفات الجمال غفور ، رحيم ، كريم ، رزاق ، تواب ، عفو ، حليم ، ودود ، لطيف وأمثالها .

ونهاهم أن يتصفوا بصفات الجلال جبار ، قهار ، متكبر .

فمن اتصف من العباد بصفات الجمال أعملها الله فيه .

كما قال النبي ﷺ : « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ » .أخرجه أحمد والترمذي[1].

وقال ﷺ : « ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » .أخرجه الترمذي وأبو داود[2].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور:٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة:١٩٥] .

ومن اتصف بصفات الجلال أعملها الله فيه كما قال النبي ﷺ : « يقول اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ » . وفي رواية « قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ » . أخرجه أبو داود وابن حبان[3] .

فآدم ﷺ اتصف بصفات الجمال فأعملها الله فيه ، فتاب إلى ربه ، فتاب الله عليه : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة:٣٧].

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٦٤٩٤) .

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤) ، وأبو داود برقم (٤٩٤١) .

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠٩٠) وابن حبان برقم (٣٢٨) .

أما إبليس فاتصف بصفات الجلال فأعملها الله فيه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] .

ولما امتنع عن السجود لآدم قال الله له : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف : ١٢] .

وقال ﷻ : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص:٧٥] .

وواجه ربه بصفات الجلال التي هي صفاته جل جلاله : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص:٨٢] .

وسبب الإباء والاستكبار والتعالي : ﴿ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ص:٧٦] .

فإبليس لعنه الله هو زعيم جهد الباطل في العالم ؛ لأنه عظم نفسه ، وحقر آدم وحسده ، وجاءت عنده عاطفة الانتقام من آدم وذريته حيث : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص:٨٢-٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء:٦٢] .

فسبيل الشيطان سبيل الشر ، والضلال ، والباطل ، والغي ، في العالم ، فليحذر العبد من هذه السبل التي تجره إلى طاعة الشيطان ، ثم إلى نار جهنم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٨] .

والشيطان وحزبه هم الخاسرون في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة:١٩].

ومصير الشيطان وحزبه إلى جهنم : ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء:٩٤-٩٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء : ١١٩ – ١٢١] .

وأعقل الناس من قبل الحق ، وقام بجهد الحق ، وأسفه الناس من رد الحق ، وقام بجهد الباطل : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٢ – ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [البقرة:١٣٠] .

وقال الله تعالى عن أجهل الناس : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وشتان بين هؤلاء وهؤلاء في العمل والجزاء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد:١٢] .

وقد أقسم الله ﷻ على هداية من اجتهد للحق عملًا به ، ودعوةً إليه .

فقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت : ٦٩] .

والشيطان قد أقسم على إضلال جميع البشرية إلا من اتبع الحق ، وثبت عليه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص:٨٢-٨٣] .

فالشيطان يوسوس ، ويُزين ، ويؤز، ويُرغب في كل معصية كبيرة أو صغيرة .

كما قال الله عنه : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الإسراء:٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾[النمل:٢٤-٢٦].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

وكيد الشيطان ضعيف ، فليس معه سلاح أو عصا أو سكين أو بندقية ، ولا أموال ولا عقارات ، وإنما سلاحه الوحيد الإغراء والتزيين كما غر آدم

وزوجه : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأعراف:٢٢-٢٤].

وقال الله تعالى عن الشيطان : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[إبراهيم:٢٢-٢٣]

فالشيطان يؤز الناس إلى المعاصي ، والمنكرات ، والكبائر ، والفواحش أزًا ، فهو يدفع الناس إلى كل شر ، ويشاركهم في كل معصية ، في كل زنى ، في كل جريمة ، في كل أكلٍ حرام ، في كل سرقةٍ وغش ، في كل غيبةٍ ونميمة ، في كل نظرٍ محرم ، في كل سماعٍ محرم ، في كل تبرج نساء ، في كل تعري ، في كل معصية على وجه الأرض ، يأمر بها ، ويحرص عليها ، ويُزينها ، ويُشارك فيها : ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس: ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم : ٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ:٢٠] .

لهذا فالشيطان أكبر مخلوق يتلذذ بشهوات الدنيا وملذاتها ومعاصيها ، ويجر الناس إليها في كل مكانٍ وزمان ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦].

وجميع الكفار، والمشركين ، والظلمة ، والطغاة ، والعصاة ، تنزل عليهم بسبب إبليس ما لا يُحصى من اللعنات ، وإبليس تنزل عليه أضعاف اللعنات التي تنزل على البشرية جمعاء ؛ لأنه كان سببًا في إغواء البشرية : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص:٨٢-٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [ص:٧٧-٧٨] .

وقد لعنه الله لئلا يغتر أحدٌ به ، وينخدع بتزيينه ، وزخرفة قوله :﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧] .

في الجنة التي أسكنها الله آدم وزوجه كانت الثمار تتدلى على آدم وحواء ، وبعد المعصية صارت تبعد عنهما كما قال الله لآدم : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[طه:١١٨-١١٩] .

والإنسان المؤمن دائمًا في ستر الله مادام في طاعة الله ، فإذا عصى ربه كشف عنه ستره ، وبدت عورته : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا

لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأعراف:٢٦-٢٧] .

وقال الله تعالى عن الشيطان : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[الأعراف:٢١-٢٢] .

فاللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وألبسنا لباس التقوى الذي به ترضى عنا يا ذا الجلال والإكرام .

وفرعون أكبر تلامذة إبليس في العالم، فإنه قال ما لم يقله إبليس ، حيث قال فرعون: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[النازعات : ٢٤] .

وقال لقومه : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾[القصص : ٣٨] .

فخدع فرعون قومه فأضلهم : ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الزخرف : ٥٤] .

فماذا كانت عقوبة فرعون وقومه : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[القصص : ٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف : ٥٥] .

واليهود من أكبر تلامذة إبليس ؛ لأنهم عرفوا الحق ، ثم تمردوا واستكبروا ، وصدوا عن سبيل الله ، فلعنهم الله ، وغضب عليهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[البقرة:١٤٦].

وقال الله تعالى عن اليهود : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران:١٨١-١٨٢] .

والناس تعرف الباطل ، وتعمل بالباطل من خلال إبليس وجنوده من الطواغيت :﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[سبأ:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾[البقرة:٢٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[الأنعام: ١١٢- ١١٣] .

وقال الله تعالى :﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾[النساء:٣٨] .

لهذا مفتاح جهد الحق الاعتراف بالظلم عند الوقوع في المعصية ، فآدم وزوجه اعترفا بظلم النفس عندما وقعا في المعصية ، فتاب الله عليهما .

كما قال سبحانه :﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣] .

وقال الله تعالى :﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧].

فأول صفة من صفات أهل الحق هي التوبة إلى الله ﷻ . ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾[الحجرات:١١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾[النور:٣١] .

وقال الله تعالى في صفات أهل الحق : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٢﴾ [التوبة:١١٢] .

وسد التائبين ﷺ يقول : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » . أخرجه مسلم[1] .

ويقول ﷺ : « وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » . أخرجه البخاري[2] .

وقد أمره الله ﷻ بالاستغفار بعد قيامه بجهد الدعوة العظيم، فقال سبحانه : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[النصر:١-٣] .

وببركة التوبة أكرم الله آدم وذريته بالجهد والنبوة : ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٦﴾[الأعراف:٣٥-٣٦].

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٤١/ ٢٧٠٢).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٦٣٠٧).

فالتقوى والإصلاح ثمرة جهد الدعوة إلى الله ، والإسلام والطاعات ، وأنواع العبادات لله ﷻ كلها نور ، والكفر والمعاصي ، وعبادة الشيطان كلها ظلماتٍ بعضها أظلم من بعض ، فكفر الكافر أشد ظلمة من معصية المسلم ، ومعصية المسلم شديدة الظلمة ؛ لأنها معصيةٌ بعد المعرفة ، وكفر المغضوب عليهم من أعظم أنواع الكفر ؛ لأنه معصيةٌ بعد المعرفة : ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩٠ ﴾[البقرة:٩٠] .

والمسيح الدجال شيطانٌ صغير ، والهروب منه يكون بالإيمان والأعمال الصالحة ، وقراءة فواتح سورة الكهف .

والشيطان الأكبر هو إبليس ، وهو ملازمٌ للإنسان ، يجري منه مجرى الدم ؛ ليُفسد كل جارحةٍ فيه ، والهروب منه لا يكون إلا بجهد الحق ؛ لأن الشيطان يفر من طريق الدعاة إلى الله ، لهذا يهرب الشيطان عند سماع الآذان ؛ لأن الآذان دعوةٌ إلى الله ، ولا يفر من الصلاة مع أنها أهم الفرائض بعد الشهادتين ؛ لأن الدعوة أم الفرائض ، وبها توجد وتحيا جميع الفرائض والسُنن : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وأكبر أعداء الداعي إلى الله هم شياطين الإنس والجن : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ١١٣ ﴾[الأنعام: ١١٢-١١٣] .

وأسلحة الداعي إلى الله أن الله معه : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] .

وقال الله لموسى وهارون : ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه : ٤٦] .

والملائكة معه ، وصالح المؤمنين معه : ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾[التحريم:٤].

والحق ينتشر بالتعاون : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾[المائدة:٢]

والباطل ينتشر بالتعصب لجنسٍ أو بلدٍ أو قومٍ أو قبيلةٍ أو مذهب فاليهود قالوا : ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾[آل عمران:٧٥] .

وأهل الباطل من اليهود وغيرهم يُبغض بعضهم بعضًا ، ويحسد بعضهم بعضًا ، ويقتل بعضهم بعضًا ، فهم في عداوةٍ دائمة في الدنيا والآخرة : ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤﴾[الحشر : ١٤].

فهذا في الدنيا ، أما في الآخرة فكما قال سبحانه : ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾[الأعراف:٣٨] .

أما أهل الحق فهم في محبةٍ وأخوةٍ دائمة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾[الحجرات : ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

هذا في الدنيا ، أما في الآخرة فيقول الله عنهم : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر:٤٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢] .

وإبليس بسبب كفره واستكباره أهبطه الله من المكان والمكانة ، فالمكان السماء ، والمكانة هي المنزلة : ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [ص:٧٧-٧٨]

وآدم بسبب توبته واستغفاره ربه ، أهبطه الله من المكان ، وهو السماء ، وما أهبطه من المكانة ؛ لأنه يريده وذريته ليكون خليفةً في الأرض : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩] .

وسيعود آدم ﷺ ومن آمن من ذريته إلى مكانه في السماء ومكانته حيث سيكرمه الله بأعظم أنواع الإكرام بدخول الجنة ، ورضوانه عليه وعلى ذريته المؤمنين .

فسيعود بعد انقضاء فترة الاختبار والامتحان والابتلاء هو وذريته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس:٦٢-٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات:٢٢] .

أما إبليس وأتباعه وجنوده فسيعودون جميعًا إلى أسفل مكانٍ ومكانة .

كما قال سبحانه : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزمر:٧١-٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء:٩٤-٩٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

٩- فقه جهد أهل الحق ، وجهد أهل الباطل :

أهل الحق يؤمنون بالحق ، ويعملون بالحق ، ويدعون إلى الحق ، ولا يكرهون الناس على الحق ، ولا يقهرونهم عليه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف:٢٩-٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[البقرة:٢٥٦]

أما أهل الباطل فيكرهون الناس على باطلهم :﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الكهف:٢٠].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص : ٤].

وماذا قال فرعون ؟ .

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[الأعراف:١٢٧].

وأهل الحق يفرحون بالإيمان ، والأعمال الصالحة ، وما لهم عند الله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس : ٥٨] .

وأهل الباطل يفرحون ويفخرون بما لهم وعندهم من أموال ورياسات كما قال الله عن الكفار : ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ:٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الزخرف : ٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد:٢٦] .

وقارون فرح بما عنده من المال : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [القصص:٧٦] .

فماذا قال ؟ : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾ [القصص:٧٨] .

فماذا فعل الله به ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص:٨١] .

وجهد الحق : هو إظهار محاسن الدين ، وإظهار جمال الفطرة ، وإظهار جمال أسماء الله وصفاته ، وإظهار جمال دينه وشرعه ، وإظهار جمال وعده ووعيده : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم : ٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وجهد الباطل : هو إظهار محاسن الدنيا ، وإفساد الفطرة : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد : ٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال : ٣٦] .

وجهد الحق أصوله توجيه الناس من المخلوق إلى الخالق ، ومن الدنيا إلى الآخرة ، ومن عبادة غير الله إلى عبادة الله ، ومن الأموال والأشياء إلى الإيمان والأعمال الصالحة ، ومن العادات والتقاليد إلى السُنن والآداب الشرعية ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة : ١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] .

وجهد الباطل عكس ذلك تمامًا : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧ ﴾[البقرة:٢٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١ ﴾[النساء : ١١٧ – ١٢١] .

ومن أسلحة الشيطان في جر الناس إلى الكفر والشرك ، والبدع والمعاصي :

إبعادهم عن الإيمان والطاعات ، و تخويف الناس من الخلق : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ ﴾[آل عمران:١٧٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾[النور : ٢١] .

والله سبحانه ولي المؤمنين في الدنيا والآخرة ، ومن لم يكن الرحمن وليه ، تولاه الشيطان بالضلال والإضلال : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ ﴾[النساء:١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾﴾[النساء:٣٨] .

ومن كان الله وليه فلا قدرة للشيطان عليه : ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾[النساء:٨٣] .

وقال الله تعالى عن الشيطان : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[الحجر : ٣٩] .

والدعوة إلى الله هي أم الأعمال كلها ، وأفضل الأعمال كلها بعد التوحيد والإيمان ، وإذا قامت الدعوة إلى الله جاءت أوامر الله في حياة الأمة .

والدعوة إلى الله ذُكرت في القرآن في المرتبة الثالثة في عدد الأسماء والأوصاف في كتاب الله ﷻ ، وفي السُنَّة النبوية .

فأولًا : أسماء الله الحسنى أخذت المرتبة الأولى عدًا ووصفًا في القرآن والسُنَّة .

ثانيًا : أسماء يوم القيامة أخذت المرتبة الثانية عدًا ووصفًا في القرآن والسُنَّة .

ثالثًا : أسماء الدعوة إلى الله أخذت المرتبة الثالثة ، حيث سماها الله الدعوة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإصلاح ، والتبليغ ، والبيان ، والتعليم ، والهداية ، والتواصي بالحق ، والنصيحة ، والوعظ ، والتبشير ، والإنذار ، والصدع بالحق .

وما تعددت أسماؤه وأوصافه ، فهو عند الله عظيم ، ويجب علينا كذلك أن يكون عظيمًا في قلوبنا : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت : ٣٣] .

الصحابة رضي الله عنهم تعلموا جهد الأنبياء والرسل في الدعوة من جهد نبينا محمدٍ ﷺ ، تعلموا منه ﷺ كرم الداعية ، حلم الداعية، صدق الداعية ،

رحمة الداعية ، حكمة الداعية ، تضحية الداعية ، صبر الداعية ، تعلموا هذا وغيره من سيرة النبي ﷺ العملية : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة: ١٢٨] .

والأمة الإسلامية إذا تركت الدعوة إلى الله ، وتركت الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، حُرمت بركة الوحي ، وإذا عظمت الدنيا نُزعت منها هيبة الإسلام ، وإذا تسابت سقطت من عين الله ، فأكل بعضها بعضًا ، وتسلط عليها أعداؤها ، كما هو حاصل الآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢-١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[الأنعام:١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥] .

فإذا تركت الأمة الدعوة إلى الله حُرمت فهم القرآن ، وأصبحت قراءة القرآن للتبرك والحفظ فقط ، لا للتصديق ، ولا للتطبيق ، لا للعلم ، ولا للعمل :
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد : ٢٤] .

فمن لم يقم على المقصد العظيم ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة إليه من العُباد ، يذم من يقرأ آيات العبادات ، ولا يطبقها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النساء:٧٧] .

فالعابد فقط يذم من يخالفه في العبادات ويُنكر عليه ، وهذا حسن .

أما من يقرأ آيات الدعوة : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

فيُعجب بقراءته ، ويُقال له : قارئ عظيم ، ولا نذم وننصح من يقرأ آيات الدعوة ولا يطبقها ، مع أن الدعوة إلى الله أم الفرائض كلها بعد الإيمان ، وقد لعن الله من تركها ، كما قال سبحانه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة:٧٨ -٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ

﴿وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

صلاة الأنبياء ، وضوء الأنبياء ، صوم الأنبياء ، حج الأنبياء ، كل ذلك منسوخٌ بشريعة النبي ﷺ ، فلا نفعل ذلك كله إلا على شريعة نبينا ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٧﴾[الحشر:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٤٨﴾[المائدة : ٤٨] .

لأن شريعة محمد ﷺ مهيمنة على جميع الشرائع السابقة في الأحكام .

أما الدعوة على الله :

فندعو إلى الله على طريقة نبينا ﷺ ، وعلى طريقة مائة وأربعةٍ وعشرين ألف رسول ونبي : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام:٨٩-٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ٤١﴾[مريم:٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ٥٤﴾[مريم:٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم:٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٣] .

وممنوعٌ على المسلم من أمة محمد ﷺ أن يهتدي بهدى الأنبياء والرسل في التيمم ، والوضوء ، والصلاة ، والصوم وغيرها من العبادات والأحكام ؛ لأنها منسوخة بشريعة نبينا محمد ﷺ .

بل نهتدي بهديهم في التوحيد ، والإيمان ، والأخلاق ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان على الخلق ، وبقوة المجاهدة تأتي قوة الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وإذا ضعفت المجاهدة قلت الهداية ، وإذا جاءت الهداية سهل تطبيق الأوامر ، وإذا ضعفت الهداية سهل فعل المعاصي ، ومخالفة الأوامر .

وكثير من الناس اليوم يرى المرأة المتبرجة ، ويرى الفُساق ، وحانات الخمور ، وبنوك الربا ، وأماكن اللهو والفجور ، وقلبه لم يتغير ولا يحزن ، لكن لو رأى البول والغائط على ثيابه أو فراشه ، لهاجت مشاعره ، وغضب وبادر إلى إزالته ، لكن يتعطر بالغيبة والنميمة في كل مجلس ، ولا يستنكر ذلك : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج:٤٦]

فأكثر الناس عنده غيرة على شكل العبادة ، وليس عنده غيرة على حقيقة العبودية :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وقال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ ﴾ [الملك:١٢] .

ولهذا يلزم كل مسلم ومسلمة أن يعرف الله بأسماء جلاله ، حتى يُكبره ويعظمه ، ويعظم أمره ، ويعرف الله بأسماء الجمال ؛ لكي يزداد حبًا له ، وشكرًا له : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤ ﴾[إبراهيم : ٣٤] .

ونسمع آيات الوعد حتى قلوبنا تفرح وتشتاق إلى الجنة ، فتُقبل على طاعته وتزداد محبةً له ، ودعوةً إليه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾[التوبة : ٧٢] .

ونسمع مرارًا آيات الوعيد ، حتى تخاف قلوبنا من الله ، وتستنكر المعاصي : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾[النساء:٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾[النساء:١٤].

ثلاث عشرة سنة في مكة والقرآن العظيم يُفصل جهد الإيمان ، جهد الأنبياء ، جهد الدعوة إلى الله ، جهد الدعوة إلى التوحيد والإيمان .

فقه الإيمان ، فقه الدعوة ، كله مُفصلٌ في القرآن الكريم ، أما فقه الأحكام في القرآن فهو مجملٌ فقط : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[النساء : ٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[البقرة : ١٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ﴾[البقرة : ١٩٦] .

فهذه أمهات العبادات مجملة في القرآن ، وتفاصيلها في المصدر الثاني السُنَّة النبوية .

والقرآن فَصل أهم قضية في الحياة ، فَصل جهد الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله ، جهد الدعوة إلى الله ، جهد الدعوة إلى التوحيد والإيمان ، لأن هذه الأمة مكلفة بالدعوة إلى الله كالأنبياء : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

ولو قرأت القرآن العظيم ألف مرة ، فلن تجد صفة الصلاة ولا مقادير الزكاة ، ولا صفة الصيام والحج والعمرة ، لأن القرآن مُفصل لأهم الأمور وأعظمها وهو الإيمان والتوحيد والدعوة إليهما : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى

ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

وتفاصيل صفات الدعاة إلى الله ، وبيان ثواب ذلك ، وعقوبة ترك ذلك كل ذلك مفصل في القرآن : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة : ٧١ – ٧٢] .

كيف نخرج الناس من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ، ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة ، ومن ظلمة الغفلة والجهل إلى نور العلم والذكر ؟ هذا كله بينه الله في القرآن ، ولا خلاف فيه .

وفصل لنا جل جلاله كل العمليات التي نُخرج بها الناس من الظلمات إلى النور : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران :١٣٣-١٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل : ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [هود:٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر:٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه : ٤٣- ٤٤] .

وغير ذلك من الآيات التي بينها الله في كتابه .

القرآن الكريم نصفه المكي يتحدث عن الفقه الأكبر ، فقه التوحيد والإيمان ، وفقه الدعوة إلى الله .

قال النبي ﷺ : « وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » .متفق عليه[1].

والفقه فقهان ، فقه عن الله فيما خلق ، وفقه عن الله فيما شرع .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧١) ، ومسلم برقم (١٠٣٧) .

وكل الأمة فقهاء التقوى .

وفقه الدعوة عام ، وفقه الفتوى خاص .

وفقها الفتوى من الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبي ﷺ وبعده هم الخلفاء الراشدون ، والعبادلة الأربعة لا يزيدون على خمسة وعشرين مفتيًا.

أما فقه الدعوة فهو عام لكل الأمة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

فقه التقوى عام ، وفقه الفتوى خاص : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[النحل : ٤٣] .

في الدعوة إلى الله نتلطف بالناس ، ونقول للذي يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، أو يمارس الزنا ، أو غير ذلك من المنكرات والمحرمات ، نقول له إذا كان مسلمًا : يا أخي أنت حبيبك حبيبي ، وعدوك عدوي ، وأنا أحب لنفسي ما أحب لغيري ، يا أخي : غداؤك عندي لطفٌ ورحمةٌ ، وابتسامةٌ وإكرام : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل : ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

هذا فقه رحمة المخلوق : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

العناية بالمخلوق ، رحمة المخلوق ، حسن الظن بالمخلوق ، هو أول فقهٍ في الإسلام ، فرغ الله له أبدان وقلوب الصحابة ثلاث عشرة سنة في مكة .

الكعبة أمام النبي ﷺ والصحابة ، ولكن لا حج ولا عمرة ، ولا صلواتٍ مفروضة ، ولا صوم ، فرغ الله أجسادهم لهذا الجهد العظيم ، وفرغ عقولهم لهذا الجهد الكبير ، وفرغ ألسنتهم لتلاوة آيات الجهد العظيم ، والدعوة إلى الله العظيم ؛ ولأجل ذلك شرع الله عبادة التهجد قبل فرض الصلوات الخمس : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩ ﴾[الإسراء : ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾[المزمل : ١-٤] .

في النهار قام الصحابة رضي الله عنهم بجهد الدعوة إلى الله ، جهد الأنبياء ، جهد محمدٍ ﷺ ، جهد إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

وفي الليل تعبدوا أمام ربهم بسؤال الهداية لهم وغيرهم من الكفار .

فكر الدعوة ، وقرآن الدعوة ، وجهد الدعوة، متأصلٌ عندهم، علم الإيمان ، وتأصيل جهد الإيمان ، فجهد الإيمان كالأساس للبناء فإذا استقام الأساس حمل ما فوقه من المباني مهما كانت ؛ ولهذا قرن الله بينهما بقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢– ٤].

وقال النبي ﷺ : « بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَأَنَّ محُمَّدًا رَسُولُ اللهَّ ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ » . متفقٌ عليه[1] .

فالأساس هو الأصل لا يُبدل أبدًا ، فالدين عند الله الإسلام ، وأما المباني وهي أنواع العبادات والشرائع قد تبدل لكل أمة : ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[المائدة:٤٨] .

وكذلك المباني تُبدل من أبواب ونوافذ وغرف ، أما الأساس فثابت فإذا اختل منه شيء بدأ البنيان يتصدع ، وكذا الإيمان والتوحيد ، إذا نقص فسدت الأعمال ، وفسدت الأخلاق ، وكثُرت المعاصي : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء:١٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر : ٦٥ – ٦٦] .

فالقرآن الكريم خلال ثلاثة عشر عامًا في بداية الدعوة في مكة يؤسس العواطف الإيمانية الدعوية في قلوب المؤمنين ، فنحافظ على هذا

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨) ، ومسلم برقم: (١٦/٢١)، واللفظ له.

الأساس ، فإذا جاءت حالٌ تتطلب القتال والشدة توجهنا إلى ذلك كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة : ٧٣] .

فإذا حصل القتل ، وحصل من الكافر إساءة ، ثم قال : لا إله إلا الله ، فلا نعتدي عليه ، بل نفرح به وبإسلامه ولا ننسى ذلك الأساس ، وهو رحمة الخلق: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[التوبة:١١] .

فالقرآن الكريم خلال الفترة المكية يؤسس حب الهداية للناس في القلوب ، ويُربي الناس كما ربى الأنبياء على التوحيد والإيمان ، ورحمة الخلق ، وحب هدايتهم : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

- **الفرق بين التعليم والدعوة إلى الله :**

في جهد التعليم يجوز للمفضول أن يعلم الفاضل ، فموسى ﷺ نبي تعلم من الخضر ، مع أن مقام الداعي أفضل ، والأنبياء والرسل بعثهم الله دعاةً إلى الله ، ومعلمين لشرع الله ، فالدعوة والتعليم كلاهما جهدٌ نبوي ، وكلاهما مأمورٌ به ، والدعوة للهاربين ، والتعليم للراغبين .

وميدان الدعوة على الكفار والعصاة ؛ لإخراجهم من ظلمات الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعات : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

فالداعي يذهب للكفار والعصاة ؛ لأنهم ميدان دعوته كما قال سبحانه لموسى ﷺ : ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ ﴾ [النازعات : ١٧-١٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ ﴾ [الشعراء:١٠-١١] .

وقد أرسل الله معظم رسل بني إسرائيل إلى المسلمين العصاة من قومهم .

فدعوة يوسف ﷺ لإخوته ، وهم مسلمون ، لكن عندهم ظلمة الحسد ؛ ليخرج هذه الظلمة من قلوبهم .

وموسى ﷺ أرسله الله إلى قومٍ مسلمين ، لكنهم ضعاف الإيمان : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥ ﴾ [إبراهيم:٥]

وكذا أرسله الله إلى فرعون الكافر فقال له : ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ ﴾ [النازعات : ١٧] .

فجهد الدعوة إلى الله على اثنين :

١- على الكافر حتى يُسلم : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

٢- وعلى العاصي حتى يقلع عن معصيته كما أرسل الله يوسف إلى إخوانه، وأرسل موسى إلى بني إسرائيل .

فالداعي إلى الله يمشي للذي في الظلمة ؛ لأن هذا الكافر لا يحب أن يراك ، ولا يحب أن يأتيك ، فتذهب أنت إليه : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه : ٤٣-٤٤] .

فوسيلة الداعي إلى الله حرك القدم ﴿ ٱذۡهَبۡ ﴾ [النازعات : ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [طه : ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴾ [القصص:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يس: ١٣] .

ووسيلة المعلم تحريك القلم ، نكتب ، ونقرأ ، ونتكلم .

في الدعوة الداعي يذهب إلى الناس ، ويتودد إليهم ؛ ليقبلوا دعوته .

وفي التعليم العزة عند المعلم ، الناس يأتون إليه ؛ ليتعلموا منه .

في التعليم يتودد الطالب إلى المعلم ؛ لأنه طالبٌ راغب ، وفي الدعوة يتودد الداعي إلى الناس يا قومي ، يا أبتِ ، يا أخي ، يا بني ، حتى يقبلوا منه .

والمعلم جميع الطلاب يحترمونه ، فرسول الله ﷺ داعيًا ومعلمًا ، ومبشرًا ، ونذيرًا ، فهو سيد الدعاة ، وسيد العلماء ، وسيد المجاهدين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب :٤٥ – ٤٧] .

والدعوة إلى الله ، قبل تعليم شرع الله : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ

﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت : ٣٣ -٣٥] .

في التعليم لا يوضع على رأسك سلا الجزور ، وأما في الدعوة إلى الله فأحوالٌ مخالفة ، تكذيبٌ ، واستهزاءُ وسبٌ ، وشتم ، وقد وضع الكفار سلا الجزور على رقبة رسول الله ﷺ ، وهو ساجُد في بيت الله الحرام : ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾ [الحجر : ٦] .

وقال الله تعالي : ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥﴾ [القمر : ٢٥] .

وقال الله تعالي : ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١﴾ [الفرقان : ٤١] .

فالداعي يتحمل هذا الأذى ، ويصبر ، ويحُسن لمن أساء إليه ؛ لأن الله يُربيه بذلك : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت:٢-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

يستطيع المسلم أن يكون معلمًا ، ومفتيًا ، وقاضيًا مع عزة النفس ، لكن لا يستطيع أن يكون داعياً إلى الله إلا بإذلال نفسه ، فالنبي ﷺ يُستهزأ به ،

ويُضرب ، ويُطرد ، ويُضرب أصحابه أمامه ، ويُشتم ، ويُوضع سلا الجزور على رأسه في ميدان الدعوة إلى الله ، والله يقول له : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم : ٦٠] .

ويقول له : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾[الحجر : ٨٥] .

ويقول له جل جلاله : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف : ٢٨] .

لهذا يحتاج طالب العلم إلى الهدايات والفضائل حتى يثبت ، كما سمع موسى ﷺ هدايات الخضر له ، كما في سورة الكهف : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾[الكهف : ٦٥– ٦٩] .

وكذا في الدعوة إلى الله يحتاج الداعي دائمًا إلى الهدايات حتى يثبت ، فإن النفوس ضعيفة تميل إلى الدعة ، والشيطان يُلازم الداعي يزين له ما يغضب ربه من غضبٍ وكبرٍ ، وعُجبٍ وشهوة : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل : ١٢٥] .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

وهذه هدايات الرب سبحانه لسيد الخلق ﷺ أعظم الدعاة إلى الله .﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾[الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالي:﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾[النحل:١٢٧-١٢٨] .

وقال الله تعالي:﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾[الروم:٦٠]

وقال الله تعالي:﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ ﴾ [المعارج:٥ -٧] .

فالسير في الدعوة إلى الله من أعظم الجهاد بين البشر :﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ ﴾[المزمل: ٧].

وقال الله تعالي:﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢ ﴾ [الفرقان:٥٢] .

ومن استغنى عن الهدايات ، ومشى وحده صاده الشيطان ، ونحاه عن الطريق ، وجعله يضجر ، ثم يترك الدعوة ، ثم يسب الدعوة والدعاة :﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر:٦].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ ﴾ [يس: ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ

مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٣ – ١٠٥] .

والقرآن كله هدايات للرسل كما في سورة الأعراف ، والأنبياء ، وإبراهيم ، والشعراء ، ويوسف ، ويونس ، وهود وغيرها : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف : ١١١] .

وذكر الله هداية الأنبياء في القرآن ، لنقتدي بهم في إيمانهم وتوحيدهم ، وأخلاقهم ودعوتهم : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

فأعظم شيء هو الفقه في الدين « وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفقٌ عليه[1] .

جهد المعلم ، والمدرس ، والمفتي على عقل الطالب ؛ ليثريه بالمعلومات الشرعية ، من أحكام الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والحج وغيرها .

وجهد الداعي على قلب المدعو ؛ ليثريه بأركان الإيمان ، ويكرمه ويتودد إليه ، ويحلُم عليه ، ويدعو له ؛ ليحول قلبه من المخلوق إلى الخالق ، ومن الدنيا للآخرة ، ومن جهد الأموال والأشياء إلى جهد الإيمان والأعمال الصالحة .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٣٧ / ١٠٠).

وقوة المعلم بقوة المعلومات ، ولو لم تكن عنده صفات .
وقوة الداعي بقوة الصفات ، ولو لم تكن عنده معلومات .
فالمدعو ينظر إلى الداعي كم عنده من الكرم ، من الحلم ، من الصبر ، من الرحمة ، من الصفح ، من الحب له ، من الخوف عليه ، من الشفقة عليه : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود:٧٥] .
وقال الله تعالى عن أيوب ﷺ : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص:٤٤] .
وقال عن محمد ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم:٤] .
وقال الله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران : ١٥٩] .
وقال الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨].
والنبي ﷺ قبل أن يوحى إليه كان يتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد ، ولما نزل عليه جبريل بالوحي نزل من الغار ، ولما نزل من الغار استشار ، وزار ، وكون الدار ، فانتقل من العبادة إلى الدعوة ، ومن الجهد على النفس إلى الجهد على الغير ، ومن حق النفس إلى حق الغير : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر : ١ – ٧] .

والضلال الذي ضلت به الأمة عن ربها ثلاثة أنواع :

١- ضلالٌ كلي ، وهو ضلال الكفار والمشركين ، والمجوس والهندوس وغيرهم .

٢- وضلالٌ جزئي ، وهو ضلال فُساق الأمة .

٣- وضلال فكري كضلال بعض الصالحين ، وهم الذين اجتهدوا علي إصلاح أنفسهم ، ولم يلتفتوا إلى إصلاح غيرهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

وكان ﷺ على دين أهل الفترة والتوحيد ، ولكن ما كانت زوجته خديجة ، ولا صديقه أبو بكر يدينون بالتوحيد الذي أرسله الله به .

فأمر ه الله ﷻ أن ينتقل من العبادة إلى الدعوة ، فالعابد فكره لنفسه فقط ، والداعي فكره أمته والأرض كلها ، فنقله الله من اهدني إلى اهدنا .

فالداعي حقًا والمؤمن حقًا من كانت فيه ثلاث صفات :

١- أن يعرف المقصد .

٢- أن يقوم على المقصد .

٣- أن يدعو الناس إلى المقصد .

والمقصد هو الدعوة إلى الله ؛ ليُعبد وحده لا شريك له، فربي هو الله اعبده ، وأدعو الناس إلى عبادته كالأنبياء والرسل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾[الأنعام:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

والله سبحانه أرسل إلى قوم سبأ طيرًا هو الهدهد ، والله سبحانه لما أراد بأهل اليمن خيرًا أرسل لهم طيرًا ، فجر ملكة ومملكة إلى الإسلام :﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾[سبأ:١٥-١٧] .

وقال الله تعالى عن سليمان ﷺ : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

[النمل:٢٠-٢٥].

ثم في النهاية أسلمت بلقيس مع سليمان لله رب العالمين :﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

[النمل:٤٤] .

ومراكز الدعوة إلى الله في القرن الأول ، والتي يتشاور فيها المؤمنون لنشر الهداية في العالم ثلاثة مراكز :

الأول : في دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة على جبل الصفا .

الثاني : في دار أسعد بن زرارة في المدينة .

الثالث : في قصر النجاشي في الحبشة .

وفي هذه المراكز الثلاثة الذي يقود المسلمين فيها النبي ﷺ في مكة ، وفي دار أسعد بن زرارة مصعب بن عمير ، وفي قصر النجاشي بالحبشة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

وفي هذه المراكز الكبرى تُقام أربعة أعمال :

مذاكرة الإيمان ، والعبادات ، والأخلاق ، والدعوة إلى الله ، والصلاة ، والشرائع لم تنزل بعد .

- **أسباب حصول الهداية :**

للحصول على الهداية لابد من أمور :

الأول : الإيمان بالله ورسوله .

قال الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن : ١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

الثاني : طاعة الله والرسول ﷺ في كل شيء .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور : ٥٤] .

الثالث : بذل كل شيءٍ من أجل نشر الدين في العالم .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

الرابع : الهجرة من أجل تحصيل الهداية ، ونشر الهداية .

قال الله تعالى : ﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٦] .

الخامس : كمال الطاعة لله والرسول .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢] .

السادس : الدعاء بالهداية ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة : ٢ – ٧] .

والنبي ﷺ حين اشتد المرض بابن ابنته ودعته قال : « مروها فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ ».متفق عليه [1].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٧) ، ومسلم برقم (٩٢٣) .

لماذا ؟، لأنه يعلم أنه إذا مات سوف يدخل الجنة ، بينما أُخبر ﷺ بمرض اليهودي الغلام الذي كان يخدمه ، فأسرع إليه ودعاه إلى الله فأسلم ؛ لأنه يعلم أنه إن مات فسوف يدخل النار إن لم يُسلم .

فبالدعوة إلى الله تعرف ، وتُعرف غيرك بربك العظيم ، بالآمر جل جلاله الذي له ملك السموات والأرض .

وبالتعليم تعرف الأوامر ، وتُعلمها ، وبالعبادات تُطبق الأوامر ، وبالأخلاق تتزين بالأوامر ، وتنشر الأوامر.

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

١٠ - فقه جهد الدعوة إلى الله :

جهد الدعوة إلى التوحيد والإيمان ، وإلى عبادة الله وحده لا شريك له ، من أعظم الجهود ، وهي وظيفة الأنبياء والرسل وأتباعهم من هذه الأمة .

وهذا الجهد عظيم ، لمِا فيه من التضحيات الكبرى ، تضحيةٌ بالأوقات ، وبالأنفس ، وبالأموال ، وبالشهوات ، وبالبلدان ، وبالأهل ، والأولاد: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وأعظم التضحيات تضحيات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأعظم تضحيات الأنبياء والرسل تضحيات نبينا محمدٍ ﷺ : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [التوبة : ٨٨] .

فالأسرة المحمدية جاعت من أجل الأمة ، تسعة بيوت من بيوت النبي ﷺ ما يستطيعون أن يضيفوا ضيفًا واحدًا ، وبيتي يستطيع أن يستضيف مائة ضيف ؛ لأني أغنيت الأسرة الصغيرة ، وجوعت الأمة الكبيرة ، وتركتها بلا دعوة ، ولا تعليم ، ولا إحسان : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٩- ١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ

﴿ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران : ١٣٣-١٣٤] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي مجْهُودٌ فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ النبي ﷺ : مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ الله ؟ » . متفقٌ عليه(١) .

وأحل الله الغنائم لرسول الله ﷺ وهي أطيب الحلال : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩ ﴾[الأنفال:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١ ﴾ [الأنفال : ٤١] .

وأنفق ﷺ ما حصل له من هذه الغنائم في سبيل الله ، ولو أمسكه لكان أغنى رجلٍ في العالم ، وكان ﷺ يُعطي المسلم الجديد مائة ناقة ؛ ليؤلف قلبه على الإسلام ، كما فعل في تقسيم غنائم حنين .

فأعطى صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم ، فكانوا أسودًا في الإسلام ، أحبوه ، ونصروه ، ودافعوا عنه .

وكان يطوي ﷺ على بطنه الحجر من الجوع من أجل الدين .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٩٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠٥٤).

وأعلى مرتبة في العبودية أن تكون قدوة للناس المتقين إلى يوم القيامة :﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان:٧٤] .

وهذه المنزلة قبل ختم النبوة خاصةٌ بالأنبياء ، ثم صارت لهذه الأمة .

قال الله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وكل فريضةٍ عملها العبد ففيها نور .

قال النبي ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ » . أخرجه مسلم[1] .

ولكن كل أنوار الدين ، وبركات الدين ، أخفاها الله في الدعوة إلى الله والخروج في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله ، كما أخفى الثروات من ذهبٍ وفضة ، وحديد وبترول في باطن الأرض ، وفي باطن الجبال ، ولكن لابد من الجهد عليها لاستخراجها ، وكذلك لابد من الجهد من أجل إعلاء كلمة الله على الناس ، ثم تظهر فيهم الصفات التي يحبها الله من الرحمة واللطف ، واللين والعفو ، والحلم والصبر وغيرها .

قال الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١/ ٢٢٣).

وإبراهيم ﷺ اجتهد على أبيه ، لكن النتيجة ظهرت في أولاده وفي ذريته :﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم:٤٩] .

وبسبب جهد إبراهيم ﷺ في الدعوة إلى الله جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، وبسبب جهده العظيم أعطى الله النبوة لأكثر من مائة ألف من ذريته ، كما قال سبحانه :﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام:٨٣-٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٧] .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم كرمه ، وما أعظم عطاءه ، وما أعظم إحسانه .

ويمكن أيها المسلم أن تقوم مقامًا في الدعوة إلى الله بكلمةٍ أو جولةٍ أو زيارةٍ أو شورى أو تعليم ، يكون ذلك سببًا لصلاحك أو صلاح أحفادك وأحفاد أحفادك إلى يوم القيامة ، كما حصل لإبراهيم ﷺ :﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[النحل : ١٢٣] .

- **فضائل أمة محمد ﷺ :**

الله سبحانه مدح الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأثنى عليهم ولم يذكر معهم أممهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم:٤١] .

وقال الله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم:٥٤] .

وقال الله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم:٥١] .

وقال الله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾[مريم:٥٦] .

الله ﷻ مدح الأنبياء ، وأثنى عليهم ، ولم يذكر معهم أممهم ، ولكن الله ﷻ مدح رسولنا ﷺ وأمته فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح:٢٩] .

وبسبب قيام هذه الأمة بجهد الدعوة إلى الله ميزهم ﷻ بأربعة أمور :

الأول : أن الله قرن بين إيمان الأمة وإيمان رسولها ﷺ بقوله : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

الثاني : أن الله قرن بين جهد النبي ﷺ وجهد أمته بقوله :﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾[الفتح:٢٩] .

وقال ﷻ : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾[التوبة:٨٨-٨٩] .

فقرن سبحانه الصفات بالصفات ، وقرن الجزاء بالجزاء .

الثالث : أن الله ﷻ قرن الصفات بالصفات فجعل صفات هذه الأمة صفات نبيها ، كما قال سبحانه : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ [الفتح:٢٩] .

الرابع : أن الله ﷻ قرن حرمة هذه الأمة بحرمة نبيها ﷺ فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٧] .

وقال سبحانه في هذه الأمة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب:٥٨] .

فالصحابة رضي الله عنهم ، هم أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل ، فقد ظلوا ثلاثة عشر عامًا يتعلمون من نبيهم ﷺ جهد الدعوة، جهد التوحيد والإيمان في مكة ليس عندهم إلا :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾[المزمل : ١-٢]
وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾[المدثر:١-٢].

والآيات القرآنية في مكة كلها لتوظيف الداعي إلى الله ، فالقرآن المكي يوظف وظيفةً واحدة في الأمة هي الدعوة إلى الله ؛ لأن هذه الأمة نائبةٌ عن نبيها في الدعوة والعبادة إلى يوم القيامة .

ولما اكتمل هذا الأصل العظيم ، نزلت الآيات التي توظف العابد ، والقاضي ، والمفتي ، وتبين الأحكام والسُنن .

وبعد وفاة النبي ﷺ قام العلماء بتبويب العلم والفقه ؛ ليشمل كل حياة الناس على النحو التالي :

أولًا : فقه العبادات :

باب الإيمان ، باب الصلاة ، باب الصوم ، باب الزكاة ، باب الحج وهكذا .

ثانيًا : فقه المعاملات :

باب النكاح ، باب الطلاق ، باب البيوع ، باب المواريث ، باب الجهاد .

والجهاد في سبيل الله نوعان :

الأول : جهاد التبليغ والدعوة ، وإقامة الحجة على الناس ، وهذا هو الجهاد المكي الأكبر ، وهو الجهاد الأصيل ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢ ﴾[الفرقان:٥١-٥٢] .

الثاني : الجهاد المدني ، وهو جهاد التبليغ والدعوة بالسيف والسنان ، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة:٧٣] .

وقال سبحانه : ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة:٣٦] .

ولفظ الجهاد إذا أُطلق في القرآن فالمراد به الجهاد المكي والمدني ، والجهاد بالسيف إنما شُرع لفتح الطريق أمام تبليغ الرسالة ، وإزالة العوائق ، فليس مقصودًا لذاته ، والجهاد باللسان أفضل من الجهاد بالسنان ، وكان الجهاد باللسان وجهاد الدعوة أكثر عمل النبي ﷺ ، وكان أقل عمله الطعن والضرب والمبارزة ، لا عن جبنٍ ولا ضعفٍ ، ولكنه كان يؤثر الأفضل والأحسن : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

والنبي ﷺ له حياتان ، حياة مكية بالدعوة إلى الله : ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب:٤٥ -٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢] .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان:٥٢] .

فالله ﷻ يقول لرسوله ﷺ اذهب إلى المكان الذي فيه فسقٌ ، وفساد ، وشرك ، وظلم ، فادعهم إلى الله ، وكل نبيٍ أعطى أتباعه مستوى معينًا من العبادة بالجهد على نفسه ، لكن هذه الأمة تستقيم ، وتأمر غيرها بالاستقامة : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود : ١١٢] .

فهذا مقصد الأنبياء ، وهذه الأمة ؛ لتخرج الناس ليس نفسك فقط : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وهم الأنبياء قبل ختم النبوة : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[الأعراف:١٥٩] .

أما هذه الأمة فقال الله عنهم : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾[الأعراف:١٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

اللهم اهدنا ، واهدِ بنا ، واجعلنا سببًا لمن اهتدى ، يا رب العالمين .

- **فضائل الدعوة إلى الله :**

الدعوة إلى الله أفضل الأعمال بعد التوحيد والإيمان :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

والدعوة لها أصول :

ففي مجال الدعوة تكون الأفعال قبل الأقوال ، والإحسان قبل البيان ، والإكرام قبل الكلام ، والقدوة قبل الدعوة ، والأصول قبل الفروع ، والمضامين قبل العناوين ، والمبادئ قبل الأشخاص ، والتعاون لا التنافس ، والرحمة بدل القسوة .

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل : ١٢٥] .

ومن سأل الله أعطاه الحكمة : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران : ٧٣ – ٧٤] .

والدعوة إلى الله تكون أرقى عملٍ على الإطلاق حينما تكون خالصةً لله ﷻ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزمر : ٢ – ٣] .

ويمكن أن تكون أتفه عمل على الإطلاق ، حينما تكون مهنةٌ ترتزق بها ، تقول للناس من خلالها على الله غير الحق ، فتسقط من عين الله ، وتسقط من أعين الناس : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ ﴾[الغاشية :١– ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[البقرة :٢٠٤] .

فالدعوة إلى الله ترقى إلى صنعة الأنبياء والرسل ، حينما تكون خالصةً لله ، وعلامة الإخلاص أن نبذل في سبيلها الغالي والنفيس ، والنفس والوقت ، والمال ، ونترك كل شيءٍ من أجلها .

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف : ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات : ١٥] .

وليصدق الداعي أقواله بأفعاله ، ويحذر أن يراه الله على خلاف ما يدعو إليه ، حتى لا يسقط ، ولا تسقط الدعوة .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف:٢– ٣].

والدعوة إلى الله نوعان :

١- دعوةٌ إلى الله خالصة .

٢- ودعوةٌ إلى الذات مغلفةٌ بالدعوة إلى الله .

فالأولى شفاءٌ ودواء ، والثانية مرضٌ وداء .

فأساس الدعوة إلى الله الإتباع ، وأساس الدعوة إلى الذات الابتداع ؛ لتوهم الناس أنك متميز : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾[الزمر :٢- ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠ ﴾[الكهف: ١١٠] .

والدعوة إلى الله خالصة أساسها التعاون ، والدعوة إلى الذات أساسها التنافس والتعصب : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٧١ ﴾[التوبة : ٧١] .

وأساس الدعوة إلى الله الاعتراف بالآخر ، وأساس الدعوة إلى الذات إلغاء الآخر كما قال إبليس : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝٧٦ ﴾ [ص:٧٦] .

ومن دعا إلى الله مخلصاً ألهمه الله فهم إشارات القرآن ، ومن ترك الدعوة إلى الله حرمه الشيطان فهم صريح القرآن ، فيقرأ آيات الدعوة الصريحة ولا

يفهمها ولا يعمل بموجبها : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد : ٢٤] .

وكل داعيةٍ إلى الله أكرمه الله بالتفوق في مجالٍ خاص ، هذا الداعي متفوقٌ في حُسن الوعظ ، وهذا في حُسن القصص ، وهذا في تحريك العواطف ، وهذا في تأصيل العلم ، وهذا في روعة التفسير ، وهذا في قوة التدبر ، وهذا في فقه الأحكام ، وهذا في معرفة الأحاديث ، وهذا في حُسن العرض ، والكل يكمل الآخر ، وينفع الأمة ، ويحقق البلاغ .

قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[المائدة:٢]

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وكرم الله ﷻ ليس له حد ، وأعظم الأجور من الله تحصل بالدعوة إلى الله ، فكل من اهتدى بسببك فلك مثل أجوره ، وأجور من اهتدى بسببه إلى يوم القيامة .

فإن دللت الناس على خير ، فلك مثل أجورهم إلى يوم القيامة ، وإن دللتهم على شر فعليك إثم أوزارهم إلى يوم القيامة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣-٣٥] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ فَعَلَيْهِ مِن الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ اتَّبَعَه لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » . أخرجه مسلم[1] .

وكرم الله عز وجل لا أول له ولا أخر ، ولا بداية ولا نهاية ، وأكثر الناس لا يعرفه ، فالله عظيم ، ولا يعطي إلا العظيم، يعطي على الحسنة عشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، إلى أضعافٍ مضاعفة إلى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر : ١٠] .

ويعطي من لديه أجراً عظيماً بلا عمل من المؤمن : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء : ٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة :٣٢] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

فإذا قدر الله لك أن تنقذ إنسانًا من الموت ، أو تنفذه من الضلالة ، سواءً كان كافرًا أو ضالًا أو فاسقًا ، فدعوته إلى الله ، وعرفته بنعم ربه عليه ، فهداه الله فتاب وآمن واستقام ، فلك مثل أجره ، وأجر من اتبعه إلى يوم القيامة .

فإذا صار هذا الإنسان بفضل الله عابدًا فلك مثل أجره ، وإن كان داعيًا فلك مثل أجر دعوته ، وإن صار معلمًا فلك مثل أجر تعليمه ، وإن كان تاجرًا أو محسنًا فلك أجور إحسانه وإنفاقه من غير أن يُنقص من أجره شيئًا .

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد : ٢١] .

فالأرباح من ربنا الكريم عظيمة ، فكيف بأرباحٍ كثيرة ، وكبيرة ، وعظيمة لا حد لها إلى يوم القيامة ، بمختلف العبادات ، وأنواع الطاعات ، وبمختلف الأشخاص ، والأزمنة ، والأمكنة ، وذلك كله من أعظم ثمرات الدعوة إلى الله .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت :٣٣ – ٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف:١٠-١٤] .

فما أعظم كرم الله ﷻ ، وإحسانه إلى هذه الأمة بأنواع الإحسان ، وبهذه الوظيفة العظيمة التي هي أعظم أبواب الإحسان والأجر والثواب : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وكم تكون السيئات في صحائفك لو دللت الناس على الشر ، والشرك ، والبدع ، والمعاصي بقولٍ أو فعل أو خلق.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل : ٢٤- ٢٥] .

فأنت كل يومٍ خاسرٌ أو رابح بالدعوة إلى الهدى ، أو الدعوة إلى الضلالة : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر : ١-٣] .

وأنت كل يوم خاسر ورابح ، إذا كنت تعصي الله مرة ، وتطيع الله مرة .

قال الله تعالى: ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة : ٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾[البقرة : ٢٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣ ﴾[آل عمران : ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠ ﴾[المائدة:٩-١٠] .

كتـــاب الدعوة إلى الله

في ضوء القرآن والسنة

الباب الرابع

ويشتمل على ما يلي:

١- أسباب عدم القيام بالدعوة إلى الله :

الدعوة إلى الله هي أم الأعمال، وهي أعظم الأعمال بعد التوحيد والإيمان ، وهي أعظم العبادات أجرًا ، فللداعي من الأجور بقدر ما دعا من الناس سواءً آمنوا ، أو لم يؤمنوا .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

وأسباب عدم قيام كثيرٍ من المسلمين بالدعوة إلى الله أمورٌ أهمها :

الجهل بأجر القيام بها ، والجهل بعقوبة تركها ، والجهل بحكمها ، فهي أول فريضةً بعد الإيمان ، والجهل بأحوال العالم وفساده ، والجهل بمقصد حياة المسلم من هذه الأمة ، وقوة الابتلاء عند القيام بها ، وثقل العمل الذي يتطلب التضحيات بالأموال ، والأنفس ، والشهوات ، والأوقات ، والتعلق بالدنيا وشهواتها ، ومحو الشخصية التي يلبسها الشيطان كثيرًا من الناس ، وقلة الناصر والمعين عليها من الناس .

والناس أربعة أقسام :

الأول : من اجتهد في عبادة الحق ، واجتهد في الإحسان إلى الخلق ، وهؤلاء خير البرية ، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل ، ثم العلماء الربانيون ، ثم المؤمنون الصادقون : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾ [البينة : ٧ – ٨]

الثاني : ضد هؤلاء ، وهم من أساء في عبادة الحق ، وأساء في معاملة الخلق ، وهؤلاء شر البرية ، وفي مقدمتهم إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجن ، والكفار والمشركون على اختلاف درجاتهم : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ ﴾ [البينة : ٦] .

الثالث : من اجتهد في عبادة الحق ، وأساء في معاملة الخلق ، وهذا دون الثاني .

الرابع : من اجتهد في الإحسان إلى الخلق ، وأساء في عبادة الحق ، وهذا دون الثالث : ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟** ﴾[الأنعام : ١٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ **أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾** ﴾[آل عمران: ١٦٢-١٦٣] .

وإذا تركنا الدعوة إلى الله فُتحت أبواب المخارج ، فخرج التوحيد والإيمان ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، من قلوب الناس وجوارحهم وألسنتهم ، ويخرج الناس من الدين أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا .

وببركة الدعوة إلى الله تحول شر القرون إلى خير القرون ، وتحو شر البرية إلى خير البرية ، حيث مَنَّ الله على هذه الأمة بأن أرسل إليهم أفضل الرسل ، وأنزل عليهم أحسن الكتب ، فكان ذلك سببًا في نقلهم من الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الفُرقة إلى الاجتماع ، ومن الظلم والطغيان إلى العدل والإحسان :﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾** ﴾[آل عمران : ١٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

• **أفضل الجهود :**

قيمة الإنسان بصفاته لا بذاته ، وإيمانه وتقواه لا بأمواله وثرواته ، والمجد ليس للإنسان بل لعمل الإنسان الصالح :﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣].

فالله ﷻ لم يمجد النحلة في القرآن ، وإنما مجد جهد النحلة ، ونظام حياة النحل ؛ لأنه يشبه حياة الدعاة إلى الله ، فالنحل يمشي بنظام اجتماعي يرجع إلى أمير ، وهي ملكة النحل ، وكذلك جهد الدعوة إلى الله يمشي بنظامٍ اجتماعيٍ له أمير ، فالنحل بجهده يُخرج العسل الشهي بإذن الله بعد جهدٍ كبيرٍ وطويل.

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل : ٦٨-٦٩] .

والداعي إلى الله كذلك يجتهد على نفسه بالاستقامة ، ويجتهد على الغير بالدعوة إلى الله ؛ لتكون حياة الجميع كحياة الأنبياء والرسل بإذن الله : ﴿

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

ويولد بسبب الدعوة إلى الله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

ويخرج بسبب الدعوة أهل الصفات المحمودة المحبوبة لله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ويظهر بسبب الدعوة إلى الله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤].

وأخطر بلاء، وأخطر مرض، ليس السرطان، بل أخطر الأمراض على الإطلاق الشرك والكفر.

كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران : ٩١] .

وشفاء القلوب والأبدان في القرآن لا في غيره : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

وقال ﷻ : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

ونظام الحيوان ، ونظام السباع ، ونظام الذباب ، كله نظام هوى ، ونظام النحل نظام هدى ، ونظام الإنسان نظام هدى : ﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام : ٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه :١٢٣-١٢٤] .

ونحن علينا أن نقوم بجهد الهداية ؛ لنتحصل على الهداية ، ويهتدي الناس .

فندعو دعاء الهداية : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

ونقوم بجهد الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

ونلزم بيئة الهداية : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

ولقد ذكر الله جهد النحل ممجدًا لجهدها ، وذكر الذباب محقرًا لجهده ، فنظام النحل يُثمر العسل الذي فيه شفاءٌ للناس ، ونظام الذباب يُثمر الداء الذي يسبب الأمراض للناس .

والنحل يقع على الطيبات ، ويأكل الطيبات ، ويخرج للناس الطيبات ، والذباب يقع على القاذورات ، وينقل منها النجاسة والأمراض للناس .

والنحل لعظمة جهده له مهابةٌ ومحبة ، له مهابةً عند الناس ، ومحبةً من الناس ، لما يخرج منه من المنافع .

والذباب لحقارة جهده لا مهابة له ولا محبة .

وأضل هوى ليس هوى الذباب ، إنما أضل هوى هوى الإنسان : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص : ٥٠] .

وكان العرب قبل الإسلام كالذباب لا مهابة ولا محبة ، فأهانهم الفرس والروم ، وبعد الإسلام كانوا كالنحل لهم مهابةٌ ومحبة .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٢ - ١٠٥] .

أصول الدعوة إلى الله في سورة يوسف :

سورة يوسف فيها أكبر ملحمةٍ للأخلاق ، ونزلت هذه السورة في مكة ، لما أهل مكة لم يقبلوا الدعوة ، وأهل الطائف لم يقبلوا الدعوة ، وأهل الموسم لم يقبلوا الدعوة .

وبعد أن مات أبو طالب وخديجة في عامٍ واحد ، سُمي عام الحزن ، إشتد الأمر على النبي ﷺ فنزلت هذه السورة تسليةً للنبي ﷺ .

والله سبحانه له سُنن بعد كل محنةٍ وشدة ، تأتي المنحة ، ويأتي الفرج من الله ، ومنحة النبي ﷺ مع هذه الأحوال الشديدة سورة يوسف التي نزلت تسليةً للنبي ﷺ ، فكأن الله ﷻ يقول له فهذه حالك الآن ، وسبقك إلى مثل هذه الحال نبيٌ قبلك اسمه يوسف ﷺ .

فإذا فقدت عمك وزوجك ، وطُردت من بلدك ، فهناك نبيٌ له نفس الحال وسمى الله هذه السورة أحسن القصص ؛ لأن فيها كل شيءٍ من التوحيد ، والإيمان ، والشورى ، والأخلاق ، والحق ، والسياسة : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[يوسف : ٣] .

وبدأت هذه السورة برؤيا انتهت بتفسير تلك الرؤيا ، فالرؤيا للشمس والقمر والكواكب ، هم عائلة يوسف ﷺ أصحاب المشكلة ، والشمس والقمر والكواكب كلها نور وخير ، لم يرى مجرمين ، بل رأى هذه الآيات التي تضئ من كل مكان ، في كل مكانٍ وزمان .

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف : ٤ – ٦] .

هذه الآيات التي تضيء من كل مكان في كل مكانٍ وزمان ، فكأن الله يقول لمحمد ﷺ : أصحابك وقومك الذين عادوك ، وقاتلوك ، وطردوك ، وأذوك ، وظلموك ، وسبوك ، وشتموك ، سيكونون يومًا نورًا ورحمةً للبشرية كلها، كالشمس والقمر والكواكب، وذلك بسبب صبرك، وخلقك ، وكمال يقينك على ربك ، ستراهم مؤمنين كلهم نورًا كالكواكب : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم : ٦٠] .

فكفار مكة رفعوا السيف في وجه النبي ﷺ ، ولكنهم بعد ذلك صاروا هم شمس الإسلام ، وقمره وكواكبه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة : ٢] . .

والمنافقون عاشوا مع النبي ﷺ ، وصلوا مع النبي ﷺ ، ولكن كلهم ماتوا كفارًا إلى الدرك الأسفل من النار : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [النساء : ١٤٥ – ١٤٦] .

وكل إنسان فيه ذرة من آدم شهدت لله بالوحدانية ، ومقصودنا أن تكون البشرية في مستوى الشمس والقمر والكواكب ، في نور التوحيد والإيمان ، والتخلق بأخلاق الأنبياء والرسل إلى قيام الساعة : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

ومشكلة يوسف ﷺ المحبة ، فيعقوب ﷺ كان يحب يوسف حبًا شديدًا ، ويوسف ﷺ أُعطي شطر حسن المخلوقات كلها ، وكان يعقوب إذا جلس مع ابنه يوسف في أي مجلس فنظره دائمًا إليه ، وبسبب هذا الحب له ، حسده إخوته على مكانته عند أبيه ، وكل ذي نعمةٍ محسود ، فحسد يوسف إخوته وكادوا له .

وأما محمدٌ ﷺ فحسده أهل مكة ، واليهود ، والنصارى ، وجميع الكفار والمشركين ، والداعي كذلك محسودٌ من الناس ، لمِا مَنَّ الله ﷻ عليه من نعمة النبوة والرسالة والهداية :﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء : ٥٤ -٥٥] .

فالنبي ﷺ حسده كل العالم ، بسبب كمال نعمة الله عليه ، وكل داعٍ محسود ، وللنجاة من الحسد أنزل الله سورة الفلق : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق : ١-٥] .

فلا ينجي ويصرف شر الحسد عن الإنسان إلا الله وحده لا شريك له .

وإبليس حسد آدم ﷺ على ما أنعم الله به عليه ، فبالحسد تزيد الآثام ، ثم تحصل المعاصي بين الحاسد والمحسود فالحسد ، يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، فأخطر شيءٍ في جهد الدعوة إلى الله هو الحسد والتحاسد .

فما الذي عند أهل الدعوة حتى يتحاسدون ؟ ! ليس عندهم مالٌ ولا مناصب ، ولكن الشيطان يبيع بضاعته ليتم أمره في الإضلال ؛ لأن الدعوة تحرق أعماله وجنوده .

ومن الذي يحُسَد . . ومن الذي يحسِد ؟

يوسف إذا جلس في المجلس أبوه يعقوب ينظر إليه فقط ، فحسده إخوته على هذه المحبة والمكانة ، فإخوة يوسف مقصودهم نظر يعقوب إليهم ، فجاء الحسد منهم ، فالذي مقصوده نظر الناس إليه يأتي في قلبه الحسد .

والذي مقصوده من جهد الدعوة إلى الله نظر الله إليه ، لا يأتي في قلبه الحسد .

وفي الشورى والتشاور لإعلاء كلمة الله يأتي الحسد ، لماذا يُقدم فلان .

لماذا فلان يُسمع له ؟

فأكثر ما يكون الحسد في الشورى وفيمن يتكلم أمام الناس بالدعوة ، أما إعداد الطعام والشراب فليس فيه حسد : ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ ﴾ [يوسف : ٧ – ٩] .

لابد لتحصيل الهداية والنصرة من اجتماع القلوب ، واتحاد الفكر ، وإتباع السُنَّة : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وإذا اجتمعت الألسنة ، وتنافرت القلوب ، وتعلمنا العلم ولم نعمل به ، وقُطعت الأرحام ، فيوشك الله أن يعمنا بعذاب .

والشورى تخُرج جميع الصفات الذميمة من الكبر ، والفخر ، والعُجب ، والإصرار على الرأي : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

والنبي ﷺ عقد مع كفار مكة صلح الحديبية ، وأكثر الصحبة رضي الله عنهم ضاقت نفوسهم أن يرجعوا ولم يدخلوا مكة ، فأمرهم النبي ﷺ أن ينحروا الهدي ويحلقوا فلم يتحملوا ذلك ، فشاور النبي ﷺ أم سلمة زوجه رضي الله عنها فيما فعلوا فقالت : هم لا يخالفونك فاخرج إليهم ، وانحر الهدي ، واحلق أمامهم ، ففعل ففعلوا ، فحفظ الله بأم سلمة رضي الله عنها هجرة المهاجرين ، ونصرة الأنصار ، وسمى الله هذا الصلح فتحًا ، وليس فتحًا واحدًا بل هو اثنا عشر فتحًا، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾

﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٥﴾ [الفتح : ١-٥] .

ويوم الصلح سماه الله يوم الفتح بل الفتوح كما ذكرها الله ﷻ ، والصحابة رضي الله عنهم تنازلوا عن كل مزاجٍ ، واتبعوا مزاج النبي ﷺ فأكرم الله رسوله والمؤمنين بالمغفرة وإتمام النعمة والهداية : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥] .

وفي النفس البشرية نوعان من الشر :

شرٌ أصيل .. وشرٌ طارئ .

والموجود في قلوب إخوة يوسف شرٌ طارئ ، سببه الحسد ليوسف ﷺ ، والشر الطارئ على النفس يبدأ من أعلى ثم ينزل إلى أسفل : ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ [يوسف:٩].

ثم ألقوه في غيابتِ الجب : ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾ [يوسف : ١٠] .

وكذا شورى الكفار في دار الندوة ، سببه حسد النبي ﷺ : ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال:٣٠] .

ثم كانت الفيصلة قتله ﷺ ، كما أن فيصلة إخوة يوسف ﷺ : ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف:١٠].

وبسبب جهل إخوة يوسف وحسدهم قالوا لأبيهم النبي يعقوب ﷺ : ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ⁽٨⁾﴾ [يوسف : ٨] .

وهذا كفر سببه الحسد ؛ لهذا نهى يعقوب يوسف أن يقص رؤياه على إخوته ، لئلا يكيدوه ، ثم فسر الرؤيا بقوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⁽٦⁾﴾ [يوسف : ٦] .

وكل حالٍ تأتي على الداعي إذا قام بالدعوة إلى الله تُبرز مقام الداعي ، ومقام الدعوة ، وأي حالٍ يأتي في العبادة يُنقص جمالها ، وأي حالٍ يأتي على الدعوة يُبرز جمال الدعوة ، ويُظهر حسنها .

إذا أتى المرض على المصلي يصلي على الفراش ، وإذا أتى المرض على الصائم يُفطر ، فينقص جمال العبادة .

قال النبي ﷺ : « صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ » .أخرجه البخاري [١] .

فالأحوال التي تأتي على الداعي للتربية ، فلا يقوم دينٌ بلا جهد ، والأحوال لا تأتي إلى عند الدعوة ، وبذل الجهد لإعلاء كلمة الله : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ⁽٢⁾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ⁽٣⁾﴾ [العنكبوت : ٢ – ٣] .

---

(١) صحيح/ أخرجه البخاري برقم (١١١٧) .

ثم طلب إخوة يوسف من أبيهم أن يرسل معهم يوسف ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[يوسف : ١٢- ١٤] .

ثم نفذوا الجريمة في أخيهم يوسف ، فجردوه من ثيابه ، وألقوه في غيابتِ الجب : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[يوسف : ١٥].

فصار يوسف ﷺ في أسفل البئر وهم في أعلاه ، وطلب منهم رد القميص لكن لا مجيب ، ثم فورًا نزل جبريل : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[يوسف : ١٥].

فسيأتي اليوم يا يوسف أنت الأعلى ، وهم في الأسفل .

فكل من أراد الحق لابد أن ينز ل تحت ويتواضع ، ثم يصعد فوق حينما تأتي فيه الصفات التي يمتاز بها عن غيره من الإيمان واليقين ، والصبر والحلم .

الأحوال الشديدة جاءت على أصحاب النبي ﷺ في الخندق فزادت إيمانهم بربهم ، حصل لهم جوعٌ وبردٌ وخوفٌ كما قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الأحزاب:٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠ ﴾ [الأحزاب : ٩-١١] .

فالصحابة رضي الله عنهم في الخندق وصلوا إلى أعلى مستوى في التربية ؛ ولهذا قال النبي ﷺ لهم : « الْآنَ نَغْزُوهُمْ ، وَلَا يَغْزُونَا » أخرجه البخاري.[1] .

ثم أخرج الله يوسف من البئر إلى السوق ، ثم بيع في السوق كما تُباع الأشياء والأغنام ، فدخل مصر وهو مملوك ، لكن يأتي يوم وأهل مصر مماليك لك : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧ ﴾ [يوسف : ٥٦-٥٧].

والذي اشتراه هو عزيز مصر ، فالعزيز اشترى النبي العزيز ، لكنه في صورة عبد ، كما قالت امرأة فرعون : ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ ﴾ [القصص:٩] .

لكن قال فرعون: قرت عينٍ لكِ لا لي؛ فلهذا هداها الله دون فرعون ، وقصور مصر كلها عبيد ، لكن من اشتراه قال لها : ﴿ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ﴾[يوسف:٢١].

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٩) .

مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف:١٩-٢٢].

فلا إله إلا الله ، ما أحسن تربية الله لرسوله وأوليائه .

وامرأة العزيز شغفت بيوسف لجماله ، وزليخا امرأة العزيز ، ويوسف عندها عبد ، ولما بلغ أشده جُمعت له عشرة أنواع من الفتنة :

بلغ أشده ، وفيه النور والجمال ، عبدٌ يأتي بالإشارة ، ويمشي بالإشارة ، أعزب ، غريب لا يعرف أحداً ، امرأةٌ جميلة بحُلي ولباسٍ جميل ، في بيتها مع ذكاءٍ وخلوةٍ ، وأغلقت الأبواب : ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف:٢٣-٢٤].

وكانوا في مصر يعبدون الأصنام ، فأخذت رداءها ووضعته على الصنم ، فقال : ما هذا ؟ قالت : حتى أستر نفسي من ربي ، فقال يوسف : ومن يسترني من عين الله ؟ فلما قالت : ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣].

فورًا ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف : ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف:٢٤] .

فهذه الكلمة من يوسف ﷺ كسرت شموخ وكبرياء امرأة العزيز ، فزادت المشكلة ، ثم جاءت تهمته في شكواها لزوجها : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف:٢٤].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف:٢٥].

فما هو الحل ؟ الحل الهروب للنجاة من هذه الفتنة : ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ [يوسف:٢٥] .

فورًا امرأة العزيز أعطت القصة لزوجها : ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف:٢٥].

وأشارت بالسجن لعل يوسف يلين فيحصل لها مرادها منه ، فانتشر الخبر ، وعلمت النساء وخُدام البيوت ، فخرج السر من القصر بسبب الخدم ، وانتشر الخبر في مصر : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف:٣٠] .

فعملت امرأة العزيز لهن الحيلة ، واعتدت لهن متكئًا ، وقالت ليوسف : اخرج عليهن: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ

وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[يوسف : ٣١] .

فعملت امرأة العزيز للنساء عملية نفسية ، فتعلقت قلوب كل النساء به ، وقمن بالمراودة ليوسف في قصر عزيز مصر ، فما هو الحل ؟ .

الحل بدأ بدعاء يوسف لربه ليُسلمه منهن: ﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾[يوسف:٣٢-٣٤] .

فمن جاءت عليه الأحوال الشديدة ، وهو يدعو إلى الله قائمًا بأمر الله ، يفزع إلى الله لا إلى غيره :﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

فلا يفزع إلا إلى الله مهما كانت الأحوال ، ثم يوسف علم ما وراء الامتناع منهن فطلب السجن من ربه : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾[يوسف:٣٢-٣٤] .

والذي يقوم بالدعوة إلى الله ، وينظر إلى تقصيراته يتقدم ، والذي يقوم بالدعوة إلى الله ، وينظر إلى تضحياته يتأخر .

فالمشكلة والآفة التي تصيب الداعي ثلاث :

أنا .. ولي .. وعندي .

فهذه ثلاثٌ مهلكاتٌ للإنسان ، فالذي يقوم بالدعوة ويقول : أنا ، فهذا شيطان ، كما قال إبليس :﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾[ص:٧٦] .

فإبليس ما زنى وما سرق ولكن قال : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ ﴾[ص:٧٦] .

وأنا لا تكون إلا لله فقط : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾[طه:١٤] .

فأنا في الدعوة شيطانية ، وأنا في الدعوة فرعونية كما قال فرعون : ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ ﴾[النازعات : ٢٤] .

ولي فرعونية كما قال فرعون : ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ ﴾[الزخرف:٥١] .

وقال : ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾[القصص:٣٨] .

وعندي قارونية كما قال قارون : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ [القصص:٧٨] .

ففرعون مشكلته أنا ولي ، والله له كل شيء : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾[الملك: ١] .

فنحن في الدعوة إلى الله ليس لنا، وليس عندنا، وليس فينا أنا، إنما نحن: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾[البقرة:١٥٦] .

وقال الله تعالي: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾[النمل:٤٠] .

فأخطر شيءٍ على الداعي إلى الله زلة القلب واللسان برؤية هذه الأشياء .

ويوسف ﷺ كل أهل مصر ظلموه ، ولكنه صبر على البلاء .

فلنكن مظلومين لا ظالمين ؛ لأن المظلوم معه الله ينصره على من ظلمه .

والآن جعل الله الحل في رأس الملك بالرؤيا التي أراها : ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾[يوسف:٤٣-٤٤] .

وأخطر شيء على الدعاة إلى الله التعصب ، والاستعلاء ، ورؤية الجماعة والقبيلة كما قال الملأ من قوم سبأ : ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾[النمل:٣٣]

وقال كفار مكة : ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥] .

ونحن لله وحده الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٤٠﴾[مريم:٤٠] .

فالداعي ليس عنده مزاج أنا ، ولا لي ، ولا بيدي ، ولا عندي ، ولا نحن ، فهذه كلها لله وحده :﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

وهذه الرؤيا التي رآها الملك مرتبة ؛ ليرى الناس أن حل المسائل عند الداعي إلى الله ، فالله ألجم جميع جلساء الملك عن تعبير الرؤيا ، فقالوا :﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[يوسف: ٤٤] .

فقال الذي سُجن مع يوسف من العبيد : ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾[يوسف:٤٥] .

وهذه الرؤيا من الله :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾[يوسف:٤٥] .

فالداعي إلى الله حين يضحي بمزاجه وأوقاته وعاداته ، فالله ﷻ يخرق له عادات الآخرين ، فكل جلساء الملك قالوا : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[يوسف:٤٤] .

وعادةً جلساء الملوك أهل فطنةٍ وذكاء ، ولو فسرها أحدهم لما خرج يوسف من السجن .

فقال الذي نجا من العبيد : أنا اعرف شخصًا في سجن العبيد يُؤول الرؤيا ، فماذا قال الملك ؟ : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يوسف:٥٠] .

ففتحوا أبواب السجن وقالوا ليوسف : أجب الملك ، وعادةً السجين لو وجد أي فرصة هرب ، وعلى الأقل خرج ، لكن يوسف ﷺ لم يخرج ؛ لأنه متهمٌ في العرض ، حتى يُثبت براءته .

فقال : ﴿ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[يوسف:٥٠] .

ولم يقل : زليخا امرأة العزيز ، وفتح الملك التحقيق مع النساء ، فقالت النساء جميعًا : كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥١-٥٣] .

فأقرت امرأة العزيز بما حصل منها ، فأحبه الملك ، واستخلصه لنفسه ؛ لهذا الداعي إلى الله لابد أن يكون طاهر السيرة والسريرة .

ثم عرض الملك الرؤيا على يوسف ﷺ : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[يوسف:٥٤] .

ثم عرض عليه المشكلة ، ثم يوسف ﷺ بعد أن سمعها أعطى التفسير ، ثم التدبير ، ثم التبشير كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[يوسف:٤٧-٤٩] .

وذلك بأن وضع لهم يوسف ﷺ خطة تدبير وتبشير ، سبعُ وسبع ، وعامٌ كله خير تبشيرًا ، ووضع لهم نظام تخزين للحبوب ، ثم وضع نظام تبادل السلع كلٌ يأخذ حاجته فقط ، ولا يحتكر ، وهكذا الداعي دائمًا يبشر الناس ، ويعطي ولا يأخذ ، ويعفو ولا ينتقم ، فكل مصر ظلموه ، ولو أن يوسف أعطى التفسير بدون التدبير لاحتار الملك فيما يفعل ، وهذه خطةٌ اقتصادية لمدة خمسة عشر عامًا ، فالمشكلة في الأربعة عشر عامًا ، ثم بشرهم بعام البركات بعده كله خير وأمن ، فالداعي دائمًا يُعطي الخير ويُبشر بالخير .

ثم قال يوسف ﷺ : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف:٥٥].

ليدبر البلاد بحسن تدبيره ، وحبه للخير للناس .

يوسف ﷺ بعد تفسير رؤيا الملك قال للملك : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾[يوسف:٥٥].

ليدبر البلاد بحسن تدبيره ، وحبه للخير للناس ، ثم جاء إخوة يوسف فعرفهم ولم يعرفوه : ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يوسف:٥٨].

فجلس معهم وأكرمهم، ثم عرف منهم قصتهم ، وقصوا عليه قصتهم مع يوسف ، وكان المفروض أن يقتلهم؛ لأنهم ظلموه ، وجاءوا معهم بثمن الحبوب من ثيابٍ وجلودٍ ونحوها ، ثم لما سمع خبرهم ، وجهزهم ماذا طلب منهم : ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ

أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾[يوسف : ٥٩ – ٦٠] .

ولكنه ﷺ لكمال بصيرته ، ظن أنهم لا يرجعون ، فجعل بضاعتهم التي هي ثمن الحب في رحالهم ؛ لأنه يعلم أن يعقوب لا يأكل حرام : ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يوسف:٦٢].

ثم لما رجعوا قصوا على أبيهم الخبر : ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[يوسف:٦٣-٦٥].

فهذا هو اللقاء الأول بين يوسف وإخوته ، وهذا من عظيم الحكمة ، ولو قال يوسف في اللقاء الأول : أنا يوسف ، فماذا يحصل ؟ يموت إخوته من الحسد ، فهو وهو صغير حسدوه ، فكيف إذار رأوه ملكًا يأمر وينهى.. ويُعطي ويمنع ؟ ! سيتضاعف في قلوبهم الحسد ، فهم مخطئون ، بل مجرمون ، لكن في قلب يوسف رحمةٌ شديدة لإخوته ، ورغبته في هدايتهم جعلته يُعمل الحكمة في الإحسان إليهم والرفق بهم .

فيوسف ﷺ أمام إخوته يرى أنه مخطئ ، ليجذب قلوبهم إليه بزوال حسدهم له ، والمخطئ من لا يرى نفسه مخطئ فهو المخطئ .

والآن يوسف ﷺ كيف يعالجهم ؛ ليكونوا في أعلى مستوى عند الله ، فالإنسان دائمًا يرى نفسه مقصرًا .

فطلب إخوة يوسف من أبيهم أن يرسل معهم بنيامين أخوهم ، فخاف يعقوب عليه: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) ﴾[يوسف:٦٦-٦٧].

ثم خرج إخوة يوسف من عند أبيهم يعقوب ﷺ مرةً أخرى ، فجاءوا إلى يوسف مرةً أخرى ، وأكرمهم وقضى حاجتهم، وعرف أخاه بنيامين ، فأعمل فيهم الحيلة ، فوضع سقاية الملك في رحل أخيه ، ولما كانوا عند الأبواب خارجين أذن مؤذنٌ إنكم لسارقون : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) ﴾[يوسف:٦٩-٧١] .

ففتشوا الناس فوُجد الصواع في رحل أخيه بنيامين ، فما هو الحكم ؟

النظام عندهم من سرق كان عبدًا لمن سرق منه ، فقالوا ليوسف : خذ أحدنا مكانه ؛ لأنهم أُخذ عليهم العهد من أبيهم يعقوب أن يحفظوه : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا

مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ (٧٦)﴾ [يوسف:٧٣- ٧٦] .

ثم قالوا : كما قال سبحانه : ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٧٨)﴾[يوسف:٧٨] .

فماذا قال يوسف ﷺ : ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ (٧٩)﴾[يوسف:٧٩] .

فهذا هو نظامنا في الحكم بين الناس ، فأخذ يوسف بنيامين ، فأراد يوسف ﷺ أن ينظر في مستوى قلوبهم ، فسألهم عنه فقالوا : كما قال سبحانه : ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)﴾ [يوسف:٧٧] .

فلازال في قلوبهم الحسد ، والظلم ، والكذب .

والآن زاد المرض فيحتاجون إلى علاجٍ أكثر ، حتى الآن قلوبهم لم تطهر ، فأخذ يوسف ﷺ معه أخاه بنيامين ، وقال كبيرهم كما قال سبحانه : ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ (٨٠)﴾[يوسف:٨٠].

فجلس هو أما إخوته فرجعوا إلى أبيهم ، فزاد الهم أكثر على يعقوب ﷺ أولًا مشكلة يوسف ، ثم الآن فقد بنيامين ، ويهوذا : ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ

فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾[يوسف:٨١-٨٢].

فماذا قال يعقوب ﷺ لما علم من إخوته الخبر : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[يوسف:٨٣-٨٦].

فقالوا : تأسف على يوسف ، تذكر المصيبة الكبرى ، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، فما أعظم صبره ﷺ ، ثم تولى عنهم ، وخلا بنفسه ؛ لئلا يبكي أمامهم ، فلا إله إلا الله ، ما أعظمها من أحوال تكسر القلب والخاطر.

وهكذا الداعي يصبر ، ويجرح نفسه ولا يجرح الآخرين ، ولو بكى أمامهم لجرح قلوبهم .

والمطلوب في الدعوة ثلاثة أشياء :

الصبر الجميل .. والعفو الجميل .. والصفح الجميل .

قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر:٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾[يوسف:٨٣].

ويعقوب ﷺ صبر الصبر الجميل الذي لا عتاب فيه ، والصفح الجميل الذي لا شكوى فيه ، والعفو الجميل الذي لا ملامة بعده .

يعقوب ﷺ ليس عنده في حل المشكلة إلا هؤلاء الأبناء يوسف وبنيامين ، فماذا قال بعدما سمع ؟ قال : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف:٨٧].

فاستخدمهم يعقوب ﷺ لحل المشكلة .

وكذا نحن في جهد الدعوى إلى الله ، لا ننظر لما سبق، بل ننظر للموجودين، ونستعملهم في حل مشكلة العالم ، فكم من ضالٍ هداه الله كان سببًا لهداية البشرية: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة:٤].

فالآن إخوة يوسف ذهبوا في المرة الثالثة ، ولكن قلوبهم منكسرة : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[يوسف:٨٨].

فأظهروا حاجتهم الشديدة، فقبل منهم يوسف ﷺ، مع أن بضاعتهم مزجاة ، لمِا في قلبه من رحمتهم ؛ ولعلمه بفقر أبيه وحاجته ، فهؤلاء الذين كانوا سبب المشكلة استخدمهم يعقوب ﷺ في حل المشكلة .

فما أعظم هذه التربية من رب العالمين ، وما أعظم هذه الحكمة من يعقوب ﷺ ، وما أعظم الصبر منه ﷺ .

وهكذا نحن في الدعوة إلى الله ، ليس عندنا إلا هؤلاء الذين كانوا من قبل سبب المشكلة ، فنحن الآن نستخدمهم في حل مشكلة العالم ، وكذا حال قريش مع النبي ﷺ ، حاربوه ، ثم حاربوا معه.

فهكذا جهدنا في جناب الله مع أنه قليل ، وبضاعةٌ مُزجاة ، إذا اعترفنا بذلك قبله الله ، وبارك فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾[يوسف:٨٨].

فيوسف ﷺ قبِل ، والكريم لا شك يقبل ، ولكن إذا انكسرت القلوب ، فالآن أتى الحل للمشكلة بعد أن اعترفوا وانكسروا ، فماذا قال لهم يوسف ؟ .

قال الله تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ۝٨٩﴾[يوسف:٨٩].

فماذا قال له إخوته ؟ .

قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ [يوسف:٩٠-٩١] .

فماذا قال يوسف ؟ .

قال الله تعالى:﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾[يوسف: ٩٢] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾[يوسف : ١٠٠] .

فالآن قال يوسف لإخوته : ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[يوسف:٩٣] .

والقميص ورد في قصة يوسف ثلاث مرات :

الأولى : لما جاءوا عليه بدمٍ كذب لأبيهم يعقوب ﷺ .

والثانية : حينما قدته امرأة العزيز .

والثالثة : حينما أرسل يوسف قميصه إلى يعقوب أبيه ﷺ .

فقميص يوسف في الأولى دليل الإدانة ، وقميصه في الثانية دليل البراءة ، وقميصه في الثالثة دليل القدرة فبسببه رد الله على يعقوب بصره .

فالأول قميص البلاء ، والثاني قميص النجاة ، والثالث قميص الشفاء .

فكل شيءٍ مع الداعي إلى الله له قيمة وأثرٌ وبركة .

ولما التقى يوسف مع أبيه يعقوب ، هل أجلسه ، وسرد القصة عليه ؟ كلا بل قال : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[يوسف: ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ

ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ٩٤-١٠٠] .

فنسب يوسف ﷺ كل ما جرى عليه من المحن والشدائد إلى الشيطان لا إلى إخوته ، وهذا منتهى العفو ، والإحسان ، والإكرام ، والأدب .

فقصة يوسف ﷺ ملحمةٌ أخلاقية استنار بها قلب النبي ﷺ ، فزاد صبره ، وحلمه ، وعفوه ، وصفحُه ، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، كما قال سبحانه : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر:١-٣] .

ولما وصل يوسف ﷺ إلى الملك ماذا قال ؟

قال : ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف : ١٠١] .

الآن بدأ عند يوسف ﷺ الخوف ، فبدأ بالدعاء والرغبة بلقاء الله ، فمن وصل إلى الملك لا يريد الموت ، فكل إنسانٍ وصل إلى الملك يرغب في البقاء فيه ، ولكن قلوب الأنبياء معلقةٌ بالمَلك لا بالمُلك ، فدعا ربه أن يتوفاه مسلمًا ، ويلحقه بالصالحين مع الانكسار : ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا

مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:١٠٢-١٠٦] .

ثم بين الله ﷻ أن هذه الأصول العظيمة في الدعوة هل هي ليوسف ﷺ فقط؟.

قال الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[يوسف:٩٠] .

فهذه الأصول لكل داعٍ في سبيل الله ، لكن بشرط الصبر والتقوى .

فبصبر يوسف ﷺ ، وعفوه ، وإكرامه ، وحلمه ، ورحمته ، أصبح جميع أُخوة يوسف أسباطًا وأخيارًا كالنجوم ، فكوكب يوسف ﷺ أحد عشر رجلًا من إخوته ، أما النبي ﷺ فكوكب في عهده ﷺ أكثر من مائة وعشرين ألفًا فدخلوا جميعًا في الإسلام ، وشهدوا معه حجة الوداع .

فصلوات الله وسلامه على أنبياء الله ورسله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾[الأحزاب : ٣٩] .

لهذا كله هذا عملنا في الدعوة صبرٌ ورحمةٌ بالناس ، أما القوة القهرية فهذه بيد الله وحده لا شريك له :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [يوسف:١١٠] .

عملنا في الدعوة إلى الله إظهار القوة الخُلقية من الرحمة ، والعفو ، والإحسان ، والإكرام ، والله يُدبر القوة القهرية ، وينصر بها أولياءه ، فعملنا

القوة الخُلقية ، وفعل الرب القوة القهرية : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[غافر:٥١] .

فالإسلام عظيم ولا يحمل العظيم إلا خلقٌ عظيم يجعل العدو صديقًا ، والضال مهتديًا ، والفاسق صالحًا :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

والآن الشيطان أشغل الناس بالقوة القهرية ، وترك القوة الخُلقية ، فماذا حصل ؟

زادت العداوة ، ونفر الناس من الدين ، وكرهوا الدين ، بل حاربوه خوفًا من أهله ، ولن يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

والمسلمون اليوم يحتاجون إلى هذه الأخلاق ، فنحن أمةٌ وسط ، وشهداء على الناس ، وكيف نكون شهداء على الناس ، ونحن لم نذهب إلى الناس حتى نعلم من أسلم أو كفر ؟ !

فأعلى درجات الولاية في بني إسرائيل الانقطاع عن الناس العبادة ، وأعلى درجات الولاية في هذه الأمة الجهد على الناس والاتصال بالناس: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠] .

وذلك ما أكرم الله به الأنبياء والرسل ، وهذه الأمة ، والله تعبدنا بما تعبد به الأنبياء والرسل من الدعوة والعبادة :﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨] .

فالآن قبل القيام بجهد الدعوة ، لابد من تزيين القلوب وتجميلها بالتوحيد والإيمان وأحسن الأخلاق ، صِل من قطعك ، واعف عن من ظلمك ، وأعطي من حرمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، فلابد من نقل هذه الصفات إلى البشرية :﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[الشورى:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب:٢١] .

٢- الدعوة إلى الله أحسن الأعمل.

كل نبي أعطاه الله ﷻ الدعوة والعبادة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

وموعود العبادة الجنة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

أما موعود الدعوة إلى الله ، فهو النصرة والمعية : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر:٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[التوبة:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل:١٢٨] .

وهذه الأمة كالأنبياء والرسل ، أعطيت العبادة والدعوة معًا ، وهل الدعوة فرض عين ؟ وهل يوجد صحابي واحد سئل النبي ﷺ هذا السؤال ؟ .

الدعوة في هذه الأمة فطرة ، وهي أم الفرائض بعد الإيمان ، فإذا قامت الدعوة في الأمة ، جاءت الصلاة والصوم وبقية أعمال الدين ، نجاتك من العذاب الأليم فرض عين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ

عَدۡنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف : ١٠-١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف : ١٤] .

فأول فريضة على الأمة أن تعرف من هو الله ؟ .

قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

والفريضة الثانية : أن تعرف الناس بالله : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:١-٤] .

هو الله أحد توحيد لك ، وقل هو الله أحد: نقل التوحيد إلى غيرك ، فهي لك ولغيرك : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

وكثير من الناس يسأل هذا السؤال ما حكم الدعوة ؟، لأنه لا يريد الدعوة ، ولا يريد التربية ، كل منا يصلي الفرائض ، لأنه يعلم أنها فرض عين ، وليس كل منا يقوم بالدعوة ، لأنه ليس في قلوبنا شعور أن الدعوة فرض عين كما قال سبحانه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

فمقصود أعمال الدين كلها لتقوية المقصد ، وهو الدعوة إلى الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣] .

على ماذا ؟ على الدعوة إلى الله ، فالله سبحانه لم يجعل فوق الدعوة عملاً للوصول إليه ، ولهذا هذه الأمة تعلمت الدعوة قبل نزول الأحكام ، ثم تعلمت الأحكام ، وهي العبادات التي تعين على القيام بالدعوة ، لهذا من قام بالدعوة إلى الله سهل عليه امتثال أوامر الله ، ومن ترك الدعوة إلى الله ثقل عليه امتثال أوامر الله ، ولهذا تأخرت العبادات عن الدعوة إلى الله .

وهناك فاصل زمني طويل بين الإيمان ، ونزول الأحكام ، وليس هناك فاصل زمني بين الإيمان والدعوة إلى الله .

وأكثر اسم نردده كل يوم اسم الرب في الصلاة وغيرها ، وهو أكثر اسم ورد في كتاب الله ، فالذي يسأل الله باسمه الرحيم يطلب الرحمة ، والذي يسأله باسمه الغفور يطلب المغفرة ، والذي يسأل الله باسمه الرب ماذا يريد ؟

يريد التربية الذي ربى الله بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٨] .

والله سبحانه ذكر في القرآن جهد الأنبياء ، لا عبادة الأنبياء، لأن الأحكام قبل القرآن منسوخة، ولكن جهد الأنبياء في الدعوة إلى الله باقٍ إلى يوم القيامة: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٩٠] .

ومقصود جهد الدعوة النفس لا الناس، فنوح ﷺ دعا إلى الله ستمائة سنة، ثم قيل له: إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فهل ترك نوح ﷺ الجهد ، لا بل استمر ثلاثمائة وخمسون عامًا، ولو كان المقصود الناس ، لما دعا ألف سنة إلا خمسين عاما .

فالدعوة إلى الله للداعي تركيزًا ، ولغيره تذكيرا : ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ ﴾[الغاشية:٢١-٢٤]

ومن كان مقصوده من جهد الدعوة الناس دون نفسه ، فالناس يهتدون والإيمان يأتي في الناس ، والنفاق يأتي فيه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

ولم يذكر سواهم ، فالمجتهد له الهداية .

- **لماذا الناس يتركون الدعوة إلى الله :**

لأن كثيرًا من الناس في قلوبهم هداية الناس فقط لا هداية أنفسهم ، ولهذا يتركون الدعوة ، ولو علموا أنهم أول مقصود بالدعوة إلى الله ، وأول مستفيد لما تركوا الدعوة إلى الله .

فيعقوب ﷺ أعظم من فُجع في هذه الدنيا ، فابيضت عيناه من الحزن ، وفرق الله بينه وبين يوسف أربعين سنة .

وجبريل ﷺ ينزل عليه ، وعلى يوسف ، من أجل التربية ، ولم يخبر منهم أحدا ، وأيوب ﷺ سبعة عشر عامًا في المرض ، هل الدواء بعيد عنه ؟ الدواء تحت قدميه : ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ ﴾[ص : ٤٢] .

ولكن لما جاءت الصفة التي يحبها الله فيه وهي الصبر ، رفع الله عنه المرض : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص : ٤٤] .

وموسى ﷺ مع فرعون جاهده أربعين سنة ، والله عز وجل طمَّع موسى في هداية فرعون فقال : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٣-٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[النازعات : ١٧-١٩] .

وفرعون طمَّع موسى في الإيمان به كما قال سبحانه : ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[الأعراف:١٣٤].

والله يعلم أن فرعون لن يؤمن ، ولكن المقصود تربية موسى ﷺ .

وهل المقصود من الدعوة إقامة الحجة على الناس ؟ .

من هو الحجة حتى يقيم الحجة ، إقامة الحجة ليست من أعمال العباد ، إنما هي من أعمال الخالق جل جلاله : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[النجم : ٣٢] .

والله سبحانه وضع في قلوب الأنبياء والرسل الطمع في هداية الناس ، وإذا توقف الطمع تركت الدعوة ، فلن تنزل هداية .

ومحمد ﷺ في قلبه الطمع في هداية البشرية كلها ، وكذلك أتباعه يجب أن يكونوا مثله ، فمتى وجد الطمع قامت الدعوة إلى الله ، ثم نزلت الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

الآن كم الطمع في قلوبنا لهداية البشرية ، إذا وُجد الطمع نزلت الهداية ، فموسى ﷺ أربعون سنة في قلبه الطمع في هداية فرعون ، وكم الأدب من موسى مع فرعون ؟ موسى يقول لفرعون : يا فرعون ، أيها الملك ، وفرعون يقول لموسى : يأيها الساحر ، وموسى صابر ، والداعي يكمل داعٍ آخر فموسى أرسل الله معه أخاه هارون نبيا ، ولكل منهما صفات تخالف الآخر .

وتربية الأنبياء كلهم بالدعوة والهجرة ، وهذه الأمة تربتها كذلك بالدعوة والهجرة ، نوح ﷺ دعا وهاجر ، وإبراهيم ﷺ دعا وهاجر ، وموسى ﷺ دعا وهاجر ، ومحمد ﷺ دعا وهاجر ، وهذه الأمة تربيتها بالدعوة والهجرة ، وبالدعوة والهجرة تحصل الهداية : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ ﴾ [الصافات:٩٩] .

وقال الله تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

فكل الدين الموجود في العالم الآن بسبب من ؟

بسبب المهاجرين : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

ومن كان جهده جهد الأنبياء رافقهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء : ٦٩-٧٠] .

فالسابقون من المهاجرين هم أهل بدر والحديبية ، والسابقون من الأنصار هم الذين بايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى والثانية .

ومقصود الدعوة والهجرة نصرة الدين : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤٠-٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف : ١٤] .

فالصحابة رضى الله عنهم قبلوا التربية ، فصاروا خير هذه الأمة ، لكن في عصر النبوة من لم يقبل هذه التربية فقعدوا خسروا ، وهم المنافقون رضوا بأن يكونوا مع الخوالف : ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ

فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة :٦٧- ٦٨] .

فالمنافقون شر الناس ، ولهذا عقوبتهم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[النساء:١٤٥] .

وبنو إسرائيل لما أساءوا الأدب مع موسى بقولهم : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[المائدة:٢٤] .

عاقبهم الله بتيه المكان بعد أن تاه فكرهم : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[المائدة: ٢٦] .

فبنو إسرائيل وقعوا في تيه المكان ، ونحن الآن وقعنا في تيه الفكر بترك المقصد وهو الدعوة إلى الله في أنحاء الأرض ، فلا تربية بالجلوس أبدًا : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

وهذا يتطلب النفر في سبيل الله ، لنشر دين الله في العالم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[التوبة :٣٨- ٣٩] .

فلا يعذر بترك الدعوة أحد ، لأنها وظيفة الأمة كلها : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة :٤١] .

وصاحب ياسين فلاح ، وقد ذكر الله جهده في القرآن :﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يس:٢٠-٢١] .

والمدينة مدينة الصفات لا مدينة الحجارة ، والله ﷻ بعث محمدًا ﷺ ليعلم الأمة كيف تبني قبورها وآخرتها ، وما بُعث ليعلمها كيف تبني قصورها ودنياها ، والمدينة قبل الهجرة اسمها يثرب ، وبعد الهجرة سميت المدينة ، ورفع الله مقامها بأهل الصفات من المهاجرين والأنصار .

وصاحب ياسين تجول مرة واحدة ، وعظم الله مرة واحدة ، فالله عظمه إلى الأبد ، وعمل في الدعوة ساعة واحدة مع الصفات ، فتحولت القرية إلى مدينة ، ثم قتل ولكن وصلت حياته بحياته في الجنة، كما قال الله عنه : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس:٢٢-٣٠] .

والله سبحانه عنده خزائن الحسن ، وحسن الله لا يدرك ولا يحاط به : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

وكما أن حسن الله لا يدرك فحسن عمل الدعوة لا يدرك ولا منتهى لحسنه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

ومن حسن هذا الجهد العظيم أن الله جل جلاله نقل بسببه شر القرون إلى خير القرون ، ونقل حياة أهل الجاهلية من الضلال المبين إلى سلوك الصراط المستقيم ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الفرقة إلى الوحدة ، ومن الظلم والطغيان إلى العدل والإحسان : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران :١٠٣- ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت :٣٣ – ٣٥] .

ومن سار على الهدى ، وصل إلى الهادي ، والصحابة اهتدوا إلى الدين ، وقاموا بجهد الدين ، فرضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، وأكرمهم بالجنة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

فأعظم شيء أنزله الله من فوق العرش كتاب الله ﷻ : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنبياء : ١٠] .

وفصل الله في هذا الكتاب العظيم أصول الدعوة إلى الله ، ليصل الخلق إلى الحق ، ويخرجوا من هوى النفس ، إلى هدى الرب : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم : ١] .

وقال الله تعالى:﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

فالقرآن نزل ليعلم الأمة المقصد ، والجهد ، والدين : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وقد حصل للنبي ﷺ في الطائف حالتان :

الأولى : إتعاب الجسد ، من أجل القيام بجهد الدعوة ، بصعود الجبال ، وتحمل الضرب بالحجارة .

الثانية : إذلال الروح ، فقد دعا ﷺ أهل الطائف ، فسخروا منه ، وردوا دعوته ، وجميع الأنبياء ذلوا أجسادهم وقلوبهم من أجل هذا العمل العظيم ، فأعزهم الله، فمن أراد العزة فليذل نفسه للعزيز في سبيل هذا الجهد العظيم .
وأصعب شيء عرض الدعوة على الناس ، والنبي ﷺ عرض الدين على الكفار فسخروا منه ، وكذبوه ، وضربوه ، وشتموه ، فاشتد عليه الأمر ، وأراد الله أن يخفف على نبيه فقال له : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنعام : ٣٣] .
فهم لا يكذبونك ، ولكن يكذبونني أنا .
وكفار مكة ليس عندهم مشكلة لا إله إلا الله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان:٢٥] .

ولكن عندهم مشكلة محمد رسول الله ، فحسدوه ، حيث قالوا : فقير ، مسكين ، يتيم :﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الزخرف:٣١-٣٢] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾[الإسراء:٩٤ – ٩٥].
فليست مشكلتهم مع الدعوة ، بل مع الداعي الذي حسدوه ، المشكلة أنت داعي من بيننا .

وقد عرض النبي ﷺ دعوته على أهل الطائف أربعة عشر يومًا ، فلم يقبلها لا الرؤساء ، ولا السفهاء ، ولا العامة ، ثم طردوه وضربوه بالحجارة ، وبعد تحمل الرسول ﷺ ألم وتعب الجسد والروح من أجل الله ، أكرمه الله بأعلى درجات العبودية ، فأُسري به إلى بيت المقدس ، ثم عُرج به إلى السماء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء : ١] .

والنفس أكره ما تكره العبودية ، لما فيها من الذلة ، ولكن عبودية الرب فيها العزة ، فعبودية الرب أن تستفيد منه ، والعبودية للخلق لكي يستفيدوا منك ، فأعظم العبودية لله وحده ، لذلك أعلى الدرجات عند الله العبودية له :﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾[الجن: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[النجم:١٠] .

فالآن فاز النبي ﷺ بأعلى الدرجات على مستوى البشرية ، وهي مقام العبودية ، ولكن بعد أن أتعب الجسد ، وأذل الروح ، وعظم الخالق ، ونفى النفس ، فمن أراد عزة العبودية لله ، فليوطد نفسه على إتعاب الجسد ، وإذلال الروح لله ، ابتغاء مرضات الله ، ففاز ﷺ بأشرف عبودية لله ، محمدٌ رسول الله ﷺ ، لأنه عظم الله ، ونفى نفسه فأخذ الجائزة والمرتبة والمنزلة على سائر الخلق أجمعين ، لما وقر في قلبه من قوة اليقين ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين ، ففاز برتبة سيد الأولين والآخرين كما قال النبي ﷺ : « أنا سيد وَلدِ آدَم يوم القيامة »أخرجه مسلم .[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣/ ٢٢٧٨).

وكل إنسان يملك قوة الإثبات ، وقوة النفي ، ويملك أن يكفر ، أو يؤمن ، أو يطيع ، أو يعصي : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾[الكهف:٢٩] .

أما الملائكة فليس عندهم إلا قوة الإثبات :﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة:٣٠] .

فالدعوة إلى الله تعظيم الخالق ، لا إله نفي ، إلا الله إثبات ، والنبي ﷺ عظم ربه ، ونسب التقصير إلى نفسه ، وأذل نفسه لله ﷻ ، من أجل هداية الخلق ، وبغير الدعوة يأتي تعظيم النفس وتزكيتها وليس لأحد حق التزكية إلا الأنبياء كما قال ﷺ : « أنا سيد وَلدِ آدم ولا فخر »أخرجه ابن ماجة.(١) .

أما البشر فلا يجوز لأحدهم أن يزكي نفسه : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[النجم : ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾[النساء : ٤٩] .

والمطلوب تزكية النفوس بالتوحيد والإيمان والتقوى .

قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وقال الله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

---

(١) صحيح / أخرجه ابن ماجة برقم (٣٤٩٦) .

فلا يعجب الإنسان بعمله ، ولا ينسبه إلى نفسه ، ولا يفخر بجاهه ونسبه وقبيلته ، فالأمور كلها بيد الله ، ويجب تعريف الخلق بربهم ، ليعبدوه ويشكروه ، ويستعينوا به ويتوكلوا عليه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

والشكوى ترفع إلى الله وحده ، لأنه القادر على دفعها مهما عظمت ، والأنبياء كلهم يقدمون الشكوى إلى الله وحده كما قال يعقوب ﷺ : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف:٨٦].

ومحمد ﷺ قال : « اللهم رب الناس ، أذهِب البأسَ وأنتَ الشَّافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سَقَمَا »أخرجه البخاري.(١)

والمسلم كذلك لا يشكو حاله إلا إلى ربه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة : ١٨٦] .

وقال النبي ﷺ : « إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستَعِنْ بالله ». أخرجه أحمد والترمذي(٢) .

فهناك ثلاثة أمور :

الشاكي هو الداعي ، والمشكو النفس ، والمشتكى إليه هو الله وحده ، فأعظم عدو هو النفس التي تسكن فيك : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٤١١) .

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٠٣)، والترمذي برقم (٢٥١٦) .

والصحابة رضي الله عنهم لما حصل في أحد ما حصل قالوا : أنَّى هذا ، فقال الله : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

فكل المشاكل سببها النفس ، وهي أعظم صنم معبود من دون الله : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ [النساء:٧٩] .

لهذا الإنسان ينفي جهده ، ويثبت كل نعمة وفضل لله ﷻ ، لهذا لا ننظر كم عملنا ، بل ننظر كم لم نعمل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل : ٥٣] .

فمن قام بالجهد ، ونظر إلى تضحياته في سبيل الدعوة إلى الله يتأخر ، ومن قام بجهد الدعوة ، ونظر إلى تقصيراته يتقدم ، فالله سبحانه أظهر محاسن الدين في صفات الأنبياء والرسل ، وأظهرها في الصحابة رضي الله عنهم ، ولهذا مقصود الدعوة ، إظهار محاسن الدين في البشر أقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾ [الأنعام:١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾ [البقرة:١٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾ [الحج : ٧٧] .

فالدعوة إلى الله هي الحياة ، فالحي هو المتحرك ، والميت ساكن : ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل : ٢١] .

فلا حياة للأمة إلا بالدين ، ولا حياة للدين إلا بالدعوة ، ولا حياة للدعوة إلا إذا اجتمعت الأمة عليها: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الشورى:٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

فبالجهد يتحصل الإنسان على الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وبالأخلاق تأتي الهداية في حياة الآخرين بسببك : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

كم كرم النبي ﷺ ، كم عفو النبي ﷺ ، كم حلم النبي ﷺ ، كم لطف النبي ﷺ، كم رحمة النبي ﷺ :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وكان ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل فلهو أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكم كان كرم الصحابة فالأخلاق مفضية إلى هداية الناس ، والمقصود الجهد لا الكلام : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ

يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران :١٣٣- ١٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[البقرة:٢٠٤-٢٠٥] .

وأثنى الله ﷻ على من قام بالجهد فقال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[البقرة:٢٠٧] .

فمقصد الأنبياء الرحمة ، وجهدهم الدعوة ، وثوابهم الجنة .

والله سبحانه شرف هذه الأمة بالخيرية رجالًا ونساء ، وحملهم أعظم مسئولية رجالًا ونساء إلى يوم القيامة : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران:١١٠] .

فكلهم في دائرة الخيرية ، وفي دائرة المسئولية ، لم يستثنى أحد من الخيرية ، والمسئولية ، والله لم يرسل امرأة نبية ، ولكن جعل في هذه الأمة شريكة في الخيرية ، وشريكة في المسئولية ، فالنساء والرجال كلهم نواب النبي ﷺ في أمته تكرمة لهذه الأمة رجالًا ونساء :﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران : ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

حسن الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله أحسن شيء ، وأفضل شيء ، وأوجب شيء بعد الإيمان : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت :٣٣] .

والله ﷻ هو الوهاب ، الذي وهب هذه الأمة نيابة النبي ﷺ ، وبهذه الهبة انتقلت الأمة من شر القرون إلى خير القرون ، ومن شر البرية إلى خير البرية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

فعرفت هذه الأمة ربها ، وعبدوه وحده ، وتركوا عبادة ما سواه ، وتحملوا مسئولية الدعوة إلى يوم القيامة .

ومن لم يدخل جنة الله في الأرض ، لم يدخل جنته في السماء ، وجنة الله في الأرض معرفة الله ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وجنة الله في السماء مجالسته ، والقرب منه :﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

ومن دخل جنة المعرفة في الدنيا أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة .

فعاش الصحابة رضي الله عنهم في الدنيا ، كأنهم في الجنة ، يبذلون كل ما يملكون من أجل دين الله ، فالله أعطاهم الرضوان في الدنيا والآخرة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

ويوم القيامة يحُِلُّ عليهم رضوانه في الجنة « الْيَوْمَ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » .أخرجه البخاري[1].

وكل نعم الله في الإنسان ، وما حول الإنسان ، كلها من أجل أن يصل بها إلى رضوان الله ، والجنة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة : ١٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[المؤمنون:٥١] .

فمقصود جميع النعم التي أنعم الله بها على الإنسان ، أن يصل بها إلى المنعم فيُعَظِّمَهُ، ويُكَبِّرَهُ، ويحْمَدُهُ، ويَشْكُرَهُ، ويحُِبَّهُ، ويعبده : ﴿ وَٱللَّهُ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٤٩).

﴿أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل : ٧٨] .

فالله سبحانه جعل دنيا الصحابة جنة ، لماذا ؟

لأنهم عرفوا النعمة والمنعم ، فصرفوا كل نعمة في عبادة الله ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ، وعرفوا أن الدين أكبر نعمة ، وجُهد الدين أكبر نعمة ، فصرفوا كل أوقاتهم ، وأموالهم ، وأنفسهم ، في طاعة المنعم ، فهم في الدنيا مع النعمة ، يتقربون بها إلى المنعم ، ويوم القيامة يكونون في الجنة مع المنعم : ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم : ٨٥] .

لهذا كانت حياة الصحابة رضي الله عنهم أطهر حياة ، وأحسن حياة ، وأسعد حياة ، على وجه الأرض ، لذلك في عهد الصحابة رضي الله عنهم الذي يريد أن يرى حياة الجنة ، يذهب إلى المدينة ، ويراها هناك مُمَثَّلةً في أخلاق أصحاب النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة : ٧-٨] .

عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة ، جاء من أنحاء الأرض من قبائل العرب ثمانون وفدًا ، و رأوا الإسلام العملي ، ودخلوا المدينة وهم كفار ، فخرجوا من المدينة دعاة إلى الله ﷻ .

وآخِر وفدٍ دخل المدينة هم أهل الطائف ، الذين طردوا الرسول ﷺ ، فرأوا بيئة الإيمان والأعمال الصالحة ، فأسلموا ورجعوا دعاة إلى بلادهم .

ولما جاءت الوفود إلى المدية كان النبي ﷺ يستقبلهم ، ويُكْرِمَهُم ، ويُعَلِّمَهُم ، ويسألهم من أي قبيلة ؟

وكان حول مسجده ﷺ سبعة مساجد ، يُرَغِّبُ ﷺ المسلمين في استقبالهم ، وإكرامهم ، وتعليمهم ، فكل قبيلة تأخذ وفدًا من الوفود ، وهذه هي النصرة ، وقال لهم ﷺ: «أَطِيبُوا لَهُمُ الطَّعَامِ ، وَأَلِينُوا لَهُمُ الْفِرَاشِ ، وَعَلِّمُوهُمُ الْإِسْلَامِ ». أخرجه ابن السني[1].

تربية لهذه الأمة ، للقيام على المقصد عمليًا ، وهو الدعوة إلى الله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

والوفود التي كانت تأتي رجالًا ونساءً ، فالرجال في المساجد ، والنساء في البيوت ، وبعد أسبوع تقريبًا يرجعون إلى مسجد النبي ﷺ ، ويخبرونه بالأحوال ، ثم يُرجعهم مرةً أخرى ليزدادوا علمًا ، وبعد أسبوعين تقريبًا تَعَلَّمُوا ، فقال لهم النبي ﷺ : « اِرْجِعُوا إِلَىَ بِلَادِكُم وَعَلِّمُوا مَنْ وَرَاءَكُم » .أخرجه عبد الرزاق[2].

وهكذا تَعَلَّمَت الوفود ، و أُكْرِمَت ، فَفَرِحَت ، ثم انطلقت راجعةً إلى ديارها تدعو إلى الله ، وتعمل بدين الله ، وكانت الوفود إذا رجعت تجتمع في دومة الجندل ، في ثنية الوداع ، وتجلس هناك ، ثم يأتي النبي ﷺ فيُوَدِّعَهُم ويوصيهم بما يجب عليهم نحو أنفسهم ، ومَن وراءهم .

فالدين انتشر بهذا اليسر والجُهد في العالم ، فبقدر الصدق والتوجه إلى الله في كل حال ، يجمع الله النور في قلوبنا ، ويهدينا ، ويعيننا على العمل : ﴿

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: (٣٢١).

(٢) صحيح/ أخرجه عبد الرزاق الصنعاني برقم: (١٦٩٣٠).

﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[القيامة : ١٦ – ١٩] .

فالآن كم العلم في الأمة ، ولكن أين العمل ؟ .

فالعلم في الدماغ ، والإيمان في القلب ، والكلام في اللسان ، فالله هو الذي يُبيِّنُ ، وهو الذي يظهره على لسانك وقت الحاجة : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: ١٩] .

فنور الإيمان في القلب، والتقوى فيه، والخشية فيه، والتوكل فيه، فعِلم وعمل الصحابة انقاد عمليًا لما في القلوب : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر : ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال : ٢– ٤] .

مقصود العلم ليس العمل فقط ، بل مقصوده الأعظم الخشية لله ﷻ ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

ولو كان مقصود العلم العمل فقط ، لدخل المنافقون الجنة ، لأن عندهم أعمال الدين ، لكن بلا إيمان ، فمقصود العلم أصلًا الخشية ، والهداية ، والتقوى ، فبقدر التقوى تكون الهداية : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾[البقرة:٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

لهذا الصحابة رضي الله عنهم تَعَلَّموا من النبي ﷺ ، أولًا ؛ علم التقوى ، ثم تَعَلَّموا علم الفتوى، ففي مكة لا يوجد افتاء، فالصحابة في مكة تَعَلَّموا التقوى، فلما تَعَلَّموا التقوى، تَعَلَّموا بعد ذلك الفتوى ، ثم أعطاهم الله الإمامة في الدين والدنيا : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة : ٢٤] .

والآن نحن نتعلم الفتوى ، قبل التقوى ، فحصلت الفرقة والاختلاف كما هو حاصل الآن .

وموسى ﷺ اسمه موسى ، فهل موسى رفع العصا في وجه فرعون ؟ ، وهل موسى ضرب البحر الذي لم يُسِئ إليه ، أم ضرب وجه فرعون الذي أراد قتله ، لا ؛ بل ضرب البحر ، وصبر على دعوة فرعون فدعاه بالحكمة ، والرحمة ، كما أمره ربه : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[النازعات : ١٧-١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٣-٤٤] .

موسى ﷺ يقول : يا فرعون ؛ يعني يا ملك ، وفرعون يقول لموسى يا أيها الساحر ، ففي قلب موسى طمع في هداية فرعون ، وأطمع فرعون موسى في نفسه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ

يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٣٤-١٣٧].

فالله ﷻ رءوفٌ بالعباد ، جعل في قلوب الأنبياء والرسل الطمع في هداية أقوامهم ، وموسى في قلبه الطمع في هداية فرعون أربعين سنة ، ولكن الله ﷻ أرسل رسله إلى البشر على نوعين :

رسل الرحمة .. ورسل النقمة .

فالأمة التي لا تأتي بالرحمة تأتي بالنقمة ، لكن الله يُقَدِّمُ رسل الرحمة على رسل النقمة ، ولم تتغير رحمة موسى ﷺ على فرعون أربعين سنة ، والله يعلم أن فرعون لا يؤمن ، وأعظم شيء في القرآن وقال موسى ، وقال فرعون ، فموسى يقول كل خير برفقٍ ولين ، وفرعون يقول كل شر بطغيانٍ واستكبار ، ولما لم يستجب فرعون ، أرسل الله إليه رسل النقمة ، القحط وغيره من العقوبات، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٣٢ - ١٣٣] .

فلما كشف الله عنهم الرجز نكثوا عما أمروا به ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٣٥].

فماذا فعل الله بهم ؟

قال الله تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ ﴾[الأعراف:١٣٦-١٣٧].

٤- صفة الدعوة إلى الله وحسنها :

الدعوة إلى الله ﷻ تكون كما قام بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فإن الله بعث الأنبياء والرسل بثلاثة أمور :

١- بالتعريف بالله ﷻ ، ليعبده الناس وحده لا شريك له .

٢- وبالطريق الموصل إليه ، وهو الدين الذي أرسل به رسله .

٣- وبما للناس بعد القدوم عليه يوم القيامة .

وصفة الدعوة إلى الله أن نُعَرِّف الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونُذَكِّر قلوبنا بالرَّب الذي يجب أن نعبده ، فنُكَبِّرُ الله لتمتلئ قلوبنا وقلوب الناس بتكبيره ، ونُعَظِّمُ الله ليَعْظُم في قلوبنا وقلوب الناس ، فالقلوب إذا عَرَفَت الكبير والعظيم كَبَّرَته ، وعَظَّمَته ، وآمنت به ، وأطاعته ، وامتثلت أوامره ، واجتنبت نواهيه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

ونُذَكِّر الناس بنعم الله وإحسانه ، ليحمدوه ، ويشكروه ، ويحُبُّوه ، ونُعَرِّفَهُم بصفات جلاله ليهابوه ، ويطيعوه ، ويرجوه ، ويخافوه ، ونُعَرِّفَهُم بصفات جماله ليحمدوه ويسألوه ، ونُذَكِّرَهُم بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الكبرى ، لِيُعَظِّمُوه ويشكروه ويحُبُّوه : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر : ٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾[الطلاق:١٢].

وإذا عَرَفتم ذلك آمنتم بالله ، وأطعتموه ، وعبدتموه وحده لا شريك له ، فمن عَرَفَ القوي استعان به ، ومن عرف الوكيل تَوكَّل عليه ، ومن عرف القادر لاذ به ، ومن عرف الكريم سأله ، ومن عرف الغني تَوَجَّهَ إليه ، ومن عرف الرزاق وقف ببابه ، ومن عرف المَلِك التجأ إليه ، ومن عرف العليم ، والسميع ، والبصير ، استحيى منه ، وخاف منه ، ومن عرف الرحمن استرحمه ، ومن عرف الغفور استغفره ، ومن عرف العفو سأله العفو : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾[الأعراف:٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾[الحشر:٢٢-٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

فالداعي إلى الله حقًا هو الذي يُعَرِّف الناس بالمعبود الذي يستحق العبادة ، وبالكبير الذي يستحق التكبير ، وبالعظيم الذي يستحق التعظيم ، وبالكريم

الذي يستحق أن يُحمَد ويُشكَر ، وبالغني الذي يتوجهون إليه في حاجاتهم ، وبالقادر الذي يستعينوا به في أمورهم ، ويتوكلوا عليه في جميع شؤونهم : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٣ ﴾[التغابن:١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٥ ﴾[يونس:٦٥] .

والداعي إلى الله حقًا هو الذي يُعَرِّف الناس بربهم ، ليعبدوه وحده لا شريك له ، يُعَرِّفَهُم بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الحميدة ، ومثله الأعلى ، ويُعَرِّفَهُم بنعمه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ۝٣٤ ﴾[إبراهيم:٣٤]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣ ﴾[النحل : ٥٣] .

و يُعَرِّفَهُم بوعده و وعيده ، يُعَرِّفَهُم بوعده لِيُقْبِلُوا على طاعته ، ويُحِبُّوا أوامره ، و يُعَرِّفَهُم بوعيده لِيُقْبِلُوا على طاعته ، ويبتعدوا عن معصيته : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٧٢ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ۝٦٨ ﴾[التوبة : ٦٨] .

فهذه القلوب هي محل التوحيد والإيمان ، ومحل تعظيم الرَّب وتكبيره ، فلا بد أن تُملأ بمعرفة الله ﷻ ، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله .

فالله ﷻ هو أحسن الخالقين : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون:١٤] .

والإنسان هو أحسن المخلوقين : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ [التين:٤] .

والدعوة إلى الله أحسن أعمال العالمين : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

فنُعَظِّمَ الله ، ونُكَبِّرَهُ ، لنُسْمِعُ قلوبنا ، ونُسْمِعُ غيرنا ، فنقول لأنفسنا وللناس رَبُّ السموات هو الله ، و رَبُّ الأرضين هو الله ، و رَبُّ الكرسي هو الله ، و رَبُّ العرش هو الله ، و رَبُّ الملائكة هو الله ، و رَبُّ الكواكب هو الله ، و رَبُّ الشمس هو الله، و رَبُّ القمر هو الله، و رَبُّ الجبال هو الله، و رَبُّ البحار هو الله، و رَبُّ النباتات هو الله، و رَبُّ الحيوانات هو الله : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

ونقول أيضًا رَبُّ الإنس هو الله، و رَبُّ الجن هو الله، و رَبُّ الرياح هو الله، العليم بكل شيء هو الله، المحيط بكل شيء هو الله، القادر على كل شيء هو الله ، الكبير هو الله ، العظيم وحده هو الله ، الغني وحده هو الله : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

أرزاقه لا تفنى أبدًا ، ومُلكُه لا يزول أبدًا ، وكلامه لا ينتهي أبدًا ، لو جمعنا جميع الملائكة ، والإنس ، والجن ، والأنبياء ، والعلماء ، والخطباء ، وكل شيء في الكون ، وصارت البحار مدادًا ، والأشجار أقلامًا ، والبحر يمده

من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله الكونية والشرعية : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان:٢٧-٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر : ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

هو الله الواحد الأحد ؛ هو الواحد لا ند له ، الأحد لا شريك له ، الصمد لا كُفو له ، العلي لا سَمِيَ له ، القاهر لكل قاهر ، المحيط بكل محيط ، الواحد الأحد ، الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد ، المالك لكل أحد ، المحيط بكل أحد .

هو الواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، هو أَحَقُّ من عُبِدَ ، وأَكْرَمُ من سُئِلَ ، و أَرْأَفُ من مَلَكَ ، وأجزل من أعطى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

هو الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض ، الملك الذي له ما في السموات وما في الأرض ، الملك الذي له خزائن السموات والأرض ، الملك الذي له غيب السموات والأرض ، الملك الذي له جنود السموات والأرض ، الملك الذي له مقاليد السموات والأرض ، الملك الذي له

ميراث السموات والأرض : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك :١].

الكبير وحده هو الله ، العظيم وحده هو الله ، العلي وحده هو الله ، العليم وحده هو الله ، الرحمن وحده هو الله ، القدير وحده هو الله ، الغني وحده هو الله الوهاب وحده هو الله ، الكريم وحده هو الله ، المقيت وحده هو الله ، المحيط وحده هو الله ، الرقيب وحده هو الله ، الوكيل وحده هو الله ، الخالق وحده هو الله ، السميع وحده هو الله ، البصير وحده هو الله ، الملك وحده هو الله ، الوارث وحده هو الله ، الشكور وحده هو الله : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر :٢٢– ٢٤] .

فما أحسن الدعوة إلى الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

رَبُّ الجهات كلها هو الله ، و رَبُّ المشارق هو الله ، و رَبُّ المغارب هو الله ، و رَبُّ الليل هو الله ، و رَبُّ النهار هو الله ، و رَبُّ الجنة هو الله ، و رَبُّ النار هو الله ، و رَبُّ جبريل هو الله ، و رَبُّ ميكائيل هو الله ، ورَبُّ إسرافيل هو الله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

فإذا امتلأت قلوب الخلق بعظمة الله عَظَّمَتهُ ، وإذا امتلأت بكبريائه كَبَّرَتهُ ، وإذا عَرفَت غِنَاهُ وكَرَمَهُ حَمَدَتهُ وشَكَرَتهُ ، وإذا عَرفَت عظيم نِعَمِه ، وإحسانه ، أحبته وأطاعته: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد:١٩] .

هذه وظيفة الأنبياء والرسل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب : ٢١] .

والنبي ﷺ أعظم من عَظَّمَ الله ، وأعظم من كَبَّرَ الله ، وأعظم من مجَّدَ الله ، وأعظم من حمد الله ، وأعظم من استعان بالله ، وأعظم من تَوكَّل عليه ، وأعظم الخلق عبادةً له ، وتعليمًا لشرعه ، ودعوةً إلى دينه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾[المدثر:١-٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾[المزمل :١- ٤] .

فالداعي إلى الله حقًا هو الذي يُعَرِّفَ الناس بالرَّبِّ المعبود ، وما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، كما بَيَّنَ الله ﷻ ذلك في كتابه ، فقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص :١- ٤] .

والله ﷻ هو العليم بكل شيء ، يعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، فكل ما كان لله ، وكل ما يكون لله ، وكل ما سيكون لله ، رَبُّ الأولين هو الله ، و رَبُّ الآخرين هو الله ، و رَبُّ كل شيء هو الله : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

هو سبحانه الأول قبل كل شيء ، الآخِر بعد كل شيء ، الظاهر فوق كل شيء ، الباطن دون كل شيء : ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد : ٣] .

الخالق لكل شيء هو الله ، المالك لكل شيء هو الله وحده لا شريك له ، الحي القيوم هو الله ، الذي يُعطي ويَمنع هو الله ، الذي يحُيي ويُميت هو الله ، الذي يُعِزُ ويُذِلُ هو الله ، الذي يُقَلِّبُ الليل والنهار هو الله : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[النور : ٤٤] .

الذي بيده ملكوت كل شيءٍ هو الله : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

الذي له الملك والملكوت ، وله العزة والجبروت ، هو الله وحده لا شريك له ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات الأعلى ، وله الأفعال الكبرى ،

وله المثل الأعلى ، هو الله الذي ندعو الناس إليه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فسبحان من بيده الملك كله ، وله الخلق كله ، وبيده الأمر كله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران :٢٦– ٢٧] .

ومَن هذا مُلكُه ، وهذا خَلقُه ، وهذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله ، ومَن هذا غناه ، ومَن هذه قدرته ، ومَن هذه رحمته ، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، هو الرَّب الذي ندعو إليه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فلا إله إلا الله الذي فوق السماء عرشه ، وفي السماء والأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار عذابه ، الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر :٦٥] .

هو رَبُّ العالمين ، وإله الأولين والآخرين ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

هو سبحانه الهادي الذي يهدي من يشاء ، ويُضِلُ من يشاء ، الوهاب الذي يَهَبُ كل نعمة ، الوهاب الذي:﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٤٩) (٥٠) [الشورى:٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة :١٥- ١٦] .

هو وحده القادر الذي يفعل ما يشاء ، لا رَادَّ لقضائه ولا مُعَقِّبَ لحكمه ، هو وحده الرزاق الذي منه جميع الأرزاق ، العليم الذي عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) ﴾ [النساء : ١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق :٣- ٥] .

هو سبحانه الرحمن الرحيم ، الذي كل رحمةٍ في العالم فمن رحمته التي وهبها لخلقه ، هو الرزاق الذي كل رزقٍ في العالم من خزائنه ، هو القوي الذي كل قوة في كل قوي من قوته ، هو الكريم الذي كل كرم في خلقه فمن آثار كرمه ، هو سبحانه العليم الذي كل علم في العالم فمن آثار علمه ، هو سبحانه الغفور الذي يغفر لمن استغفره ، ويتوب على من تاب إليه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠) ﴾ [النساء:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) ﴾ [غافر : ٧] .

هو سبحانه الإله ، المألوه ، المحبوب ، الذي يُحبُّهُ خلقه ، لما يرونه من عظمته ، وصفات جلاله ، وصفات جماله ، وعظمة إنعامه ، وإحسانه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام :١٠١- ١٠٣] .

فوظيفة الرجال والنساء الدعوة إلى الله ، والدعوة للداعي تركيزًا ، ولغيره تذكيرًا ، فأنا أقول بلساني لأُسمع أُذُنيَّ التي تُوَصِّل كلامي إلى قلبي ، والله ﷻ أول السامعين للداعي ، ثم نفسه ، ثم من حوله من الناس ، والملائكة ، والجن : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

فوظيفة الرجال والنساء الدعوة إلى الله حتى الممات ، وهذا تشريفٌ لا تكليف ، تدعو الناس إلى عبادة من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، الكريم الذي لا أكرم منه ، الحليم الذي لا أحلم منه ، الرحيم الذي لا أرحم منه ، العزيز الذي لا أعز منه ، الغني الذي لا أغنى منه ، الصمد الذي تصمد إليه جميع الخلائق في حوائجها : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص :١- ٤] .

نحن خير أمة أُخرجت للناس ، نحن ندعو الناس إلى رَبِّ الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، لأنه الرَّبُ وهم عبيده ، وهو الملك وهم مماليكه ، وهو

الغني وهم الفقراء إليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر : ١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس : ١ – ٦] .

وهو الرزاق ، وكل أحدٍ محتاج إلى رزقه ، وهو الكبير وكل ما سواه صغير ، وهو الصمد فكل أحدٍ محتاج إليه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر : ١٣-١٤] .

لهذا يجب على كل مؤمنٍ ومؤمنة ، وعلى كل داعٍ وداعية ، أن يكون كريمًا بنفسه ، وماله ، و وقته ، لأنه يدعو إلى الكريم ، ويصل الخلق بالكريم ، ويرجو ما عند الكريم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣] .

من ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه ، ومن ذكر الله في ملأ ، ذكره الله في ملأ خير منهم ، فمن عَظَّمَ الله وكَبَّرَه في نفسه حصل له كرامتان ؛ فَيَعْظُم في عين الله ، ويَعْظُمُ الله ﷻ في قلبه ، فيتقيه ويرجوه ويخافه .

ومن عَظَّمَ الله وكَبَّرَه أمام الناس ، عَظُمَ الله في قلبه ، وعَظُمَ هو عند الله ، وعَظُمَ الله في قلوب الناس ، وعَظَّمَ الله هؤلاء الناس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء :١١٠- ١١١] .

وأَعْظَمُ ما يجذب الناس للدين حُسن الخُلُق ؛ حُسن الخُلُق مع الخالق بتوحيده ، والإيمان به ، وعبادته وحده لا شريك له ، وحُسن الخُلُق مع المخلوق ببذل الندى ، وكف الأذى ، وحسن الظن ، فأعظم ما يجذب الناس للإيمان بالله حُسن الخُلُق من الداعي ، فمن كَمُلَ إيمانه كَمُلَ خلقه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران :١٣٣- ١٣٤] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ » . أخرجه أحمد[1].

فالدين كله حسن هو الخُلُق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

والإيمان بضع وسبعون شعبة ، من اتصف بواحدةٍ منها دخل الجنة .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ ». متفق عليه[2] .

فالداعي في كل وقت ، وفي كل مناسبة ، وفي كل حال ، يقول لنفسه وللناس الذي خلقنا هو الله ، الذي يمدنا بالأرزاق هو الله ، والنعم كلها من الله ، والذي هدانا للحق هو الله ، الذي حبب إلينا الإيمان هو الله ، والذي زين الإيمان في قلوبنا هو الله ، والذي كره إلينا الكفر والفسوق هو الله : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾[الحجرات:٧-٨] .

والذي أمرنا بحسن الخلق هو الله ، الذي أمرنا ببر الوالدين هو الله ، الذي أمرنا بصلة الأرحام هو الله : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء : ٣٦] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٨٩٥٢).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٨/ ٣٥).

والذي أمرنا بالدعوة إليه هو الله : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

والذي خلقنا وهدانا بَيَّنَ أحسن أعمالنا فقال : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

والذي خلقنا هو الذي كَلَّفَنَا وشَرَّفَنَا بأفضل ما يُحب وهو الدعوة إلى الله : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فالصلاة أمر الله ، والزكاة أمر الله ، والصوم أمر الله ، والحج أمر الله ، والدعوة إلى الله أمر الله ، وتعليم الدين أمر الله ، والإحسان إلى الخلق أمر الله ، فعلى المسلم أن يعمل بذلك كله : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

ومن عمل ببعض ما أمر الله دون بعضه ، فما جزاءه في الدنيا والآخرة ؟

قال الله تعالى : ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥ ﴾ [البقرة:٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[التوبة:٣٨-٤٠] .

فواجبنا جميعًا رجالًا ونساءً : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[التوبة:٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

ووظيفتنا جميعًا، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

وثوابنا جميعًا رجالًا ونساءً إذا قمنا بذلك كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

فالدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والرسل ، والدعوة إلى الله المثمرة لعبادة الله وحده لا شريك له ، هي مقصد بعثة النبي ﷺ وكرامة الله لهذه الأمة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

والداعي إلى الله حقاً ، هو الذي يعرف الناس بربهم ، يعرفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، يعرفهم بالحكم قبل معرفة أحكامه، ليؤمنوا به، ويوحدوه ، ويعرفهم بالكبير ليكبروه ، ويعرفهم بالقوي ليستعينوا به ، ويعرفهم بالجبار ليخافوه ، ويعرفهم بالغني ليسألوه ، ويعرفهم بالرحمن ليسترحموه ، ويعرفهم بالغفور ليستغفروه ، ويعرفهم بالتواب ليتوبوا إليه ، ويعرفهم بالوكيل ليتوكلوا عليه ، ويعرفهم بالعزيز ليطلبوا العزة عنده ، وهكذا في بقية أسماء الله الحسنى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن به ، ودعا الناس إلى الإيمان به : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فزاد الداعي إلى الله معرفة ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥ -٤٧] .

فالدعوة إلى الله تَصِل المخلوق بالخالق ، الدعوة إلى الله تَصِل الفقير بالغني ، و تَصِل العاجز بالقادر ، وتَصِل الصغير بالكبير ، و تَصِل المريض بالشافي ، و تَصِل الخائف بالمؤمن ، و تَصِل الضال بالهادي: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

الدعوة إلى الله هي أعظم الوظائف ، وأعظم الأعمال ، والدعوة إلى الله من أعظم ثمارها رضوان الرَّب ، وإيصال الخلق إلى الحق ، ودخول الجنة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥] .

فما أسعد الدعاة إلى الله حين يدعون ، وحين يلقون ربهم ، وحين يستقرون في الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

والله يدعو إلى دار السلام ، و رسله يدعون إلى دار السلام ، ونحن مأمورون أن ندعوا إلى دار السلام ، لندخل جميعًا في دار السلام : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾[يونس:٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ ﴾[الأحزاب:٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٧] .

والدنيا كلها ترابٌ، وأحجارٌ، وأكدارٌ، والآخرة كلها نعيمٌ ، وأنسٌ ، ورضوانٌ، وحُلِيُّها، ومساكنها، وقصورها، وطعامها، وآنِيَتُهَا، وفواكهها ، من ذهب وفضة ، ولباس أهلها من حرير : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٞ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٞ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٞ وَمِنْهُمْ سَابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤْلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ ﴾[فاطر :٣٢-٣٣] .

وقال الله عز وجل : « أعددت لعبادي الصالحين مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » . متفق عليه [1].

فمن ترك الدعوة إلى الله ، وسكت عن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فقد خان الأمانة ، وحرم الناس من هذا الخير العظيم ، واستحق

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٩) ، ومسلم برقم (٢٨٢٤) .

لعنة الله : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝٨٠ ﴾ [المائدة : ٧٨ : ٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠ ﴾ [البقرة: ١٥٩- ١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٨٥ ﴾ [البقرة :٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٤ ﴾ [الإسراء:٣٤] .

والناس اثنان :

منهم من أَدَّى الأمانة ، فقام بالدين ، وقام بنشر الدين .

وهؤلاء هم المؤمنون، ومنهم من خان الأمانة، فكفر بالله ، وصَدَّ عن سبيل الله : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ۝٧٣ ﴾ [الأحزاب : ٧٢ – ٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل : ٨٨] .

والله سبحانه هو الأول قبل كل شيء، الآخِر بعد كل شيء، ثم خلق كل شيء، خلق الإنسان ولم يكن شيئًا، والخالق أدرى بخلقه ، والصانع أعلم بصنعته، والمالك أدرى بمُلكه ، فكل شي ملكٌ لله وحده لا شريك له: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة : ١٢٠] .

هو سبحانه الخالق الذي خلق كل شيء ، هو الخالق قبل أن يخلق شيئاً ، هو الله الذي له ملك كل شيء ، وكل ما سواه مخلوق له ، وكل ما سواه مملوك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] .

فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه ، وما أعظم خلقه ، وما أعظم قدرته : ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النبأ : ٦-١٦] .

فأين من يتدبر ، وأين من يتفكر في ملك الله عز وجل : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦ -٨] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، الخلق خلقه ، والملك ملكه ، والأمر أمره ، وكل ما سواه عبده ، خلق الدنيا والآخرة ، وخلق عالم الغيب والشهادة ، وخلق العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:٦-٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام :١٠١- ١٠٣] .

وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، خلق كل شيء من لا شيء ، وكل ما سواه لم يكن شيئاً حتى يخلُق شيئًا : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور:٣٥-٣٦].

وقال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:١-٣] .

ويخلق سبحانه الشيء من الشيء ، كما يخلق الثمر من الشجر : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام : ٩٩] .

وطريق الدعوة إلى الله طريق زَكَّاه الله بقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

والدعوة إلى الله سبيل إلى إسعاد البشرية في الدنيا والآخرة ، بالدين الحق ، والعمل به ، والدعوة إليه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

والدعوة إلى الله تَصِلُ العبد بربه الواحد الأحد ، وتصله بسيد الأنبياء والرسل ، لتعبد الله بما أَرسل به رسوله ﷺ من الهدى والنور : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وطلب الهداية من الله فرض عين ، ولهذا أمر الله أن نسأله إياه في كل يوم ، أكثر من أربعين مرة في الصلوات المفروضة والنوافل بقولنا : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

وكذلك جُهد الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ومسلمة : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران :١٠٤– ١٠٥] .

وقال النبي ﷺ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » . أخرجه البخاري(١) .

وهذا فيه تشريفٌ وتكليفٌ وتخفيفٌ .

والدعوة إلى الله هي هداية الناس إلى الحق ، ليعبدوا الحق وحده لا شريك له ، والنبي ﷺ بعثه الله رحمة للعالمين : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال لنا رسولنا ﷺ : « ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » .أخرجه البخاري(٢) .

وجعل الله هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، بما تحمله من التوحيد ، والإيمان ، والتقوى ، وحسن الخلق :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] .

فهي خير أمة أخرجت للناس إذا قامت بما قام به محمد ﷺ وأصحابه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

ولحصول الهداية لا بد من جناحين .

الأول جناح الحمد لله ، والثناء عليه ، وجناح الحب له ، ثم تأتي العبادة ، فَحُبٌ بلا حَمْدٍ لا ينفع ، وحَمْدٌ وثناءٌ بلا حُبٍ لا ينفع : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٩٢٤).

﴿ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة : ٢ – ٥] .

والجناح الثاني إياك نعبد ، وإياك نستعين ، فنحمد لله ونثني عليه بأسمائه وصفاته ، ونحبه لكمال نعمه وإحسانه .

فكم ثناؤك على مَن له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ؟ : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر : ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤١ – ٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء : ١١١] .

وكم حُبُّكَ لمن أنعم عليك بنعم لا تُعَدُّ ولا تُحْصَىَ ، وأنعم على غيرك بكذلك ؟ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل : ٥٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظم نعم الله على خلقه ، وما أقل شكرهم لربهم : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ : ١٣] .

ونعمه سبحانه لا تُعَدُّ ولا تُحْصَىَ ، ولا يمكن أن تحمده وتُثني عليه إلا إذا عرفته : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد : ١٩] .

ولا يمكن أن تحبه إلا إذا عرفت صفاته جلاله وجماله ، وعظيم نعمه وإحسانه : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان:٢٠] .

ومن عَرَفَ الله أَحَبَّهُ ، ومجَّدَهُ ، وأثنى عليه ، وحمده ، وخافه ، ورجاه ، وأطاعه ، وعَبَدَهُ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٢- ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة :١٥- ١٧] .

٣- فقه الشورى

الشورى أمر عظيم من أوامر الله ، وهي استخلاص الرأي السديد لمصلحة الدين ، وإذا قمنا بأداء عبادة الشورى ، فنحن في عبادة عظيمة يتعدى نفعها إلى جميع المسلمين ، وإذا قمنا من الشورى بالمحبة ، فهذا علامة القبول ، وإذا قمنا من الشورى بالغضب فهذا علامة الرد والتعصب للرأي ، وكل أمر فصل الله فيه ، والشورى فقط لزيادة المحبة والأجر :﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[الطلاق:٢-٣] .

ومن جلس في الشورى لإعلاء كلمة الله بالمحبة والخضوع ، قام من الشورى بالمحبة ، ومن قال كلمة تمزق الأمة ولو كان صالحًا ، فهو في النار ، ومن قال كلمة تجمع الأمة ولو كان فاسقًا ، فهو في الجنة ؛ لأن وحدة الأمة واجتماعها على الدين مقدم على كل شيء فهو أول أمر يريده الله بعد التوحيد :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠٣﴾[آل عمران:١٠٢-١٠٣] .

ومقصود الشورى إقامة جهد النبي ﷺ ، وحياة النبي ﷺ ، في العالم كله ، حتى يُعبد الله وحده لا شريك له على ما جاء به رسوله ﷺ : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ

ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة:٢]

وقال الله تعالى : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾[آل عمران:١٠٤-١٠٥] .

ودليل الإخلاص في الشورى أن يتنازل الداعي عن رأيه ، ويقبل رأي أهل الشورى بقلبه ، وكما تكرم الشخص أكرم رأيه ، والإصرار دليل الاستكبار ، وهما مرضان من أمراض قوم نوح كما قال ربنا ﷻ عن نوح أنه قال : ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾﴾[نوح:٧].

وكل إنسان فيه شران :

شر من النفس .. وشر من الشيطان .

فلا نجلس في الشورى إلا بالمحبة ، وحب الخير للبشرية لأن الشر أو المحبة التي في الإنسان تتعدى إلى غيره .

ونجلس في الشورى بالرحمة ، فالكمال لله ، والعصمة للأنبياء ، والخطأ من طبيعة البشر ، فكل بني آدم خطاء ، وخير الخطاءين التوابون .

وأكبر خطأ ترك جهد الدعوة ، وخيانة العهد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾[الأنفال:٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٢ – ٧٣] .

أحد الصحابة رضي الله عنهم زنا ، وآخر سرق ، وآخر أفطر في نهار رمضان ، ولكن الله ﷻ لم يذكرهم في القرآن ، وإنما ذكر من ترك المقصد ، وهو الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، الذين تخلفوا عن نصرة الدين ، وترك جهد الدين هو ترك الدين ، ومن ترك الدين خسر الدنيا والآخرة .

وعقوبة هؤلاء الثلاثة سجن خارجي ، وداخلي ، وذلك تربية لهم ، ففي ترك جهد الدعوة ضيق الداخل والخارج : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة : ١١٨ – ١١٩] .

فالكبير أو العالم إذا أخطأ ، السكوت هو العلاج وإلا كانت فتنة ، فالجمرة تشعل ما حولها ، لكن مع الدعاء لهم في ظهر الغيب ، لعل الله يتوب عليهم ، كما حصل للثلاثة الذين خُلفوا .

والشورى لحفاظة الدين ، والطاعة لحفاظة الشخص ، فمن خالف أمر الشورى عوقب بما يرده إلى الشورى ، وحُرم أجر العالمية ، فهذا الجهد يمشي في العالم بمشورة واحدة ، فمن جلس في الشورى تعبدًا لله بالطاعة

والمحبة والتواضع ، أعطاه الله أجر العالم ، ومن قام من الشورى وتعصب لرأيه حُرم أجر العالمية وصار فتنةً يذم من خالفه ، ويمزق شمل الأمة .

والأرباح توزع على الغانمين والمساهمين في الشركة وكذلك من صار جهده تابعًا للشورى أُعطي أجر الهداية العالمية : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران:١٠٤-١٠٥] .

ومن اجتهد بنفسه حُرم أجر الهداية العالمية ، وحُرم الحفاظة : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[الشورى : ٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

وكل من لم يسمع فإنه لا يطيع: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الأنفال:٢١] .

وجهد الدعوة إلى الله ﷻ جهد اجتماعي عالمي كما قال سبحانه : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران :١٠٤- ١٠٥] .

وبالشورى والطاعة تكون حفاظة ، فإذا اختل أحدهما رُفعت النصرة ونزلت المصيبة كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[آل عمران:١٥٢].

وفي النفس البشرية نوعان من الشر : شر متأصل في النفس ، وشر طارئ على النفس ، وأكبر عدو للإنسان هو النفس ، لذلك الذي طرد إبليس من الجنة نفسه ، وفي الشورى التسليم والطاعة ، وبذلك يموت هذان الشران .

والله ﷻ هو الرحمن الرحيم الذي خلق الخلق للرحمة والنعيم ، لا للعذاب والشقاء ، لأن رحمته سبحانه سبقت غضبه : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[هود:١١٨-١١٩] .

فالله خلق الخلق لرحمتهم ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون بمخالفة أمره ، فمن خالف طريق رحمته صار إلى عذابه :﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء : ١٣-١٤] .

وأعلى عمل في الدين بعد التوحيد والإيمان هو الدعوة إلى الله ، ومن أجل أسفار الدعوة إلى الله ، وأعمال الدعوة ، جعل الله الرخص في الدين من

قصر الصلاة وجمعها ، والفطر في السفر ، والتيمم والمسح على الخفين ونحو ذلك ، لهذا الله لم يجعل فوق الدعوة عملاً للوصول إليه ، لأن الشريعة مركبة على الرخص ، والدعوة مركبة على العزائم ، فلا يوجد رخصة في الدعوة :﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾[الحج : ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[التوبة : ٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾[البقرة : ٦٣] .

وجميع أعمال الدين من أجل القيام بالدعوة إلى الله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣] .

والشيطان يأتي ليُخرج الإنسان من شيئين ، يأتي في الظلمة والغفلة ، ليُخرج الإنسان من الطاعات إلى المعاصي ، ويأتي في النور ، ليُخرج الإنسان من الكل إلى الجزء ، ويُشغله بالجزء الذي هو العبادة فقط ، عن الكل الذي هو الدعوة إلى الله :﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر : ٦] .

وهذه الأمة شرفها الله بالأمرين ، بالعبادة والدعوة كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة : ٢٠٨] .

ورغبها الله في الأمرين معاً، فقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت : ٣٣ – ٣٥] .

ومشكلة إبليس ليست مع المصلين والصائمين ، بل مشكلته مع الدعاة إلى الله ، والمقيمين لشرع الله ، فهو داعٍ إلى الشر ، وهم دعاة إلى الخير : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص:٨٢-٨٣] .
وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٦ -١٧] .

فالدعاة والعلماء يطفئون الحرائق التي أشعلها الشيطان في البشرية ، لذلك فهم أعداؤه ، وهو عدو لهم .

والصلاة في مكة أفضل من مائة ألف صلاة ، والصلاة في المدينة أفضل من ألف صلاة ، والصحابة أذكى الناس ، لذا تركوا مكة والمدينة ، لأن مقصودهم إبلاغ دين الله ، وهداية البشرية ، وكيف يكون العالم كله كمكة والمدينة ، وذلك كله في صحائف أعمالهم إلى يوم القيامة ، لذا هاجروا ونصروا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، لإعلاء كلمة الله : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات : ١٥] .

فقه الهجرة والنصرة :

كل نبي أُعطي الهجرة ، والدعوة ، لأن الهجرة والدعوة سبب للهداية : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات : ٩٩] .

وسبب للأجر العظيم ، ورضوان رب العالمين : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

والله افترض على هذه الأمة الدعوة والهجرة ، بهذا ربى الله هذه الأمة ، لأنها كالأنبياء ، مبعوثة بجهدهم إلى يوم القيامة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى عن المؤمنين : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

والهجرة ترك كل الدنيا من أجل الدين إلى الأبد ، ونشر الدين في العالم كله إلى الأبد :﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

فنأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ونعطي للدين بقدر الطاقة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج : ٧٧ – ٧٨] .

والصحابة رضي الله عليهم تركوا من أجل ذلك كل الدنيا لأعدائهم ، تركوها لأبي جهل وأبي لهب ، تركوا كل الدنيا لإقامة كل الدين في العالم ، وماتوا على ذلك : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[البينة : ٧ – ٨] .

الدين يقوم وينتشر في العالم بصنفين من المسلمين ، وهم :

المهاجرون والأنصار ، فالمهاجرون تركوا كل شيء من أجل إعلاء كلمة الله ، وبذلوا كل شيء من أجل إعلاء كلمة الله .

والأنصار تركوا كل شيء من أجل إعلاء كلمة الله وبذلوا كل شيء من أجل إعلاء كلمة الله ، فلما تحقق هذا وهذا في الأمة جاء الأمر الثالث وهو : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

قال الله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

والله أثنى على المهاجرين والأنصار ومن سار على هديهم بقوله : ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾[الحشر : ٨- ١٠] .

والهجرة ترك دنياك ، وبذل دنياك ، من أجل دينك ، والنصرة ترك دنياك ، وبذل دنياك ، من أجل دينك .

فالنصرة ترك دنياك من أجل دينك ، ولكن تترك لإخوانك المؤمنين ، كما ترك الأنصار أموالهم لإخوانهم المهاجرين ، كعبد الرحمن بن عوف وعمر وسعد وغيرهم من المهاجرين إلى المدينة ، والمهاجرون تركوا دنياهم لأعدائهم الكفار ، والأنصار تركوا دنياهم لأحبابهم المؤمنين ، والمهاجرون أعلى في البذل والترك ، ولذا قدمهم الله ﷻ في الآية : ﴿

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

فما أعظم هؤلاء الرجال من المهاجرين والأنصار : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنفال : ٧٤] .

والذي يقبل الله دعوته هو من كانت حياته مطابقة لدعوته ، ومن كانت حياته مخالفة لدعوته لم تقبل دعوته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف:٢-٣] .

ومقصود الدعوة إلى الله تحصيل معية الخالق ، وباب النبوة أُغلق ، وبقي في الأمة باب الصفات :﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[الأنفال : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال:٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل:١٢٨] .

ومن عظيم نصرة الله لأوليائه ، والدعاة إليه، أن الله في بدر غير نظام القلوب، والعيون ، والأقدام ، نصرةً لأوليائه والدعاة إليه .

فالله سبحانه أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ، وقذف الرعب في قلوب الكافرين ، وقلل الكفار في أعين المؤمنين ، وكثَّر المؤمنين في أعين الكفار ، وأنزل المطر ، ليثبت به أقدام المؤمنين ، وكان طينًا تغوص به أقدام الكفار في المعركة .

والنبي ﷺ كان يدعو الله في العريش ، وأبو جهل يدعو هُبل ويستفتح ، والنبي ﷺ يدعو ويبكي في العريش ، وأبو بكر يقول له : إن الله منجزٌ لك ما وعدك .

وأبو بكر رضي الله عنه يبكي في الغار ، والنبي ﷺ يقول له : لا تحزن إن الله معنا ، لكمال الصفات فيهما ، وأما بكاء النبي ﷺ في بدر فكان خائفًا أن ينقص إيمان واحد من أصحابه الثلاثمائة ، فتنقص الصفات ، فتُرفع النصرة ، أما في الغار فكان النبي ﷺ مطمئنًا على إيمان أبي بكر رضي الله عنه، ولذا قال له مطمئنًا : لا تحزن إن الله معنا : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر :٥١- ٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة : ٤٠].

وأي جهد انفرادي في مجال الدعوة إلى الله سهل ، وأي جهد اجتماعي صعب ، لأن الجهد الاجتماعي لابد أن تتنازل فيه عن مزاجك ورأيك ، وتلك هي التربية الصحيحة ، ولهذا أُمر الداعي بالصبر : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم : ٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

ومقصود الدعوة إلى الله ، إقامة كل الأمة على مزاج النبي ﷺ ، وفكر النبي ، وعمل النبي ، وجهد النبي ﷺ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

والله سبحانه قال عن المؤمنين في بدر : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنفال:٩-١٠] .

فكلهم في الاستغاثة والدعاء ، فالإجابة جاءت للجميع ، لأن صفاتهم مقبولة ، فجاءت الصفات ، ثم جاءت المعية ، ونزلت الملائكة معهم ، نصرة لهم من ربهم ، فأوحى الله إلى الملائكة ، فنزل لنصرة المؤمنين ألف ، ثم ثلاثة ألاف ، ثم خمسة ألاف ، ثم قال الله : إني معكم ، لأن صفاتهم وصلت إلى أن تكون معية الله معهم : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾[الأنفال : ١٢-١٤] .

لهذا أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل هم المهاجرون والأنصار من أصحاب النبي ﷺ وكل من سار على هديهم ، فكل خير في العالم الآن إلى

يوم القيامة ففي صحائف المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

والخلاف غير الاختلاف ، فالخلاف يكون بالرأي وهو محمود إذا كان موافقًا للسنة ، والاختلاف يكون بالفعل ، وهو مذموم ، فإذا اختلفنا في الرأي فلا نختلف في الفعل ، والإصرار على الرأي يولد الغضب والفرقة وإذا جاء الغضب رأيت الحق باطلا ، والباطل حقا ، وانصرفت عن أخيك واتبعت عدوك : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤– ١٠٥] .

ومعرفة الله عز وجل تكون بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة النبي ﷺ تكون بمعرفة سنته ، ومقصده ، وهو الدعوة إلى الله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ –٤٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وأعظم منة علينا من ربنا هي نعمة الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران:١٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات : ١٧] .

وأسباب الحق المجاهدة ، وأسباب الباطل المشاهدة ، ففرعون عنده أسباب الباطل المشاهدة كما قال : ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾[الزخرف :٥١] .

وموسى ﷺ وأمه ، وزوجه وأخته ، وزوج فرعون عندهم أسباب المجاهدة من أجل دين الله ﷻ .

كم فرعون ملكه عظيم، وأسبابه عظيمة، وكم النساء ضعيفات، وكم ضعف أسبابهن ولكن مجاهدتهن عظيمة، ولهذا ذكر الله ﷻ هذه المجاهدات منهن في كتابه العظيم .

فالله سبحانه ذكر في القرآن أسباب إظهار الحق ، وأسباب إبطال الباطل ، فإيمان بني إسرائيل مُزج مع المعصية ، والسبب كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، فلما تركوا الدعوة جاءت المعاصي ، مع إنهم أبناء الأنبياء فامتزج الإيمان مع المعاصي ، فجاءت المصائب نقدًا : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[المائدة:٧٨ -٧٩] .

ولكن الإيمان في حياة الصحابة رضي الله عنهم كامل ، مقرون بالطاعة الكاملة ، مع أن آباءهم كانوا عباد الأصنام ، وآباء بني إسرائيل أنبياء ، ولكن ليس بين الله وبين الناس نسب ، وإنما بينه وبينهم : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[الحجرات:١٣] .

فبنو إسرائيل بسبب المعصية ، وترك الدعوة التي كانت فرضًا على بني إسرائيل وقع الناس في المعاصي والمنكرات ، فسلط الله عليهم أسوأ الخلق وشرهم فرعون ، الذي ادعى لنفسه الربوبية والإلوهية ، فأصبح يسومهم سوء العذاب : ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[المائدة : ٧٨ – ٧٩] .

فسبب العذاب ، ترك الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ورفع العذاب لا يكون إلا بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فأرسل الله برحمته موسى ﷺ إلى فرعون ، وبني

إسرائيل: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص : ٥-٦] .

فكل حياة موسى ﷺ بلايا ، لكن جاءت بعدها العطايا ، ودمر الله فرعون وجنوده ، وأورث بني إسرائيل أرضه ، ومشكلة فرعون طفل لم يولد ، فلا إله إلا الله موسى في بطن أمه يخاف منه فرعون وهو في ملكه وهو لم يولد ، فكم من القوة في الحق ، ومن يحمل الحق ، فأمر فرعون بقتل الأطفال ، فالعام الذي يقتل فيه الأطفال موسى في بطن أمه ، ولما ولد موسى ﷺ ولدت الرحمة معه فلم يقتل الأطفال بعد ولادته .

والنبي ﷺ ولد عام الفيل ، ولا يمكن أن يأتي العذاب وهو في بطن أمه ، فكذلك ما دام جهد النبي ﷺ موجود لا يمكن أن يأتي العذاب على الأمة ، فأهلك الله أبرهة ، والنبي ﷺ في بطن أمه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

والله سبحانه اختار التضحية ، واختار تضحية أم موسى ، وتضحية أم موسى بابنها والأم لو خيرت وقت الولادة بين موتها وحياة ابنها اختارت موتها وحياة ابنها ، فكم في قلب الأم من الرحمة ، فالله اختار التضحية حتى يرفع العذاب عن بني إسرائيل عن طريق امرأة هي أم موسى ﷺ ، والتضحية ضعف مع ضعف : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ

وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص : ٧-١٠] .

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

وسمية رضي الله عنها امرأة أمة ، ضعيفة ، كبيرة ، ثلاث صفات ، ولكن الله ﷻ اختارها لتكون أول شهيدة في الإسلام .

والشهادة أن تمحو ذكرك من أجل ذكره ، فالله يحيي ذكرك إلى الأبد ، فالله أحيا ذكرها مع أنها لم تصم ولم تصلي ولم تحج ، لأن الشرائع لم تنزل بعد ، وجميع الشهداء حتى يصلوا إلى هذه المرتبة ، لابد أن يكونوا مصلين مخلصين أعمالهم لله ﷻ ، فكل أعمالهم في صحيفة سمية رضي الله عنها وهي لم تصلي بعد ولم تسمع القرآن ، لأن أبا جهل لم يعطها الفرصة .

والله سبحانه في جميع الأمم اختار أعلى التضحيات للنساء وبعد ذلك يأتي الرجال ، بقدر تضحيات النساء ، فالأنبياء والعلماء والشهداء ، هم أبناء النساء ، وقد أنزل الله في القرآن سورة طويلة باسم النساء ولم ينزل سورة باسم الرجال ، فالحل موجود في حضن المرأة ، في حجر أم موسى في موسى ابنها ، فمن ضحى بالمحبوب أعطاه الله منفعته ، فأعظم محبوب إلى أم موسى موسى فضحت به ، وألقته في النهر وأحب محبوب في قلب النبي ﷺ مكة .

قال النبي ﷺ: « إنكَ لأحبُ البقاعِ إليَّ ، ولولَا أنَّ قومِي أخْرَجوني منكِ ما خرجت ».أخرجه الترمذي وابن ماجة[1].

فأمره الله عز وجل أن يضحي بها ، أنا أخرجك من مكة ، وسوف أعيدك إليها عزيزًا منصورًا ، كما أعدت موسى إلى أمه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ ﴾[القصص:٨٥] .

وقال الله تعالى عن أم موسى : ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞﴾[القصص:٧] .

وليس المقصود البيت ، بل المقصود رب البيت ، فنضحي بالبيت ، لنصل إلى رب البيت : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۞ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۞﴾[قريش:١-٤].

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٩٢٥) ، وابن حبان برقم (٣٧٠٩) .

٤- قوة دعوة النساء إلى الله تعالى

المطلوب تضحية النساء في مجال الدعوة إلى الله أكثر من الرجال فما السبب ؟

السبب أن حب النساء للدنيا والشهوات أكثر من الرجال ، لذا فالمطلوب مجاهدتهن أكثر ، وهذا عدل من الله ، فأم موسى ﷺ نظرت إلى الوحي لا إلى العقل ، فالوحي كله نور ، والعقل بدون الوحي ظلمات ، فقدمت الوحي على العقل ، وامتثلت أمر ربها حين قال الله لها : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾[القصص:٧-٨] .

وهذا الابتلاء العظيم لأم موسى من ربها ﷻ ، كانت ثمرته ظهور موسى وتدمير فرعون وقومه ، وإنجاء بني إسرائيل من عذاب فرعون ، والذي يمشي في جهد الدعوة بعقله فقط عنده أنا ، أنا أحسن الناس وأفهم ، وأقدم وأعلم ، والنفس أكبر إله يعبد من دون الله ، ومن منا ليس عنده نفس : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

وأعمال الدين تمشي بالنقل لا بالعقل ، وبالإتباع لا بالابتداع ، وبالتسليم لا بالاعتراض ، وأم موسى ﷺ نظرت إلى الوحي فأرضعته ، وألقته في النهر .

وكذا استعداد الداعي في الدعوة الرفق بالناس ، ورحمتهم ، وإكرامهم ، والإحسان إليهم ، والباقي على الله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وهو سبحانه الهادي الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، بحسب علمه وحكمته ، لهذا الإنسان لا ينظر إلى تضحياته ، فالذي ينظر إلى تضحياته وجهوده يتأخر ، والذي ينظر إلى تقصيراته وأخطاءه يتقدم : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

ولكن أحيانًا الطفل يُسيء الرضاعة ، فيجرح الأم فيخرج الدم بدل الحليب وكذا الإنسان يسيء الرضاعة ، فيسيء إلى الدعوة والمدعوين بمخالفة الأصول ، فيحرم وينكسر ، كما يسيء الرضيع فيقطع الثدي فيخرج الدم بدل الحليب ، فنحمل للأمة الرحمة والشفقة كالأم مع ابنها ، فأم موسى رمته في النهر والله أخبرها إلى أين يصير : ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص : ٧] .

وربط الله على قلبها بأعلى درجات الإيمان ، فالآن ألقي في اليم ، والآن كل ذرة في البحر فيها رحمة وحفاظة لموسى ﷺ ، أعظم من رحمة أمه وحفاظتها لابنها، فوجه الله ذلك كله لرحمة موسى وحفظه ماؤه وحيواناته ، ونباته وذراته ، وألقت أم موسى ابنها خلاف مجرى النهر ، فانطلق بأمر الله عكس مجرى النهر

إلى قصر فرعون : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص:٨] .

فأخذه فرعون فرأى في وجهه نورا :﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾[طه:٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[طه:٣٩] .

هذا موسى ﷺ كليم الله ، أما محمد ﷺ فقال له ربه : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور : ٤٨ – ٤٩] .

وهذا الخبر للنبي ﷺ وأمته ، وما ذكر الله ﷻ كمالاً لموسى إلا ذكر أكمل منه لمحمد ﷺ ، ولما فتح فرعون الصندوق ، رأى موسى على وجهه النور ، فقالت امرأته آسيا : ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[القصص : ٩] .

فسبحان الله ما أعظم قدرة الله ، وما أحسن حكمته ، يربي أولياءه في قصور أعدائه ويُسخر من يريد إهلاكه ، ليكون ساعيًا في حفاظته : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[هود : ١٠٧] .

وهل ينفذ أمر الملك أم أمر الملكة ؟ ، سنة الله جارية أن من في قلبه المعصية والكفر يسلط الله عليه زوجه ، وكذا من ترك الدعوة إلى الله ، والخروج لها يسلط الله عليه زوجته ، وكل المعاصي في قلب فرعون فسلط الله عليه زوجته آسيا وقالت : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾[القصص:٩] .

ثم استعطفته بقولها : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾[القصص:٩] .

فقال لها فرعون : قرة عين لكي لا لي ، ولو قال لي لكتب الله له الهداية ، فأعطى الله زوجة فرعون أعلى مستوى في الإيمان والحكمة والثواب : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ

مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم : ١١] .

كل امرأة تواضعت لله أثنى الله عليها في القرآن ، وهداها إلى الإسلام ، ورفع مقامها في الدنيا والآخرة ، فبلقيس ملكة سبأ لما جاءها كتاب سليمان ﷺ تواضعت ، وقالت : ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

[النمل:٢٩-٣١]

فهداها الله إلى الإسلام ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين : ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل : ٤٤] .

فبلقيس ملكة ، وآسية زوج فرعون ملكة ، أعطى الله كلاً منهما ملكًا كبيرًا في الجنة ، فأكرمهما الله الكريم ، وكلاهما يعيشان في الملك ، ولكن من أجل الله تنازلنا عن الملك الوقتي إلى الملك الأبدي، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإنسان : ٢٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر : ٥٤-٥٥] .

فأسلمت بلقيس ، وأسلم معها قومها .

والله سبحانه تقبل تضحية ملكة ، وهي هاجر بنت ملك المنوفية في مصر ، فتركت الملك إلى الصحراء تواضعًا لله ، وزهدًا في الملك الوقتي ، رغبةً في الملك الأبدي ، فوضعها إبراهيم ﷺ هي وإسماعيل في مكة ، ودعا لهما

بقوله : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ (٣٧) ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

وقال الله ﷻ لإبراهيم ﷺ : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ (٢٧) ﴾ [الحج : ٢٧] .

والله سبحانه قال يأتوك ، ولم يقل يأتوا مكة ، لماذا ؟ لأن الإتيان إلى مكان التضحية ، فكل أفئدة العالم يأتوا إلى مكان التضحية مكان ، تضحية هاجر في مكة ، فالتواضع مع التضحية الله يقبل كل من قام به من الرجال أو النساء ، فقلوب الناس تهوى إلى مكة ، ولكن الناس لا يدرون سر ذلك ، فهاجر ملكة لما ضحت وتواضعت وصبرت ، خلد الله ذكرها إلى قيام الساعة ، فصارت خطواتها بين الصفا والمروة نسكًا يتعبد به المسلمون إلى يوم القيامة ، في الحج والعمرة .

وملكة سبأ تواضعت وضحت بملكها ، فخلد الله ذكرها إلى قيام الساعة ، وآسيا زوجة فرعون ملكة ضحت وتواضعت ، فخلد الله ذكرها إلى قيام الساعة ، فكلهن تركن الملك الوقتي الصغير فأكرمهن الله بالملك الكبير الأبدي : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (٢١) ﴾ [الحديد:٢١] .

فرفع العذاب ، ونزلت الرحمة ، بتضحيات النساء ، وخديجة أم المؤمنين رضي الله عنها تركت دنياها وتجارتها ، وتزوجت بمحمد ﷺ الفقير اليتيم ، وبذلت نفسها ومالها ووقتها في سبيل الله ، فأكرمها الله بالهداية ، وصارت زوج سيد البشر ، فكل من دخل في الإسلام في صحيفتها ، فكل رجل

تنازل عن ملكه الصغير ، وكل امرأة تنازلت عن ملكها الصغير ، يكرمهم الملك الكريم يوم القيامة بملك عظيم ، بقرب الملك الكبير : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥ ﴾ [القمر : ٥٤-٥٥] .

ومن ملك جوارحه في الدنيا ، وسخرها في طاعة الله ، ملكه الله يوم القيامة أعظم ملك : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢ ﴾ [الإنسان : ٢٠ – ٢٢] .

وأعطاهم الخلافة والأمن والهداية في الدنيا : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦ ﴾ [النور:٥٥-٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢ ﴾ [الأنعام:٨٢] .

جُهد الدعوة باب الوصول إلى الخالق ، وعبادته وحده لا شريك له ، من قام به من الرجال والنساء ، أَعَزَّه الله في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢ ﴾ [التوبة : ٧١ – ٧٢] .

« قَالَتِ النِّسَاء : يَا رَسُولَ الله سَبَقَنَا الْرِّجَال إِلَيْكَ بِالجُمَع ، وَالجَمَاعَاتِ ، وَالْنَّفَرِ فِي سَبِيلِ الله ، فَتَشَاوَرَ الْنِّسَاءَ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ أَرْسَلْنَ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدٍ بِنْ السَكَنِ الْأَنصَارِيَّة ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ الله ، أَنَا وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيْكَ ، الْرِّجَالَ سَبَقُونَا بِالجُمَعِ ، وَالجَمَاعَاتِ ، وَالْنَّفَرِ فِي سَبِيلِ الله ، وَنَحْنُ قَاعِدَاتٌ فِي الْبُيُوتِ ، فَقَالَ : « يَا أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدٍ ارْجِعِي وَأَخْبِرِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ الْنِّسَاءِ ، أَنَّ حُسْنِ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا وَ طَاعَتِهَا لَهُ ، وَقِيَامِهَا مَعَهُ فِي جُهْدِهِ ، يَعْدِلَ ذَلِكَ كُلَّهُ » .أخرجه الصنعاني[1] .

فهذه ثلاثة أمور ، تجعل الزوجة شريكة لزوجها .

فالمطلوب ، والواجب من الرجال والنساء ، المجاهدة للقيام بهذا الجُهد العظيم ، وإعلاء كلمة الله : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج : ٧٨] .

وكم قدمت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن من التضحية في هذا السبيل .

النبي ﷺ لم يعش ساعةً واحدة لنفسه ، كل حياته للأمة ، وكذلك كل مسلمٍ ومسلمة ، يجب أن يعيش للأمة لا لنفسه ، فالمطلوب الجُهد من الجميع : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ

---

(١) سنده جيد/ أخرجه الصنعاني في الأيمان والنذور برقم: (١٥٣٨٥).

وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران : ١٠٤-١٠٥] .

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عاشت مع النبي ﷺ أكثر من تسع سنوات ، وحقها من النبي ﷺ ثلاثة أيام في الشهر ، فمعدل أيامها مع النبي ﷺ أقل من سنة ، ولكن كم من الخير قدمته لهذه الأمة ، حفظت القرآن ، و رَوَتْ عن النبي ﷺ أكثر من ألفين ومائتين وعشرين حديثًا ، فهي الحافظ الثاني للسُّنَّة بعد أبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

فهي محُدَّثَة ، و فقيهة ، وأمينة ، وكريمة ، فأمهات المؤمنين قَدَّمنَّ حياتهنَّ لأمة النبي ﷺ .

وعاشت بعد النبي ﷺ خمسين سنة ، فنفع الله بها وبعلمها المسلمين .

فَحَمَلَت للأمة أعظم ميراث .

وكان ﷺ يحُب من نسائه خديجة وعائشة .

فخديجة في أول الإسلام ، وَاسَتَّهُ بنفسها ومالها ، وتحَمَّلَت معه مشاق الدعوة .

وعائشة رضي الله عنها حفظت سنته ، وبَلَّغَتْهَا الأمة ، وحين الفتنة أشار عليها كبار الصحابة أن تخرج لإصلاح وجمع المسلمين ، فخرجت عائشة رضي الله عنها ، وخرج معها الناس إلى العراق ، لأجل حفاظة الأمة من الفرقة ، و واجهت أهل الفتنة حتى كادت أن تقتل في معركة الجمل .

ولما كانت على فراش الموت ، قال لها ابن عباس : يا أماه مات الرسول ﷺ وهو عنكِ راضٍ ، ولم يتزوج بكرًا إلا أنتِ ، وكان ينزل عليه الوحي وهو في فراشك ، ومات في بيتك ، وفي يومك ، وفي حجرك ، وبين سحرك ونحرك ، وجمع الله بين ريقكِ وريقه ، قالت : يا ابن عباس إليك عني : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ ﴾[مريم : ٢٣] . أخرجه أحمد ، وأصله في البخاري(١) .

فهذا الدين العظيم في أمانة أعناق الرجال والنساء إلى يوم القيامة ، وهو ميراثنا من نبينا محمد ﷺ ، فعلينا جميعًا رجالًا ونساءً العمل به ، وإبلاغه البشرية : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٤٩٦) ، وأصله في البخاري برقم (٤٧٥٣) .

٦- حُسن الخطاب في الدعوة إلى الله.

الداعي إلى الله لطيفٌ ، كريمٌ ، لينٌ ، يخاطب الناس بما يفتح قلوبهم ، ويُذَكِّرهم بربهم ، ويحُرك مشاعرهم لما يحُبه الله ويرضاه .

فإبراهيم ﷺ يُذَكِّر أباه برابطة الأبوة ، لعله يلين قلبه ، فيقول له : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾[مريم:٤٣-٤٨] .

ولقمان يُذَكِّر ابنه برابطة البُنُوَّة فيقول له : ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾[لقمان : ١٣] .

وقال له : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[لقمان : ١٦- ١٩] .

ونوح ﷺ يُذَكِّر ابنه برابطة البُنُوَّة فيقول : ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ

﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود :٤٢-٤٣] .

وهود ﷺ يُذَكِّر قومه برابطة القومية : ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الشعراء:١٢٣-١٢٧] .

ومحمد ﷺ دعا قومه بالرحمة والرفق واللين : ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِى ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

ومحمد ﷺ يُذَكِّر ابنته برابطة البنوة ، فيقول لها :

« يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحُمَّدٍ اِعْمَلِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهَّ شَيْئًا » .أخرجه البخاري [1] .

وقال الله تعالى عن خُلقه العظيم : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم : ٤] .

والله سبحانه يُذَكِّر المؤمنين برابطة الإيمان ، فيقول : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢] .

وآلات الداعية التي يواجه بها الناس ثلاث : هي العلم ، وإخلاص العمل لله ، والرحمة ، والشفقة على الناس: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف : ١١٠] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧١).

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[التوبة:١٢٨].

فداعيةٌ بلا علم يَضر أكثر مما ينفع ، وداعيةٌ بلا إخلاص مرائيٍ مُتزينٍ للناس ، لا بركة في دعوته ، فهو كجسد بلا روح ، وداعيةٌ بلا رحمةٍ ولا شفقةٍ على الناس ، جافٍ ، غشوم ، منفر : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

والداعي إلى الله من أفضل الناس قولًا ، لأنه يقوم بالدعوة إلى الإيمان بالله ، وتصفية عقائد الناس ، وعباداتهم ، ومعاملاتهم ، من شوائب الشرك ، والبدع ، والرياء ، والخرافات ، والمحرمات ، وتربيتهم على الكتاب ، والسُّنَّة: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وأعظم فرضٍ فرضه الله على عباده معرفته ، فمن عَرَفَ الله بأسمائه ، وصفاته وأفعاله ، عَظَّمَهُ ، وأَحَبَّهُ ، وحَمِدَهُ ، وشَكَرَهُ ، و أَطَاعَهُ ، وعَبَدَهُ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[محمد:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[الحج : ٧٧] .

والواجب الثاني بعد تحقيق مراد الله منه بالعبادة ، أن يدعو الناس إليه سبحانه، كما قال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

والدنيا دار الجهد والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب : ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم:٣٩-٤١] .

والجهود في الدنيا كثيرة ، جُهد الزراعة ، جُهد الصناعة ، جُهد التجارة ، جُهد الدعوة ، ولكل جُهدٍ اسمٌ ، وميدانٌ ، وثمرةٌ ، وسببٌ .

فميدان جُهد الزراعة الأرض ، وثمرته الحبوب والفواكه والخضار ، وميدان جُهد الصناعة المصانع ، وأسبابه المواد ، وثمرته الصناعات المختلفة من مركوباتٍ ، وملبوساتٍ ، وآلاتٍ ونحوها ، وميدان جُهد التجارة الأسواق ، وأسبابه البيع والشراء ، وثمرته الأرباح أو الخسائر ، وكل هذه الجهود حلال بشروطها الشرعية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[الملك : ١٥] .

وميدان جُهد الدعوة إلى الله قلوب الناس ، وثمرته هداية الناس ، وهذا أفضل الجهود ، وأعظمها ، وهو جُهد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ووظيفة هذه الأمة : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

وأحوال العالم مربوطة بهذا الجُهد ، فإذا قام به المسلمون غَيَّرَ الله أحوال العالم :﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

والحق حيٌ كالإنسان ، يمشي بأمرين ، بالدعوة والدعاء ، كالإنسان يمشي برجلين ، والباطل ميت كالإنسان الميت ، يحُمَلُ للناس على أربعة أكتاف هي ، المُلك ، والنساء ، والمال ، والمناصب : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال : ٣٦] .

فنوح ﷺ دعا قومه إلى الإيمان بالله ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا ، وما أمن معه إلا قليل ، ثم دعا عليهم في دقيقةٍ واحدة فأزال الله الباطل في الأرض كلهاُ : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾[غافر :٥١- ٥٢].

وقال الله تعالى :﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾[القمر:٩-١٤] .

والباطل كله تافه، ولهذا يدمره الله بالشيء التافه الصغير .

فأهلك الله النمرود بالبعوضة، وأهلك أصحاب الفيل بطير صغير، واهلك مُلك فرعون بالجراد والقمل والضفادع ، ثم أهلك فرعون بالماء الذي هو سبب الحياة : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزخرف:٥٥] .

فكل جُهدٍ له أسبابه وثمراته ، ومن أراد الحق فليؤمن بالحق ، ويعمل بالحق ، ويدعو إلى لحق ، والحق ينتشر بأسباب الحق ، لا بأسباب الباطل ، سُنَّةَ الله : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾[فاطر:٤٣].

وجميع الأنبياء استعملوا جميع أوقاتهم ، وطاقاتهم ، في سبيل نشر الهداية في البشرية ، فما هي الهداية ؟

الهداية نورٌ يقذفه الله في قلب الإنسان ، يرى به الحق من الباطل ، كما يرى ببصره الأشياء ، ثم يمشي على الصراط المستقيم : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

ولرؤية الأشياء لا بد من نورين : نور العين ، و نور الشمس ، ولرؤية الحق لا بد كذلك من نورين : نور الإيمان في القلب ، ونور القرآن الذي أنزله الله.

قال الله تعالى : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ ﴾[النساء : ١٧٤] .

فاللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا ، وارزقنا اجتنابه .

والذي يمشي في النور كل شيء يسهل عليه ، والذي يمشي في الظلام كل شيء صعب عليه ، فكل ضال إنما يمشي كما يمشي على الشوك .

وكلما زاد نور الهداية في القلب زاد تعظيمًا لله ، وحبًا لله ، وطاعةً لله ، وحمد الله ، وعبادةً لله .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وعلامة نور الهداية في القلب دوام ذكر الله ، وشكره ، وحُسن عبادته ، والتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨-٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر : ١٧-١٨] .

وكلما جاهد الإنسان لتحسين الهداية ، فتح الله له أبواب الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

والهداية إلى الإيمان بالله نعمة من الله أولًا : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات:١٧] .

ومن أناب إلى الله ، هداه سُبل رضاه : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى:١٣] .

والنظر في الآيات الكونية من أسباب الهداية إلى الإيمان بالله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩٠ -١٩٢] .

والنظر في آيات القرآن وتدبرها من أسباب الهداية : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:٢] .

ومن أسباب الهداية إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

وبقدر الجهد يأتي نور الهداية في القلب، وبقدر الهداية يأتي كمال الاستقامة، وبكمال الاستقامة تأتي السعادة في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وكلما زاد نور الهداية في القلب، استفاد المؤمن من خزائن الله ، عن طريق الدعاء ، والدعوة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾[الحجر:٢١] .

وكلما زاد شكل الجهد ، ونقص أمر التضحية ، يزيد عدد الأفراد ، ولكن تنقص الصفات ، وكلما زاد شكل الجهد مع التضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله ، يزيد عدد الأفراد بالصفات : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾[الحجرات : ١٥] .

وأعمال الهداية هي الدعوة إلى الله ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، والتعلم والتعليم ، وحسن الخلق .

فبالدعوة إلى الله هَدى الله أبا بكر للإسلام ، وبالتعليم هَدى الله عمر إلى الإسلام ، وبالعبادة هَدى الله هند بنت عُتبة إلى الإسلام عام الفتح ، وبحسن خلق النبي ﷺ أسلم خالد بن الوليد ، وأسلمت قبيلة من أراد قَتل النبي ﷺ فعفا عنه ، وبسبب العفو عنه أسلمت قبيلته ، فكان ﷺ خُلقه القرآن ، يعمل بأحكامه ، ويتأدب بآدابه، ومقصد بعثة النبي ﷺ إنشاء طلب الهداية من الله

في قلوب الناس ، بقوة المجاهدة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وجُهد الهداية ثلاثة أنواع :

أحدهما : اجتهد على نفسي ، حتى تستقيم على أوامر الله ، فهذا جهد الصالحين .

الثاني : اجتهد على نفسي ، وعلى قومي ، هذا جهد الأنبياء والمرسلين .

الثالث : اجتهد على نفسي ، وعلى قومي ، وجميع العالم ، فهذا جهد سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف : ١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[الأحزاب : ٤٥ –٤٧] .

وجميع هذه الجهود مقبولة عند الله ، وأعظمها وأكملها ثالثها : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء : ١٠٧] .

ومسئولية الدعوة إلى الله واجبةٌ على كل مسلمٍ ومسلمة ، في كل مكان ، وفي كل زمان ، وأخص الناس بها هم أول من آمن بها ، وهم العرب ، ولما قَصَّر العرب في الدعوة إلى الله ، واشتغلوا بالأموال ، والشهوات ، وغَفَلَ عنها أكثرهم ، استخدم الله ﷻ العجم ، فهم الآن طَوَّافون في العالم بالدعوة إلى الله ، بأموالهم ، وأنفسهم ، ويبذلون ما يملكون في سبيل إبلاغ دين الله في العالم : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات:١٥] .

فأهل الفوز العظيم ، وأهل الحظ العظيم ، هم الدعاة إلى الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾[التوبة:٨٨-٨٩] .

والله ﷻ ليس بينه وبين أحدٍ نسب : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت :٣٣- ٣٥] .

فمن آمن بالحق ، وعمل بالحق ، ودعا إلى الحق ، نصره الله في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[غافر:٥١] .

ومن أعرض عن الدعوة استبدله الله بغيره : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد : ٣٨] .

وقد ابتلى الله ﷻ الأغنياء بالفقراء ، فلما قَصَّرَ الأغنياء واشتغلوا بدنياهم عن الدعوة إلى الله ، ابتلاهم بالفقراء الذين لا يجدون إلا جهدهم ، فقاموا بالدعوة إلى الله مع شدة فقرهم : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر : ٨] .

وابتلى الله العلماء بالعوام، فالعلماء هم الذين يقومون بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله ، في بقاع الأرض ، فلما قَصَّرَ كثيرٌ منهم، ابتلاهم الله بالعوام، فصاروا دعاةً إلى الله ، وهَدى الله على أيديهم خلقًا كثيرًا، امتلأت بهم بيوت الله ﷻ ، وهو ما نراه في الحرمين الشريفين .

فسبحان الرحمن الرحيم الذي ابتلى أقوامًا بأقوام ، ليُذَكِّر الغافل ، وليقوم القاعد ، وليستيقظ النائم : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وآدم ﷺ لمَّا عَصَىَ الله في الجنة ، أُصيب بثلاث آفات :

الأولى : انكشاف عورته الجسدية .

الثانية : الشعور بآثار المعصية ، والندم عليها .

الثالثة : أهبطه الله من الجنة إلى الأرض ، ولا يُخَلِّصَهُ من ذلك إلا التوبة .

قال الله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ [البقرة:٣٧].

وهكذا كل من عَصَىَ الله من ذريته ، لازمته هذه الثلاث ، فتنكشف عورته ، ويشعر بالذنب ، ويهبط من العلو إلى السفل كما قال آدم وزوجه : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ ﴾ [البقرة :٣٦] .

الدعوة إلى الله ﷻ وظيفة الأمة كلها رجالًا ونساءً فأمة محمدٍ ﷺ أفضل الأمم ، وهي خير أمةٍ أُخرجت للناس ؛ لأن الله أقامها نائبةً عن نبيها ﷺ في إبلاغ الدين للعالم كله إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وكل نبيٍ من الأنبياء السابقين كان يقيم أمته على العبادة فقط ، وعلى دعوة قومهم فقط : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ ﴾ [المؤمنون:٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩ ﴾ [الأعراف : ١٥٩] .

ولكن النبي ﷺ أقام هذه الأمة على نيابته من أول يوم إلى وفاته ﷺ ، أقامها على الدعوة إلى الله ، وعلى عبادة الله وحده لا شريك له .

والله بعث مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول ، وأكثر الأنبياء ليس معهم كتاب ، وجميع الأنبياء كتبهم نزلت متأخرة ، فنوح لبث في قومه ألف سنةً إلا خمسين عامًا ليس عنده كتاب ، وموسى دعوته أربعون عامًا يدعو فرعون ليس معه كتاب ونزلت التوراة بعد الأربعين ، ومحمدٌ ﷺ نزل عليه القرآن من أول يوم :﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾[العلق:١-٥] .

إلى آخر يومٍ من حياته والقرآن ينزل في ثلاثٍ وعشرين سنة ، وعلة إنزال القرآن ؛ ليعلم الأمة ويقيمها على نيابته في الدعوة إلى الله، فالنبي يُعلم ، والأمة تتعلم الدين ، وجهد الدين ، فهذه الأمة في مجلسٍ واحد تعلمت الصلاة وأوقاتها الخمسة في يومٍ واحد ، وفي مجلسٍ واحد تعلمت الزكاة ، وفي مجلسٍ واحد تعلمت الصيام .

قال النبي ﷺ : « صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ». متفق عليه(١).

وتعلمت الحج منه ﷺ في خمسة أيام .

فثلاثٌ وعشرون سنة الأمة تتعلم من النبي ﷺ جهد الدين ، جهد الهداية ، جهد الدعوة إلى الله إلى يوم القيامة ، وفي سبعة أيام تعلمت الأمة الدين ، فهذه كل حياة النبي ﷺ .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٩٠٩) ، ومسلم برقم (١٠٨١).

والآن السؤال هل الموجود الآن في حياة الأمة السبعة أيام ، أم الثلاث والعشرون سنة ، فالعبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرهم ، هذه الأمة مشتركةٌ فيها مع الأمم السابقة ، فلا تحتاج لمعرفة ذلك إلى وقتٍ طويل يكفيها لمعرفة ذلك سبعة أيامٍ كما حصل .

أما جهد الدين ، وهو الدعوة إلى الله إلى يوم القيامة ، فنحن نشترك فيه مع الأنبياء والرسل لا مع أمم الأنبياء ؛ لهذا أنزل الله القرآن منجمًا في ثلاثٍ وعشرين سنة ، في مكة والمدينة ، والحضر والسفر ، والأمن والخوف ، وفي الغزوات في بدر وأحد وغيرها ؛ ليربي هذه الأمة تربيةً خاصة كالأنبياء على جهد الدين الذي كُلفت به إلى يوم القيامة ، فتربية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تختلف عن تربية أتباع الأنبياء، فتربية الأنبياء بالدعوة وتربية أتباع الأنبياء بالعبادة، وموعود العبادة الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف :١٠٧-١٠٨] .

وموعود الدعوة إلى الله النصرة ، فالنصرة كانت مع النبي والرسول ، وأتباع الأنبياء شغلهم العبادة ومن مات منهم على العبادة دخل الجنة .

أما هذه الأمة فلها موعودان من الله :

الأول : موعود الدعوة بالنصرة : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج : ٤٠-٤١] .

والثاني : موعود العبادة بالجنة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

فأحكام الدين وشرائعه انتهت ، وحُفظت ، وتعلمها وتعليمها سهل ، والباقي جهد الدين الذي كلف الله به هذه الأمة وشرفها به إلى قيام الساعة .

فالصلاة والزكاة ، والصيام والحج ، لها أوقاتٌ معلومة تنتهي ، أما الدعوة فلها كل الأوقات لأنها أم الأعمال ووظيفة الأمة ووظيفة كل مسلمٍ ومسلمة إلى يوم القيامة : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣] .

والفرق بين موعود العبادة ، وموعود الدعوة ، أن الدعوة تُغفر بها كل الذنوب والعبادة يُغفر بها بعض الذنوب ، فنوح ﷺ قال لقومه لما دعاهم إلى الله، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [نوح : ١-٤].

ولما أن دعانا الله ﷻ إلى الدعوة قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ

طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[الصف : ١٠-١٣] .

الدعوة إلى الله وظيفة الأمة رجالاً ونساءً ، والدعوة إلى الله فرض عينٍ على جميع الأمة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

ولهذا لا يوجد صحابيٌّ واحد سأل النبي ﷺ هل الدعوة فرض عين أم فرض كفاية ؟ ؛ لأن الدعوة إلى الله فطرة فطر الله المؤمنين عليها ، فطر هذه الأمة عليها ، بل هي أمر الله الصريح في القرآن والسنة :﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل : ١٢٥] .

وقد أخبر الله ﷻ أن الدعوة هي وظيفة الأمة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة :٧١] .

ورغب الله في الدعوة جميع الأمة بقوله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

وأكثر من لا يريد الدعوة يسأل هذا السؤال ، ومن لا يريد الدعوة يخاف من التربية ، فالدعوة التي تنجي من عذابٍ أليم بلا شك هي فرض عين ، بل

الدعوة أم الفرائض ، والنبي ﷺ وأصحابه قاموا جميعًا بالدعوة : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

لذلك في مكة لا توجد فريضةٌ تزاحم هذه الفريضة بعد التوحيد والإيمان ، فأول فريضةً على هذه الأمة أن تعرف من هو الله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد : ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ ﴾ [المائدة : ٩٨] .

والفريضة الثانية : أن تعرف غيرها من هو الله : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾ [الإخلاص : ١-٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

فالمسلمون الآن في العالم لا يتركون الصلوات الخمس غالبًا ؛ لأنهم يعلمون أنها فرض عين على كل مسلمٍ ومسلمة ، لكن الأمة لم تفهم حتى الآن أن الدعوة فرض عين كالصلاة، ولهذا قل من يقوم بها للجهل بحكمها، والجهل بعقوبة من تركها : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

فمقصود أعمال الدين كلها إعانةٌ على القيام بجهد الدعوة إلى الله ، وهو جهدٌ عظيم يتطلب التضحية بالأوقات ، والأموال ، والأنفس ، والشهوات ، وترك الأوطان ، وبذل المحبوبات ، وترك المحبوبات من أجل إبلاغ دين الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات: ١٥] .
فمقصود الصلاة إعانةٌ على المقصد وهو الدعوة إلى الله : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[البقرة : ٤٥] .
وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣] .
لهذا فجميع أعمال الدين من صلاةٍ وصيام وزكاةٍ وحج وغيرها تأخرت ؛ لكي لا تزاحم المقصد العظيم في مكة ، ثم نزلت في المدينة أحكام الشريعة بعد ثلاثة عشر عامًا .
وجميع آيات الصبر في القرآن أكثر من ثمانين آية نزلت في مكة أثناء تعلم جهد الدعوة من النبي ﷺ : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[الروم : ٦٠] .
وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾[الحجر : ٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾[النحل:١٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾[الطور:٤٨].

فالنبي ﷺ بدأ مع الأمة من الأعلى ، وهو تعلم جهد الدعوة العظيم ، فالله سبحانه لم يجعل فوق الدعوة عملًا إلى الوصول إليه ، فهذه الأمة نزلت من الأعلى ، وهو الدعوة إلى الله ، إلى أداء فرائض الإسلام وأحكامه من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍ وغيرها ، والنزول من الأعلى أسهل من الصعود من الأسفل إلى الأعلى ؛ لهذا من فهم مقصد حياته من هذه الأمة ، وهو الدعوة إلى الله : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف : ١٠٨] .

فورًا يصعد إلى الأعلى ، ثم ينزل فورًا ليقوم بأعمال الدين بالمحبة والتعظيم والذل لله ﷻ ، ويسهل عليه القيام بها ، والدعوة إليها ، ويصبح الدين كله سهلٌ في حياته ، والذي لم يفهم مقصد حياته ، وهو الدعوة إلى الله يصعب عليه القيام بأوامر الله ، وأعمال الدين ؛ لأنه يريد أن يصعد من أسفل إلى الأعلى ، يصعد من الجهد على النفس ، إلى الجهد على الغير ، فإذا قمنا بالدعوة إلى الله بين الغافلين والفاسقين فهداهم الله ﷻ ، هذا المهتدي يصعد إلى الأعلى ، فيصبح داعيًا إلى الله ﷻ ، وعابدًا ، ومعلمًا ، ومحسنًا إلى الخلق : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

فالدعوة إلى الله وظيفة هذه الأمة ، والله ﷻ أراد أن يربي هذه الأمة تربيةً خاصة ، فتربية الأنبياء بالدعوة إلى الله ، وتربية إتباع الأنبياء بالعبادة ، وتربية

الدعوة أعلى من تربية العبادة ، والله سبحانه أراد أن يربي هذه الأمة كما ربى أنبياءه ، وذلك أعلى مستوى في التربية ؛ لأنها مبعوثةٌ للناس كما بعث الأنبياء والرسل بالدعوة إلى الله ، هي مبعوثةٌ بذلك إلى يوم القيامة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

واسم الرب أكثر اسمٍ ورد في القرآن ، وهو أكثر اسمٍ نذكره يوميًا فالذي يسأل الله ﷻ باسمه الرحيم يرد الرحمة ، والذي يسأله باسمه الغفور يريد المغفرة والذي يسأله باسمه الرزاق يريد الرزق ، والذي يسأله باسمه التواب يريد التوبة ، والذي يسأله باسمه الرب يريد التربية التي ربى الله بها أنبياءه ورسله ، لهذا أنزل الله القرآن من أجل بيان هذه التربية في ثلاثٍ وعشرين سنة وجميع الكتب السابقة إما صحف أو ألواح ، كصحف إبراهيم وموسى وألواح التوراة ، لكن القرآن يختلف عنه : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء : ١٩٣-١٩٥] .

فنظام القلوب أعظم من نظام الألواح والصحف ، ومن قلب النبي ﷺ خرج هذا القرآن إلى قلوب الذين آمنوا وهم الصحابة ، ولهذا كانت تربية القلوب أعظم وأرقى عند الله : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج:٣٢] .

والذي في القلب لا يضيع ، ولا يُحرف ، ولا يُغير ، ولا يتلف ، بل يحُفظ ، أما الصحف فيدخلها التحريف والتبديل والمحو :﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[العنكبوت : ٤٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر : ٩] .

فالقرآن كله لتربية هذه الأمة على جهد الدعوة إلى الله ، دعوة التوحيد والإيمان ، فلا توجد فيه قصة عابدٍ أو ذاكرٍ أو زاهد ، فكل القرآن بين الله فيه قصص الدعاة إلى الله من الأنبياء والرسل وغيرهم ؛ ليثبت به هذه الأمة ، لتقوم على المقصد العظيم الذي شُرفت به ، وكُلفت به ؛ لهذا فصل الله فيه حياة الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله التي شرف الله بها هذه الأمة ؛ لأن الله ﷻ يريد لها تربيةً كتربية الأنبياء والرسل على الدعوة إلى الله ، فالله لم يذكر في القرآن عبادة الأنبياء والرسل ؛ لأن الله نسخ به جميع الشرائع السابقة ، لكن لم ينسخ الله الجهد الذي قام به الأنبياء بل فصل فيه حياة وسيرة خمسةٍ وعشرين نبيًا في الدعوة إلى الله ، بل الله لم يذكر فيه عبادة النبي ﷺ ، لأن القرآن كتاب الدعوة إلى الله ، وكتاب الهداية : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾[البقرة : ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وفصل الله فيه جهد أهل الهداية من الأنبياء والمرسلين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٩٠] .

وذكر الله فيه كل من قام بالدعوة إلى الله كصاحب يس ، ومؤمن آل فرعون ، وهدهد سليمان ، والنمل والنحل .

وجهد الدعوة إلى الله ، الدعوة إلى التوحيد والإيمان ، أفضل جهد ، وأحسن عمل ، وأسعد حياة : ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[طه:١-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣- ٣٥] .

فالدعوة للداعي تركيزًا ، ولغيره تذكيرًا فمن نوى من جهده الناس من دون نفسه ، فالإيمان يأتي للناس ، والنفاق يأتي إليه ، فمقصود الجهد النفس لا الناس فقط، ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

فالمجتهد له الهداية .

ولماذا الناس يتركون الدعوة إلى الله ؟ .

لأن المسلم ما نوى من الجهد نفسه، بل نوى من الجهد الناس ، والناس يمكن تقبل أو لا تقبل ، وبعد الجهد تأتي الهداية للداعي إلى الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وبعد الهداية تأتي التقوى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد:١٧] .

فالتوحيد نهايته العلم ، والتقوى نهاية العمل فالزمها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وذكر الله ﷻ في القرآن أنواعًا من التربية لأنبيائه ورسله ، لنتعلم منها التربية الصحيحة ؛ لأننا نواب الرسول ﷺ في أمته إلى يوم القيامة اصطفانا واجتبانا للعمل بدينه والدعوة إليه فقال : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وملة إبراهيم ﷺ هي الدعوة إلى الله ، والتضحية بكل شيءٍ من أجل إعلاء كلمة الله ، فالعابد الله جمله بالإيمان والتقوى فهو مليح يذهب إلى مليح كالمساجد وبيوت الله ومجالس الإيمان ومجالس العلم ، ويذهب للحج والعمرة فتظهر آثار هذه الملاحة في حياته ، أما الداعي إلى الله فهو مليحٌ يذهب إلى مليح من بيوت الله ، ومن مجالس الإيمان ، ويذهب كذلك إلى قبيح كالكفار ، فيكون سبباً لدخول مليح جديد في الدين : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:٤٣-٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر :١-٣].

فليس مقصود الدعوة إلى الله إقامة الحجة على الناس فقط ، فمن هو حجة حتى يقيم الحجة على الناس ؟

بل إقامة الحجة من أعمال الخالق ، وليست من أعمال المخلوق : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء:١٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء:١٥] .

والشيطان غر أكثر الناس فقال أقيموا الحجة على الناس ، ثم اتركوا الناس وما شاءوا ، واجلسوا في الراحة : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ : ٢٠] .

لهذا وضع الله ﷻ في قلوب الأنبياء والرسل الطمع في هداية أقوامهم ، وإذا وجد الطمع وجدت الهداية ، وإذا توقف الطمع توقفت الهداية .

ومحمدٌ ﷺ أرسله الله رحمةً للعالمين ، ففي قلبه الطمع في الهداية البشرية إلى يوم القيامة ، فكم الآن في قلوبنا نحن من الطمع في هداية البشرية ، وتفريغ الأوقات ، وبذل الأموال ، في سبيل إبلاغ هذا الدين الذي أمرنا الله بإبلاغه للبشرية كافة ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران :١٠٤- ١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

اللهم اهدنا ، وأهد بنا ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى .

٧- الدعوة إلى الله وظيفة الأمة.

- **الدعوة إلى الله أفضل الوظائف :**

الله ﷻ ربى أنبياءه ورسله على الدعوة إلى الله ، وذكر جهدهم في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم ، وربى الله محمدًا ﷺ أكمل تربية، والنبي ﷺ ربى الصحابة رضي الله عنهم أكمل تربية لأن هذه الأمة نائبةٌ عنه في الدعوة إلى الله إلى يوم القيامة: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران :١٠٤- ١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وهذه الأمة ترافق الأنبياء والرسل في الجنة ، لأنهم مشتركون معهم في جهد دعوة التوحيد والإيمان : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء : ٦٩-٧٠] .

فترافق أيها الداعي إلى الله نوحًا العبد الشكور ، ليس لأن صلاتك كصلاته ، وصومك كصومه ؛ بل لأن جهدك كجهده ، وأخلاقك كأخلاقه ، فإذا جهدك كجهده ترافقه ، وجهده بينه الله في القرآن في سورة الأعراف ونوح وغيرهما .

وبين سبحانه جهد إبراهيم ﷺ فترافقه إذا كان جهدك كجهده .

وبين سبحانه جهد موسى ﷺ ، فإذا جهدك كجهده ترافقه ولا يمكن لأحدٍ مرافقة الأنبياء والرسل إلا من قام بجهدهم .

لهذا تربية الأنبياء والرسل بشيئين :

الدعوة .. والهجرة .

فكل نبي عنده دعوة وهجرة ، إبراهيم ﷺ عنده دعوةٌ وهجرة ، لأن الهداية تأتي بعد الهجرة : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾[العنكبوت:٢٦] .

ولوط ﷺ عنده دعوةٌ وهجرة ، وموسى ﷺ عنده دعوةٌ وهجرة ، وعيسى ﷺ عنده دعوةٌ وهجرة ، ومحمدٌ ﷺ عنده دعوةٌ وهجرة .

فتربية الأنبياء والرسل بالدعوة إلى الله ، والهجرة في سبيل الله ، وتربية هذه الأمة بالدعوة والهجرة ، فالصحابة تربوا بالدعوة والهجرة كالأنبياء : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنفال : ٧٤] .

فكل الدين الموجود الآن إلى يوم القيامة بسبب المهاجرين ، فليس كل أهل مكة مهاجرين ، كما أنه ليس كل أهل المدينة أنصار : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

فالسابقون الأولون من المهاجرين هم أهل بدر ، وأهل الحديبية ، الذين بايعوا تحت الشجرة ، وعددهم ألف وأربعمائة رجل ، فهؤلاء هم خير أهل الأرض .

والسابقون من الأنصار هم الذين بايعوا النبي ﷺ في بيعة العقبة الأولى والثانية ، فهؤلاء وهؤلاء هم الذين تربوا التربية الصحيحة التي جمعت بين الدعوة والهجرة .

وهناك أناسٌ عندهم دعوة بلا هجرة ، وهذا لا يجوز : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾[الأنفال:٧٢] .

والإيمان بلا هجرة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله خطرٌ على الإنسان :﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٩٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾[النساء:٩٥-٩٧] .

واستثنى الله ﷻ من هؤلاء المستضعفين فقال سبحانه : ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾[النساء:٩٨-٩٩] .

فلا يمكن أبدًا أن تتربى الأمة التربية التي يريدها الله إلا بالدعوة والهجرة كالأنبياء والرسل ، وقد رغب الله ﷻ هذه الأمة بالهجرة، فقال سبحانه : ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى

﴿ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠ ﴾ [النساء:١٠٠] .

ومقصود الدعوة والهجرة نصرة الدين ، لهذا مقصود الجهد الموجود في العالم مقصوده التربية الصحيحة : ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

أعلى درجات الولاية في بني إسرائيل لها شرطٌ واحد ، وهو الانقطاع عن الناس ، ولزوم البيع والصوامع .

وأعلى درجات الولاية في هذه الأمة لها شرط واحد ، وهو الجهد على الناس بالدعوة ، لهذا قال سبحانه : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

ومن القواعد الشرعية ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فالدعوة واجبة ، والسفر من أجلها واجب ، والحج واجب ، والسفر من أجله واجب ، لهذا مسئولية الأمة البشرية كلها ، ولابد من دعوتهم إلى الله ، ولا يتم ذلك إلا بالسفر إليهم ، وبذل المال والوقت ، والنفر في سبيل ذلك : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾ [التوبة:٤١] .

والذين لم يريدوا التربية في زمن الرسول ﷺ هم المنافقون ، يصلون رياءً ، ولا يذكرون الله إلا قليلًا ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، ولا يدعون

إلى الله ، ولا ينفقون في سبيل الله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة : ٦٧] .

وينفقون رياء لا تعبداً : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [التوبة : ٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [التوبة:٨٧] .

لهذا فكفرهم أشد وأغلظ من كفر الكفار الأصليين ، وعقوبتهم أشد من عقوبتهم ، لشدة خطرهم وكيدهم على الإسلام والمسلمين : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [النساء : ١٤٥- ١٤٦] .

والنبي ﷺ ربى الصحابة رضي الله عنهم التربية الصحيحة ، علميًا وعمليًا ، فالله بسبب ذلك أعطاهم الرضوان وهم في الميدان : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨] .

وباب التربية مفتوحٌ إلى يوم القيامة باب السابقين الأولين . ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[الواقعة:١٣-١٤] .

وعلامة التربية الصحيحة ظهور الصفات المقبولة عند الله ، والجزاء من جنس العمل : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة : ١١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب : ٣٥] .

وابتسامة الداعي أعظم عند الله من بكاء العابد ؛ فكل خطوةٍ في الدعوة إلى الله ، تزيد الداعي إيمانًا ، وقوةً ، وحرقة .

فالدعوة إلى الله

حرقةٌ في القلب ، وحكمةٌ في اللسان ، ودمعةٌ في العين ، ورحمةٌ للخلق : .

فالحُرقة : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يس : ٢٠-٢١] .

والحكمة : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس:٢٢-٢٧] .

والدمعة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك : ١٢] .

والرحمة : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

فالداعي إلى الله يجرح نفسه ، ولا يجرح الآخرين ، ويتعب من أجل هداية الناس ، فالداعي إلى الله دائمًا ينظر إلى المحاسن ، وينشر المحاسن ، وينسى المساوئ كما هي صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران :١٣٣- ١٣٤] .

والداعي إلى الله يتجول على الناس ، ويسمع من الناس سوى الأدب بالكلام ، ويصبر على ذلك، كما قال سبحانه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف:١٩٩] .

ويوم القيامة يتشرف بسلام الرحمن عليه: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨] .

وسلام الملائكة عليه : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد:٢٣-٢٤] .

والداعي إلى الله يذهب إلى الأشرار ، ويجتهد عليهم ، ليكونوا أخياراً ، ويوم القيامة يكون مع المؤمنين في الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر : ٥٤-٥٥] .

ويكون مع الأنبياء والمرسلين .

والصحابة رضي الله عنهم تربوا على يد النبي ﷺ التربية الصحيحة التي يحبها الله ويريدها ، فزكاهم الله ، ورضي عنهم ، ورضوا عنه، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

وزكاهم رسول الله ﷺ بقوله : «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ». متفقٌ عليه[1] .

لما جاءت في حياة الصحابة رضي الله عنهم حياة النبي ﷺ ، وهي الدين ، وجهد النبي ﷺ ، وهو الدعوة فازوا ، لأنهم صدقوه وطبقوا : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الأحزاب:٢٣] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢١/ ٢٥٤٠).

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة :٧- ٨] .

والله سبحانه حفظهم بالدعوة إلى الله ، وعصمة الأنبياء بالدعوة إلى الله ، وحفاظة هذه الأمة بالدعوة إلى الله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٦٧ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٨ ﴾[يوسف:١٠٨] .

فإذا تركنا الدعوة إلى الله، جاء في الأمة الشرك، فالذين يقومون بالدعوة يصلون المخلوق بخالقه، لأنهم عرفوه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الحميدة، فآمنوا به وعبدوه، ووصلوا الخلق به: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥ ﴾ [فصلت :٣٣ – ٣٥].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ۝٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد:١٩-٢٤] .

فهؤلاء لهم الجنة والرضوان وعقبى الدار ، لأنهم يصلون إلى الله بالتوحيد، والإيمان، والعبادة، ويوصلون الخلق إلى الخالق بالدعوة إلى الله، فهؤلاء لهم عقبى الدار والذين لا يكونون في جهد الصلة فورًا يكونون في جهد القطيعة، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد:٢٥] .

فهؤلاء قطعوا ما بينهم وبين الله من الإيمان ، وقطعوا الخلق عن الخالق ، فما أعظم جرمهم .

والإنسان إما داع إلى الخير ، وإما داعٍ إلى الشر ، وإما أن يُدعى إلى الخير ، أو يُدعى إلى الشر ، فالدنيا دار العمل ، والآخرة دار الثواب أو العقاب.

فالمؤمنون عملهم وثوابهم : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة :٧١- ٧٢] .

وأما الكفار فعملهم وعقابهم : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة : ٦٧-٦٨] .

ومن ضحك في الدنيا قليلًا ، وهم الكفار وأهل المعاصي ، بكى في الآخرة كثيرًا لما يراد من غضب الله وعذابه : ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة : ٨٢] .

ومن كدح في هذه الدنيا إلى ربه سيلقى جزاء عمله يوم القيامة ، مسرورًا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق:٦] .

وكدح الإنسان نوعان ؛ إما كدح إلى الله بالعبادة والدعوة والمجاهدة ، فهذا ولي الله ، وإما كدح من أجل النفس والهوى والشيطان ، فهذا عدو الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق:٦-١٥] .

لهذا الصحابة رضي الله عنهم ضحكوا عند الموت ، لأنها ظهرت لهم نتيجة كدحهم كالأنبياء ، فتظهر النتيجة لكل داعٍ إلى الله عند الموت في كل زمان ومكان ، فالرجولة أن تضحك عند الموت إلى الأبد ، وليس الضحك الآن ، فالدمعة من خشية الله ، ومن أجل هداية الخلق ، والشفقة عليهم ، تطفئ بحورًا من نار جهنم يوم القيامة .

فهذه قوة الدمعة ، وهي مستحبة ، فكم قوة السنة ، وكم قوة الفرض ، وكم قوة الواجب ، وكم قوة الإيمان ، وكم قوة الجهد الذي يأتي به الإيمان.

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

لهذا وعدنا الله ﷻ على هذه القوة بقوله : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥ ﴾[الزمر :٣٤- ٣٥] .

فكل إنسان عنده سيء وأسوأ ، وحسن وأحسن ، والله وعد على الدعوة تكفير الأسوأ ، وإعطاء الأحسن :﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾[النحل : ٩٧] .

فبالدعوة إلى الله يكفر الله عنك الأسوأ ، ويجزيك بالأحسن .

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، وميراث النبي ﷺ الذي تركه للأمة هو الدين ، وجهد الدين ، وكل أحد يأخذ ميراثه ، ويستفيد منه قبل الموت ، فماذا يقول الإنسان إذا جاءه الموت :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٤] .

وقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ نذيرًا للبشر : ﴿ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧ ﴾[المدثر :٣٦- ٣٧] .

فأول شيء يجب على المؤمن هو التوبة عن ترك ما أمر الله ورسوله به : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات :١١] .

فأول شيء يجب على المسلم التوبة والاستغفار من ترك جهد الدعوة إلى الله ، وأكبر طاعة لله ورسوله أن تطيع النبي ﷺ في مقصد حياته ، وهو الدعوة إلى الله ، وأكبر معصية لله ورسوله أن تعصي النبي ﷺ في مقصد حياته ، ومقصد حياة النبي ﷺ عشرة أمور، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٥ -٤٨] .

فهل قمنا على هذا المقصد ؟، وهل اتصفنا بهذه الصفات ؟ .

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب :٢١] .

والمسلمون من هذه الأمة، هم خلفاء في الأرض، يجتهدون من أجل الدين، وغدًا هم جلساء الرحمن ، اليوم يجتهدون على الناس مع صفاتي ، وغدًا يصلون إلى ذاتي ، ويرون صفاتي : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢ -٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر :٥٤- ٥٥] .

والداعي إلى الله هو بواب الملك ، والبواب لابد أن تكون فيه نسبة من صفات الملك، فالله يحب أسماءه وصفاته، ويحب من عباده أن يتصفوا بها، لكن على شاكلة العبودية .

فالله مؤمن يحب الإيمان والمؤمنين ، والله تواب يحب التوبة والتوابين ، والله كريم يحب الكرم وأهل الكرم والله محسن يحب الإحسان والمحسنين .

فالملك كريم فلابد أن يكون البواب الذي يدخل الناس على الملك كريمًا ، والملك رحيم فلابد أن يكون البواب رحيمًا ، والملك حليم والبواب الذي يدخل الناس عليه لابد أن يكون حليمًا ، والملك عفو ، والبواب الذي يدخل الناس عليه لابد أن يكون عفواً.

قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف:١٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

والله ﷻ خلق الكون كله لكي تتعرف أيها الإنسان على أسماء ربك وصفاته وأفعاله : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس : ١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق :١٢].

وجهد الدعوة إلى الله أكبر سبب لمعرفة أسماء الله وصفاته ، والتعبد لله بها ، وجلساء الله هم أهل صفاته ، فالله كريم ، والكريم لا يجالسه إلا الكريم ، والبخيل لا يجالس الكريم ، فأهل الصفات الجمالية جلساء الخالق يوم القيامة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ ﴾ [الواقعة:١٠ – ١١] .

والتربية الصحيحة هي التي تكون فيها الأحوال الشديدة ، لهذا أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾[العنكبوت:٢-٣] .

فلذة الطعام بعد الطهي ، ولذة الراحة بعد التعب ، ولذة الإيمان بعد المجاهدة ، وكل الناس ميت ، فمنهم من يذهب بعد الموت إلى نعيم لا جحيم بعده ، ومنهم من يذهب إلى جحيم لا نعيم بعده : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ ﴾[الروم : ١٤-١٦] .

والمؤمن عظيم عند الله بصفاته لا بذاته ، ولأهل هذه الصفات خلق الله جنة عرضها السماوات والأرض، وفي هذه الدنيا علينا تكميل الصفات التي يحبها الله، وفي الآخرة الله ﷻ يكمل لنا الشهوات:﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ

﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فالكامل من البشر هو الذي كمل الصفات التي يحبها الله ، أما الدنيا فكلها ناقصة ، فالصفات الكاملة جزاؤها نعيم كامل أبدى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة :٧- ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

٨- حفظ الداعي إلى الله من الفتن.

الله ﷻ ابتعث هذه الأمة كما ابتعث الأنبياء والرسل ، إنما بُعثتم ميسرين ، ولم تُبعثوا معسرين ، وشرفها بما شرف به الأنبياء والرسل ، وذلك بالجهد العظيم الذي فيه سعادة البشرية في الدنيا والآخرة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران :١٠٤- ١٠٥] .

وسنة الله أن يكون جهد الدعوة إلى الله قائمًا على المجاهدة العظيمة ، المقرونة بالأسباب المخالفة ، ليتبين الصادق من غيره ويعيش المسلم في أعلى درجات المجاهدين التي أجرها عظيم:﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت : ٦٩] .

وقد أنزل الله ﷻ سورة الكهف في مكة وقت التربية الإيمانية للنبي ﷺ وأصحابه ، وجعلها سبحانه في وسط القرآن، وشرعت قراءتها ليلة الجمعة ، أو يوم الجمعة ، أو الأسبوع الذي يتقدم الجمعة .

وفي هذه السورة أعظم حفاظة من الفتن التي تصرف المسلم عن دينه ، وأعظم الفتن فتنة المسيح الدجال .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ » .أخرجه مسلم(1) .

فكم قوة هذه السورة المباركة ، فهي كنز عظيم ، وعقد ثمين ، بيَّن الله في **هذه السورة العظيمة أربعة أنواع من الفتن العظيمة :**

فتنة الدين ، ثم فتنة المال ، ثم فتنة العلم .. ثم فتنة الملك .

فلا بد من الفتن ليتميز المؤمن من المنافق ، والصادق من الكاذب : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت :٢- ٣] .

وهذه الفتن العظيمة لابد أن تمر على الأمة ، ثم بينت هذه السورة طريق العلاج ، فما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، فهذه السورة الكريمة تدور حول هذه الفتن الأربع ، والعلاج في كتاب الله ، فهذه السورة بدأت بالكتاب :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾[الكهف:١-٢] .

وانتهت بالكتاب : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

وأثر الكتاب يأتي في القلوب بقدر ما في القلوب من الإيمان والهم والحزن، المقرون بالمجاهدة والتضحية والصبر، من أجل إبلاغ الدين، فالدين لا ينتشر بالتقرير، ولا بالتحرير، ولا بالخطابة، الدين ينتشر بهم

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٨٠٩/٢٥٧).

الرسول ﷺ ، بحزن الرسول ﷺ والبكاء الذي يتفجر منه القلب ، شفقةً على الأمة ، ورحمة لها : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف : ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

فكم كان الاضطراب في قلب النبي ﷺ من أجل هداية البشرية ، وكم كان حرصه ، وكم كان همه ، وكم كان بكاؤه ، لأن مسئوليته كل البشرية إلى قيام الساعة : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

فمسئوليته ﷺ دعوة الأمة من بعثته إلى أن تقوم الساعة ، في الحياة ، وبعد الموت ، وفي القبر ، وفي الجنة ، وفي النار ، والمطلوب منه ﷺ أن يبين للناس أحوالهم في هذه المواطن العظيمة ، وحال البشرية في الضلال ، والله أرسله مبشرًا ونذيرًا لكل البشرية :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٨] .

فهذه المسئوليات العشر العظيمة ، لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، كيف يقوم بها ، وكيف يحمل الأمة عليها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وكم كان همه ﷺ في أداء هذه الأمانة العظيمة : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

والله يأمره بالصبر ، ويبين له أنه حافظه وناصره : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنعام :٣٣- ٣٥] .

لهذا جهد الدعوة إلى الله على قدر ما يحمل القلب من الدين ، لا على قدر ما يحمل من الطين ، فلا ينتشر الدين في العالم إلا بهم كهم الرسول ﷺ ، وجهد كجهد الرسول ﷺ وأخلاق كأخلاق الرسول ﷺ ويقين كيقين الرسول ﷺ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨] .

فالقلب إما أن يحمل هم الدين ، أو يحمل هم الدنيا ، فإما دين ، وإما طين ، ولا ثالث لهما :﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان:٢١-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[التغابن:٢] .

هذا الدين العظيم أعظم نعمة تحفظ الإنسان وتسعده في الدنيا والآخرة :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢] .

فما هو طريق الحفاظة من فتنة الدين التي هي أول الفتن التي ذُكرت في سورة الكهف ، فهذه أكبر فتنة ومصيبة .

فاللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا ، واجعل الجنة هي دارنا وقرارنا .

لهذا بدأت هذه السورة الكريمة بقصة عجيبة قصة أهل الكهف ، فكل قصص القرآن كقصص الأنبياء والرسل وغيرهم ، كلها تكلمت عن الدعوة إلى الله التي قام بها الأنبياء والرسل، إلا هذه القصة تكلمت عن العبادة: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾[الكهف : ٩]

فبدأت هذه السورة بأعجب قصة في القرآن وفي نهاية القصة :﴿ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾[الكهف : ٢٤] .

ونزلت في حياة الصحابة رضي الله عنهم ، وهم ضعفاء في مكة أصابتهم فتن عظيمة من كل مكان حتى قالوا للنبي ﷺ: أهكذا الدهر خوف

واضطراب، وجوع وعذاب، كما حصل لياسر وعمار وصهيب وبلال وخبيب رضي الله عنهم، والرسول ﷺ يعدهم ويصبرهم، ويصبر معهم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف : ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم:٦٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور:٤٨].

فمن أراد أن يفهم هذا الجهد العظيم ، فلينظر في حياة هؤلاء الضعفاء ويجتهد على أمثالهم من الضعفاء والبسطاء ، فهؤلاء هم أرض الدعوة وهم أول أتباع الأنبياء والرسل ، وهم معدن الرسالة .

فأصل الدعوة في البداية مع عوام الناس ، وضعفاء الناس ، وبسطاء الناس ، لأنهم ليس معهم من الجاه والمال ما يمنعهم من سماع الدعوة إلى الله ، وكلما كانت الدعوة مع العوام ، كانت الحفاظة للداعي إلى الله وللمدعو ، وكلما كانت مع الخواص ، جاء الخطر على الداعي والمدعو ، فالعوام إذا قاموا على جهد الدعوة ، وقاموا على الأصول ، وإذا قاموا على الأصول ، نزلت الرحمة على العوام ، وعلى الخواص : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وأما الخواص إذا دخلوا في الجهد ، فلابد أن يخالفوا الأصول أو بعضها ، وإذا خالفوا الأصول ، رفعت الرحمة عن الخواص والعوام ، فلا يفهم جهد

الدعوة إلى الله إلا من كانت مادة دعوته العوام ، لهذا العباس ﷺ لم يسلم إلا قبيل فتح مكة ، وقال له النبي ﷺ : أنا آخر الأنبياء ، وأنت آخر المهاجرين .

القصة الأول:

فبدأت هذه السورة الكريمة بقصة هؤلاء الفتية المؤمنين الذين كانوا ضعفاء مع أهل الكفر ، كحال من آمن بالرسول ﷺ من ضعفاء أهل مكة في بداية الدعوة .

فهؤلاء الفتية عاشوا بين القوم الكافرين ، وكان من عادة هؤلاء الكفار أن يخرجوا إلى الصحراء كل عام ، ليحتفلوا بشركهم وأوثانهم في أعيادهم ، فلما بدأ الاحتفال بألوان الشرك ، خرج من بينهم شاب ، وجلس تحت شجرة ، ووضع يده على بطنه كأنه سقيم ، ثم خرج الثاني والثالث حتى اجتمع تحتها سبعة ، وهم لا يعرف بعضهم بعضا ، فما الذي جمعهم ؟.

جمعهم الحق الذي لا يقبل الباطل ، الذي يرفض الباطل فهؤلاء هم أهل الفطرة السليمة :﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾[الكهف : ١٣-١٥] .

فالآن هؤلاء الفتية انتقلوا من عبادة فردية إلى عبادة جماعية ، فتشاوروا فيما بينهم كل يسأل الآخر لماذا خرجت ؟ فكانت إجابة كل واحد منهم واحدة ، فررت من الشرك والباطل فارًا بديني ، لئلا يفسده هؤلاء ، فالسؤال واحد ، والإجابة واحدة ، فتشاوروا لماذا لا نعبد الله مجتمعين فانتقلوا من عبادة

فردية إلى عبادة جماعية ، فصار لهم ترقٍ في العبادة ، فما الفرق بين قوة الدعوة ، وقوة العبادة ؟ .

قوة العبادة تبرز وتقوى حينما يكون المسلم خاليًا بربه ، ولذلك أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ، وأفضل الصلاة في جوف الليل منفردًا .

أما قوة الدعوة فتبرز وتقوى حينما يكون الإنسان مع غيره من إخوانه المؤمنين ، ولهذا كان الرسول ﷺ يمشي بين الخلق في موسم الحج ويقول : من يؤويني ، من ينصرني ، حتى أبلغ رسالة ربي ؟

وطلب ﷺ النصرة من أسوأ ناس ، لهذا قوة الدعوة ، وحفظ الداعي ، في العمل الاجتماعي: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

فهم كالموج في البحر ، وإذا كان الداعي منفردًا ، وخرج من الجماعة ، صار كالموج إذا خرج من البحر ، اسمه وحل ، وإذا كان في البحر اسمه موج ، والعمل الانفرادي يولد الكبر والعجب ، والاحتقار للناس ، والشدة والرياء وغير ذلك من صفات الوحل والطين ، وقوة هذا العمل العظيم بالعمل الاجتماعي ، والله يريد صفات اجتماعية ، وأعمال اجتماعية : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

فالصحابة رضي الله عنهم كلهم لهم استعداد وتفاوت في التضحية من أجل إعلاء كلمة الله ، لكن كلهم رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾[التوبة : ١٠٠] .

فتية أهل الكهف انتقلوا من عبادة انفرادية ، إلى عبادة جماعية، هذا شيء طبيعي محمود، ولكن أن ينزل إنسان من العبادة الجماعية إلى العبادة الفردية، هذا ليس شيئًا طبيعيًا ولا محمودا: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) ﴾[الكهف : ٩-١٠] .

لهذا النبي ﷺ رفع أمته إلى أعلى مستوى في العبادة والدعوة، كما قال سبحانه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾[البقرة : ٢٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾[يوسف : ١٠٨] .

وجميع الأنبياء والرسل قبل النبي ﷺ لم يرفعوا أممهم إلى مستواهم ، فكل نبي قال لأمته : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ﴾[هود : ٥٠] .

وكل نبي قال لأمته : ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٩) ﴾[الشعراء:١٠٧-١٠٩] .

وكما قال نوح لقومه : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٩) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) ﴾ [الشعراء:١٠٥-١١٠] .

فهؤلاء الفتية انكشفوا أمام ملك زمانهم ، وعلم أنهم يعبدون الله ، فأتي بهم فجاءت عليهم فتنة الدين ، إما الكفر ، وإما الرجم ، وقال لهم الملك لكم ثلاثة أيام تشاوروا في أمركم ، وهذه أعظم فتنة ، فليس على المؤمن الفار بدينه أعظم من هذين الأمرين :

أحدهما : الرجم ، وهذا أشد أنواع القتل ، وفيه هلاك النفس .

والثاني : هلاك الدين بالإكراه على الكفر .

قال الله تعالى عنهم : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾[الكهف : ٢٠] .

ولكن هؤلاء الفتية المؤمنين لما آمنوا حفظوا دينهم حفظهم الله وسلمهم ، فانتهت الأيام الثلاثة ، وقالوا ما هو الحل؟، هل الحل المواجهة ؟

لا بل الحل : ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ﴾[الكهف : ١٦] .

هنا الحكمة ، أن يختفوا بعبادتهم في الغار من الملك الظالم ، فالحكمة عدم المواجهة ، والاختفاء عن العدو ، فموسى ﷺ خرج إلى مدين خائفًا يترقب مختفيًا ، ومحمد ﷺ خرج من مكة حين الهجرة مختفيًا ، والله ﷻ جعل الدعوة محاطة بالحكمة : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ

ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل : ١٢٥] .

فأعظم أصل في الدعوة هو الحكمة : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران :٧٣- ٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة : ٢٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة : ٢٦٩] .

فالمطلوب في الدعوة تسعون بالمائة حكمة ، وعشرة بالمائة علم ، وإذا كان الأمر بالعكس علم بلا حكمة ، فمن يقبل الدين؟، وكم يكون الخطر على الداعي والمدعو؟، فالحكمة مقدمة على كل شيء ، فما هو الحل الآن ؟.

الله ﷻ أعطى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الدعوة والحكمة والرحمة ، فلا تحمل قلوبهم الكيد لأحد ، وإنما تحمل قلوبهم الرحمة للناس مع الحكمة ، فهو سبحانه الذي يكيد بمن كاد أولياءه ، ويمكر بمن مكر بهم ، ويخادع من خادعهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[الحج : ٣٨] .

وأما الأنبياء فعليهم الدعوة بالحكمة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت : ٣٣-٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

فالدعوة هي التعريف بالإله ، وإظهار محاسن الدين ، والدين كله محاسن حتى الناس ترى المحاسن ، فتدخل في الدين ، فالفتية أووا إلى الكهف ، وفي الكهف النوم ، وتبعهم كلبهم ، فالحيوانات عندها قوة الشم ، فهذا الكلب شم الصلاح فيهم فتبعهم ، وإلا الكلب يفضح ولا يستر ، والنبي ﷺ عرفه الذئب والجمل ، لكن هل عرفه أبو جهل وأبو لهب ، فتبعهم الكلب ، فلما تبعهم إلى الغار أصبح معهم ، وشغله الحراسة :﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف : ١٦-١٨] .

فكلب أهل الكهف يزيد في أجرك خمسة حروف ، فمن قرأها في القرآن ، فله خمسون حسنة ، وكلبك إلا كلب صيد أو ماشية أو زرع ينقص من أجرك كل يوم قيراط ، فكلبهم أفضل من كلبك ، لأن كلبهم كان في صحبة الصالحين ، وحراسة الصالحين ، فمن خرج في سبيل الله ، لإبلاغ دين الله ، وإحياء دين الله طهره الله من كل وجه ، وأسعده في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

ومن خرج في سبيل الله ، لإصلاح نفسه ، وإصلاح غيره ، انجلت ظلمة قلبه ، و إذا انجلت ظلمة القلب ، جاءت الإنابة ، وإذا جاءت الإنابة جاءت الهداية : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾[الصافات:٩٩] .
وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى : ١٣] .

فهؤلاء الفتية المؤمنون بدخولهم الكهف ضحوا تضحية بسيطة ، لكن كم العطايا والمنن من الله عليهم ! .

قال الله تعالى : ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾[الكهف:١٦] .

بماذا أكرمهم الله به : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[الكهف: ١٤] .

والربط على القلب نعمةٌ عظيمة ، الربط على القلب أعلي درجات الإيمان .
فأم موسى ﷺ : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[القصص: ١٠] .

وأهل بدر ربط الله على قلوبهم : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[الأنفال:١١] .

فمن خرج فارًا بدينه ، أو خرج في سبيل نشر دين الله ، ربط الله على قلبه ، والله سبحانه نَسَبَ التقليب إليه ، إكرامًا لهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾[الكهف: ١٨] .

وجعل لهم سبحانه نظام دخول الشمس في الصباح والمساء ، وقضى حوائجهم ، ومكثوا في الكهف ثلاث مائة سنة ، وازدادوا تسعًا، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الكهف:٢٥] .

وهذه طمأنةٌ للداعي إلى الله ، فلا يقضي الحاجات إلا الله وحده لا شريك له ، فأهل الكهف نيامٌ تلك المدة الطويلة ، والله يقضي حوائجهم ، التي يحتاج إليها الحي من أكلٍ ، وشربٍ ، وصحة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق:٢-٣] .

والله سبحانه جعل الرعب فيهم وهم نيام ، فمن رآهم فَرَّ منهم ، وأصابه الرعب ، فكيف لو قاموا ، وتجَوَّلُوا على الناس : ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾[الكهف : ١٨] .

فالجولة على الناس ، ودعوتهم إلى الحق ، أعظم قوة يخاف منها شياطين الإنس ، والجن كما قال النبي ﷺ : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ »متفق عليه [1].

فالدعوة إلى الله أعظم قوة لإزالة الباطل في العالم ، وطرد شياطين الإنس والجن ، لأن نظام الجولة على الناس ، وبين الناس ، للدعوة إلى الله ، يجُرّ الهداية من العرش إلى الأرض .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٣٨) ، ومسلم برقم (٥٢١) .

وما هي الجولة : الجولة لإحياء الدين ، فالدين كله يحتاج مِنَّا إلى تضحية لإيصاله إلى الناس:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم : ٥٢] .

والدين كله يحَيَا في الجولة على الناس للدعوة إلى الله ، آيات القرآن في السمع ، والبصر ، والكلام ، والمشي ، كلها تحَيَا في الجولة على الناس : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان:٦٣-٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[النور:٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

فالجولة بين الناس مقصودها إحياء الدين في الأمة ، اعتقادًا ، وأقوالًا ، وأعمالًا ، وأخلاقًا ، ولهذا كانت الدعوة إلى الله واجبةٌ على جميع الأمة .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

ففي الجولة على الناس ، وغشيان الناس في أماكنهم ، وأسواقهم ، الداعي إلى الله يمشي بالصفات ، ويكتسب الصفات ، حتى يكون قرآنًا يمشي على الأرض ، بحُسن خُلقه ، فالداعي خُلقه القرآن كنَبِيِّهِ ﷺ :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم : ٤] .

ففي الجولة على الناس ، ودعوتهم إلى الله ، اكتساب الصفات التي يحبها الله ، من الرحمة، والتواضع، والشفقة، والمحبة، وحُسن الظن، والصبر،

والحلم، وتَعَلُّمِ الحكمة، كيف تخُاطب كل إنسان، والله يُعَلِّمُكَ سر الدعوة، وكسب قلوب الناس ، فالطبيب يعرف سر الطب ، وصاحب الحديد يعرف سر الحديد ، وصاحب الخشب يعرف سر الخشب ، وكذلك الداعي إلى الله ، الله يُعَلِّمَهُ سر الدعوة ، كيف يَدخل إلى قلوب الناس بالحكمة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة : ٢] .

فتعليم الحكمة في الجولة على الناس ، فكم قوة ، ورحمة ، في الجولة على الناس !.

قال الله تعالى : ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

وأثقل شيءٍ على النفس هي الجولة على الناس ، للدعوة إلى الله ، ولكن فيها طهارةٌ للنفس ، وهي عدوة النفس ، لأن النفس تريد تكميل شهواتها فقط ، والله يريد تكميل محبوباته ، فمن جاهد نفسه لإحياء دين الله في نفسه ، والعالم ، هداه الله سُبل رضاه ، وأعانه قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

فجميع الأنبياء أذلوا أنفسهم لله ، فأعزهم الله ، فمن أراد كمال العزة ، فليذل نفسه لله ، بين خلق الله ، فلا عزة له إلا من ربه العزيز : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المنافقون : ٨] .

ومن أذل نفسه لربه ، أعزه الله ، وقضى حوائجه :﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس : ٦٥] .

ظَلَّ أهل الكهف نيامًا هذه المدة الطويلة ، فلما قاموا قالوا كم لبثتم ؟

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الكهف: ١٩-٢٠] .

فاختاروا أحدهم ليشتري لهم طعامًا بنقودهم ، فلقد ظلوا تلك المدة الطويلة، ولم يتغيَّر فيهم شيء بقدرة الله ، ولكن جاءت الحاجة البشرية للأكل ، فاختاروا أحدهم ليشتري لهم طعامًا من النقود التي كانت معهم ، وأمروه باللطف مع الناس ، وهذه الكلمة العظيمة ، هي وسط القرآن تمامًا ، فهذا الجهد العظيم كله تلطف ، فأي حالٍ تجري الداعي إلى الله فهي لطفٌ من ربه ، ورحمة منه ، وأي بلاء ينظر الداعي إلى جمال المبتلي لا إلى البلاء ، فإذا نظر إلى جمال المبتلي نسي البلاء .

ويوسف ﷺ أربعون سنة في الابتلاء ، ولكن في النهاية ماذا قال ؟ قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[يوسف : ١٠٠] .

والمهاجرون رضي الله عنهم تركوا مكة من أجل الدين ، كما قال سبحانه :﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[الحشر : ٨] .

فكيف كانت عزتهم رضي الله عنهم ، فحُسن ظنهم بالله أورثهم كل خير .

فاللهم ارزقنا اليقين على ذاتك، وحُسن اللطف بعبادك، وحسن الدعوة إليك .

ولو قيل لأحدنا اخرج إلى البلد الفلاني ، ولك كل يوم مليون ريال ، لسارعنا إلى ذلك ، لأن في قلوبنا حُبُّ المال ، وحُبُّ الدنيا ، وحُبَّ المال والولد فطرة ، ولكن التعلق بالمال ، وعبادة المال هو المذموم ، ولكن لو قيل لك اخرج في سبيل الله ، لنشر دين الله ، ثَقُلَ عليك هذا لماذا ؟ لأن حُبُّ الدنيا ، والجهد على الدنيا ، غلب على قلوبنا ، ولو كان عندك يقين على الله ، وعلى وعد الله العظيم بالثواب الجزيل لخرجت ، فهناك تخرج ، وهنا لا تخرج ، والسبب ضعف اليقين على الله ، ووعده ، ووعيده ، والتعلق بغيره.

قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[الحج : ٤٦] .

وهذا سوء ظنٍ بالله : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة : ٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة :١٠٠] .

هذه موعودات الله للدعاة إلى الله .

فالنفس تقول للإنسان الذي عندك من الدين يكفي ، وفي أمور الدنيا تريدك أن تزيد باستمرار :﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

فذهب ذلك الفتى إلى المدينة ، ليشتري لهم الطعام ، وهو جازمٌ أنه لم يَغِبْ عنها إلا يومًا أو بعض يوم ، فلما دخل البلد رأى كل شيءٍ قد تغيَّر فجأة ، فاتَّهَمَ عقله ، فوجد أول رجلٍ يبيع ، فاشترى منه ، وأعطاه المال ، فلما رأى النقود قال هذا تزوير ، فأُخِذَ الفتى إلى الحاكم ؟ فقال له من أنت ؟ ، قال فلان ، قال من معك ؟ ، قال فلان ، وفلان ، حتى عَدَّ السبعة ، فقال الملك أنتم الصالحون ، وكل هذه المدينة أسلمت بهؤلاء الصالحين بفضل الله ﷻ :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الكهف : ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾[الكهف:١٣-١٤] .

قالوا ذلك ، ثم آوَوْا إلى الكهف ، فناموا تلك المدة الطويلة ، ثم لما قاموا وعَلِمَ بهم الملك آمن ، وآمنت المدينة كلها ، فلم تظهر النتيجة إلا بعد مدة ، لأن الدعوة من الخلق ، والهداية بيدِ رَبِّ الخلق :﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[القصص:٥٦] .

فليس مقصود الجهد ظهور النتائج ، لأن النتيجة لا تسمى جهدًا ، وإنما النتيجة ثمرة ، فالنبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد ، والنبي يأتي ومعه الرجل ، والنبي يأتي ومعه الرجلان ، وإنما المقصود الجهد الثبات على العمل ، فالشيطان يقول للداعي كم سنة وأنت تدعو إلى الله ، كم سنة وأنت تجتهد ، فكم أسلم وكم اهتدى بسببك؟ .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾[النور :٢١] .

هذه حفرة من حُفَر الشيطان ، جَرَّ بها أكثر الخلق من الدعوة ، أكبر نتيجة أنك لا زلت في الجهد داعيًا إلى الله ، مستقيمٌ على الأعمال الصالحة ، فأنت المقصود : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[العنكبوت:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ﴾ [الإسراء:٧] .

فيا أيها الحاكم ، ويا أيها المسئول ، لا تنظر إلى الصلاح والعدل فيمن تحت يدك ، ولكن انظر إلى الصلاح والعدل في نفسك ، فإن الصلاح والعدل إذا آتى فيك ، ولم يأتِ فيمن تحت يدك ، ينادى عليك يوم القيامة ادخل الجنة ، وإذا جاء الصلاح والعدل فيمن تحت يدك ، ولم يأت فيك ، ينادى عليك يوم القيامة ادخل النار .

فالآن المدينة كلها خرجت إلى الكهف لترى هؤلاء الفتية ، فخاف هؤلاء الفتية من الفتنة ، فدعوا الله أن يقبض أرواحهم ، فقبض الله أرواحهم كراهيةً

لحب الظهور ، لما قال لهم الناس أنتم الصالحون ، وبهذه التضحية اليسيرة ، كم حصل بها بعد قيامهم من النوم من هداية أهل تلك المدينة ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الكهف : ٢١] .

وجَمَعَ الله ﷻ للفتية عظيم الصفات، والكرامات ، التي كانت سببًا لسعادتهم، وسعادة غيرهم، ولو بعد حين ، وهذه الصفات فعل المكارم، واجتناب المحارم ، والصبر على البلوى ، وعدم الشكوى ، وعدم الظهور : ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾[الكهف: ١٤] .

فهذا مثالٌ لفتية قاموا بجهدٍ يسير ، فكم لو قامت الأمة كلها بجهد الرسول ﷺ ، كما قامت الصحابة بهذا الجهد العظيم ، فما هو الحل إذا جاءت الفتنة في الدين ، كما جاءت على النبي ﷺ وأصحابه في بداية الدعوة .

الحل : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف : ٢٨] .

فالفتنة إذا جاءت ، فالحل جهد الدعوة ، كما جاء في القرآن والسُّنَّة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود : ١١٢] .

والله سبحانه لا يُغَيِّر أصول الجهد ، لأن الجهد للتربية .

فهذه فتنة الدين إذا جاءت ؛ وهذا هو حلها .

وقد بَيَّنَ الله ﷻ في سورة الكهف ، أربعة أنواعٍ من الفتن :

الأولى : فتنة الدين .

الثانية : فتنة المال .

الثالثة : فتنة العلم .

الرابعة : فتنة المُلك .

فبهذه الفتن يكشف الله المؤمن من المنافق ، والصادق من الكاذب : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ** ﴿٣١﴾ ﴾[محمد :٣١].

وهذه الفتن لابد أن تمر على الأمة ، وقد ذكر الله ﷻ هذه الفتن مع حلها ، وقد تقدمت فتنة الدين مع حلها .

أما فتنة المال فذكرها الله ﷻ بعد فتنة الدين ، كما قال سبحانه : ﴿ **وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾** ﴾[الكهف:٣٢-٣٤] .

فكفار مكة في أول الإسلام ، افتخروا بأموالهم وجاههم على فقراء المسلمين :﴿ **وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾[سبأ:٣٥] .

ولما كان ذلك لا يوجب الفخر ، لاحتمال أن يكون الفقير غنيًا ، والغني فقيرًا ، وإنما الذي يوجب الفرح والاعتزاز هو طاعة الله ، وعبادته وحده لا شريك له ، وهي حاصلةٌ لفقراء المسلمين :﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ**

﴿وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات:١٣] .

فضرب الله ﷻ هذا المثل ، لبيان فضيلة الإيمان على الكفر ، وبيان أن فتنة المال أخطر شيء على الإنسان ، تصرفه عن الدين ، ثم تكون سببًا في هلاك أمواله .

فكان رجلان من بني إسرائيل احدهما مؤمن ، والآخر كافر ، ورث هذان الأخوان من أبيهما مالًا كثيرًا ، ثم اقتسماه فيما بينهما ، فاشترى الكافر أرضًا ، وضياعًا ، وخدمًا ، وقصورًا ، حتى صارت له جنتان ، فيهما من الثمار ، والفواكه ، ما يؤتي أكله كل حين .

وأما المؤمن فصرف أمواله في صلة الأرحام ، والصدقة على الفقراء والمساكين ، ومواساة الضعفاء والمحتاجين ، حتى لم يبق معه شيء ، ثم أصابت المؤمن حاجة ، فجلس لأخيه على طريقه ، فمر به في حَشَمُهُ وموكبه ، فتعرض له ، فطرده و وَبَّخَهُ على التصدق بماله على غيره ، ثم إن المؤمن زار هذا الكافر ، ودعاه إلى الله ، و وعظه ودعاه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، فلم يسمع له ، لما هو فيه من النعيم الذي كان يظنه لا يزول ، فدعاه ليريه ما عنده من الخير : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف : ٣٥-٣٦] .

فظن هذا الكافر أن جنته لا تبيد ، وأنكر قيام الساعة ، وظن أنه إذا رجع إلى ربه فسيجد خيرًا منها ، واعتقد أن هذا العطاء دليلٌ على محبة الله له ، وهو مستحقٌ لذلك ، فوعظه المؤمن بعد مقالته هذه ، فماذا قال ؟ .

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾[الكهف:٣٧-٣٨] .

فَبَيَّنَ له ما هو عليه من الإيمان ، وأنه هو الحق الذي يجب عليه أن يَتْبَعَهُ : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾[الكهف: ٣٨] .

ثم قال المؤمن للكافر : هلَّا قلت إذا دخلت جنتك ما شاء الله ؟

لا قوة إلا بالله ، اعترافًا بفضله وإحسانه إليك : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾[الكهف: ٣٩-٤١] .

فأجاب المؤمن الكافر عن افتخاره بالمال والنفر ، بقوله : ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾[الكهف: ٣٩-٤١] .

فالله وحده هو القادر على كل شيء ، الذي بيده كل شيء ، والله قادر على تدمير جنتك ، أو الذهاب بمائها فتموت ، فتتحول من العمار إلى الخراب ، ومن الخضرة والثمار إلى أرضٍ ملساء ، لا نبات فيها ، زلقًا طينًا تَزْلَقُ بها الرِّجْل ، ثم أخبر الله أنه حقق ما قَدَّره هذا المؤمن ، فقال : ﴿ ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الكهف: ٤٢-٤٤] .

ثم ندم الكافر ، وعَظُمَت حسرته على ما أنفق فيها ، فحُرِم من الدنيا التي تعب في تحصيلها ، وحُرِم من الدين الذي تركه ، ويوم القيامة لا ينفع الندم ، فالإنسان يحصد ما عمل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف :١٠٣-١٠٦] .

أما المؤمن فسوف يجد ثواب عمله عند ربه : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الكهف: ٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف :١٠٧-١٠٨] .

ثم ما هو الحل للخروج من فتنة المال ؟ .

الحل : هو معرفة الحقيقة ، والاستعانة بالمال على طاعة الله ، وإنفاقه في الوجوه الشرعية ، وعدم الاشتغال به عن عبادة الله عز وجل .

فالحل :﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الكهف: ٤٥-٤٦] .

فهذه حال الدنيا ، والصحابة رضي الله عنهم عرفوا حقيقة الدنيا ، فآثروا الآخرة على الدنيا ، فكم أنفقوا من أجل الدين ، وقد مدحهم الله بكثرة

الإنفاق ، كما قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [البقرة :٢- ٣] .

والله سبحانه مدحهم بالإنفاق ، لا بالجمع، فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥ ﴾[الحجرات:١٥] .

والذي عنده مزاج الجمع ، يأتي عنده مزاج التعدد ، والترفه ، والإسراف في كل شيء ، في أنواع المطاعم ، والمشارب ، وأنواع الملابس ، والمراكب ، وأنواع الأموال ، والشهوات ، والنساء : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠ ﴾ [الحديد :٢٠].

فالحل : انفق في سبيل الله لا تجمع ، وإذا لم تنفق في سبيل الله ، جرَّكَ الشيطان للإنفاق في سبيل الشهوات، والمحرمات، ومحرك الفتن والشهوات كلها هو الشيطان : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨ ﴾ [النساء:٣٨] .

فلابد لمن يريد النجاة والسلامة في الدنيا والآخرة ، أن يعمل للدين بقدر الطاقة ، ويأخذ من الدنيا بقدر الحاجة :﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج:٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۝٦٢ ﴾[يس:٦٠-٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص:٧٧] .

فالتعلق بالدنيا هو سبب الخسران والهلاك ، والتعلق بالله هو سبب الفوز والفلاح : ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران :١٠١].

فلابد من ترك ما يستحق الترك ، وأخذ ما يستحق الأخذ: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف: ٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت:٦٤] .

فهذه فتنة الدنيا والمال .

والحل لمن فُتِنَ بذلك ، هو إتباع الكتاب ، وإتباع الدين : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد :٢٠] .

والفلاح والنجاة في : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد : ٢١] .

فهذه هي فتنة الدنيا والمال ، وهذا حلها لمن فُتِنَ بذلك .
اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، وأجعل الجنة هي دارنا وقرارنا ، يا رب العالمين .
وذكر الله في سورة الكهف أربع فتن ؛ هي فتنة الدين ، ثم فتنة المال ، ثم فتنة العلم ، ثم فتنة المُلك .
وقد ذكر الله كل فتنة مع حلها .

فالفتنة الثالثة في هذه السورة هي فتنة العلم .

فالله هو العليم وحده بكل شيء ، وعَلَّمَ من علمه من شاء من عباده ، وأعظم من عَلَّمَ أنبياءه ورسله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل : ٨٩] .
وقال الله تعالى : ﴿ **وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء:١١٣] .
وموسى ﷺ عَلَّمَهُ رَبُّه ، واصطفاه لنفسه ، فأرسله داعيًا إلى الله ، ومُعلمًا لخلقه ، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[الأعراف:١٤٤] .
وموسى ﷺ كل حياته يدعو إلى الله ، ويعلم الناس شرع الله ، عاش في قصر فرعون ثلاثين سنة ، ثم عاش عشر سنين في مدين يرعى الغنم ، ثم عاش أربعين سنة في دعوة فرعون ، ثم أربعين سنة مع بني إسرائيل ، فكان عمره ﷺ مائةٌ وعشرون سنة .
موسى ﷺ طول حياته مُعلمًا ، لمَّا دخل قصر فرعون بكى يريد الحليب ، فالله حَرَّمَ عليه المراضع ، وأظهر ضعف فرعون أمام بني إسرائيل ، لا

يستطيع أن يسقيه قطرةً من حليب ، مع أنه قال أنا ربكم الأعلى ، وقال ما علمت لكم من إلهٍ غيري ، فحَرَّمَ الله عليه جميع المرضعات ، إلا لبن أمه ، فالمرأة التي في قلبها إيمان ، تُرضع ابنها الإيمان ، فجميع مرضعات مصر طمعوا في إرضاعه طمعًا في المال من فرعون .

والمرأة التي في قلبها حُبُّ الدنيا تُرضع ابنها حُبَّ الدنيا ، وجميع مرضعات مكة تركوا محمداً ﷺ ، فلم يقبلوا إرضاعه ، لأنه ليس له مال ، فزهدوا فيه ، فمرضعات مكة زهدوا في اليتيم الفقير ، ومرضعات مصر طمعوا في إرضاع موسى اليتيم ، ولكن الله لا يُريدهُنَّ : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القصص:١٠-١٤] .

ففازت بيتيم مكة حليمة السعدية ، وأرضعته الحلم والسعادة ، لأنها من بني سعد ، فأعطاه إياها جده عبد المطلب ، وقال : « نعم الحلم والسعد ، فيهما خير الدنيا والآخرة » .

وأعاد الله موسى لأمه يَرضع منها ، ويعود إلى قصر فرعون .

فسبحان الملك القادر الذي رَبَّىَ وَلِيَّه في قصر عدوه ، ولم يحرم أمه من رؤيته كل يوم ، وإفراغ حبها في قلبه : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا

﴿ تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣ ﴾ [القصص:١٣] .

ولما أرسل الله ﷻ موسى ﷺ إلى بني إسرائيل ، دعاهم إلى الله ، وخطب بهم خطبةً بليغة ، فلما فرغ من خطبته ، قام رجلٌ فقال لموسى هل يوجد على ظهر الأرض من هو أعلم منك ؟ ، فقال موسى لا .

وكانت هذه الخطبة هي آخر أيام دعوته ﷺ، والأنبياء لهم حقٌّ في تزكية أنفسهم ، وموسى كليم الله ، وما سوى الأنبياء لا يجوز أن يُزَكِّي نفسه ، فالله سَمَّىَ ذلك إثمًا مبينًا : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠ ﴾ [النساء:٤٩-٥٠] .

ولكن المطلوب من الإنسان أن يُزَكِّي نفسه ، بالتوحيد والإيمان ، والأعمال الصالحة :﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

والمطلوب التزكية بالعمل ، ليَرضَى الله عنها ، أما التزكية بالقول فلا يجوز ، أنا عملت كذا ، وأنا أهلٌ للتدريس والخطابة :﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾[النجم:٣٢].

فالتزكية بالعمل مطلوبة ، والتزكية بالقول مذمومة ، لهذا من مقاصد النبوة :﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾[الجمعة : ٢] .

فموسى ﷺ عَلَّمَه رَبُّه ، ولما قال ما قال أوحى الله إليه أن هناك من هو أعلم منك ، فقال موسى ﷺ يا رب أنا مستعدٌ لتحصيل هذا العلم ، وهذا العلم

علم الاسترشاد ، وليس مفروضًا على موسى ، وإنما طلب زيادة العلم ، على ما عنده من العلم : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه :١١٤] .

وقال إبراهيم ﷺ : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

فهو يُحب العلم ليعبد به ربه ، ويعلمه لمن أرسله الله إليهم من خلقه ، ومن طلب العلم بصدق ، عَلَّمَهُ الله ما لم يكن يعلم ، فإذا كانت زيادة الإيمان تحتاج إلى جهد ، فتحصيل الإيمان يحتاج إلى جهد ، وإذا كانت زيادة الأموال تحتاج إلى جهد ، فتحصيل الإيمان كذلك يحتاج إلى جهد .

والأنبياء والرسل هم أهل الإيمان ، ولكن طلبوا زيادة الإيمان ، لأن قوة الإيمان ثمرتها قوة الأعمال ولهذا قال الله ﷻ للمؤمنين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] .

وكما أوجب الله طلب الهداية ، بقوله سبحانه : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦] .

فكذلك أوجب الله جهد الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾ [الحج : ٧٨] .

والذي يطلب الهداية من الله بصدق ، الله يُرِيهِ الصراط المستقيم بصدق ، ويرزقه اليقين ، ويحفظه ، ويعطيه حياة الكُمَّل من الناس: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي

﴿ بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ ﴾ [الأنبياء:٦٩ - ٧٠] .

فهؤلاء صفاتهم أحسن الصفات ، وأعمالهم أحسن الأعمال ، ومن قام بجهد الدعوة إلى الله ، أعطاه الله هذه الكرامات : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

ولمَّا أخبر الله موسى ﷺ أن في الأرض من هو أعلم منه ، استعد موسى ﷺ للجُهد والذهاب إليه ، ولكن كم المدة ؟

أحقاب : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠ ﴾ [الكهف:٦٠] .

وما الزاد الذي حمله موسى في هذا السبيل ، فقط سمكة واحدة : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١ ﴾ [الكهف:٦١] .

فلما جاوز موسى المقصد ، وجد التعب ، فرجع إلى المكان الذي فيه الخضر : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ ﴾ [الكهف : ٦٢ – ٦٥] .

فموسى ﷺ لكمال محبته لله ، ومحبة للعلم ، ومحبته إبلاغ دين الله ، استعد في سبيل تحصيل العليم أحقابًا مفتوحة ، وحين سار موسى ﷺ بأمر ربه ، قال يا رب أين أستاذي ؟

فقال له ربه حين تفقد زادك ، فَثَمَّ أستاذك ، وموسى ﷺ خرج معه تلميذه يوشع بن نون ، ومزاج موسى القوة والشدة ، فهو الذي وكز القبطي فقتله ، وحمل الحجر عن البئر في مدين ، ولطم ملك الموت ففقع عينه ، فمشى في هذا السبيل مع كِبَرَ سنه ، وتحَمَّلَ المجاهدة في رحلة مفتوحة الزمن ، ليس حقبًا واحدًا ، بل حُقُبًا ، والحُقْبُ ثمانون سنة ، فهل المدة التي نخرج بها الآن كافية لإزالة الباطل من العالم ، ونشر الخير والهدى فيه ؟

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فما أعظم تقصيرنا ، وما أعظم إضاعتنا للعالم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وفي الطريق وقف موسى ﷺ للراحة والقيلولة عند مجمع البحرين فنام ، ويوشع المكتل قد انفتح ، والسمكة قد خرجت منه ، ودخلت البحر ، فرأى عجبًا : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الكهف:٦٣]

فالفتى لم يتحمل هذا الأمر ، ولم يُخبر موسى ﷺ بما حصل ، حتى جاء الجوع في موسى ، فطلب الزاد ، فقال له الزاد قد ذهب فأخبره : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الكهف : ٦٣] .

فماذا قال موسى ﷺ ليوشع فتاه ؟

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الكهف : ٦٤] .

فلما رجعا وجدا رجلًا مُغطى ، عند المكان الذي فقدا فيه الحوت : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف:٦٥].

فكشف عنه الغطاء ، وقال السلام عليكم ، فقال له : لا سلام عليك في هذه الجزيرة ، ثم قال له : من أنت ؟

قال : موسى ، قال : موسى بني إسرائيل ؟ ، قال له : من أخبرك ؟ ، قال : الذي أرسلك ثم : ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾[الكهف : ٦٦] .

تَلَطَّفَ موسى الرسول مع الخضر في سبيل كسب مودته ، والانتفاع من علمه ، لأن المدرسين ، والمعلمين ، عندهم الحزم والشدة ، فماذا قال له الخضر ؟

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾[الكهف : ٦٧] .

ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾[الكهف : ٦٨].

لكن موسى ﷺ تَعَلَّمَ الصبر مع فرعون ، وفي مدين ، ومع بني إسرائيل أسوء أمة ، فماذا قال له ؟

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾[الكهف:٦٩] .

فموسى ﷺ خرج من دائرة الصابرين مع الخضر ، بقوله صابرًا فلم يصبر .

أما إبراهيم ﷺ فحين قال لابنه : ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾[الصافات : ١٠٢] .

فقال له إسماعيل : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الصافات : ١٠٢] .

فلما دخل إسماعيل في دائرة الصابرين حُفِظَ ، وموسى لما خرج من دائرة الصابرين لم يستطع الصبر ، وهكذا فجُهد الدعوة إلى الله عملٌ عالميٌ عظيم يحتاج إلى الصابرين ، لا إلى الصابر ، فلابد للصابر أن يصبر مع الصابرين ، ويجتهد مع الصابرين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة : ١٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[آل عمران : ١٤٦] .

فمن خرج من دائرة الجهد الاجتماعي ، لا يستطيع أن يصبر : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

فجُهد الدعوة إلى الله عمل الأمة كلها ، وقوته في الاجتماع عليه ، ومعية الله معه : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[التوبة : ٤٠] .

وقال الله لموسى وهارون : ﴿ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه : ٤٦] .

ولا يوجد عمل اجتماعي يجمع الأمة على الدين إلا هذا الجهد العظيم ، فهذا العمل الاجتماعي جمع العرب مع العجم ، والبيض مع السود ، والعلماء والعامة ، وصارت الحركة من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، وصارت الرحمة تنتقل من بلدٍ إلى بلد ، ومن دولةٍ إلى دولة ، ومن قارة إلى قارة ، فأصبحت رحمةً عالمية في كل الأرض ، مقصدها أن يُعبَد الله وحده لا شريك له ، وجمع الأمة على الهدى ، لا على الهوى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة : ٧١] .

موسى ﷺ لمَّا وَصَل إلى الخضر ، وطلب صحبته ليتعلم منه ، أخذ الهدايات من الخضر : الصبر ، عدم الاستعجال ، عدم السؤال : ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الكهف : ٧٠] .

وبدأ أول اختبار : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الكهف : ٧١ – ٧٤] .

فكل إنسان يشرب من بئره ، فالذي لا يعلم يصبر حتى يسأل من يعلم ، وهل الرسول ﷺ كلما سُئِل أجاب ؟

لا ، وأحيانًا بعض الأسئلة يُراد منها بعض الشيء ، فلا يُجيب إلا بحكمةٍ حسب المصلحة ، فلم يصبر موسى وخالف الهدايات ، فماذا قال له الخضر ؟ :

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الكهف : ٧٥] .

فقال موسى ﷺ : ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الكهف : ٧٦] .

وكفار مكة سألوا اليهود أسئلةً يعجزون بها النبي ﷺ ، فقالوا لهم سلوه عن فتيةٍ هلكوا في الدهر الأول ماذا كان من شأنهم ؟ ، وعن رجلٍ طواف طاف مشارق الأرض ومغاربها ؟ ، وعن الروح ؟ .

فأجابهم الله في هذه السورة عن الفتية ، وذو القرنين ، ولكنهم لم يسألوه عن موسى ، يريدون إظهار عجز النبي ﷺ ، ولكن الله ذكر قصة موسى ﷺ ، فالله أرسل نبيكم يتعلم ممن هو أدنى منه ، أما محمد ﷺ فالذي علمه شديد القوى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء : ١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[النجم : ٥ – ٦] .

فموسى النبي ﷺ ، جعله الله تلميذًا يتعلم ممن هو أدنى منه الخضر وأحيانًا السكوت هو الجواب ، كما هو جواب السؤال عن الروح : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] .

فالآن موسى ﷺ في أول اختبار في أمر السفينة ، اعترض ، أو لم يعترض ، اعترض على خرقها ، لأن أمامه الشريعة، لا يجوز المساس بحق الآخرين ، والخضر أمامه أمر الغيب ، فهذا عنده شريعة ، وهذا عنده شريعة ، فاعترض موسى ﷺ حسب شريعته ، ثم اعتذر للخضر بأمر شرعي ، وهو النسيان ، فَقَبِلَ منه : ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الكهف :٧٣] .

ثم جاء الاختبار الثاني أصعب من الأول ، فدخلوا القرية فقتل الخضر غلامًا صغيرًا، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الكهف : ٧٤] .

فاعترض موسى ﷺ مرةً ثانية ، وقال قتل النفس منكر ، فقال له الخضر : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[الكهف : ٧٥] .

ثم اعتذر موسى منه فقال : ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾[الكهف : ٧٦] .
فَقَبِلَ منه .
ثم دخل بعد قرية النفس الزكية قرية البخلاء، كما قال سبحانه : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾[الكهف : ٧٧] .
فماذا قال الخضر لموسى ﷺ ؟
﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾[الكهف : ٧٨] .
فلما دخلوها استطعما أهلها ، فلم يجدوا لا ضيافةً ولا طعامًا ، فهل مثل موسى ﷺ يسأل ؟ ، وكم نسبة جوع موسى ﷺ ؟ ، جوع موسى ﷺ كبير ، ولكن لتحصيل الإيمان كم قَدَّمَ من التضحية ، فلمَّا لم يضيفوهم ، ولم يطعموهم ، قال الخضر الآن نبني الجدار ، ولمَّا تم البناء ، موسى ﷺ أعطى رأيه ، فقال : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾[الكهف : ٧٧] .
فجاءت الدنيا ، وإذا جاءت الدنيا في العمل فسدت الثمرة ، ثم قال الخضر : ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾[الكهف : ٧٨] .
فالدنيا إذا دخلت في الدعوة فسدت التربية ، والدعوة كلها تربية ، فلمَّا خرجوا من تلك القرية ، وجدوا ذلك الجدار فَبَنَوْهُ ، ومن شدة جوع موسى ﷺ طلب الأجرة على العمل ، فقال له هذا فراق بيني وبينك ، الذي عندي لا تستفيد منه ، والذي عندك لا استفيد منه ، ولكن هل يتركه الخضر دون أن

يخبره ؟ ، وتصبح القلوب متفرقة ؟ ، لا ، بل بَيَّنَ له الحقائق ، فماذا قال له ؟

قال : ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾[الكهف : ٧٨] .

لهذا لاستمرار هذا العمل ، نجتنب من المعاملات ما يفسده من الدنيا ؛ الشراكة ، والكفالة ، والوكالة ، والسلفة : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات : ٥٠-٥١] .

فقال الخضر لموسى ﷺ في شأن السفينة : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الكهف: ٧٩] .

فهذه السفينة التي خرقتها، إذ لم تكن مخروقة تكون مغصوبة فأيهما أفضل ؟ ، مخروقة أم مغصوبة ؟ .

فخرقها لسلامتها لأهلها، وهكذا الدعوة تكون على البركة ، لكن وفق السُّنَّة ، وإلا اخترقها العدو ، وفَرَّقَ أهلها ، ومَزَّقَ شملها ، فهذه الدعوة إلى الله سفينة النجاة ، من ركبها نجا ، ومن لم يركبها غرق في الدنيا والشهوات ، فلابد للسفينة أن تكون محُكمة ، لئلا تغرق .

وأما الغلام فقال له : إن الغلام إذا شب أساء إلى أبويه وأفسدهما ، ولكن يموت ويصبر والداه ، ويلتقيان في الجنة أفضل ، فقتله لهذا السبب .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾[الكهف : ٨٠-٨١] .

وأما الجدار فلغلامين ضعفاء ، فلو تركه يسقط ، أخذ البخلاء المال الذي تحته ، فببركة أبوهما الصالح حَفِظَ الله لهم المال ، وبني لهما الجدار ، ليبقى المال ، حتى يكبرا ويأخذاه : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الكهف:٨٢] .

فبعث الله نبيًا ورجلًا صالحًا يبنون الجدار لهذا السبب .

فموسى ﷺ عنده علم ، والخضر عنده علم : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ﴾ [الكهف:٨٢] .

فالداعي لا يأخذ المال مهما بلغت به حال الجوع ، فالله يقضي حوائجه إذا توكل عليه ، لأن الدعوة لا ترتبط مع الأشياء ، وإنما ترتبط بالأعمال .

فهذه الفتنة الثالثة ، فتنة العلم ، وهذا حلها ، فلا نُزَكِّي أنفسنا مهما كنا ، بل ننسب كل فضلٍ وعلمٍ إلى الله وحده : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل : ٥٣] .

فهذه الفتن لابد أن تمر على الأمة ، وقد تقدمت الفتن الثلاث .

أما الفتنة الرابعة فهي فتنة الملك .

فذو القرنين تجول في العالم ، لأنه ممن ملكوا العالم ، ولكن تجول في العالم من أجل الملك : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾[الكهف : ٨٣-٨٤] .

فسار في الأرض مشرقًا ومغربًا ، ورأى ملك الله الواسع العظيم ، فاستخدم ملكه لأجل رحمة الخلق ، فحفظه الله ، وحفظه ملكه من يأجوج ومأجوج: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الكهف :٨٥-٩٧] .

فالملك يُحفظ إذا استُخدم لرحمة الخلق : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الكهف : ٩٨] .

فهذه فتنة الملك التي ذكرها الله في سورة الكهف ، وحلها إذا حصلت لأحد، أن يستخدم الملك لحفظ الدين، فيحفظه الله ، ويحفظ ملكه ورعيته.

فالدعوة للتربية ، لابد أن تكون محكمة لئلا تغرق ، وهي مرتبطة بالأعمال لا بالأشياء فافهم : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات :٥٠- ٥١] .

هذه القصص الأربع التي سببها فتنة الدين ، ثم فتنة المال ، ثم فتنة العلم ، ثم فتنة الملك .

فحفاظة أهل الكهف بكهف له أربعة جدران ، وهذه الأمة حفظها في أربعة أعمال :

الدعوة إلى الله .. وعبادة الله وحده .. وتعلم وتعليم شرع الله .. والإحسان إلى الخلق، لتعم الرحمة البشرية : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة :٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾** ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

والحفاظة بالأعمال أعظم من الحفاظة بالجدران .

والقصة الثانية : هذه زيارة واحدة لصاحب الجنة ، ونحن في الدعوة إلى الله كم زيارة نزورها من أجل الله ، لدعوة الناس إلى الله ! .

والقصة الثالثة : موسى ﷺ تعلم ثلاث مسائل ، ونحن الآن ، كم الله علمنا من علم الشريعة في القرآن والسنة ما نشكره عليه ! فعلم النبي ﷺ أعظم من العلم الذي حصله موسى ﷺ : ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾** ﴾[النساء : ١١٣] .

والقصة الرابعة : ذو القرنين تجول لوحده بالدين، وهذه الأمة تتجول جماعات في العالم لهداية البشرية: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وما هو الحل ؟

لابد من الحركة في العالم ، لحفظ أنفسنا من فتنة الدين ، وفتنة المال ، وفتنة العلم ، وفتنة الملك : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة :٤١] .

فالفتية تحركوا ، وهذا المؤمن تحرك إلى صاحب الجنة ، وموسى تحرك ، وذو القرنين تحرك ، فمن لم يتحرك لنشر الهداية في العالم فلينتظر العقوبة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة : ٣٨ - ٣٩] .

وهذه الفتن العظيمة هي التي يأتي بها الدجال في آخر الزمان ، فإنه يفتن الناس في دينهم ويقول : أنا ربكم الأعلى .

ثم فتنة الأرض ، فالأرض تخرج كنوزها له .

ثم فتنة العلم ، فجميع علوم الدنيا تحت قدميه ، وعلماء العالم يتبعونه .

ثم فتنة الملك ، فإنه يمسح الأرض إلا مكة والمدينة .

فالنجاة في ذلك الزمان سورة الكهف بالجهد الذي يحفظ الناس من تلك الفتن العظيمة ، ولهذا آخر هذه السورة : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وتشرع قراءتها في كل جمعة ، أو ليلة جمعة ، أو أسبوع الجمعة ؛ ليُحفظ الإنسان من هذه الفتن العظيمة التي يأتي بها الدجال في آخر الزمان .
وقد قال النبي ﷺ عن الدجال : «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ ، وإن يخرج ولست منكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم » أخرجه مسلم.[1].
وقال ﷺ: « مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ».أخرجه مسلم[2].
وذو القرنين عبد صالح، ملَّكه الله الأرض ، وأعطاه العلم والحكمة ، وألبسه الهيبة ، وبلغ ملكه مشرق الأرض ومغربها : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾[الكهف : ٨٣ – ٨٤] .
وسُمي بذي القرنين لأجل بلوغ ملكه قرني الشمس ، أي مطلعها ومغربها . وقيل سمي بذلك لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس ، أو لأنه طاف قرني الدنيا شرقًا وغربًا ، وقيل لأنه كان له قرنان أي ضفيرتان . والله أعلم .
اللهم احفظنا من جميع الفتن ، ما ظهر منها وما بطن : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾آل عمران: ٨] .

(١) صحيح/ أخرجه مسلم برقم (٢٩٣٧) .
(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٠/ ٢٩٣٧).

٩- حقيقة الدعوة إلى الله.

ملة هذه الأمة ملة إبراهيم، ملة التضحيات، والبذل والعطاء والترك، والتحمل، من أجل أن يُعبد الله وحده لا شريك له:﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) ﴾ [النحل:١٢٠-١٢٣] .

وقد منَّ الله ﷻ على هذه الأمة، وشرفها بأعظم شيء ، وهو الدعوة إلى الله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) ﴾[الشورى : ١٣] .

فهذه الآية جمعت الخمسة الأوائل في العالم في جهد الدعوة إلى الله : (**نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ، ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام**) ، بعثهم الله لإقامة الدين ، والدعوة أكبر سبب لإقامة الدين ، وزوال الباطل : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾[الإسراء :٨١] .

فرفع الله ﷻ مقام هذه الأمة ، بأن جعل شريعتهم كشريعة الخمسة الأوائل في العالم ، أولوا العزم من الرسل ، وهذا أمر عظيم ، ولعظمة هذا الجهد ، فثوابه عظيم لمن قام به من هذه الأمة : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ وَرِضۡوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ [التوبة :٧١-٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

فهذه الآية خاصة بهذه الأمة ، فهي ترافق الأنبياء والرسل ؛ لأن جهدها كجهد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

والنبي ﷺ رفع هذه الأمة إلى أعلى مستوى في الدين ، بتربيتهم على الدعوة من أول يوم ، فلما عرفوا مقصد حياتهم ، نزلت الأحكام والشريعة بعد ذلك في المدينة : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ولا تصل الأمة إلى هذا المستوى إلا بالدعوة إلى الله ، وإصلاح آخرة الإنسان .

والفتوى لصلاح أمور الإنسان ، لذلك في مكة دعوة بلا فتوى ، والفتوى في الأحكام جاءت بعد فهم الدعوة إلى الله ، والذين فهموا المزاج هم السابقون الأولون : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

فعرف الصحابة هذا المزاج ، فطبقوا ما علموا ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه : .

وسنة الله في كل زمان ، يوجد سابقون أولون ، فالسابقون الأولون في عهد النبوة ، هم المهاجرون والأنصار ، وفي زماننا كل من سبق لما سبقوا إليه من التضحية من أجل إقامة الدين : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

والله سمى هؤلاء السابقون في كل زمان خير البرية ، ومن خالفهم سماهم شر البرية، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة :٦– ٨] .

والسابقون الأولون في هذا الجهد العظيم قليل ، لكنهم خير البرية ، من كانوا وحيث كانوا ، في كل زمان ومكان : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤ ﴾ [الواقعة :١٠– ١٤] .

وفي القرآن المكي بين الله تفاصيل نعيم الجنة ، وتفاصيل عذاب النار ، وهذا ليس للمصلين المزكين الحجاج ، بل هو لمن قام بذلك ، مع جهد إقامة الدين ، وتفاصيل النار لمن قام ضد الدعوة ، فأولئك هم شر البرية ، وهم الذين قتلوا في بدر ، فالوصول إلى رحمة الله والجنة لا يكون إلا بجهد الدعوة ، مع القيام بالأعمال الصالحة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ

وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾[الأنفال :٧٤- ٧٥] .

فالله ﷻ أعطى هذه الأمة ميراث جهد الدعوة بعد الأنبياء، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٞ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٞ وَمِنْهُمْ سَابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤْلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ ﴾[فاطر : ٣٢-٣٦] .

فالله ﷻ أكرم هذه الأمة ، أمة محمد ﷺ ، بهذا الميراث العظيم ، بفضله ومنه، كما قال سبحانه : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولٗا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة : ١٥١- ١٥٣] .

وفي الشريعة الميراث حق لجميع الورثة ، ولكن ميراث الأب طمعنا فيه ، وميراث الرب زهدنا فيه ، فنستغفر الله ونتوب إليه .

وميراث الأب فرق بين الأخ وأخيه ، وميراث الرب جمع بين الناس : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنٗا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٞ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٣-١٠٥] .

بهذا الميراث العظيم جمع الله الصحابة مع نبيهم لما قاموا به من هذا الجهد العظيم : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

ولقيامهم بهذا الجهد العظيم ، أكرمهم الله بثلاث كرامات :

١- رضي الله عنهم ، ورضوا عنه .

٢- يحبه ويحبونه .

٣- ثم تاب عليهم ليتوبوا .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

ففاز بهذا الجهد العظيم من فاز ، وخسر بتركه من خسر : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر : ١-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون : ١-١١] .

وأما في الآخرة فأكرمهم الله بالجنة والرضوان : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢] .

والقرآن نزل يبين جهد الأنبياء والرسل ، ويكشف صفات الصحابة الذين قاموا بجهد الأنبياء والرسل : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب : ٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة : ١٥-١٧] .

وتحصيل صفات الأنبياء والرسل ، نصل إليها بجهد الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله ، لا بعبادة الأنبياء ، فالله ذكر في القرآن جهد الأنبياء ، ولم يذكر عبادة الأنبياء : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٨٩-٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب : ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم:٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾[مريم:٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم:٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾[مريم:٥٦] .

أذكر إيمانهم ، وتوحيدهم ، وأخلاقهم ، وجهدهم في الدعوة إلى الله عز وجل فتحصيل الدين بالمجاهدة ، وتحصيل الدنيا بالمشاهدة .

والثبات على الدين ، وعلى الدعوة ، يحتاج إلى افتقار إلى الله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥] .

وأعداء الدين كثيرون ، فلابد من الدعاء والاستغاثة بالله القوي العزيز : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنفال : ٩ -١٠] .

والاستقامة على جهد الدعوة إلى الله يحتاج إلى توبة متكررة : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات :١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور : ٣١] .

والدعوة إلى الله مقصودها أولًا النفس ، فالدعوة للداعي تركيزًا ، ولغيره تذكيرًا : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية : ٢١] .

ذكرهم بالعهد الأول الذي أقروا فيه لربهم بالوحدانية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن

قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣].

فحظ الإنسان من جهد الدعوة حظه من ربه ، ومن توقف جهده توقف حظه : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وكل إنسان محتاج إلى ربه في كل شيء : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر : ١٥] .

والمحتاج ، ليحصل حاجته ، لابد أن يستقيم على العمل : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود :١١٢] .

والكمال لله ، فمن لا يرى نفسه مخطئًا فهو مخطئ : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات :١١] .

فأصل الجهد لإصلاح النفس : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت : ٦] .

والاستقامة لا تكون إلا بالابتلاء بالسراء والضراء ، فالصحابة رضي الله عنهم نجحوا فصاروا خبراء جهد ، فرضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، وسلَّم لهم القلوب ، والقوالب ، والبلدان ، ولو كانوا خبراء عبادة ، لم يخرجوا من مكة ؛ لأن الصلاة فيها بمائة ألف صلاة ، ولم يخرجوا من المدينة لأن الصلاة فيها بألف صلاة : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة :١٠٠] .

وجهد الدعوة بدايته أحوال شديدة ، وهذه الأحوال هي مادة الجهد ، ليقوم بنيان الدين ، فكل بنيان يحتاج إلى مواد ، والدين لا يقوم إلا مع الأحوال

المخالفة ، لا الأحوال الموافقة ، ليحصل الإخلاص ، ويظهر الصادق من الكاذب ، ويحصل الافتقار لمن تعمل ، ولماذا تعمل : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة:٥].

فكل جهد خرج منه الإخلاص ، خرج منه : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة :٥].

وأي جهد خرج منه الافتقار إلى العجب، خرج منه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة : ٥] .

وسنة الله اليسر يأتي بعد العسر ، وبعد المحن تأتي المنح ، وسورة يوسف نزلت في مكة وفيها : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾[يوسف : ١٠٨] .

نزلت في آخر سورة يوسف ﷺ بعد الابتلاءات العظيمة ، ونزلت على النبي ﷺ والأحوال في منتهى الشدة ، في بداية الدعوة في مكة ؛ فأهل مكة لم يقبلوا الدعوة ، وأهل الطائف لم يقبلوا الدعوة ، ثم جاءت النصرة من الله بعد اكتمال المجاهدة والتضحية، فهذا سبيل الدعوة إلى الله : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٨٩﴾[التوبة : ٨٨ – ٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١١٠﴾[يوسف :١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال : ٢- ٤] .

أهل مكة الذين دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام ، عندهم إقرار بالربوبية لله، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[لقمان:٢٥] .

فليست المشكلة عند كفار مكة في شهادة ألا إله إلا الله ، وإنما المشكلة في شهادة محمد رسول الله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنعام : ٣٣] .

فكفار مكة حسدوا النبي ﷺ على النبوة ، فكفروا به وحاربوه : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾[الزخرف : ٣١] .

فحسده قومه ، ثم حسده اليهود :﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء : ٥٤ –٥٥] .

ثم حسده النصارى كما في قصة هرقل ، وتمسكه بملكه عن إتباعه ، فكسرى استكبر ، وهرقل حسده ، وظن بملكه على الإيمان بالله .

والدواهي في ثلاث :

الكبر ، والحسد ، والحرص .

فإبليس حسد آدم ﷺ ، واستكبر عن السجود له .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

والله جعل آدم في الأرض خليفة ، والخليفة مَظهر لآثار صفات اللهفي المخلوق : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة : ٣٠] .

والجسد عورته ما بين السرة والركبة ، فيجب سترها ، أما النفس فكلها عورة ، لا يسترها إلا الدين : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس : ٧-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف : ٥٣] .

فجهد الدعوة إلى الله يحفظ النفوس ، ويستر عوراتها من الجشع والظلم ، والكبر والعجب .

وجهد الدعوة أسهل شيء ، لكن إذا دخلت فيها النفس ، صار أصعب شيء ؛ لأن النفس ضد الدين .

وجميع أعمال الدنيا اكتسابية ، من تعليم وطب وغيرها ، أما جهد الدعوة فهو اجتبائي من الله : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾[الحج : ٧٨] .

وقال الله تعالى لموسى ﷺ: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾[طه : ١٣] .

وقال الله تعالى لموسى ﷺ : ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾[طه:٤١] .

ولهذا جاء الحسد من الناس للداعي ، فالذي قام بهذا الجهد الله اختاره واجتباه ، فلماذا الحسد ؟ .

يوسف ﷺ أُعطي شطر حسن المخلوقات كلها . ويعقوب في المجلس لا ينظر إلا إليه ، فحسده إخوته ، وكادوا له .

ومحمد ﷺ أُعطي الحسن كله ظاهرًا وباطنًا ، ولكنه الله حجب حسنه حتى لا يفتتن به ، وغدًا تراه بكمال حسنه عند الحوض كما قال النبي ﷺ : « أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ ».متفق عليه (1).

والحسد في مجال الدعوة إلى الله يأتي عند البيان ، أو عند الشورى ، فالذي وهب حسن البيان هو الله ، فمن كان مقصوده نظر الناس حسدوه ، وكل ذي نعمة محسود ، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالاستعاذة من الشرور والحسد بقوله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق:١-٥] .

والبيان فتح من الله للمؤمن كرامة ، وللمنافق استدراجًا : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[البقرة :٢٠٤- ٢٠٦] .

فابن سلول قوله عجيب ، والفتح الثاني على الجسد ، فيكون مستعدًا للتضحية ، والفتح الثالث على القلب ، فهذا صاحب اليقين والصفات ،

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٠) ، ومسلم برقم (٢٢٩٠) .

ولكن لا يراه أحد ، وإذا جاء الحسد بدأ الشر : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق : ٥] .

والشر نوعان :

شر من النفس .. وشر من الشيطان .

فكل إنسان فيه شران : شر النفس ، وشر الشيطان ، وإذا اجتمعا على العبد هلك : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[الناس :١- ٦] .

وحسد أخوة يوسف سببه المحبة ، ولذلك تشاوروا في قتله ، أو طرحه في الأرض ، أو إلقائه في الجب .

وكلما زاد حبه زاد حسدهم ، وأي مشورة باطل الشيطان يجمع أراءهم ، وأي مشورة حق الشيطان فورًا يغير أراءهم .

وفي دار الندوة قررت قريش التخلص من النبي ﷺ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال : ٣٠] .

فحضر إبليس معهم ، فأعطاهم رأيًا أقروه ونفذوه فوراً ، ولكن الله حفظ منه نبيه ﷺ ، وحفظه من شر الحاسدين ، وأظهره عليهم : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

والاختلاف سنة، والخلاف مرفوض، وحل الخلاف في الشورى دائماً : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

واللسان أخطر شيء في الإنسان ، صغير حجمه ، كبير جرمه ، ولهذا قال النبي ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ».متفق عليه[1].

وسنة الله ﷻ نصرة من آمن به ، واستعان به : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر : ٥١] .

وأي حال تأتي على الدعوة ، تزيد من جمال الدعوة . وأي حال تأتي على العبادة ، تنقص من جمال العبادة .

فمن جاء عليه المرض ، صلى قاعدًا . ومن مرض ، أخر الصيام .

والعبادة مبنية على الرخص ، أما الدعوة فمبنية على المجاهدة والعزيمة : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان : ٥٢] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨) ، ومسلم برقم (٤٧) .

والدعوة مربوطة بالهداية ، فهي واجبة في كل حال : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

ولكل مال وغال خزينة تحفظه ، وخزينة هذا الجهد العظيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

فخزينتنا في جهد الدعوة إلى الله هم المشاركون في هذا الجهد العظيم ، ومن هذه الخزينة يُحفظ الدين ، وينتشر الدين في العالم : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنفال:٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

والداعي يدعو إلى الرب الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى ، وأن يُذكر فلا ينسى ، وأن يُشكر فلا يُكفر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٢-١٠٣] .

فهو سبحانه الإله الذي يستحق أن يوله ، ويعبد وحده لا شريك له ، الإله الذي تألهه القلوب ، وتصمد إليه بالحب والتعظيم ، والخوف والرجاء ؛ لما

له من صفات الكمال ، ونعوت الجلال والجمال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه : ٨] .

والداعي يدعو إلى الرب القائم بالخلق والتدبير في ملكه وملكوته ، الذي خلق الخلائق وأنشأها ، ويقوم على هدايتها وإصلاحها وحفظها ، الذي خلق الأشياء وأنشأها من العدم ، الذي يدبر الأمر في خلقه ؛ بهدايتهم لمصالحهم ، وتصريف أحوالهم ، والعناية بهم : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

والداعي يدعو إلى الله وحده لا شريك له ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، المألوه الذي تحبه القلوب وتعظمه ، وتعبده وتطيعه عن محبة وتعظيم وتسليم ، لجلاله ، وجماله ، وإحسانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢١- ٢٢] .

فمن آمن بالله وأهله وأطاعه ، وأقر له بأنه الإله الذي لا إله إلا هو ، الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، وهؤلاء هم الموحدون السعداء : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٢- ٤] .

ومن أشرك به ، وكفر به فهؤلاء هم الأشقياء ، فصاروا إلى النار جزاء كفرهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء : ٥٦].

وقد اجتمع الخلق بصفة الربوبية ، فالله خلقهم، وهو الذي يربيهم ، فالله رب كل أحد، وخالقه ، ورازقه ، وافترقوا في صفة الإلهية ، فهو إله من يعبده .

فالربوبية جمعتهم ، والإلوهية فرقتهم ، فمن آمن به هو الموحد ، ومن كفر به فهو المشرك : ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان : ٢ – ٣] .

والله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، فما ذكر اسم الله في قليل إلا كثره ، ولا عند خوف إلا أزاله ، ولا عند كرب إلا كشفه ، ولا عند هم إلا فرجه ، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة ، ولا تعلق به ذليل إلا أفاده العزة ، ولا تعلق به مضطر إلا كشف الله ضره : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[النمل : ٦٢] .

والله سبحانه أرسل رسله وأنبياءه رحمةً بعباده ، ومن عظيم رحمته بعباده أن أرسل إليهم مائة وأربعة وعشرين نبيًا ورسولًا يدعونهم إلى الله ، يدعونهم إلى الحق ، يدعونهم إلى الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل : ٣٦] .

والله سبحانه أكرم أمة محمد ﷺ بما أكرم به الأنبياء والرسل ، وهو الدعوة والعبادة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران : ١١٠] .

وكلفهم جل جلاله ، وشرفهم بالدعوة إلى الله، فقال : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

ورغبتهم في الدعوة إلى الله بقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت : ٣٣- ٣٥].

فالله ﷻ يريد من هذه الأمة أن يكونوا عبَّادًا لله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج : ٧٧] .

وأن يكونوا دعاةً إلى الله إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل : ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٤] .

وقال سبحانه : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ

ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج : ٧٨] .

ويريد منهم أن يكونوا عالمين بالله وبشرعه ، معلمين لذلك : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران : ٧٩] .

وأن يكونوا كذلك على أحسن خلق، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم : ٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران : ١٣٣- ١٣٤] .

فهذه الأمة خير الناس ، وأحسن الناس الذين يدلون الناس على رب الناس ، فما أعظم عملهم ، وما أحسن ثوابهم : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة :٧١- ٧٢] .

والعابد من هذه الأمة جميل مليح بتوحيده ، وإيمانه ، وأقواله الحسنة ، وأعماله الصالحة ، وأخلاقه الكريمة ، فهذا العابد مليح يذهب إلى مليح كالمساجد ، ومجالس الإيمان ، وإخوانه المؤمنين ؛ فيزداد ملاحة ، ويقوى إيمانه ، وتزيد حسناته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف : ١٠٧-١٠٨] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَو رَاحَ أَعَدَّ الله لَهُ نُزُلَهُ فِي الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ ». متفق عليه(١).

أما الداعي إلى الله ، فهو مليح بتوحيده ، وإيمانه ، وأعماله الصالحة ، يذهب إلى مليح كالمساجد ، ومجالس الإيمان ، وإخوانه المؤمنين ، ويذهب كذلك إلى قبيح ، وهم الكفار والعصاة ، ويذهب إلى مجالس الغفلة والفساد ، يدعو إلى الله ؛ فيزداد ملاحةً ، ويقوى إيمانه ، وتزداد حسناته ، وينشر الملاحة ، ويكون سببًا في دخول مليح جديد في الدين: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٦٢) ، ومسلم برقم (٦٦٩) .

فللداعي إلى الله أجر العبادة ، وأجر الدعوة إلى الله بخلاف العابد فقط : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت :٣٣- ٣٥] .

ومن كرم الله ﷻ على الداعي أن الله ﷻ يكتب له أجر الدعوة ، وإن لم يهتدي على يديه أحد ؛ لأنه قام بالدعوة إلى الله ، والهداية بيد الله وحده ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته ، فإذا أسلم من دعاه كان هذا أجرًا آخر فوق ذلك لهذا الداعي : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص : ٥٦] .

ومن رحمة الله ﷻ بالكافر ، أنه إذا أسلم ، ثم أحسن في إسلامه ، فالسيئات تغفر له، لقوله سبحانه : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾: [الأنفال:٣٨] .

وأعمال الخير التي فعلها الكافر حين كفره من صدقة ، وإحسان ، وبر الوالدين ونحو ذلك يثاب عليها بعد إسلامه .

عن حكيم بن حزام ؓ أنه قال لرسول الله ﷺ : « أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ ، هَلْ لِي فِيهَا مِنْ شَيء ؟ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسَلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ» . متفق عليه[1].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٩٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٤/ ١٢٣).

ومن أسلم ثم أساء فيؤاخذ بالأول والآخر لقوله ﷺ : «مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ ». متفق عليه[1].

- **كرامات الله للدعاة إلى التوحيد :**

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت :٣٣- ٣٥] .

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رجلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ». أخرجه مسلم[3].

ولما قام إبراهيم ﷺ بإظهار حجة الله في التوحيد ، ونصرها ، ودافع عنها ، ونشرها ، وصبر عليها ، أكرمه الله ، وأنعم عليه ، وأحسن إليه ؛ جزاءً على جهده العظيم في الدعوة إلى التوحيد ، والذب عنه .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠/ ١٢٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٠٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٤/ ٢٤٠٦).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

ومن تلك النعم ووجوه الإكرام والإحسان ما يلي :

أولًا : أن الله عز وجل أتاه حسن الحجة على قومه ، وهداه إليها ، وأوقف عقله على حقيقتها ، وذلك من أشرف النعم، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٧٤-٨٢] .

وأفحم إبراهيم ﷺ ملك زمانه بقوة الحجة، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[البقرة : ٢٥٨] .

ثانيًا : أن الله ﷻ خص إبراهيم ﷺ بالرفعة والدرجات العالية في الدنيا والآخرة، بالعلم، والنبوة، والحكمة، والشرف، والثواب العظيم في الجنة،

كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[النحل:١٢٠-١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾[الأنعام:٨٣] .

ثالثًا : أن الله ﷻ جعل إبراهيم ﷺ عزيزًا في الدنيا ، لأنه جعل أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل ، من نسله إلى يوم القيامة ؛ جزاءً على قيامه بنشر التوحيد ، والذب عنه ، والصبر عليه : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء : ٥٤ -٥٥] .

وقال الله تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنعام : ٨٤ - ٨٧] .

رابعًا : أن الله ﷻ جعل إبراهيم ﷺ في أشرف الأنساب ، لأن الأنبياء من بعده كلهم من ذريته ، وأخرجه من أصلاب آباء طاهرين مثل نوح ، فاكتمل شرفه من جهة الآباء ، ومن جهة الأولاد .

خامسًا : أن الله خص كل طائفة من طوائف الأنبياء من ذريته بنوع من الإكرام والفضل تميز به .

فالملك والسلطان والقدرة ، أعطى الله سليمان وداود منها نصيبًا عظيمًا .
والبلاء الشديد خص الله به أيوب ﷺ .
ومنهم من جمع بين الملك والسلطان مع البلاء الشديد ، وهو يوسف ﷺ ، فإنه نال البلاء الشديد في أول الأمر، ثم وصل إلى الملك في آخر الأمر، ثم تمنى لقاء ربه، فقال : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يوسف : ١٠١] .
ومنهم من خصه الله بقوة المعجزات، والمهابة العظيمة، والتقريب والتكريم العظيم ، وذلك في حق موسى ﷺ : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[النساء : ١٦٤] .
ومنهم من خصه الله بالزهد الشديد ، والإعراض عن الدنيا ، وترك مخالطة الخلق ، وذلك في حق زكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين .
والأنبياء الذين لم يبق لهم بين الخلق أتباع وأشياع وهم : إسماعيل ، واليسع ، ويونس ، ولوطًا .
فهذه مراتب الأنبياء والرسل من ذريته ، وقد ذكرهم الله على الترتيب في كتابه العظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا

فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٣ - ٨٩] .

ثم ختم الله ذرية إبراهيم ببعثة سيد الأولين والآخرين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وخير الخلق أجمعين ، رسولنا محمد ﷺ الذي بعثه الله وأرسله رحمةً للعالمين ، وأمره بإتباع ملة أبيه إبراهيم كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل : ١٢٣] .

فأمره الله بإتباع ملة إبراهيم ، والاهتداء بسنن الأنبياء والمرسلين من قبله ، فقال سبحانه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

ثم كلف الله وشرف أمة محمد ﷺ بالدعوة إلى الله إلى يوم الدين : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

١٠- ثمرات الدعوة إلى الله

- **ثمرات الدعوة إلى الله :**

الأحوال الموافقة ثمرة الأحوال المخالفة .

فبعد الكرب يأتي الفرج ، وبعد العسر يأتي اليسر ، وبعد الضيق تأتي السعة ، وبعد الخوف يأتي الأمن ، وبعد المجاهدة تأتي الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

فبسبب جهد إبراهيم ﷺ على أبيه وقومه ، أنجاه الله من النار ، ثم آمن به لوط ، ثم قام الجهد في الشام ، ثم قام الجهد في مكة على يدِ زوجه هاجر وابنه إسماعيل ، وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب : ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾ [العنكبوت :٢٦- ٢٧] .

وبسبب جهد النبي ﷺ على أهل الطائف ، وصبره على أذاهم ، وردهم له ، وضربهم له ، فتح الله له أبواب السماء ، وأنزل إليه جبريل ، وملك الجبال ؛ لنصرته ، وساق له أهل المدينة ، فبايعوه على الإسلام ، وصُرف له الجن فآمنوا به وأُسري به إلى بيت المقدس ، ثم عُرج به على السماء ، ثم فُرضت عليه الصلوات الخمس ، ثم هاجر إلى المدينة ، ثم دخل الناس في دين الله أفواجًا ، ثم قال الله له ، قال الله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾ [النصر:١-٣] .

وجهد إبراهيم ﷺ في مجال الدعوة أعظم جهدٍ على الكفار والمشركين .
وجهد موسى ﷺ أعظم جهدٍ على الحكام والمؤمنين والكافرين .
وجهد النبي ﷺ أعظم من جهود الأنبياء والرسل كلهم ، فقد دعا جميع أصناف الخلق إلى الله ، وصبر على أذاهم، حتى أظهر الله دينه، وأعز جنده .
قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣] .
وجهد البيان بالكلام والاستدلال ، وجهد التضحية بالأفعال ، وجهد التضحية أعظم من جهد البيان ، والمقصود من التضحية في مجال الدعوة هداية أنفسنا ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة : ٨٨ – ٨٩] .
قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقد بين إبراهيم ﷺ لقومه بلسانه ، ولما أذن الله له بالتضحية كسر الأصنام بعاطفة هداية قومه ، ولم يهرب بعد تكسيرها ، بل بقي بينهم ليسألوه عنها ، لكمال يقينه على أن حياته وموته بيد الله وحده لا شريك له ، فهم بعد تكسيرها إما أن يهتدوا أو يقتلوه ، وهذه أعظم تضحية ، فقد أنجاه الله منهم ومن النار : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩] .

وبيان إبراهيم ﷺ بالتضحية أفهم قوم إبراهيم ضلالهم في عبادة الأصنام :
﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأنبياء : ٥٢ – ٥٦] .

وأعظم مقاصد الدعوة أن يكون لي أكبر نصيبٍ من الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

والأحوال الموافقة لا تأتي إلا بعد الأحوال المخالفة ، ومن أجل تفصيل جهد الدعوة أنزل الله سور القرآن ، أما العبادات فقد فصلها النبي ﷺ في سُنته : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ما أضيفت (سبيلي) إلى أي عملٍ في الدين غير فريضةٍ واحدة ، هي فريضة الدعوة إلى الله ؛ لأنها مطلوبةٌ من كل مسلمٍ ومسلمة في كل حال : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

والداعي إلى الله مشغولٌ في الليل بعبادة الحق ، فهو يدعو لنفسه ويدعو لغيره بالهداية ، ومشغولٌ في النهار بدعوة الخلق إلى الحق سبحانه : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة : ٨٨ – ٨٩] .

وكل من دعا إلى الله ، وعظمه بين خلقه ، فإنه يستفيد أربعة أشياء :

١ – يَعظم الله في قلبه .

٢ – ويَعظم عند الله عز وجل .

٣ – ويَعظم في أعين الناس .

٤ – ويَعظم كلامه عند الناس ؛ لأنه عظّم العظيم سبحانه .

ومن أعظم ثمرات الدعوة إلى الله

أن يتعرف دعاة الهداية على بعضهم ، وأن يتعرف طلاب الهداية على بعضهم ، وأن يجتمع هؤلاء وهؤلاء على التوحيد والإيمان والتقوى ، لتكوين القبيلة الكبرى التي يحبها الله ورسوله ، وهى قبيلة المسلمين ، والمؤمنين ، وقبيلة المتقين تنشأ من قبائل شتى ، ومن بلاد شتى ومن أجناس شتى ، ويجتمعون على المحبة والأخوة ، عليهم تاج خير أمة أخرجت للناس ، وأكبر تجار الدنيا في هذه الحياة هم الدعاة إلى الله ؛ لأن لهم مثل أجور من دعوه إلى الله .

فالداعي إلى الله الأرض كلها دكانه ، والدين كله سلعته ، والناس كلهم زبائنه ، وهو رابح دائمًا ، وأجوره مستمرة إلى يوم القيامة .

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» .متفق عليه [١] .

وإذا أردنا رحمة الله الواسعة، فيجب أن نرحم الناس رحمة واسعة، بدعوتهم إلى الله، وتعليمهم شرعه، فالدعوة إلى الله أحسن شيء بعد الإيمان وأداء الفرائض:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت : ٣٣] .

والداعي إلى الله أحسن الناس خلقا ، بل يتبوأ من الأخلاق أعلاها ، لما في قلبه من الطمع في هداية الناس ، ومن أجل هداية الناس يبذل الداعي ماله ووقته ونفسه من أجل هداية الناس ؛ ولهذا يصبر على أذاهم ، ويتحمل أذاهم لطمعه في هدايتهم إلى الحق ، والداعي أوسع الناس علمًا ، فليس قصده أن يعبد الله وحده ، بل قصده يعبد الناس كلهم الله ؛ لأنه يستحق وحده العبادة ، ولطمعه في أجورهم ، وشدة رحمته لهم ، يبذل كل شيء من أجل دعوة الناس ، ويتنازل عن كل شيء من أجل ذلك ، فيصل من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه ، ابتغاء مرضاة الله ولهذا كان الرسول ﷺ أحسن الناس خلقًا وخُلُقًا ، وكان خُلُقه القرآن وقد وصفه الله بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم : ٤] .

فنعم الراكب ، ونعم المركوب ، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم الإخلاص ، وحسن القول والعمل ، وحسن الخلق .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١) ، ومسلم برقم (١٩٠٧) .

والدعوة إلى الله أفضل أعمال الأنبياء والرسل بعد الإيمان ،وهي مقصد بقية الأنبياء والرسل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب :٤٥- ٤٦] .

والداعي إلى الله أكثر المسلمين عملاً ، وأعظمهم ثواباً ، وأوفرهم حظاً : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ ﴾
[فصلت :٣٣- ٣٥] .

وثمرات الدعوة إلى الله كثيرة ، وهي تعود إلى الداعي والمدعو .

- **ومن أعظم ثروات الدعوة:**

إن الله مع الداعي إلى الله ، يحفظه وينصره ويؤيده، وتثمر ذكر الله لمن ذكره ، وذكر الناس به ، وتوجب محبة الله للداعي والمدعو ، وتزيد نور الهداية في قلب الداعي والمدعو ، وتثمر انتشار الحق ، وزوال الباطل في العالم

الدعوة إلى الله أعظم سبب لنزول الهداية على الخلق ، وهي سبب لنزول السكينة في القلوب ، وغشيان الرحمة للمتكلم والسامع ، وحف الملائكة لهم ، وذكر الله لهم ، وغفران الله لذنوبهم ، وتبديل سيئاتهم حسنات .

والدعوة إلى الله تصل المخلوق بالخالق ، وتزينه بحياة الأنبياء والمرسلين ، ومن قام بالدعوة إلى الله فهو نائب الرسول ﷺ في أمته .

وفي الدعوة إلى الله نشر العبودية لله في العالم ، وإشاعة الخير والفضيلة في العالم ، وفي الدعوة إلى الله تزكية العلم الذي وهبه الله للداعي بنشره بين خلقه ، وشكر الهادي عز وجل على نعمة الهداية .

والداعي إلى الله أعظم من ينال أجر الصابرين، لما يتعرض له من الأذى والشدائد في سبيل الله .

والداعي إلى الله أكثر الناس ذكراً لله ، وحمداً له ، وتوبة إليه ، واستغفاراً له ، وتعبداً له .

والدعوة إلى الله أعظم سبب لرفع العذاب والمصائب عن الأمة ، وإخراجها من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن إتباع الهوى إلى إتباع الهدى .

والدعوة إلى الله سبب الفوز والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة .

والدعوة إلى الله نفعها عظيم ، وأجورها عظيمة وكثيرة ومستمرة ، فهي سبب لإسلام الكافر ، وهداية الضال ، وسبب لأن يكون الصالح مصلحاً، الذاكر مذكراً ، وسبب لأن يكون الفاسد صالحاً ، والغافل ذاكراً ، والعاصي تائباً .

وبالدعوة إلى الله يزداد علم الداعي كل يوم ، لأنه يتكلم مع ربه بالعبادة ، ويتكلم عن ربه بالدعوة ، ويزداد نور الإيمان في قلبه ، وفي قلوب الناس ، فتزكو نفسه ، وتحسن عبادته ، وتصلح أخلاقه ومعاملاته ومعاشراته .

والداعي إلى الله أعظم من يعلم الناس الخير ، ويدلهم على ربهم ، ولهذا يصلي الله عليه ، وملائكته ، وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها ، والحوت في البحر ، وذلك لعظيم جهده وعمله ، وعظيم صبره وتضحيته .

وفي الدعوة إلى الله قيام بمقصد بعثة النبي ﷺ، وإعلاء لكلمة الله في البشرية.

وبالدعوة إلى الله حفظ للأوقات بكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق وفي الدعوة إلى الله طرد للشيطان من المجالس والأسواق والبيوت، لأن الشيطان يفر من المجالس التي يذكر فيها اسم الله ، فالشيطان إذا سمع المؤذن أدبر وله ضراط .

والداعي إلى الله أعظم من يحقق الخيرية التي شرف الله بها هذه الأمة ، ويحيي عبودية التعاون على البر والتقوى ، وعبودية الإحسان إلى الناس بالقول والفعل ، وإدخال السرور على المؤمنين ، وتذكيرهم بربهم ، وترغيبهم في الأعمال الصالحة ، وتحذيرهم من المعاصي والمنكرات ، وتذكيرهما بمسؤلية الدعوة إلى الله ، وعظيم نفعها وثوابها .

والدعوة إلى الله فيها إنقاذ للكافر من كفره ، والمشرك من شركه ، والمبتدع من بدعته .

والدعوة إلى الله هي أم الأعمال الصالحة ، فبسببها يأتي الإيمان والتوحيد والتقوى والاستقامة .

والدعوة إلى الله أعظم سبب لنزول الهداية على الداعي والمدعو ، وتنوير قلوب العالمين بتوحيد رب العالمين ، وأعمال سيد المرسلين .

وبالدعوة إلى الله تتحقق طاعة الله ورسوله ، وامتثال أوامر الله ورسوله في العالم ، والاقتداء بالأنبياء والرسل في إبلاغ دين الله ، وبذل الوقت والنفس والمال من أجل إعلاء كلمة الله عز وجل .

والداعي إلى الله من خلال دعوته يكشف الطاعات الموجودة في الأمة من أهل الذكاء والحفظ ، ويفعلها لنفع الأمة في جميع المجالات ، فيعلم المعلم ، ويفتي الفقيه ، وينفق التاجر ، ويعين المستطيع .

والدعوة إلى الله سبب لولاية الله للداعي ، لأنه أعظم من يذكر ربه ، ويذكر الناس به .

والدعوة إلى الله أعلى مقامات العبودية بعد الإيمان بالله ، فالداعي يبذل كل شيء من أجل إعلاء كلمة الله ، وهداية الناس .

والدعوة إلى الله أعظم سبب لنشر الحق ، وإزهاق الباطل ، ونشر الخير والفضيلة ، واجتثاث الشر والرذيلة .

والدعي إلى الله تشهد له الأرض التي يمشي عليها ، والنفوس التي يدعوها ، وجوارحه التي استعملها في الدعوة إلى الله .

والدعي إلى الله في صحيفته جميع أعمال من دعاهم إلى الله ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، لأنه سبب هدايتهم ، فهو ميت في قبره ، وأعمال من دعاهم كلها تصب في صحائف حسناته إلى يوم القيامة .

والدعي إلى الله في صحائفه كل تائب دعاه ، وكل معلم علمه ، وكل منفق رغبه ، وكل داع أرشده .

والله تواب يحب التوبة ، ويحب التوابين ، ويحب كل من كان سبباً لتوبة التائبين أكثر.

وفي الدعوة إلى الله رضوان رب العالمين ، والفوز بالجنة، والنجاة من النار .

والدعوة إلى الله سبب لحسن الخاتمة ، فمن حسنت حياته ، حسنت وفاته .

والدعي إلى الله هو أعظم من يكسر الحاجز بين الأغنياء والفقراء ، والعلماء والعامة ، والوجهاء والضعفاء ، لأنه يغشى كل مجمع ومجلس يذكر بالله ، ويدل الناس عليه .

وفي الدعوة إلى الله تمرين وتحريك للمهتدين الجدد ، باصطحابهم في الدعوة إلى الله .

والدعوة الانفرادية ، والزيارة الفردية هي دعوة الأنبياء والرسل ، وأكثر دعوة النبي ﷺ ، وأكثر من دخل في الإسلام ، وأبلوا بلاءً حسناً ، هم من أسلم بالدعوة الانفرادية كالخلفاء الراشدين ، والعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم .

والدعوة إلى الله أصلها للداعي تركيزاً ، ولغيره تذكيراً ، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه .

والداعي إلى الله يحبه الله ، ويجعل له محبة في قلوب الناس ، لأنه يدلهم على الله ، وعلى كل خير .

والداعي إلى الله أجوره عظيمة ، لأنه أكثر الناس قراءة للقرآن ، وتدبيراً له ، وتطبيقاً له : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت :٣٣- ٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ [التوبة : ٧١ – ٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج : ٤٠ – ٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾ [الأحزاب : ٤٥ – ٤٦] .

وقال النبي ﷺ « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ». أخرجه مسلم(١) .

فهذه أكثر من مائة ثمرة من ثمرات الدعوة إلى الله ، ومن تدبر القرآن والسنة وجدها تزيد على ألف ثمرة .

فما أعظم فضائل الدعوة إلى الله ، وما أعظم ثمراتها وأجورها ومنافعها .

فالواجب على مسلم ومسلمة أن يبادر إلى القيام بها ، ويكون إماماً فيها ، طاعة لله ورسوله ، واقتداء بالأنبياء والرسل ، وأداء للأمانة ، وخوفاً من عقوبة تركها ، وفرار من لعنة الله لمن تركها .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

فلا يليق بمن له أدنى مسكة من عقل أن يفرط في هذا الخير العظيم ، والعمل الشريف ، ويترك جهد سيد الأنبياء والمرسلين ، ويقعد عن الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء : ٦٩- ٧٠] .

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، أن يجعلنا وإياكم من الدعاة إلى الله ، المستقيمين على ذلك إلى أن نلقاه ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٧-١٨].

٨- أعظم ثروة :

ثروة الإنسان الداخلية التي يكرمه الله ويعزه بها ، هي إيمانه وتوحيده، وأعماله الصالحة، وأخلاقه الكريمة، فمن أكرمه الله بهذه الثروة فاز في الدنيا والآخر، ولو وقفت له جميع الأسباب المادية:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال : ٢ - ٤] .

فالله مع هذا الداعي ينصره ويعزه ويحفظه ؛ لأن ربه الخالق المالك لكل ذرة في العالم العلوي والعالم السفلي ، وكل شيء خلقه الله بقدرته ، فهو تحت تصرفه يفعل فيه ما يشاء ، فكل شيء في قبضته سبحانه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك : ١] .

وهو سبحانه القادر على أن يغير صورة الأشياء ، وقادر على أن يبقي صورها ، ويغير من صفاتها ، وقادر على أن يجعل الضار نافعًا ، والنافع ضارًا ، كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وكما جعل الخشب حية تسعى ، وكما جعل الحية خشبة جامدة ، فجميع المخلوقات كلها في قبضة الله ، وتحت تصرفه ، فكل شيء بيده سبحانه ، وخزائن كل شيء عنده ، وأبواب رحمته وكرمه مفتوحة لكل طالب ، فإذا أمن العبد بربه استفاد من قدرة الله مباشرة في الوقوف بين يديه في الصلاة ، وتسليم القلب والجوارح له ، وحينئذ يعبد الله كأنه يراه واثقًا بقدرته ، متيقنًا على إجابته ، وقضاء حاجته ، فنؤديها بهذا اليقين ،

وندعو الناس إلى إقامة الضارة ، ونستغفر الله من التقصير ، والصلاة لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله ، موافقة لما جاء عن الرسول ﷺ ، فنتعلم أركانها وأحكامها وسننها والعلم بأحكام الدين وتعلمها والعمل بها كل ذلك عبادة الله عز وجل: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠] .

والذي يورث مراقبة الله في كل عمل هو ذكر الله، فمن ذكر الله ذكره ، والله مع العبد ما تحركت به شفتاه ينصره ويحفظه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب :٤١-٤٢] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم » .متفق عليه[1] .

ولكي يكتسب الإنسان صفة المراقبة والتوجه إلى الله يحسن به أن يدعو الآخرين إلى ذكر الله معتقدًا أن الله يراه ، ويدعو الله أن يرزقه الإيمان والصلاة والعلم والذكر ، ويبكي أمام الله عند طلب ذلك ، ويجب على المسلم أن يؤدي حقوق الناس ، ولا يطالب بحقوق نفسه ، ويكرم كل مسلم، ويخفض له جناح الذل من الرحمة ، وأن يعينه ويستره ويعفو عنه ، لكي يعفو الله عنه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

ولكي يكتسب المسلم صفة الإكرام يرغب الآخرين فيها ، ويوجد سوق إكرام الآخرين في بيته ، ويعلمهم قيمة المسلم ، وكيفية مواساته وإيثاره ، ويدرب نفسه على ذلك ، ويتضرع إلى الله بالدعاء والبكاء أن يوفقه للتخلق بخلق النبي ﷺ ، وجميع هذه الأعمال الصالحة لا تكون مقبولة عند الله إلا إذا كانت خالصة لله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[البينة : ٥] .

فالعمل الصالح الخالص يوجب الأجر الكثير ولو كان قليلًا ، فلابد من تفقد النية في كل عمل ، فنصحح النية قبل العمل ، وفي أثناء العمل ، بأن نعمل هذا العمل ابتغاء مرضاة الله ، ولكي يصحح العبد نيته يدعو الناس إلى ذلك ويتدرب على تصحيح النية في كل عمل ، وعندما ينتهي من كل عمل يستغفر الله من تقصيره ، ويدعو الله متضرعًا أن يرزقه حقيقة الإخلاص .

والأعمال الفردية لا تزال موجودة في هذه الأمة من ذكر ، ودعاء ، وتلاوة القرآن وإن كانت خالية من الروح .

وبسبب ختم النبوة حمل الله هذه الأمة مسئولية الدعوة إلى الله حتى تتحقق الصلة بين العباد ورب العباد، كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران : ١١٠] .

ولأداء هذا الواجب العظيم لابد أن تصرف الأمة في أدائه الجهود المالية والبدنية على منهاج النبي ﷺ ، وأن تصرف جميع الأوقات والأفكار لدعوة الناس إلى الله ، لكي يتحقق لهم الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

ومن صرف جهوده الإيمانية والعلمية والمالية لربط الآخرين بالله رزقه الله تعالى معيته ونصرته ، وشرفه بحقيقة الإيمان والعمل الصالح ، وضاعف أجوره وهداه ، واستجاب دعاءه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

ولكي تأتي في حياتنا أهمية الدعوة إلى الله نقوم بها في جميع الأوقات في حال العسر واليسر ، وحال السراء والضراء وفي حال الحر والبرد ، وفي حال الأمن والخوف ، والصحة والمرض ، كبارًا وصغارًا ، رجالًا ونساءً كما فعل الأنبياء والصحابة وأتباعهم فنقوم بالدعوة ، وترغب الآخرين فيها ، وندعو الله ﷻ بالتضرع والبكاء أن يختارنا لهذا العمل العظيم ، وأن يرزقنا حقيقته ، وأن يستعملنا في طاعته كالأنبياء : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء : ٩٠] .

• بيئة الإيمان :

المؤمن يزداد إيمانه ، وتصلح أعماله ، وتحسن أخلاقه ، في الجو الإيماني ، جو الدعوة إلى الله ، وجو الذكر الذي يُعنى بالخالق وبالدار الآخرة .

وينقص إيمانه ، وتفسد أعماله ، وتسوء أخلاقه ، في جو الغفلة ، الذي يُعنى بالمخلوق والدنيا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨]

والشيطان يُربي الناس على ما يُريد في الجو الغافل ، وكل من وقع في المعاصي والقبائح إنما وقع فيها بسبب من يجلس معه ، فليس الشأن أن تحب الخير وأهله ، ولكن الشأن كل الشأن أن تحذر الشر وأهله ، ولابد للإنسان من هذا الجو الغافل إلا إذا صنع البديل عنه ، وهو جو الإيمان ، الذي يقلب مجالس الغفلة إلى مجالس ذكر ينشأ عنها محبة الله ، ومحبة المؤمنين ، والأخوة الإسلامية العالمية ، وتجتمع فيها كل الطبقات من عرب وعجم ومن أسود وأبيض وغني وفقير وغيرهم : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة : ٧١] .

واجتماع العلماء مع العلماء يُسبب الحسد ، ويُورث الجدل والغيبة غالبًا ، واجتماع العلماء مع العامة يُولد الرحمة والشفقة ، ويُشغل العالم بتعليم الجاهل ، ويدفع الجاهل للتعلم من العالم : ﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

والأغنياء مع الأغنياء يتكلمون في الدنيا ، وأنواع الشهوات ، واجتماع الأغنياء مع الفقراء يبعث على الرحمة ، وتذكر الفقر الحقيقي إلى هداية الله ورحمته : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥] .

فسُنن الدين وأحكامه سلعٌ عالمية يجب إبلاغها للناس في أنحاء الأرض ؛ لتستقيم حياتهم ، ويسعدون في دنياهم وأخراهم : ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٥٢] .

ولما خزنها العُباد ، وحرموا الناس منها ، فسد الناس من حولهم .

وهدف الداعي إلى الله هداية الناس في أنحاء الأرض ، والتي تدفع كل باطل، وتسكت كل ناقد ، وترد كل كائد ؛ لأنها أعظم وسيلةٍ إعلاميةٍ حقيقية يحُبها الله والناس ، والأنبياء والصحابة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فنتربى في الجو الإيماني على معاني التوحيد والإيمان ، القادر هو الله ، الكبير هو الله ، الشافي هو الله ، الرحمن هو الله ، الذي يُعطي هو الله ، الذي يمنع هو الله ، ونرى في ذلك الجو الدعاة إلى الله ، ونستفيد منهم ، ونعمل

كعملهم : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة : ٧١] .

وبهذا تحصل الهداية لنا وللناس ، ويحصل لنا اليقين ، ويهتم العبد بأعماله الصالحة لا بأحواله وأشيائه ، فيعبد ربه كما أمره بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج : ٧٧] .

وهو يرزقه كما وعده ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات : ٥٦-٥٨] .

ومحبوبات الله عندنا ، ومحبوباتنا عنده ، فإذا أكملنا محبوبات الله في الدنيا أكمل محبوباتنا في الآخرة ، ومحبوبات الله هي : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وإذا حققنا مراد الله منا بالإيمان والأعمال الصالحة ، حقق مرادنا منه بالأمن

والخلافة في الأرض : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وبحصول الرضوان والجنة في الآخرة كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

وأجهل الناس من يطلب مراده من الله ، دون أن يحقق مراد الله منه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج : ١١] .

فقه الهجرة والنصرة

ويشتمل على ما يلي:

١ – بركات الهجرة في سبيل الله

٢ – فضائل الهجرة والنصرة

٣– فقه الهجرة والنصرة

٤ – حكم الإقامة في بلاد الكفار

١- بركات الهجرة في سبيل الله

الفرار بالدين من دار الكفر إلى بلدٍ يتمكن فيه الإنسان من إقامة دينه واجب ، وإبراهيم ﷺ لما هاجر إلى ربه ، وهجر الوطن والأقارب من أجل الله ، عوضه الله من ذلك قرة العين بالذرية الصالحة ، وجعل في ذريته الخلافة والنبوة والكتاب ، وشَرَّفَهُ ببناء البيت العتيق كما قال سبحانه عن إبراهيم ﷺ : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٧١-٧٣] .

وقال ﷻ عن إبراهيم ﷺ : ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم:٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ

ﭐلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات:٩٩-١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة : ١٢٧] .

والهجرة في سبيل الله ضربان :

- هجرة إلى الله ورسوله بالقلب .
- وهجرة إلى الله ورسوله بالبدن .

فالله ﷻ غَرَسَ شجرة محبته ، ومعرفته ، وتوحيده ، في قلوب من اختارهم لعبوديته ، واختصهم بنعمه ، وفَضَّلَهُم على سائر خلقه ، ولا تزال هذه الشجرة المباركة تُخْرِجُ ثمرها كل وقتٍ بإذن ربها ، من طَيِّب القول ، وصالح العمل : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر : ١٧- ١٨] .

فلكل واحدٍ من هؤلاء في كل وقتٍ هجرتان :

الأولى : هجرةٌ إلى الله بالقلب .

بالمحبة، والتوحيد، والإيمان، والعبودية ، والتوكل، والإنابة ، والتسليم ، والتفويض ، والافتقار ، والخوف ، والرجاء : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة:٢٣] .

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ

لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ [الزمر:٥٤] .
وقال الله تعالى: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ [غافر:٤٤] .

الثانية : هجرةٌ إلى رسول الله ﷺ في حركاته ، وسكناته ، الظاهرة والباطنة .

بحيث تكون جميع حركات العبد وسكناته موافقة لشرعه الذي هو تفصيلُ محَابِ الله ومرضاته : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب:٢١] .

فهذا العبد قد اتخذ رسوله ﷺ وحده دليله ، وإمامه ، وقدوته ، وقائده ، وسائقه ، و وَحَّدَ الله بعبادته ، ومحبته ، وخوفه ، ورجائه ، وأَفْرَدَ رسوله ﷺ بمتابعته ، والاقتداء به ، والتَّخَلُّق بأخلاقه ، والتأدب بأدابه ، فهذه الهجرة بالقلوب : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ».متفق عليه [1].

أما الهجرة بالأبدان

فهي الهجرة في سبيل الله من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن مكانٍ إلى مكانٍ ، ومن قومٍ إلى قومٍ ، حين يشتد عليه الأذى ، ويحيط به الظلم ، ولا يتمكن من إظهار دينه ، فيهاجر إلى بلدٍ يأمن فيه على نفسه ، ويتمكن من إظهار دينه ، والعمل

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم:(١٥٥/ ١٩٠٧).

بشرعه ، والدعوة إلى الله : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر : ٨] .

فالهجرة في سبيل الله ليست هجرة للثراء ، أو هجرة للنجاة من المتاعب ، أو هجرة لتكميل اللذات والشهوات ، أو هجرة لأي عرض من أعراض الدنيا الفانية .

ومن يهاجر هذه الهجرة في سبيل الله يجد في الأرض مراغمًا كثيراً لأعداء الله ، حيث يتمكن من إقامة دين لله ، وجهاد أعداء الله ، ومراغمتهم ، كما يجد سِعَةً ، وفُسْحَةً ، فلا تضيق به الأرض، ولا يَعْدَمَ الحيلة والوسيلة للنجاة ، والرزق ، والحياة الطيبة .

فقد هاجر أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة ، وهناك وجدوا الطمأنينة ، ورضي الله عنهم ورضوا عنه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

إن ضعف النفوس البشرية وحرصها وشُحَّهَا ، يُخَيَّلَ إليها أن وسائل الحياة ، والرزق مرهونة بأرض ، وببلد ، ومقيدة بظروف ، لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلًا مُرضية ، وهذا التصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق ، وأسباب الحياة ، وأسباب النجاة ، هو الذي يجعل النفوس البشرية المؤمنة تقبل الذُّلَ

والهوان والضَّيْم ، وتسكت عن الفتنة في الدين ، ثم تتعرَّض لذلك المصير البائس ، مصير الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[النساء:٩٧-٩٩] .

فالهجرة عند حصول الأذى ، والظلم ، من أكبر الواجبات ، وتركها من المحرمات ، بل من الكبائر ، لما في تركها من تكثير سواد الكفار ، وفتنة المؤمنين ، وظلمهم ، وتفويت الجهاد مع المؤمنين ، وربما ظهر الكفار على المؤمنين ، ولا يُستثنى من ذلك إلَّا المستضعفين من الرجال والنساء و الولدان ، الذين لا قدرة لهم على الهجرة ، ولا يهتدون سبيلًا ، فهؤلاء عسى الله أن يعفو عنهم ، ويعذرهم ، لعدم قدرتهم .

والله تبارك وتعالى يَعِدُ كل من يهاجر في سبيل الله أنه سيجد في الأرض مُنطلقًا وسيجد فيها سعةً ، وسيجد الله معه في كل مكان يذهب إليه ، يحُيِّيه ويرزقه ، ويُنْجِيه ويحفظه ، وقد ضَمِنَ الله ﷻ الأجر لكل من هاجر إلى الله ورسوله ، ثم أدركه الموت قبل الوصول إلى غايته بقتلٍ أو غيره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[النساء:١٠٠] .

يوفيه الله ﷻ أجره كله ، أجر الهجرة ، وأجر الوصول إلى دار الإسلام ، وأجر الحياة في دار الإسلام ، فماذا بعد ضمان الله من ضمان؟ ،

وقع ضمان الأجر كاملًا ، التلويح بالمغفرة للذنوب ، والرحمة في الحساب : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٠﴾ [النساء:١٠٠] .

إنها صفقة رابحة دون شك ، يقبض فيها المهاجر في سبيل الله الثمن كله منذ الخطوة الأولى في الهجرة من أجل الله .

والموت هو الموت ، لا يتقدم ولا يتأخر ، ولا علاقة له بهجرة أو إقامة ، ولو أقام المهاجر ولم يخرج من بيته لجاءه الموت في موعده ، ولخَسِرَ الصفقة الرابحة ، فلا أجر ، ولا مغفرة ، ولا رحمة ، بل هناك الملائكة تتوفاه ظالمًا لنفسه .

والذين هاجروا من ديارهم وأموالهم ، وتَعَرَّوْا عَمَّا يملكون ، وعَمَّا يحبون ، من أجل الله ، وتركوا الأوطان والخلّان ، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن ، هؤلاء يرجون في الآخرة عوضًا عن كل ما خَلَّفوا ، وكل ما تركوا ، وقد عانوا الظلم وفارقوه : ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ [النحل:٤١-٤٢] .

فذكر لهم سبحانه ثوابين :

ثوابًا عاجلًا في الدنيا من الرزق الواسع ، والعيش الهنيء ، الذي رأوه عيانًا ، بعدما هاجروا ، وانتصروا على أعدائهم ، وفتحوا البلدان .

والأجر الآخر أكبر ، وأعظم ، وأدوم ، ويحصل عليه المؤمنون في الجنة في الآخرة، كما قال سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم

بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة:٢٠-٢٢] .

إن الهجرة في سبيل الله ، تَجَرُّدٌ من كل ما تهفو إليه النفس وترغب فيه ، ومن كل ما تعتز به وتحرص عليه من الأهل والأولاد والأموال والديار ، وسائر أعراض الحياة الدنيا ، وإيثار العقيدة على هذا كله ، ابتغاءَ رضوان الله ، وتطلعًا إلى ما عند الله ، خيرٌ مما في الأرض جميعًا : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنفال:٧٤].

فالذين جمعوا بين الإيمان والهجرة ، ومفارقة المحبوبات من الأهل و الأموال والأوطان ، طلبًا لمرضاة ربهم ، وجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، فماذا أعدا الله لهؤلاء ، وبماذا وعدهم : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[آل عمران : ١٩٥] .

إن الإيمان، والهجرة، والجهاد، هذه الثلاثة هي عنوان سعادة العبد المسلم ، وقُطبُ رَحَىَ العبودية ، وبها يُعرَفُ ما على العبد من الربح والخسران .

فأما الإيمان فلا تسأل عن فضيلته، وكيف تسأل عن شيءٍ هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة وأهل الجنة وأهل النار : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ

ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤] .

وهو الذي إذا كان مع العبد ، قُبِلَت أعمال الخير منه ، وإذا عُدِمَ منه لم يُقبَل منه صَرفٌ ، ولا عدلٌ ، ولا فرضٌ ، ولا نفل : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣]

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة :١٨- ٢٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك:٢٢] .

وأما الهجرة في سبيل الله ، فهي مفارقة المحبوب والمألوف من أجل رضا الله ﷻ ، فيترك المهاجر وطنه ، وأمواله ، وأهله ، وخلَّانه ، تقربًا إلى الله ، ونُصْرَةً لدينه .

وأما الجهاد فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء ، والسعي التام في نصرة دين الله ، وقمع دين الشيطان ، وعَبَدَةِ الأوثان ، وهو ذروة الأعمال الصالحة ، وجزاؤه أفضل الجزاء ، فهو السبب الأكبر ، لتوسيع دائرة الإسلام ، وخذلان عُبَّاد الأصنام ، وأمن المسلمين ، ويكون باللسان والسِّنان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة:٧٣] .

فمن قام بهذه الثلاثة على مشقتها ، كان بغيرها أشد قيامًا ، فجديرٌ بهؤلاء أن يكونا هم الراجون رحمة الله ، لأنهم آتوا بالسبب الموجب للرحمة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة:٢١٨] .

والهجرة كانت قبل الفتح ، أما بعد فتح مكة ، فلم تعد هجرة من مكة إلى المدينة ، لأنها صارت دار إسلام .

فمن جاهد في سبيل الله ، وعَمِلَ بدينه ، كان له حكم الهجرة ، وكان له ثوابها كما قال النبي ﷺ « لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فانْفِرُوا » . متفق عليه[١] .

ويبقى حكم الهجرة ساريًا من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الحج:٥٨-٥٩] .

فقد خرج هؤلاء من ديارهم وأموالهم في سبيل الله ، مستعدين لكل مصير ، وضَحُّوا بكل أعراض الحياة الدنيا ، إبتغاء رضوان الله ، ونصر دينه ، فتَكَفَّلَ سبحانه لهم بالعوض الكريم عَمَّا فقدوه ، وهو الرزق الحسن ، وهو رزقٌ أكرم ، وأجزل ، من كل ما تركوا : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال:٧٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٨٣)، ومسلم برقم: (٨٦/ ١٨٦٤)، واللفظ له.

وقد خرج هؤلاء المهاجرون مخرجًا يُرضي الله ، فَتَعَهَّدَ لهم بأن يدخلهم مُدخلًا يرضونه ، فييسر لهم دخول الديار التي قصدوها ، ويفتح لهم البلدان ، ويُمَكِّنَهم من الاستيلاء على أموالها وخيراتها عوضًا عما فقدوا ، وهذا ما حصل للمهاجرين السابقين ، هذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فلهم الجنة .

والله سبحانه العليم بما وقع عليهم من ظلمٍ ومن أذىً ، وبما يُرضي نفوسهم ويعوضها ؛ العليم بجميع الأمور ظاهرها وباطنها ؛ الحليم الذي يَعصيهِ الخلائق ، ويبارزونه بالعظائم ، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة ، مع كمال قدرته وعلمه ، بل يواصل لهم رزقه ويُسدي إليهم فضله ؛ حليمٌ يمهل ، ثم يوفي الظالم والمظلوم الجزاء الأوفى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج:٦٥] .

إنه إذا اشتد الأذى على المؤمنين ، وفُتِنوا في دينهم ، ولم يملكوا أن يعبدوا الله ، فعليهم أن ينجوا بدينهم بالهجرة إلى أرض الله الواسعة ، وما دامت الأرض كلها لله ، فأحب بقعة منها هي التي يجدون فيها السعة لعبادة الله وحده دون سواه ، وإظهار شعائر دينه ، فليهاجروا إليها : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦] .

وكل نفس ذائقة الموت ، والله لن يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها ، فلا داعي للخوف من خطر الهجرة ، فالآجال مُقَدَّرة : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت: ٥٧] .

وقال الله تعالى:﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:١١] .

اللهم ارزقنا الهجرة في سبيلك ، من أجل نشر دينك ، يا رب العالمين .

٢- فضائل الهجرة والنصرة

المهاجرون في سبيل الله فرارًا بدينهم، مهاجرون إلى الله في أرضه الواسعة، من أجل إعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، وهم عائدون إليه قبل يوم القيامة، وهم عباده الذين يؤويهم إليه في الدنيا والآخرة، فلماذا الخوف والقلق؟

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء:١٠٠] .

ومع هذا فالله الكريم لا يَدَعُ المهاجرين في سبيله ، إلى هذا الإيواء وحده ، فإذا فارقوا وطنهم الذي يحبون ، فلهم في الأرض سعة ، وإذا فارقوا الدنيا فلهم في الجنة عوضٌ أعظم وأدوم ، فليصبروا على ما ينالهم ، وليتوكلوا على الله ، ويحسنوا الظن به ، فهو مولاهم الذي سيحقق لهم ما وعدهم به في الدنيا والآخرة : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٩-٥٠] .

ولا داعي كذلك لقلق المهاجرين على الرزق بعد مغادرة الوطن وترك المال ، ومجال العمل ، وأسباب الرزق المعلومة ، فإن رزق الإنسان يطلبه كما يطلبه أجله .

وقد قَدَّرَ الله لكل إنسان رزقه من أربع جهات :

كميته .. ونوعيته .. ومكانه .. وزمانه .

قال الله تعالى : ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)** ﴾ [الزخرف:٣٢] .

فالرزق مقسوم كما قال سبحانه : ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)** ﴾ [العنكبوت:٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦)** ﴾ [هود:٦] .

فالله تبارك وتعالى قد تَكَفَّلَ بأرزاق الخلائق كلهم ، قويهم و ضعيفهم ، قادرهم وعاجزهم ، مؤمنهم وكافرهم ، إنسهم وجنهم ، فكم من دابة في الأرض ، وعلى ظهر الأرض ، ضعيفة القوى ، ضعيفة العقل لا تحمل رزقها ، ولا تدَّخِره ، ولا يزال الله يُسَخِّر لها الرزق في كل وقتٍ بوقته .

والله يرزق هؤلاء الدواب وإياكم ، فكلكم عيال الله ، القائم برزقكم ، كما قام بحفظكم ، وتدبيركم ، وهو السميع لأقوالكم ودعائكم ، والعليم بأحوالكم ، فلا تخفى عليه خافية ، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافيةٌ عليه : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١)** ﴾ [التغابن : ١١] .

وكيف يقلق المؤمن على الرزق عند الهجرة ، وهو يرى مليارات الدواب تَدُّبُ على وجه الأرض ، وهي لا تحُصِّلُ رزقها ، ولا تجمعه ، ولا تحمله ، ولا تهتم به ، ولا تعرف كيف توفره لنفسها ، ولا كيف تحتفظ به لنفسها ،

ومع هذا فإن الله العزيز الرحيم يرزقها ، ولا يدعها تموت جوعًا ، سواءً كانت على وجه الأرض ، أو في قعر البحار ، أو في أعالي الجبال ، أو في جو السماء : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

فالله ﷻ هو الذي تَكَفَّلَ بأرزاق الخلائق جميعاً ، يلقى الناس حيثما كانوا ، وأين كانوا ، وإن خُيِّلَ إليهم أنهم يخلقون رزقهم ويجمعونه ، فالله الذي وهبهم وسيلة الرزق وأسبابه ، وهذه الهبة ذاتها رزقٌ من الله ، فلا مجال للقلق على الرزق عند الهجرة ، فهم عباد الله ، مهاجرون إلى أرض الله الواسعة من أجل الله ، والله يرزقهم حيث كانوا كما يرزق كل دابة وهي لا تحمل رزقها ولكن الله يرزقها ، ولا يدعها تموت جوعًا : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[العنكبوت :٦٠].

والهجرة في سبيل الله ، والهجرة إلى الله ورسوله ، وإلى نصرة دينه ، هي ترك كل شيءٍ من المحبوبات من أجل الله ، وبذل كل شيء مما يملك الإنسان من أجل الله : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾[الحج : ١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[النساء:١٠٠] .

لا هجرة من بعد الفتح من مكة إلى المدينة ، لأن مكة صارت دار إسلام ، ولا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة .

وقد وقع في صدر الإسلام هجرتان :

الأولى : هجرة المسلمين إلى الحبشة ، فرارًا من أذى قريش ، وفي الحبشة كان لهم إيواءٌ بلا نصرة ، فلم ينتشر الدين هناك .

الثانية : هجرة الرسول ﷺ والمسلمين من مكة إلى المدينة ، وفي المدينة كان الإيواء والنصرة بتهيئة الفرصة للدعوة ، فانتشر الدين .

والهجرة إلى الله تتضمن أمرين :

هجران ما يكرهه الله ، وإتيان ما يحبه ويرضاه .

وهذه الهجرة تقوى وتضعف ، بحسب داعي المحبة في قلب العبد المؤمن.

ومن العجيب أن الإنسان يوسع الكلام في الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وفي الهجرة من مكة التي انقطعت بالفتح ، وهذه هجرة عارضة ، ربما لا تتعلق به في العمر أصلًا .

وأما الهجرة إلى الله ورسوله بالإيمان والأعمال الصالحة ، والتي هي واجبةٌ على مدى الأنفاس والأزمان لا يحصل فيها علم ولا إرادة ، وما ذاك إلا للإعراض عما خُلِقَ له ، والاشتغال عَمَّا لا يُنجِيه غيره .

وهذه حال من ضعفت معرفته بمراتب العلوم والأعمال ، وعميت بصيرته ، وانتكس قلبه ، فَقَدَّمَ الأدنى على الأعلى ، وآثر الفاني الرخيص على الباقي النفيس ، وهذه الحياة الدنيا ليست إلا لهو ولعب ، حين لا ينظر المرء فيها إلى الآخرة ، حين تكون هي الغاية العليا للناس ، حين يصبح المتاع فيها هو الغاية من الحياة ، فلا ينخدع العبد بزينتها ، ويلهو بلعبها ، وليعمل للحياة

الآخرة ، فهي الحياة الفائضة بالحيوية ، والرضا ، والبقاء ، والخلود ، وبكل أنواع النعيم : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

فلو كان الخلق يعلمون ذلك لمَا آثروا الدنيا على الآخرة ، ولو كانوا يعقلون لمَا رغبوا عن دار الحيوان إلى دار اللهو واللعب : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ [الحديد : ٢٠] .

وأما الذين يعلمون حال الدارين ، فلا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا بالإيمان بالله وطاعته وعبادته وحده لا شريك له ، وبذل كل شيء في سبيل مرضاته : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ [الحديد : ٢١] .

والهجرة في سبيل الله هجرةٌ نفسية ، قبل أن تكون هجرةٌ مكانية ، والهجرة البدنية مبنيةٌ على الهجرة القلبية ، فمن هاجر إلى الله ورسوله بالإيمان والعبودية لله ، والاقتداء برسوله ﷺ، ولم يتمكن من القيام بذلك ، هانت عليه الهجرة البدنية، وسهل عليه فراق الأهل والدار والمال، وما هاجر إلا من أجل هدف، وهجرة الأنبياء والرسل وأتباعهم كانت من أجل إعلاء كلمة الله ، وعبادته وحده لا شريك له ، والعمل بشرعه ، وهم يسيرون في رعاية

الله يحفظهم ويرزقهم ويوفقهم ويهديهم، كما قال إبراهيم ﷺ : ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

فلمَّا لم يستجب له قومه ، هاجر من العراق إلى الأرض المباركة في الشام : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات:٩٩] .

فهاجر ﷺ وترك كل شيءٍ وراءه ، ترك أباه وقومه وأهل بيته و وطنه ، وترك وراءه كل عائق ، وكل شاغل ، وهاجر إلى ربه متخففًا من كل شيء ، طارحًا وراءه كل شيء ، مسلمًا نفسه لربه ، موقنًا أن ربه سيهديه ، وسيرعى خطاه .

إنها الهجرة الكاملة من حالٍ إلى حال ، ومن وضعٍ إلى وضع ، ومن يقينٍ إلى يقين ، إنها الهجرة الكبرى التي يختار الله لها الكُمَّل من الناس ، فاتَّجَهَ إبراهيم ﷺ إلى ربه ، الذي أعلن أنه ذاهبٌ إليه ، اتَّجَهَ يسأله الذرية المؤمنة ، والخلف الصالح : ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات:١٠٠] .

واستجاب الله دعاء عبده الصالح ، الذي ترك كل شيءٍ وراءه ، وجاء إلى ربه بقلبٍ سليم ، فبماذا بشره ربه؟ .

قال الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات : ١٠١] .

ولمَّا رزق الله إبراهيم ﷺ بالغلام الحليم ، وهو إسماعيل ﷺ ، ابتلاه الله به ، ليتبين صفاء توحيد إبراهيم ﷺ ، وكمال محبته لربه وخُلَّته .

فإن إسماعيل لما وَهَبَهُ الله لإبراهيم أَحَبَّهُ حُبًا شديدًا ، وهو خليل الرحمن ، والخُلَّة أعلى أنواع المحبة ، وهو منصبٌ لا يقبل المشاركة ، فلما تعلقت شُعْبَةٌ من شُعَب قلب إبراهيم بابنه إسماعيل ، أراد الله أن يُصَفِّي وُدَّهُ ، ويختبر خُلَتَه ، فأمره أن يذبح ويقطع بالسكين من زاحم حُبَّهُ حُبَّ ربه، كما قال سبحانه : ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ

مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾[الصافات : ١٠٠-١٠٢] .

فأَمْرُ الله تعالى لا بد من تنفيذه ، فقال إسماعيل صابرًا محتسبًا مُرضيًا لربه ، وبارًا بوالده : ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢) ﴾ [الصافات : ١٠٢] .

فقام إبراهيم ليُضجع ابنه إسماعيل للذبح ، وسَلَّمَا لأمر الله ، الأبُ جازمٌ على ذبح ابنه ، وثمرة فؤاده ، امتثالًا لأمر ربه ، وخوفًا من عقابه .

والابن إسماعيل قد وَطَّنَ نفسه على الصبر، وهانت عليه نفسه في طاعة ربه، ورضا والده ، وحان وقت التنفيذ، فتلَّ إبراهيم ﷺ ابنه إسماعيل على جبينه ، ليضجعه فيذبحه ، وقد انْكَبَّ لوجهه ، لئلَّا ينظر إبراهيم إلى وجه إسماعيل وقت الذبح ، فيرحمه ويشفق عليه ، فلا يُنفِذ أمر ربه ، وفي تلك الحال الشديدة نادى الله إبراهيم ، وأخبره بصدقه ، وفِعْلِ ما أَمَرَ به جازمًا ، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ (١٠٣) وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (١٠٦) ﴾[الصافات:١٠٣-١٠٦] .

فلما قَدَّمَ إبراهيم ﷺ حُبَّ الله ﷻ، وآثره على هواه ، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحمة، بقي الذبح لا فائدةً فيه، فلهذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) ﴾[الصافات:١٠٦-١٠٧] .

فلكمال إيمان إبراهيم ﷺ، وكمال يقينه، وكمال طاعته ومحبته لربه، وسرعته لتنفيذ أمره بذبح أحب شيءٍ إليه، حَفِظَ الله له ابنه، ورَضِيَ عنه، وفداه بذِبحٍ عظيم، فهو عظيم من جهة أنه كان فداء لإسماعيل، ومن جهة أنه

من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قربانًا وسُنَّةً إلى يوم القيامة، بذَبح كل حُبٍ يزاحم حُبَّ الله ، ويُشْغِلُ عنه ، بذبح الأضحية في كل عام .

وبعد هذا البلاء العظيم ، وحُسْن الطاعة والانقياد من إبراهيم ﷺ ، أثنى الله على إبراهيم ﷺ ، وأبقى له الذكر الحَسَن إلى يوم القيامة ، وهذا جزاء الكريم للمحسنين في عبادة الله ، ومعاملة خلقه ، أن يُفَرِّجَ عنهم الشدائد ، ويجعل لهم العاقبة والثناء الحسن ، لكمال إيمانهم بربهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113) ﴾ [الصافات:١٠٨-١١٣] .

المؤمن حقًا لا يقعد به حُبُّ الوطن، وإلفُ المكان، وحُبُّ المال، وأواصر النسب والقُربى والصحبة في دارٍ ، عن الهجرة منها إذا ضاقت به في دينه ، وعجز فيها عن الإحسان والعبادة ، فالالتصاق بالأرض في هذه الحالة مدخلٌ من مداخل الشيطان ، ولونٌ من اتخاذ الأنداد لله في قلب الإنسان ، وذلك مدخلٌ من مداخل الشرك الخفية في قلب الإنسان : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10) ﴾[الزمر:١٠] .

والله تبارك وتعالى يعلم أن الهجرة من الأرض عسيرةٌ على النفس ، وأن ترك مألوف الحياة ، ووسائل الرزق ، واستقبال الحياة في أرضٍ جديدة ، تكليفٌ صعبٌ على الناس ، ومن ثَمَّ يفتح الله على الصابر على ذلك أبواب العِوَض

عن الوطن ، والأرض ، والأهل ، والإلف ، عطاءً من عنده بغير حساب : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر:١٠] .

والإيمان ليس كلمةٌ تُقال باللسان فقط، وإنما هو نورٌ، وحركةٌ دافعةٌ في القلب، يتولد منها حُسْن العبادة ، وأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، وهذا الإيمان لا يأتي ، ولا يتم ، ولا يَقْوَىَ ، إلا بالتضحية بكل شيء من أجله.

والتضحية مركبةٌ من أمرين :

أحدهما : بذل كل شيء من أجل إعلاء كلمة الله .

الثاني : وترك كل شيء من أجل إعلاء كلمة الله .

فالمهاجرون هجروا، وتركوا المحبوبات والمألوفات، من الديار والأوطان، والأموال والشهوات، والأحباب والأهل .

تركوها لمن ؟

تركوها للكفار ، وبذلوا الأنفس ، والأموال ، والأوقات ، رغبةً في الله ، ومحبةً لرسول الله ، ونصرة لدين الله ، وإعلاء لكلمة الله ﷻ .

فهؤلاء هم الصادقون الذين صَدَّقُوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة ، والعبادات الشاقة ، وهم أسبق الناس إلى الإيمان ، وأحقهم بكل فضيلة ، لأنهم جمعوا بين الهجرة والنصرة ، والبذل والترك ، كما قال سبحانه : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر: ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات : ١٥] .

والأنصار ؛ وهم الأَوْس والخزرج الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ طوعًا ومحبة واختيارًا ، وآوَوا رسول الله ﷺ، ومنعوه من الأحمر والأسود ، وتبوَؤا دار الهجرة والإيمان وهي المدينة ، حتى صارت موئلًا وملجئاً يلجأ إليه المؤمنون ، ويلجأ إليه المهاجرون ، ويسكن بحماها المهاجرون ، فقد كانت البلدان كلها بلدان حربٍ ، وشركٍ ، وشر ، فلم يزل أنصار الدين يأوون إلى الأنصار ، والأنصار يحبون من هاجر إليهم ويؤوونهم في المدينة ، ويطعمونهم ، ويستقبلونهم بالمحبة والإيثار ، ويعلمونهم الدين ، حتى انتشر الإسلام وقوي ، وجعل يزيد شيئًا فشيئًا وينمو قليلًا قليلًا ، حتى فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن ، والبلدان بالسيوف والسِّنَان .

فما أجمل هذه الصفات العظيمة في الأنصار ، وما أحسن أخلاقهم ، إيمانٌ ومحبةٌ ، وإيثارٌ مع الحاجة ، وبذلٌ بلا بُخْلٍ ولا شُحٍّ ، كما قال الله عنهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩] .

فهم يحبون من هاجر إليهم من أجل إعلاء كلمة الله ، ونصر دينه ، وهذا لمحبتهم لله ولرسوله ، أَحَبُّوا أحبابه ، وَأَحَبُّوا من نصر دينه ، فبذلوا أموالهم لمن جاء فارًا بدينه .

وهؤلاء الأنصار لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله ، وخَصَّهم الله به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها ، لسلامة صدور الأنصار ، وانتفاء الغل و الحقد والحسد من قلوبهم .

ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم ، وتميزوا بها على من سواهم ، الإيثار : وهو أكمل أنواع الجود ، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها ، وبذلها للغير مع الحاجة إليها ، بل مع الضرورة والخصاصة ، وهذا لا يكون إلا من خُلُقٍ زكي ، ومحبةٍ لله تعالى ودينه ، مقدمةٌ على شهوات النفس ولذاتها .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : « أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ بَاتَ بِهِ ضَيْفٌ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا قُوتَهُ وَقُوتَ صِبْيَانِه ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : نَوِّمِي الصِّبْيَةَ ، وَأَطْفِئِي السِّرَاجَ ، وَقَرِّبِي لِلضَّيْفِ مَا عِنْدَكِ ، قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] . » . أخرجه مسلم [١] .

ومن رُزِقَ الإيثار فقد وُقِيَ شُحَّ نفسه ، ومن وُقِيَ شُحَّ نفسه سمحت نفسه بامتثال أوامر الله ورسوله ﷺ ففعلها ، طائعًا ، منقادًا ، منشرحًا بها صدره .

وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه ، وإن كان محبوبًا للنفس ، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله ، وابتغاء مرضاته ، وبذلك يحصل للعبد الفوز والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

هذان الصنفان الفاضلان الزَّكيان ، هم الصحابة الكرام ، والأئمة الأعلام من المهاجرين والأنصار ، الذين حازوا من السوابق والمناقب ، والفضائل والمكارم ما سبقوا به من بعدهم ، وأدركوا به من قبلهم ، فصاروا أعيان

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧٣/) ٢٠٥٤.

المؤمنين ، وسادات المسلمين ، وقدوة المتقين ، وأفضلهم المهاجرون ، ثم الأنصار .

وحَسْبُ مَن بعدهم من الفضل أن يسيروا خلفهم ، ويأتمُّوا بهداهم ، ويتخلَّقوا بأخلاقهم : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] .

والسابقون الأولون من الهاجرين والأنصار ، هم الذين سبقوا هذه الأمة ، وبادروها إلى الإيمان، والهجرة ، والنصرة ، والجهاد ، والدعوة ، والأعمال الصالحة ، ومن المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان من الصحابة فمَن بعدهم إلى يوم القيامة ، إذا اتبعوهم بإحسان في الأفعال والأقوال ، اقتداءً منهم بالسابقين الأولين ، فهؤلاء هم المؤمنون حقًا ، لأنهم صَدَّقُوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة ، والنصرة ، والموالاة ، ولموالاة بعضهم لبعض ، وجهاد أعداءهم من الكفار والمنافقين ، من أجل إعلاء كلمة الله، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال : ٧٤] .

٣- فقه الهجرة والنصرة

المهاجرون ، والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، هم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم الجنات في الآخرة ، وقد ذكرهم الله بصفاتهم وأعمالهم، لا بأنسابهم ومناصبهم، فقال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

فالهجرة في سبيل الله أصل من أصول الدين ، والنصرة من أجل الله كذلك ، فلما اجتمعا جاء الثالث ، وهو رضوان الله ، ودخول الجنة .

فالهجرة والنصرة من أجل إعلاء كلمة الله، وإقامة دين الله، أصلٌ من أصول الدين الإسلامي ، وعمل الأنبياء والمرسلين ، ومن سار على هديهم إلى يوم القيامة ، وبذلك يقوم الدين في العالم ، وتنتشر الهداية في أنحاء الأرض ، وتظهر السنن والآداب الشرعية في الأمة ، ويزول الباطل ، ويظهر الحق ويُعبَد الله وحده لا شريك له .

فهؤلاء الأصناف الثلاثة ، هم أصناف هذه الأمة المجتباة ، وهؤلاء هم أفضل أهل الإسلام الذين هم أهله ، جعلنا الله وإياكم منهم .

وإبلاغ هذا الدين إلى العالم كله ، يحتاج من كل مسلم إلى التضحية بكل شيءٍ من أجل الدين ، تضحيةٌ بالمال ، وتضحيةٌ بالنفس ، وتضحيةٌ بالأهل ، وتضحيةٌ بالوقت ، وتضحيةٌ بالديار ، وتضحيةٌ بالشهوات ،

وتضحيةٌ بالجاه ، فأهل مكة كانوا تجارًا فتركوا كل شيء ، وهاجروا إلى المدينة من أجل الدين .

وأهل المدينة كانوا مزارعين فتركوا كل شيء ، وقاموا بنصرة دين الله .

فنشر هذا الدين ، قائمٌ على الهجرة والنصرة ، من أجل إعلاء كلمة الله ، والمهاجرون والأنصار لما صدقوا وعملوا نشر الله بسببهم هذا الدين في العالم ، ورضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، و وعدهم على ذلك الرضوان والجنان : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢] .

ونحن خلفاء النبي ﷺ في الإيمان والأعمال الصالحة ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥] .

و واجبنا في هذا الزمان إحياء الدين ، وإحياء جُهْدُ الدين ، فالمطلوب من كل مسلم ومسلمة جهدان :

الأول : جُهدٌ لإحياء الدين كله ، في العالم كله .

الثاني : وجُهدٌ لإحياء جُهْدُ النبي ﷺ في الدعوة إلى الله ، ليكون كل مسلم في العالم عابدًا لربه ، معلمًا لدينه ، داعيًا إليه ، محسنًا إلى خلقه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وهذه وظيفة الأمة إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

وذلك يتطلب منَّا التضحية بالوقت، والنفس، والمال ، والشهوات ، كما فعل الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وكما فعله أصحاب النبي ﷺ الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

وكثيرٌ من المسلمين اليوم بدءوا يخرجون من الدين إلى حياة اليهود والنصارى ، فكيف نحفظ الدين في هؤلاء ؟ .

أبو بكر رضي الله عنه لم يَتَحَمَّل نقص عِقَالٍ من الدين ، واليوم كم نقص من الدين في حياة كثيرٍ من المسلمين رجالاً ونساء؟.

ولمَّا تُوفي الرسول ﷺ ، وارتدت القبائل عن الدين ، اجتهد عليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ردهم إلى الدين ، وحفظ الدين في حياة المسلمين ، وكان

فكره وفكر المهاجرين والأنصار ، لحفظ الدين في الأمة كما كان في عهد النبي ﷺ .

ولمَّا رجع الناس إلى الدين الكامل ، وتاب من ارتد من المسلمين ، انطلق هؤلاء وهؤلاء لنشر الدين في بلاد الكفر .

ثم جاء عهد عمر رضي الله عنه ، وكان فكر الأمة لنشر الدين ، فكانت الفتوحات الإسلامية في الشام ، والعراق ، ومصر ، وغيرها .

وهكذا وقتنا الآن يشبه زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فنقوم بالدعوة إلى الله ، ونجتهد على المسلمين حتى يعودوا إلى الدين ، والصفات التي كانت في القرن الأول ، وهي :

عبادة الله عز وجل ، والدعوة إلى دينه ، وتَعلُّم وتعليم الدين ، والإحسان إلى الخلق ، وبذلك يرى الكفار الإسلام قائمًا في حياة المسلمين ، فيسهل دخولهم فيه ، ويأتي اليوم الذي يدخل الناس في الدين أفواجًا ، كما دخلوه أفواجًا في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

والأصل في دين الله أن يكون السيف تابعًا للكتاب ، فإذا ظهر العلم بالكتاب والسُنَّة ، وكان السيف تابعًا لذلك ، كان أمر الإسلام قائمًا ، فقوام الدين بكتابٍ يَهدِي ، وسيفٍ يَنْصُر ويحمي ، وذلك شرع الله : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان : ٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا

وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحديد : ٢٥-٢٦] .

وأما إذا كان علم الكتاب فيه تقصير ، وكان السيف تارة يوافق الكتاب، وتارة يخالفه، جاء من الاضطراب والمصائب في الأمة بحسب ذلك، وفسدت أحوال الناس، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو إتباع القرآن والسُّنَّة، والاقتداء بخير القرون ، وهو القرن الذي كان فيه النبي ﷺ وأصحابه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

والعبادة موعودها الجنة ، والدعوة موعودها النُّصرة، وبسبب ترك الدعوة رفع الله النصرة ، وبقيت العبادة صورة بلا روح ، فالعمل الذي أعطاه الرسول ﷺ كل الوقت هو الدعوة إلى الله ، نحن تركناه أو أعطيناه أقل الوقت ، والعمل الذي أعطاه النبي ﷺ أقل الوقت هو نوافل العبادات ، نحن أعطيناه أكثر الوقت : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج :٤٠- ٤١] .

والمسلمون الآن يأتون إلى مكة للعبادة ، ولكنهم لا يرجعون بالمقصد ، وهو الدعوة إلى الله ، لأنهم يرون العبادة هي المقصد ، وهي جزءٌ من عمل النبي ﷺ.

فأعمال النبي ﷺ هي :

عبادة الله ﷻ في كل حال ، والدعوة إلى الله في كل مكانٍ ، وزمانٍ ، وحالٍ ، وتعليم شرع الله ﷻ ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ

رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢) ﴾ [الجمعة : ٢] .

والهجرة والنصرة من أجل إعلاء كلمة الله ، ونصر دين الله ، وإقامة دين الله في الأرض ، من أعظم البراهين الدالة على صدق الإيمان ، وحُبِّ الله ورسوله ، وبها يحصل الرضوان للمهاجر والمناصر ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقد هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، وآخَىَ النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، ولمَّا قَدِمَ المدينة صار الكفار معه ثلاثة أقسام :

قسمٌ صالحهم ووادعهم على ألا يحاربوه ، ولا يظاهروا عليه ، ولا يوالوا عليه عدوه ، وهم آمنون على دمائهم وأموالهم .

وقسمٌ حاربوه ، ونصبوا له العداوة .

وقسمٌ تركوه فلم يصادقوه ، ولم يحاربوه ، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره وأمر أعدائه .

ثم من هؤلاء من يحب ظهوره وانتصاره في الباطن ، ومنهم من كان يحب ظهور عدوه عليه ، ومنهم من دخل معه في الظاهر ، وهم عدوه في الباطن ، وهم المنافقون ، فعامل ﷺ كل طائفة من هؤلاء بما أمره به ربه ، حتى أظهره الله على الجميع ، وكانت العاقبة له ، ولمن آمن معه : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (١٧٣) ﴾ [الصافات : ١٧١- ١٧٣] .

• أقسام الهجرة :

الهجرة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : هجرة المكان ؛ بأن ينتقل المسلم من بلدٍ إلى بلد ، من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ، وهذه واجبة إذا كان غير قادر على إظهار دينه في بلده .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء : ١٠٠] .

الثاني : هجرة العمل ؛ وهي أن يهجر الإنسان ما نهاه الله عنه من المعاصي والفسوق .

قال النبي ﷺ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمُهَاجِرُ مِنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ » . متفق عليه[1].

الثالث : هجرة العامل ؛ كالمسلم الذي يجاهر بالمعصية ، إذا ترتب على هجره مصلحة ، وحصلت فائدة ، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خُلِّفُوا بعد غزوة تبوك .

• حكم الهجرة من بلاد الكفار :

إذا كان المسلم يعيش في بلاد الكفار، ويستطيع أن يظهر دينه في بلاد الكفر، ولا يمنعه أحد من ذلك ، فالهجرة له مستحبة ، لأن الله ﷻ يقول .

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٤) ، ومسلم برقم (٤٠) .

فالذي يعيش بين المؤمنين يزيد إيمانه ، وينتفع بإخوانه ، وإن كان لا يستطيع ذلك ، فالهجرة واجبة إن استطاع الهجرة لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء:٩٧-٩٩] .

وإذا خاف المسلم على نفسه من الفسق والفساد فالهجرة إلى بلاد الإسلام عليه واجبة ، وان كان في بقائه نفعٌ وصلاح فبقاؤه واجب لنفعه في الإصلاح، وإزالة الفساد : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

٤ – حكم الإقامة في بلاد الكفار

الإقامة في بلاد الكفار لها خمس حالات :

الأولى : أن يقيم في بلاد الكفار ، للدعوة إلى الله ، هذا نوع من الجهاد في سبيل الله : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

الثانية : أن يقيم بها لدراسة أحوال الكفار ، ليحذر الناس مما يدبرونه للمسلمين ، فهذا جائزٌ أو مستحبٌ بحسب المصلحة .

الثالثة : أن يقيم بها للحاجة ، كتجارة أو علاج ، فتُباح الإقامة بقدر الحاجة .

الرابعة : أن يقيم بها لحاجة دولته المسلمة ، كالسفراء ومن في حكمهم ، فهذا جائز .

الخامسة : أن يقيم بها للدراسة ، وهذا جائز ، إذا لم يكن هذا العلم متوفرًا في بلاد المسلمين ، والمسلمون بحاجةٍ إليه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ ﴾ [الطلاق:٢-٣] .

- **حكم الهجرة :**

الهجرة نوعان :

الأول : هجرة بالجسد من بلدٍ إلى بلد ، وهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

الثاني : هجرة بالقلب إلى الله ورسوله ، وهذه هي الهجرة الحقيقية ، وهي الأصل ، وهجرة الجسد تابعة لها .

والهجرة إلى الله ورسوله فرض عين على كل أحد ، في كل وقت ، وهي مطلوب الله ومراده من عباده ، وهي هجر كل ما يكرهه الله ويبغضه من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، وإتيان ما يحبه الله ويرضاه ، وهي واجبة على مدى الأنفاس ، أما هجرة الجسد فهي عارضة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

أتباع الأنبياء والرسل :

أتباع الأنبياء والرسل هم السعداء في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٣] .

والأتباع السعداء قسمان :

الأول : أتباع لهم حكم الاستقلال ، وهم في هذه الأمة أصحاب محمد ﷺ من المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهؤلاء ثبت لهم رضا الله عنهم ، فهم أسعد الخلق كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[البينة : ٧-٨] .

الثاني : أتباع المؤمنين من ذريتهم ، الذين لم يثبت لهم حكم التكليف في الدنيا، فهؤلاء يلحقهم الله بآبائهم المؤمنين في الجنة، فضلًا من الله ورحمة .

وكذا يلحق الله البالغين من ذرية المؤمن بأبائهم ، وإن كانوا دونه في العمل ، إذا كانوا مؤمنين ، لتقر عينه بهم في الجنة قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾[الطور:٢١] .

- **حكم سب الصحابة :**

أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، هم خيار الأمة بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وذلك لمِا قاموا به من الهجرة والنصرة ، ونصرة دين الله ، والجهاد مع رسول الله ، وبذل أموالهم ، وأنفسهم ، وأوقاتهم ، في سبيل الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟

وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال :٧٤- ٧٥] .

ومَن سَبَّ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر ، لأن سَبَّ الصحابة قدحٌ في الشريعة الإسلامية التي جاءت من طريقهم ، وسَبُّ الصحابة رضي الله عنهم سَبٌّ للرسول ﷺ ، لأن رجلًا يكون أصحابه محل التَّنَقُّص والعيب لا خير فيه ، فالمرء على دين خليله ، فَسَبُّهم سَبٌّ له ﷺ .

وسَبُّ الصحابة يتضمن سّبَّ الله جل جلاله ، حيث اختار لنبيه ، وهو أفضل الخلق عنده ، مثل هؤلاء الرجال .

وسَبُّ الصحابة تكذيبٌ للقرآن الذي أثنى الله عليهم فيه ، ورضي عنهم ، و وعدهم الحسنى على ما قاموا به من نصرة الله ورسوله : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة :١٠٠] .

فَسَبُّ الصحابة رضي الله عنهم من أخطر الجنايات على الإسلام وأهله ، وقد جَرَّ الشيطان إلى ذلك الرافضة فسبوهم إلا قليلًا منهم .

وسَبُّ الصحابة رضي الله عنهم يتضمن خمسة محاذير عظيمة :

١- سب الصحابة .

٢- سب النبي ﷺ .

٣- سَبُّ الشريعة الإسلامية .

٤- سب الله ﷻ .

٥- سَبُّ القرآن .

قال الله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)** ﴾[الأعراف:١٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)** ﴾[الأحزاب : ٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)** ﴾[النور:٦٣] .

- **أفضل الأسفار :**

سفر الهجرة إلى الله ورسوله أفضل الأسفار ، والتعاون على هذا السفر من أعظم التعاون على البر والتقوى ، ويكون ذلك باليد ، واللسان ، والقلب ، والنصيحة ، والدعوة إلى الله ، والتعليم لشرع الله ، والإحسان إلى خلق الله ، ومن قام بهذا الواجب العظيم أعطاه الله كل خير ، وأقبل بقلوب عباده إليه ، وفَتَحَ على قلبه أبواب الهداية والعلم : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)** ﴾[العنكبوت : ٦٩] .

و زاد هذا السفر العظيم العلم الذي جاء به محمد ﷺ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه:١١٤] .

ولا سبيل إلى ركوب هذا الظهر إلا بأمرين :

ألا يوصغي العبد في الحق إلى لومة لائم ، وأن تهون عليه نفسه في الله .

ولا يتم له هذان الأمران إلا بالصبر ، فمن صبر قليلًا صارت تلك الأهوال ريحًا رُخَاءً تحمله بنفسها إلى مطلوبه ، فبينما هو يخاف منها ، إذ صارت أعظم أعوانه ، وخدمه ، وجنوده : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق:٢-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٥- ١٥٧] .

وأما مركبه فصدق اللجوء إلى الله ، والانقطاع إليه ، وعدم الالتفات إلى ما سواه ، وتحقيق الافتقار إليه ، والضراعة إليه ، والاستعانة به ، وصدق التوكل عليه ، والإخبات إليه : ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج:٣٤-٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

ورأس مال الأمر ، وعموده ، دوام النظر والتَّفَكُّر في أسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله ، والنظر في عظيم بِرِّهِ وإحسانه ، وإنعامه ، وتَدَبُّر آيات القرآن .

فإذا امتلأ القلب بتلك المعارف ، تمَكَّنَ الإيمان من قلبه ، وجلس على كرسيه ، وصار له التصرف في البدن والحياة ، لأنه استبان له الطريق ، فاستقام له سيره إلى الله ورسوله ، يفعل كل خير ، ويجتب كل شر ، ويأمر بكل خير ، وينهى عن كل شر ، ويَتَحَلَّىَ بكل خُلُقٍ حسن .

ومن أراد هذا السفر فلا بد له من رفقةٍ صالحة ، وهم أهل العلم والإيمان ، إن نَسِيَ ذَكَّرُوه ، وإن ذَكَرَ أعانوه ، وإن جَهِلَ عَلَّمُوه .

فإن تَعَذَّرَ عليه صحبة هؤلاء ، وابتُلي بضدهم ، نَصَحَهُم بقدر طاقته ، وأقام لهم المعاذير ما استطاع ، وسار فيهم بعينين ، عينٌ ناظرة إلى الأمر والنهي ، بها يأمرهم وينهاهم ، ويواليهم ويعاديهم .

وعينٌ ناظرة إلى القضاء والقدر ، بها يرحمهم ، ويدعو لهم ، ويستغفر لهم ، ويلتمس لهم العذر فيما لا يعود بنقض الشرع : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١ ﴾[الحديد:٢١] .

والله ﷻ قد وَكَّلَ الشمس بالإنارة ، ووَكَّلَ السحب بإنزال الغيث في العالم ، ووَكَّلَ الأرض بالإنبات ، و وَكَّلَ هذه الأمة بنشر الهداية في العالم : ﴿ هَـٰذَا

﴿ بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

فنشر هذا الدين يتطلب صنفين من الناس :

- **الأول** : مهاجرون يهاجرون في سبيل الله ، من أجل إعلاء كلمة الله .

كالمهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة مع الرسول ﷺ ، لنصرة دين الله .

فهؤلاء يهاجرون ، ليتعلموا الدين ويعلموا الدين : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾ [التوبة:١٢٢].

فالمسلم يخرج في سبيل الله ، لإعلاء كلمة الله في المشرق والمغرب ، وفي الشمال والجنوب ، إلى كل بلد في أي جهة ، ليبلغ هذا الدين العظيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة:٦٧] .

وقال النبي ﷺ « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ».أخرجه البخاري[1].

فإبلاغ هذا الدين هو مسئولية هذه الأمة كلها ، التي شَرَّفها الله ﷻ بما شَرَّفَ به الأنبياء والرسل : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وكذلك نشر الدعوة إلى الله ، ونشر دين الله ، يتطلب النصرة ، فأناسٌ تهاجر في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله ، وتَعَلُّم دين الله .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

• **الثاني: أناسٌ يستقبلونهم**

كالأنصار الذين في المدينة ، الذين استقبلوا المهاجرين من كل مكان ، وأسكنوهم في بيوتهم ، وأطعموهم ، وأنفقوا عليهم من أموالهم .

وبهذا وهذا قام الدين في عهد النبوة : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠] .

وهذه سُنَّة ربانية ، وسُنَّة قرآنية إلى يوم القيامة ، حتى ينتشر الدين في العالم ، فلا نبي بعد النبي ﷺ .

وإنما أمته ﷺ نائبة عنه في الدعوة إلى الله ، وفي عبادة الله ، وفي تعليم شرع الله ، وفي الإحسان إلى خلق الله .

قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » . أخرجه الترمذي[1] .

وقال النبي ﷺ « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » . أخرجه البخاري[2] .

فكن مهاجرياً تارة ، تَتَعَلَّم الدين ، وتقوي الإيمان ، وتُعَلِّم الدين ، وتنشر الهداية في العالم .

وكن أنصاريًا تارة ، تستقبل من نذر نفسه ، وبذل وقته وماله ، لنصرة دين الله ، تستقبلهم وتكرمهم ، وتعلمهم إن كنت عالماً ، وتستفيد منهم ، كما فعل الأنصار رضي الله عنهم مع المهاجرين : ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر: ٨-١٠] .

فهذه الأخيرة لنا ، ومَن هَداهُ الله ﷻ ، فتح له أبواب سُبل رضاه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران:٧٣ -٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

ودين الله ﷻ واحد ، فالحق واحد ، والباطل متعدد ، فإذا جاء الحق زهق الباطل : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء : ٨١] .

والدين عند الله الإسلام ، والدين الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل يُسمى الإسلام : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾[آل عمران:١٩] .

فكل رسولٍ ونبي ، إنما جاء من عند ربه بالإسلام .

قال نوح ﷺ لقومه : ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[يونس:٧٢-٧٣] .

وقال الله ﷻ عن إبراهيم ﷺ : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة:١٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران:٦٧] .

وقال موسى ﷺ : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يونس:٨٤-٨٦].

وقال الله ﷻ عن أتباع عيسى ﷺ: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [آل عمران:٥٢].

فدين الله ﷻ هو الإسلام لجميع الأنبياء والرسل وأممهم : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٩] .

فليست اليهودية والنصرانية أدياناً سماوية ، ولا يجوز أن يقال اليهودية دين موسى ، والنصرانية دين عيسى ﷺ ، وكل ما وَرَدَ في القرآن من كلمة اليهود وردت على وجه الذم ، واليهودية أتت بعد التوراة بقرون ، وكذا النصرانية جاءت بعد الإنجيل ، وقد حدثتا بعد إبراهيم ﷺبقرون .

وقد نفى الله ﷻ عن إبراهيم ﷺ اليهودية والنصرانية ، كما نفى عنه الشرك ، فدل على أن اليهودية والنصرانية ديانتا كفرٍ محُرَّفة ، لا يليق أن يوصف بهما إبراهيم ﷺ

، وهو أبو الأنبياء والرسل ، وقد أحدثهما الكفار بعده : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران:٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

فاليهودية والنصرانية أديانٌ مخترعةٌ مبتدعة ، مليئة بالتحريف ، والتبديل ، والبدع ، والكفر ، الذي يتنافى مع أسماء الله وصفاته ، و وحدانيته ، ودينه الحق ؛ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥] .

- **ما حكم التحاكم إلى محاكم الكفار :**

أبتلي كثير من المسلمين بالأستيطان في بلاد الكفار ، لأسباب مختلفة .

والمسلم لا يجوز له أن يتحاكم في أمرٍ إلا في محاكم المسلمين التي تحكم بشرع الله .

ولا يجوز للمسلمين المقيمين في بلاد الكفار التحاكم إلى محاكمهم ، ومن أُكرِه إلى التحاكم إليها أو اضطر إليها لاستخلاص حقٍ له وهو كارهٌ للتحاكم إليها ، مُقِرٌ بأنها كفرية ، جاز للضرورة ، فما وافق الحكم فيه الشرع ، عَمِلَ به لموافقته الشرع ، لا لكونه صدر من هذه المحاكم ، وما وقع مخالفًا للشرع فهو لغوٌ يجب أن يبتعد عنه : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة : ٤٩- ٥٠] .

• **حكم التجنس بجنسية الدولة الكافرة :**

أولًا : إذا أخذها المسلم دون حاجة لها ، وإنما أخذها من باب المباهاة ، فهذا الفعل محرم ، لأنه يدخل في أنواع موالاة الكفار : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة : ٥١] .

ثانيًا : إذا أخذها المسلم لتحقيق مصالح دنيوية ، لتسهيل معاملاته التجارية ، فهذه لا تجوز .

ثالثًا : إذا أخذها المسلم للحاجة ، كمن طُرِدَ من بلده الإسلامي ظلمًا وعدوانًا ، أو هرب من ظالمٍ طاغٍ ، فهذا جائز بشروط :

أن لا يترتب على أخذها فَقْدِ الشخصية الإسلامية ، أو يترتب عليها قولٌ أو فعلٌ محرم ، أو التحاكم إلى قوانينهم ، أو الحرب معهم ضد المسلمين .

• **حكم استئذان الوالدين في السفر :**

السفر أنواع :

الأول : السفر للدعوة إلى الله ، والسفر للعلم الواجب الذي به يعرف المسلم ما يجب عليه من أمور دينه ، ولا يمكن تحصيله في بلده ، فلا يجب عليه طاعتهما حين المنع له ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

الثاني : السفر للتجارة إذا كان لدفع حاجة نفسه أو أهله ، فلا يحتاج إلى إذنهما ، وإن أراد به تكثراً فلا بد من الإذن منهما .

الثالث : السفر للجهاد في سبيل الله ، إذا توفرت شروط الجهاد في سبيل الله ، وأَذِنَ الإمام له ، فلا بد من إذنهما .

الرابع : السفر المباح ، وهذا له أحوال :

الأول : إن كان في سفره منفعةٌ له ، ولا ضررٌ عليهما ، فلا يُشتَرَط إذنهما .

الثاني : إن كان في سفره منفعةٌ له ، وفي سفره ضررٌ عليهما ، فيُشتَرَط إذنهما .

الثالث : إن كان في عدم سفره ضررٌ عليه ، وفي سفره ضررٌ عليهما .

فهذا إن كان ضرره أعظم ، فلا يشترط إذنهما ، وإن كان ضررهما أعظم فلا بد من إذنهما ، وإن تساوى الضرران قَدَّمَ برهما على سفره : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

ومن سافر لبلدٍ للعمل ، أو الدراسة ، أو العلاج ، أو غيرها ، ثم يعود إلى بلده ، فهذا مسافرٌ له أن يَقْصُر الصلاة في السفر ، في الذهاب أو العودة ، إلا إذا إئتم بمقيم ، وعليه حضور الجماعة في المسجد ، وصيام رمضان في وقته ، وصلاة الجمعة ، لأنه إذا استوطن في تلك البلاد أخذ حكم المقيمين : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [النساء : ١٠١] .

- **أقسام الهجرة :**

الهجرة في سبيل أقسام :

الأول : هجرة إبراهيم ﷺ من العراق إلى الشام .

الثاني : هجرة محمد ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة .

الثالث : هجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهذه لمن تنطبق عليه ، والشام خيرة الله من أرضه .

- **حكم السياحة :**

السياحة لغير قصدٍ معين كالدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، أو علاجٍ ونحوه ، ليست مشروعة .

فالسياحة لغير قصدٍ معين ليست مشروعة ، لما فيها من إضاعة الوقت والمال الذي يجب صرفه كما أمر الله ورسوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف:١٠٨] .

فليست السياحة من أمر الإسلام في شيء، ولا من فعل النبيين والمرسلين ، ولا من فعل الأتقياء والصالحين .

والسياحة المذكورة في القرآن المراد بها الصيام ، أو الجهاد في سبيل الله ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه « أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ ، فَقَالَ ﷺ : « سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . أخرجه أبو داوود[1] .

---

(١) حسن / أخرجه أبو داود برقم: (٢٤٨٦).

- **حكم تهنئة الكفار :**

تهنئة الكفار لها حالتان :

الأولى : إن كانت التهنئة في أمور عامة ، كالزواج ، ونجاح الأولاد ، وشفاء مريض ، ونحو ذلك ، فهذه جائزة ، لعموم قوله سبحانه : ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الممتحنة:٨] .

الثانية : إن كانت التهنئة بشعائر الكفار كأعيادهم ، فهذه لا تجوز .

فلا يجوز تهنئتهم بها ، ولا حضور أعيادهم ، ولا مشاركتهم ، لأن في ذلك إظهارًا للرضا بصنيعهم ، وإعانةً لهم على الباطل والله يقول : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢] .

واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والهندوس، وسائر الكفار والمشركين ، على منهجٍ باطل ، فلا يجوز للمسلم أن يهنئهم في أعيادهم ، ولا في دينهم ، لأن ما سوى الإسلام فهو باطل : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس : ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء:١٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

والواجب على المسلم أن يجلس في البيئة الإيمانية مع إخوانه المؤمنين ، حتى يُذَكِّر ويَتَذَكَّر ، ويَتَعَلَّم ويُعَلِّم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وفي البيئة الإيمانية خمس ثمرات :

يتعلم الدين ، ويعمل بالدين ، ويَثْبُت على الدين ، ويَتَرَقَّى في الدين ، وينشر الدين .

فالله اختار المؤمن ليكون مؤمناً ، ويجلس مع المؤمنين ، ثم يخرج منهم إلى الغافلين فَيُذَكِّرهم ، فيأتي بغافلين إلى بيئة المؤمنين ، وهكذا يَصْلُحَ العالم : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وفي البيئة الإيمانية يلتقي العالم مع الجاهل ، والصالح مع الفاسد ، والبَرُّ مع الفاجر ، فيحصل اللقاح ، ويتأثر العاصي بالمطيع ، والغافل بالذاكر ، وهكذا تَصْلُحَ أحوال الأمة .

وفي الجو الإيماني تكن الشورى لكيفية نشر الدين ، والشورى قد أَمَرَ الله ﷻ بها هذه الأمة ، عندما تريد أن تقوم بالدعوة إلى الله ، ونشر دين الله ، من يصلح لهؤلاء ، ومن يصلح لهؤلاء ، وفي أي وقت ، ومع أي جماعة ، وإلى أي بلد : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

فالشورى أمرٌ من أوامر الله ، وهي استخلاص الرأي السديد لمصلحة الدين والدنيا ، وفائدة الشورى عظيمة ، ولهذا قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

والشورى عبادةٌ من العبادات العظيمة ، لما فيها من عظيم الأثر في نشر الهداية في العالم ، وانتفاع المسلمين بعضهم من بعض ، فقد يكون فعل المسلم حَسَنٌ في ذاته ، ويكون لله ، لكنه غير حَسَنٍ في زمانه أو مكانه أو محله ، والإنسان يُحْمَدُ على حُسن نيته ، لكنه لا يُحْمَد على سوء تصرفه .

فالمطلوب الحكمة في الأمور بِحُسن النية ، وحُسن التصرف ، ولهذا ينبغي للإنسان أن يستشير أهل العلم ، والرأي ، والنصح ، في الأمر قبل أن يُقْدِمَ عليه ، ومن اتبع هواه ، وحَكَّمَ عاطفته ، ولم ينظر لعواقب الأمور ، ولم يقرأ النتائج ، ولم يقارب بين الأمور ، الغالب أنه يَحْصُلُ على يديه من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله ﷻ ، مع إن نيته حسنة وقصده حَسن ، لكن لم يُحسن

التصرف : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

وقد استشار سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رسول الله ﷺ كيف يتصرف بماله ، كما في الصحيحين [١] .

واستشار النبي ﷺ أصحابه في غزوة بدر ، وغير ذلك من الأحوال التي وردت فيها إقامة عبادة الشورى بين المسلمين : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى:٣٨] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٥٧٧) ، ومسلم برقم (١٦١٦) .

فهرس الموضوعات